قامت الطالبة بعمل ماوجهت إليه من ملحوظات أثناء المناقشة

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات العليا

الإلتفات

في

القرآن الكريم

إلى آخر سورة الكهف

بحث مقدم من

الطالبة / خديجة محمد أحمد البناني

للحصول على درجة التخصص (الماجستير) في اللغة العربية وآدابها

تخصص البلاغة والنقد

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٢٨٩٨

إشراف

الأستاذ الدكتور / علي محمد حسن العماري

١٤١٣ ـ ١٤١٤ هـ

ملخص موجز للرسالة

باسم الله ، و الحمد لله ، و الصلاة والسلام على سيد الانام محمد بن عبدالله و آله وصحبه و من والاه ، فهذ تلخيص موجز لموضوع رسالتي التي تقدمت بها لنيل درجة الماجستير في البلاغة العربية (الالتفات في القرآن الكريم

إلى آخر سورة الكهف) مع بيان أهم النتائج التي توصلت إليها، وقد تناولت هذا الموضوع في أكثر مباحثه من الناحية البلاغية و من الناحية التفسيرية في مصارها المختلفة.

وقد جاء البحث في تمهيد و خاتمة بينهما بابان، فكان التمهيد مدخلاً إلى دراسة الالتفات تحدثت فيه عن الالتفات قبل عصر تدوين البلاغة العربية في كتب مستقلة بها.

الباب الأول

وقد جاء دراسة نظرية تطبيقية في الالتفات تضمن أربعة فصول تناولت الالتفات في أهم ملامحه اللغوية و البلاغية والادبية:

الفصل الأول : وفيه مبحثان:

المبحث الأول : التعريف بالالتفات لغة.

المبحث الثاني : مفهوم الالتفات و تعريفه الاصطلاحي.

الفصل الثاني : أسراره الفنية كمايراها علماء البلاغة.

الفصل الثالث : بلاغة الالتفات من الوجهة النفسية ودوره في حيوية الادب.

الفصل الرابع : أساليب الالتفات في الادب العربي و فيه مبحثان:

المبحث الأول : الالتفات في الشعر العربي.

المبحث الثاني : الالتفات في النثر العربي.

الباب الثاني

و قد كان دراسة استقصائية تحليلية لمواضع الالتفات في القرآن الكريم من سورة الفاتحة إلى آخر سورة الكهف ، وضم هذا الباب سبعة فصول ، ستاً منها على رأي الجمهور الذي مفاده أن الالتفات هو :(نقل الكلام من الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر بعد ذكر الأول ثم الانتقال منه إلى الثاني) ، أما الفصل السابع فقد جاء نماذج عشرة لبعض ألوان الالتفات التي خرجت عن رأي الجمهورسابق الذكر.

الفصل الأول : الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، وقد كان أول ألوان الالتفات وروداً في المصحف.

الفصل الثاني : الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

الفصل الثالث : الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

الفصل الرابع : الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

الفصل الخامس : الالتفات من التكلم إلى الخطاب

الفصل السادس : الالتفات من الخطاب إلى التكلم

الفصل السابع : نماذج لبعض ألوان الالتفات التي خرجت عن رأي الجمهور.

وختمت البحث بذكر ماتبدى لي من مقترحات و توصيات و من اهمها الرغبة إلى الدارسين أن يعتنوا بالدراسات القرآنية و يبذلوا من أجلها الجهود المخلصة لأن بها بحول الله وقوته خيري الدنيا و الآخرة. و الله من وراء القصد و هو الهادي إلى السراط المستقيم

الطالبة	المشرف على الرسالة	عميد كلية اللغة العربية
خديجة محمد أحمد البناني	الأستاذ الدكتور/ علي محمد العماري	الأستاذ الدكتور/ حسن محمد باجودة

بسم الله الرحمن الرحيم

وقد أخذت الدراسة المنهج الاستقصائى التحليلى. وحاولت جاهده استقصاء جميع مواضع الالتفات التى أتت على رأى الجمهور بجميع ألونه وتحليلها للوقوف على المغزى البلاغى الذى حققه الالتفات. وأدهشنى ما وجدته من عجائب بلاغية رائعة فيه لا تحد بحد ولا تضبط بضابط لأنها من أبرز وجوه إعجاز القرآن الكريم.

أما مصادره فقد أحوجنى الموضوع إلى الكثير من الكتب المختصه بالقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وعلومهما وعنانى ما وجدته فى تلك المصادر من تشعب وخلط لكثير من الموضوعات واستغلاق بعضها لما فيها من رموز وإحالات لا يفقهها إلا المتخصصون. وهذا بالإضافة إلى كتب البلاغة والأدب وإعجاز القرآن ولكنى عقدت العزم على المسير وسرت بهدى من الله حتى وصلت إلى نهاية المطاف وأنا استشعر عون الله وتأييده لى فى كل خطوة أخطوها بل كل خاطرة اهتديت إليها.

هذا وقد خرجت دراستى بتوفيق من الله فى تمهيد وبابين يشتمل الأول على اربعة فصول و الباب الثاني على سبعة فصول. وخاتمة وبها ثمرة البحث وخلاصته.

الباب الأول

التعريف بالالتفات لغة واصطلاحاً

الفصل الأول : وفيه مبحثان:-

المبحث الأول : التعريف بالالتفات لغة.

المبحث الثانى : مفهوم الالتفات وتعريفه الاصطلاحى.

الفصل الثانى: اسراره الفنية كما يراها علماء البلاغة.

الفصل الثالث : بلاغة الالتفات من الوجهة النفسية ودوره فى حيوية الأدب.

الفصل الرابع : أساليب الالتفات في الآدب العربى وفيه مبحثان.

المبحث الأول : الالتفات فى الشعر العربى.

المبحث الثانى : الالتفات فى النثر العربى.

الباب الثانى

(دراسة استقصائية تحليلية لمواضع الالتفات في القرآن الكريم من سورة الفاتحه إلى سورة الكهف).

الفصل الأول : الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

الفصل الثانى : الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

الفصل الثالث : الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

الفصل الرابع : الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

الفصل الخامس : الالتفات من التكلم إلى الخطاب.

الفصل السادس : الالتفات من الخطاب إلى التكلم.

الفصل السابع : أمثلة من القرآن الكريم لما خرج عن رأى الجمهور من الوان الالتفات.

هذا وبقيت كلمة شكر وامتنان في نفسي أقدمها عطره إلى من أوجدني من عدم ورباني بالنعم وعلمنى ما لم أكن أعلم أحمده سبحانه وأشكرفضله وامتنانه.

ثم أقدم خالص شكري وعرفاني إلى روح والدي الذى غرس فينا حب القرآن وإلى تلك التى بذلت وأعطت ولم تبخل حتى استوى عودنا ولا تزال. وإلى من جعل ربى بينى وبينه الألفه والسكن ورزقنى الله منه الرزق الحسن وإلى كل يد امتدت لي بالعون وكل قلب خفق من أجلي بالدعاء.

وأخص بالشكر أستاذيّ الفاضلين الدكتور نبيه حجاب الذى أعاد لي الثقة في نفسى. والدكتور علي العماري الذى تعهدنى بالتوجيه والإرشاد ولم يبخل على بحثى بشئ حتى استوى على سوقه وبان.

كما أقدم خالص شكري لجامعة أم القرى الفتية وعلي رأسها مديرها سعادة الدكتور راشد الراجح وأستاذنا الفاضل عميد كلية اللغة العربية السابق الدكتور عليان الحازمي وسعادة العميد الحالي الدكتورمحمد مريسي الحارثي كما أقدم شكرى للأستاذ الدكتور الفاضل رئيس الدراسات العليا الأسبق حسن باجوده والرئيس الحالي سعادة الدكتور سليمان العايد على جهودهم المشكورة للنهوض بمستوى الدراسة بعامة والعليا بخاصة.

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

(تمهيد)

الالتفات قبل عصر تدوين البلاغة العربية

لا يخفى على من لديه أدنى اهتمام بالبلاغة العربية أن البدايات الأولى من الملاحظات البلاغية كانت منذ العصر الجاهلى وأنها كانت متمثلة فى تلك الموازنات الشعرية التى ترد على ألسنه متذوقي الشعر وناقديه وهي ملاحظات عابرة وأحكام غير معللة فى معظم الأحيان[١] . أما فى عصر صدر الإسلام فقد سما هدف المهتمين بالنواحى البلاغية وارتقى إلى غاية من أعظم الغايات وهى النظر فى الفروق الشاسعة بين أسلوب القرآن الحكيم وبين أجناسِ الكلامِ العربى . وأصبح هذا باباً مهماً فى أصول النقد العربى فيما بعد ومنه تولد هدفٌ آخر يتمثل فى دراسة بلاغة القرآن الكريم وعظيم نظمه[٢] وخصوصاً أنه ما إن انقضى القرن الأول الهجرى حتى كَثُرَ عدد الموالى والمولدين

---

(١) ا انظر الاتجاه الأخلاقى فى النقد العربى حتى نهاية القرن السابع الهجرى د/ محمد بن مريس الحارثى ص (٤٣) . وانظر مقدمة كتاب بديع القرآن لابن أبى الإصبع تحقيق د/حفنى محمد شرف ص (٣٣) .

(٢) انظر الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص (٧) .

وانظر دراسات فى البلاغة د / محمد بركات حمدى أبو على ص (١٦٠) وكذا ص (١٦٣) وكذا انظر تاريخ البلاغة العربية د / عبد العزيز عتيق ص(١٤).

وكذا تاريخ النقد الأدبى عند العرب / طه أحمد إبراهيم ص (٣) .

فكان هؤلاء وأولئك بحاجة ماسة إلى من يبين لهم أمراً مهماً لعقيدتهم وهو أن القرآن الكريم يجرى على قواعد العرب فى لغتها ولكنه متميز بنهج خاص فى استعمال هذه اللغة - وهذا سر إعجازه - حتى فى تلك المواضع التى يشكل فهمها عليهم .

فانبرى نفر من العلماء الأجلاء فى ميادين شتى للقيام بهذا العمل العظيم وكان هدفهم الأسمى هو الدفاع عن القرآن الكريم وحمايته من أعداء الدين الذين تصيدوا تلك المواطن المشكلة على المولدين والموالى ليلبسوا عليهم دينهم ويشككوهم فى كتابهم . ولا غرو فهم أعوان إبليس اللعين . ومن خلال تلك الظروف ظهرت الملاحظات البلاغية منبثة فى كتب التفسير اللغوى[١] وكتب تدوين الأدب ثم كتب النقد وهذا جميعه قبل ظهور فن البلاغة العربية كفن مقصود لذاته[٢] ومدون فى كتب منفردة متخصصة فيه ومستقلة عن تلك المباحث سابقة الذكر . ومنذ تلك البدايات الأولى لفت أسلوب الالتفات الرائع أنظار العلماء من مفسرين للقرآن الكريم ونقاد للأدب وعلماء للغة أحسوا بجمال الالتفات واستحسنوه وعلقوا عليه تعليقات تتفاوت وضوحاً وخفاء إطناباً وإيجازاً و ذلك كله قبل عصر تدوين البلاغة العربية بزمن ليس بقصير.

---

(١) انظر دراسات فى البلاغة د / محمد بركات حمدى ابو على ص (١٣٤) .

(٢) انظر نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجانى / د محمد حنيف فقيهى ص (٦٠) وما بعدها وكذا انظر مقدمة الفصل الثانى لكتاب بديع القرآن لابن أبى الإصبع تحقيق د / حفني محمد شرف ص (٣٤) .

فهذا الأصمعي* يذكره بنفس مصطلحه الأخير في رواية عن إسحاق الموصلي** أنه قال : (قال لى الأصمعي أتعرف التفاتات جرير*** ؟ قلت وما هي فأنشدنى :

أتنسى إذ تودعنا سليمى

بعود بشامة سقى البشام[1]

ثم قال : أما تراه مقبلاً على شعره إذ التفت إلى البشام فدعا له[2]. قلت : أدرك الأصمعي روعة هذا الالتفات ودقته فى أداء المعنى ولكنه لم يزد على لفت محدثه إليه معتمداً على ما عند إسحاق الموصلي من تذوق دقيق للأدب وما فيه من ضروب بلاغية جميلة وهذا ما حدا ببعض الباحثين المعاصرين إلى أن يقول : (ولعل الأصمعي هو الذى أطلق عليه الاسم الاصطلاحى لأول مرة)[3] وأورد ذلك الحديث الذى سبقت الإشارة إليه بين الأصمعي وإسحاق الموصلي وأظن أن هذا الحكم فيه تجاوز بعض الشيء عن واقع الحديث السابق لأن الأصمعي لم يسأل محدثه عن شيء مجهول عنده بدليل أنه قال أتعرف التفاتات جرير ؟ ولم يقل أتعرف ماهو الالتفات ؟ إنه قول جرير كذا أو ماشابه ذلك .

---

* هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن على بن أصمع ، كان صاحب لغة ونحو وإماماً فى الأخبار ، والنوادر ، و الملح ، والغرائب . قال إسحاق الموصلي : لم أر الأصمعي يدعى شيئاً من العلم فيكون أحد أعلم به منه وكانت ولادة الاصمعي سنة اثنتين ، وقيل ثلاث وعشرين ومائة . وتوفى فى صفر سنة ست عشر ومائتين . انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج٣ ص (١٧٠ - ١٧٦) . وكذا تهذيب سير أعلام النبلاء ج٣ ص (٣٣٢) .

** هو اسحاق بن إبراهيم الموصلي كنيته أبو محمد له مكانه علمية عظيمة وأما الغناء الذى عرف به فكان أصغر علومه وإن كان الغالب عليه لأنه كان له فى سائر علومه نظر ولم يكن له فى هذا نظير . كان المأمون يقول لولا ما سبق لإسحاق على الناس لوليته القضاء .توفي نحو سنة ٢٣٥ هـ

انظر معجم الأدباء لياقوت المجلد الثالث ج٦ ص (١٠ إلى ٥٧) .

*** هو أبو حرزة ، جرير بن عطية بن الخطفى التميمى البصرى . مدح يزيد بن معاوية ، وخلفاء بنى اميه ، وشعره مدون . وكان جرير عفيفاً منيباً توفى سنة مائة وأربع عشره . انظر تهذيب سير أعلام النبلاء ج١ ص (١٦٧) رقم (٦٠٤) .

(١) البيت لجرير بن عطية الخطفى انظرشرح ديوانه لتاج الدين شلق ص/٥٧٦ ،
وكذا كتاب دراسات فى البلاغة د/ محمد بركات ص (١٣٩) ، وكذا أنوار الربيع ص (٣٨٠) .
وكذا انظر الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص (٤٠٧) .
قال البشام : شجر ذو ساق وأفنان و ورق ولا ثمر له .

(٢) انظر العمدة لابن رشيق القيروانى ص (٢٧٦) تحقيق وشرح د / مفيد محمد قميحه .

(٣) المعانى فى ضوء أساليب القرآن د / عبد الفتاح لاشين ص (٢٦٠) .

وقد علق أبو عبيدة معمر بن المثنى* على كثير من آيات القرآن الكريم التى جاء فيها الالتفات وأشار إلى العديد من أنواعه دون تسميته باسمه كما فعل الأصمعي .

وذلك لأن جميع الفنون البلاغية عند أبى عبيدة يسميها مجازاً فكلمة مجاز عنده تعنى التفنن فى الأساليب البلاغية لتصبح مشوقة تشد السامع أو القارىء إليها وقد يطلق كلمة مجاز على كل ما يستحسنه أو يريد تفسير معناه ولذا سمى الالتفات مجازاً أيضاً فهو يقول: (ومجاز من جر{ **مالك يوم الدين** } أنه حدث عن مخاطبة غائب) . ثم رجع فخاطب شاهداً فقال:{ **إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا** }[1].ثم أورد بيت عنترة بن أبى شداد العبسى القائل :

شطت مزار العاشقين فأصبحت

عسراً على طلابك ابنة مخرم[2]

لم يفصح أبو عبيدة عن لون الالتفات فى هذا البيت كعادة معاصريه فهم يعتمدون على الإشارات فقط فى معظم الأحيان . وربما يكون الالتفات فيه فى تحول مسار الحديث من الإخبار عن بعد المزار على العاشقين إلى مخاطبة ابنة مخرم . ثم أورد بيت أبى كبير الهذلي** :

يالهف نفسى كان جدة خالد

وبياض وجهك للتراب الأعفر[3]

وفيه التفات صريح من الغيبة فى ذكرخالدإلى مخاطبته فى قوله:(وبياض وجهك) .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ح١ ص (٢٣) تحقيق محمد فؤاد سزكين .

(٢) هذا البيت من معلقته وهو فى شرح ديوانه ص ١٥١ للخطيب التبريزي وكذا في شرح المعلقات السبع للزوزني ص(١٩٥) مع اختلاف الشطر الأول .

(٣) من كلمة فى ديوانه ١٩ بيتاً ح٢ ص (١٠١) . وكذا انظر الطبرى ح١ ص (٥١). وكذا مجاز القرآن ح١ ص (٢٤) .

* ابو عبيدة معمر بن المثنى التميمي ولد سنه (١١٠) هجرية وتوفى بين سنتى (٢٠٩ -٢١٣) وهو من علماء البصرة /انظر أخبار النحويين للسيرافى ص (٦٧) . وكذا وفيات الا عيان لابن خلكان ح٢ ص (١٥٧) .

** أبو كبير الهذلى : هو عامر بن الحُليس وهو جاهلى وله أربع قصائد أولها شىء واحد: (زهير هل عن شيبة) انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص (٤٤٩) . ويقول : فى هذا البيت دفن فى أرض ترابها أعفر إلى الحمرة المرجع السابق .

وقال فى موضع آخر من كتابه (مجاز القرآن) : (وذلك الكتاب معناه : هذاالقرآن ! وقد تخاطب العرب الشاهد فتظهر له مخاطبة الغائب[١]. ومثل له بقول خفاف* بن ندبة السلمى :

فإن تك خيلى قد أصيب صميمها

فعمداً على عين تيممت مالكا ***

أقول له والرمح يأطر متنه

تأمل خفافاً إننى أنا ذلكا[٢]

ولم يكن المفسرون هم وحدهم الذين تحدثوا عن الالتفات بل هذا المبرد** العالم اللغوى يتكلم عن الالتفات عند شرحه قصيدة

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيده ج١ ص (٢٨) ، وكذا المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج١ ص (٦٨) .

(٢) البيتان فى المراجع السابقة والكامل (٢ ص٢٨٥) والطبرى (٧٥/١) والبيت الثانى فى القرطبى (١٣٦/١) والأول فى اللسان والتاج (صمم) .

* هو خفاف بن عمير بن الحارث الشريد بن رياح ، وهو أحد فرسان قيس وشعرائها المذكورين مخضرم ، نشأ فى الجاهلية وأدرك الإسلام وشهد فتح مكة وكان معه لواء بنى سليم واللواء الآخر مع العباس بن مرداس وشهد حنينا والطائف وثبت على إسلامه فى الردة وبقى إلى زمن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - له ترجمة فى الشعر والشعراء (١٩٦) والمؤتلف (١٠٨) والأغانى (١٣٤/١٦) والخزانه (٤٧٢/٢) وأما ندبة فهى أمه كان سباها الحارث بن الشريد حين أغار على بنى الحارث بن كعب فوهبها لابنه عمير فولدت له خفافاً . وكانت امراءة سوداء .

** المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر . من بنى ثمالة ، فهو أزدى يمانى بصرى عربى وشهرته (المبرد) ؛ نزل بغداد وكان إماماً فى النحو واللغة وله التواليف النافعة فى الأدب واللغة منها كتاب (الكامل) وكتاب (الروضة) و (المقتضب) وغير ذلك وكانت ولادته يوم الاثنين عيد الأضحى سنة عشرة ومائتين وقيل سنة سبع ومائتين . وتوفى يوم الإثنين لليلتين بقيتا من ذى الحجة وقيل ذى القعدة سنه ست وثمانين وقيل خمس وثمانين ومائتين ببغداد .

انظر وفيات الأعيان ج٤ ص (٣١٣ إلى ٣٢٢) وكذا انظر كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن للمبرد اعتنى به د/ محمد رضوان ص (٩٠) .

*** يعني مالك بن حماد الشمخي ، وصميم خيله : هو معاوية أخو الخنساء ، قتله دريد وهاشم ابنا حرمله المريان .

للأعشى* يذكر الحرث ابن وعلة و هوذة بن على ومنها قوله :

وأمتعنى على العشا بوليدة

فأبت بخير منك ياهوذ حامدا

قال المبرد : (فإنه كان يتحدث عنه ثم أقبل عليه يخاطبه وترك تلك المخاطبة . والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب قال الله عز وجل :{ **حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة** }[١] كانت المخاطبة للأمة ثم انصرفت إلى النبى صلى الله عليه وسلم إخباراًعنهم)[٢]. ويقصد بهذا أنه حوّل الكلام من مخاطبتهم في (كنتم) إلى الحكاية عنهم بطريق الغائب في : (وجرين بهم) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم أورد المبرد بيت عنترة الذى ذكره أبو عبيدة سابقاً شاهداً على كلامه : ***شطت مزار العاشقين فأصبحت***

عسراً على طلابك ابنة مخرم[٣]

وقال عنه : كان يتحدث عنها ثم خاطبها ومثل ذلك قول جرير :

---

* هو سعد ضبيعة بن قيس وكان أعمى ويكنى أبا بصير وكان أبوه قيس يدعى قتيل الجوع وكان جاهلياً أدرك الإسلام فى أخر عمره ورحل إلى النبى ليسلم ولكنه لقى أبا سفيان بن حرب فمناه بمائه ناقة فأخذها وعاد فألقاه بعيره فقتله ولُقّب صناجة العرب. .

(١) جزء من الآية ٢٢ من سورة يونس .

(٢) الكامل ج٣/٢٢ عارضه باصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم وانظر أيضاً فى تاريخ البلاغة العربية د/ عبد العزيز عتيق ص (٣٨) .

(٣) هذا البيت سبق ذكره فى ص (٧) .

وترى العواذل يبتدرن ملامتى فاذا أردن سوى هواك عُصينا

وقال ؛ وقال آخر :

فدى لك والدى وسراة قومى ومالى إنه منه أتانى

ومن الملاحظ أن فى هذا البيت لوناً آخر من الالتفات غير سابقيه فهو التفات من الخاطب إلى الغائب أما البيتان السابقان فعكس ذلك ثم قال المبرد – رحمه الله – (وهذا كثير جداً) ** .

وفى تأويل مشكل القرآن لابن قتيبه* يذكر الالتفات فى باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه يقول : ومنه أن تخاطب الشاهد بشىء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب[١] ومثل له بآية يونس { **حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها** }[٢] .وأيضاً قوله تعالى : { **وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون** }[٣] وقوله تعالى : {**ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم**} ثم قال:{ **أولئك هم الراشدون** }[٤] .

---

* ابن قتيبة العلامه الكبير ، ذو الفنون ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، وقيل : المروزى ، الكاتب صاحب التصانيف نزل بغداد ، وصنف وجمع وبعد صيته من تصانيفه (غريب القرآن) (وغريب الحديث) كان رأساً فى علم اللسان العربى والأخبار والأيام . مات سنه ست وسبعين ومائتين / انظر تهذيب سير أعلام النبلاء ج١ ص (٥٢٥ -٥٢٦) .

** لقد تكلم المبرد عن الا لتفات في موضعين من كتابه (الكامل) أولهما عند شرحه أبياتاً لذي الرمة في مدح بلال بن أبي بردة ، عند حديثه عن هذا البيت:

من آل أبي موسى ترى القوم حوله كأنهم الكروان أبصرنا بازيا

قال المبرد: فقال((ترى)) ولم يقل ((ترين) وكانت المخاطبة أولاً لإمراة ، ألا تراه يقول:

وماكنت مذ أبصرتني في خصومة أراجع فيها يابنة الخير قاضيا

ثم حول المخاطبة إلى رجل و العرب تفعل ذلك. ثم أورد الآية السابقة و الأبيات الشعرية أيضاً.
انظر الكامل ج٢ /٥٦ تعليق محمد أبو الفضل إبراهيم

(١) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبه / تحقيق السيد أحمد صقر الطبعة الثانية ص (٢٨٩ - ٢٩٠).
(٢) جزء من الآية ٢٢ من سورة يونس . (٣) سورة الروم جزء من الآية (٣٩) .
(٤) سورة الحجرات جزء من الآية (٧) .

٢٩٨

ثم أورد ابن قتيبة هذا البيت :

يا دارمية بالعلياء فالسند

أقوت وطال عليها سالف الأبد(١)

وقال : وكذلك أيضاً تجعل خطاب الغائب للشاهد كقول الهذلى :

يا ويح نفسى كان جدة خالد

وبياض وجهك للتراب الأعفر(٢)

ثم أورد ابن قتيبة عدة أنواع للالتفات من بينها : أن يخاطب الرجل بشىء ثم يجعل الخطاب لغيره ؛ كقوله تعالى : { **فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون** }(٣) ، ويقصد ابن قتيبة أن الذي يدلك على أن الخطاب للكفار قوله تعالى { **فهل أنتم مسلمون** }.

قال ابن قتيبة : { **فإن لم يستجيبوا لكم** } الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم - ثم قال للكفار : { **فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن الله لا إله إلا هو** } يدلل على ذلك قوله : { **فهل أنتم مسلمون** } .

وهكذا نرى أن القدماء - رحمهم الله - قد نبهوا على الالتفات منذ عهد بعيد وما ذلك إلا لأهمية هذا الأسلوب فى إيصال تلك المعانى العظام بأدق صورة واوضحها إلى ذهن السامع أو القارىء وهذا القرآن الكريم أكبرُ شاهداً على ذلك ففيه العديد من مواضع الالتفات بمختلف أنواعه ويعد الالتفات من أبرز خصائصه الأسلوبية .

---

(١) البيت للنابغة الذبيانى كما جاء فى ديوانه ص (٢٣) والصاحبى ص (١٨٣).
وشرح القصائد العشر ص (٢٩٠) .
واقوت : أى خلت من أهلها ، والسالف : الماضى . والأبد : الدهر

(٢) بيت أبى كبير الهذلى سبق ذكره فى ص (٧) مع اختلاف المطلع ،

(٣) هود ١٤ ص (٧) مع اختلاف المطلع ،

الباب الأول

دراسة نظرية تطبيقية في الالتفات

الفصل الأول

التعريف بالالتفات لغة واصطلاحا

المبحث الأول تعريفه فى اللغة :

جاء فى كتاب الله العزيز : { **أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه ابآءنا** }[١] . قال أبو عبيدة*: أى لتصرفنا عنه وتميلنا وتلوينا عنه[٢]

وجاء فى كلام العرب من شعر رؤبة**

يدق صلبات العظام الفتى

لفتاً وتهزيعاً سواء اللفت[٣]

وفى المعاجم اللغوية تعريفات كثيرة للالتفات تتفاوت فى معنى كلمة لفت ومشتقاتها .

فمنهم من يقول : اللام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على اللىّ وصرف الشىء عن جهته المستقيمة منه. لفتّ الشىء : لويتُه ، ولفتّ فلاناً عن رأيه : صرفتُه

---

(١) سورة يونس أيه (٧٨) .

(٢) انظر مجاز القرآن ج١ ص (٢٨٠) .

(٣) اللفت : قال ابو عبيدة هو اللي ، والتهزيع : معناه الدق / انظر مجاز القرآن ج١ ص (٢٨٠) .

* أبو عبيدة سبقت ترجمته فى الفصل التمهيدى ص (٧) .

** هو ابن العجاج : واسم العجاج عبد الله بن رؤبة بن أسد بن صخر بن كنيف من مخضرمى الدولتين - الأموية والعباسية - ومن أعراب البصرة سمع من أبى هريرة - رضى الله عنه - وعِداده فى التابعين . وروى عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى والنضر بن شميل وخلف الأحمر وغيرهم . وله رجز مشهور مات فى زمن المنصور سنه خمس وأربعين ومائة .

انظر معجم الأدباء لياقوت الحموى ج١١ ص (١٤٩-١٥٠) .

و(الألفت) الرجل الأعسر وهو قياس الباب : و اللفيتة : الغليضة من العصائد لأنها تلفت أي تُلوى. و إمرأة لفوت : لها زوج و لها ولد من غيره فهي تلفت إلى ولدها ومنه الالتفات . وهو أن تعدل بوجهك وكذا التّلَفُّتُ [١] ومنهم من قال:(لفت وجهه عن القوم: صرفه، والتفت التفاتاً و التفّت أكثرمنه ، والتفت وتلفت إلى الشيء والتفت إليه صرف وجهه إليه وفى الحديث : (فكانت منى لفتة) وهى المرة الواحدة من الالتفات واللفت : اللي ولفَتَهُ يلفتَهُ لفتا : لواه على غير جهته ، وألفتَّ فلاناً عن رأيه أى صرفته عنه ومنه الالتفات[٢] .

ومنهم من قال : (التَفَتُ إليه وتَلَفَّتُّ . وقال :

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى

وجعت من الإصغاء ليتاً وأخدعا[٣]

ومن المجاز لفَتُّهُ عن رأيه: صرفته وفلاناً يلفت الكلام لفتاً يرسله على عواهنه لا يبالي كيف جاء . ولفَتَ اللحاء عن العود : قشره[٤] .. ومن معانيه أيضاً ، المباوحة النفسية للسلوك الإنسانى ومن ذلك حديث الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم إذ ورد فيه : (لا تتزوجن لفوتاً) وهى التى لها ولد من زوج آخر ، فهى لا تزال تلتفت إليه وتشتغل به عن الزوج[٥] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة لفت .

(٢) لسان العرب مادة لفت .

(٣) هذا البيت نسبه السيد رشيد رضى - مصحح دلائل الإعجاز لعبدالقاهر و المعلق على حواشيه - إلى الصمة بن عبد الله بن طفيل بن الحارث وهو من قصيدة فى بنت عمه (ريا) أولها

حننت إلى ريا ونفسك باعدت مزارك من ريا وشعباكما معا

وقد نسبه د/يوسف فرحات إلى مجنون ليلى في قصيدة (بكت عيني اليسرى) ، انظر ديوان مجنون ليلى /١٣٦ شرح د/ يوسف فرحات

الاخدعان عرقان فى جانب العنق قد خفيا وبطنا ،. والليت صفحة العنق وقيل أدنى صفحتى العنق من الرأس عليهما ينحدر القرطان . انظر دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى ص (٤٦-٤٧)

(٤) أساس البلاغة للزمخشرى مادة (لفت) .

(٥) انظر دراسات في البلاغة د/محمد بركات حمدي أبو علي ص ١٣٤.

المبحث الثانى مفهوم الالتفات وتعريفه الاصطلاحى:

اضطربت أقوال البلاغيين فى القديم فى ماهية الالتفات ومفهومه الاصطلاحى ؛ وسبب ذلك لاضطراب عائد إلى تعريف الالتفات فى اللغة فمادة لفت تندرج تحتها دلالات لغوية كثيرة بعضها حقيقى والبعض الآخر مجازى . وتبعاً لإختلاف آرائهم فى كنهه ذهبوا فيه مذاهب شتى :-

فعبد الله بن المعتز* قال فيه : (هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر)[1] . يفهم من كلامه أن الالتفات فى رأيه على ضربين :-

الأول يخص أسلوب الخطاب أى نقل الضمير من حالة في الكلام إلى حالة أخرى وهو ما عبر عنه بقوله ! (هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الأخبار وعن الإخبارإلى المخاطبة وما يشبه ذلك) .

أماالضرب الثانى:فهوانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر

وقد أطلق عبد الله بن المعتز العنان لمدى الالتفات واتساعه بإطلاقه كلمة (معنى) ولهذا نجد كثيراً من الفنون البلاغية تدخل تحت هذا التعريف

---

(١) كتاب البديع ص (٥٨) وكذا فى تحرير التحبير ج١ ص (١٢٣) .

* عبد الله بن المعتز بن محمد بن المتوكل بن جعفر بن المعتصم بن محمد بن الرشيد بن هارون بن المهدى بن الأمير أبوالعباس الهاشمى العباسي البغدادى الأديب صاحب النظم الرائع . مولده فى سنه تسع وأربعين ومئتين ، وقتل سراً فى ربيع الأخر سنة ست وتسعين ومئتين .

انظر تهذيب سير اعلام النبلاء ج١ ص (٥٦٢) .

مثل الاستطراد(١) ، والاستدراك(٢) ، والتجريد(٣) ، والتتميم (٤) والتذييل(٥) . أما وجه اختلاف هذا الجزء من التعريف عن سابقه فهو مختص بالمضمون دون الشكل وهو ما عبر عنه ابن المعتز بكلمه (معنى) .وفى بيتى جرير* اللذين مثل بهما عبد الله بن المعتز خير ما يثبت دعوانا هذه . قال جرير :

متى كان الخيام بذى طلوح

سقيت الغيث أيتها الخيام

أتنسى يوم تصقل عارضيها

بعود بشامة سقى البشام(٦)

ففى البيت الأول : انتقل الشاعر من أسلوب الغائب فى قوله:(متى كان الخيام) إلى المباشرة بالخطاب فى قوله (سُقيت) و (أيتها) ومع وجود هذا الالتفات الظاهر فى أسلوب الخطاب فإنه يشتمل على الضرب الثانى أيضاً -وهو الانتقال فى المعنى- ألا ترى معى أن الشاعر كان يجد السير فى معنى معين فإذا به يقف ويعن له معنى آخر وهو الدعاء لهذه الخيام

---

(١) الاستطراد: هو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني انظر بغية الايضاح لعبدالمتال الصعيدى ح ٤/٢٠وكذاتحرير التحبير لابن ابى الاصبع المصرى /١٣٠

(٢) الاستدراك : شبيه بالاستثناء وهو معنى (لكن) لانه رفع توهم يتولد من كلام سابق انظر هامش تحرير التحبير /٣٣١ تحقيق / د. حنفى محمد شرف .

(٣) التجريد : فهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمراً آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه انظر الإيضاح للخطيب ٢٠٦ دار الجيل بيروت ومنه ما يكون بمخاطبة الإنسان نفسه فينتزع الإنسان من نفسه شخصاً آخر مثله فى الصفة ويخاطبه . انظر علوم البلاغة لاحمد مصطفى المراغى /٣١٣,

(٤) التتميم : وهو ان يؤتى فى كلام لايوهم خلاف المقصود بفضله تفيد نكته كالمبالغة انظرالإيضاح١١٦ .

(٥) التذييل : وهو نعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد انظر البغية ٢٥/١٣٩

(٦) البيتان لجريرفى شرح ديوانه لتاج الدين شلق ص ٥٧٤ و البيت الثاني ٥٧٦ وكذا كتاب البديع ص (٥٩) . وكذا فى معجم البلاغة العربية د/ بدوى طبانه ص (٦١٤) .

وكذا فى تحرير التحبيرلابن أبى الأصبع المصرى ج١ ص (١٢٤) تحقيق د/ حفنى محمد شرف

* سبقت ترجمته ص (٦)

بالسقيا تمشياً مع ما أقتضته حالتة النفسية آنذاك[١] .

أما البيت الثانى : فهو يقتصر على الانتقال فى المعنى فقط وذلك فى انتقال الشاعر من ذكر البشام إلى الدعاء له .

وهكذا يتضح أن مفهوم الالتفات عند عبد الله بن المعتز يتمثل فى هذين الضربين بما تحتهما من أقسام وفروع كثيرة وقد جمع هذين الضربين فى بيت اختاره لجرير يقول فيه :

طرب الحمام بذى الأراك فشاقنى

لا زلت فى غلل وأيك ناضر[٢]

فقد انتقل الشاعر من أسلوب الغيبة فى قوله : (طرب الحمام) إلى المخاطبة فى قوله ؛ (لا زلت) . وفى الوقت نفسه انتقل من المعنى الذى كان آخذاً فيه من ذكره الحمام إلى الدعاء للحمام بالرى والطعام[٣].

وهكذا نجد أن هذا العالم الأديب دقيق جداً فى تعريفه وتمثيله ولكن الأخذ بمذهبه هذا يوسع دائرة الالتفات ويجعل حصره بالغ الصعوبة .

---

(١) والحقيقة ان هذا الالتفات اقتضته عوامل نفسية هى شعور الشاعران لهذا البشام فضلاً عظيماً عليه حيث ذكّره بمن يحب فاستحق منه هذا الدعاء المخلص بدوام الرى والسقيا فدوامه فى حال طيبة سيعود على المحبوب بالخير لصلته به .

ذو طلوح : واد فيه شجر كثير من الطلح وهو شجر عظام من شجر العضاه . والعارضان : صفحتا الخدين ، والبشام : شجر طيب يستاك به انظر معجم البلاغة د/بدوى طبانه ص (٦١٥) .

(٢) البيت لجرير في شرح ديوانه لتاج الدين شلق. /٢٣٢

الغلل : المكان الخصب الذى يجود بالغلة انظر معجم البلاغة د/ بدوى طبانه .

(٣) انظر معجم البلاغة العربية د/ بدوى طبانه ص (١١٩) .

وعلى النقيض من عبد الله بن المعتز نجد قدامة* بن جعفر قد ضيق دائرة الالتفات ، حيث عرفه بقوله:(ومن نعوت المعانى الالتفات. وبعض الناس يسميه الاستدراك ؛ وهو أن يكون الشاعر آخذاً فى معنى فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله أو سائلاً يسأله عن سببه ، فيعود راجعاً على ما قدمه فإما أن يؤكده أو يذكر سببه أو يحل** الشك فيه)[1] . ومثل له بأمثلة عدة تؤكد جميعها الفكرة نفسها وقد بدأها بقول المعطل أحد بنى رهم من هذيل قـال :

تبين صلات الحرب منا ومنهم إذا ما التقينا والمسالم بادن[2]

وعلق عليه بقوله : (والمسالم بادن رجوع على المعنى الذى قدمه حين بين أن علامة صلاة الحرب من غيرهم أن المسالم يكون بادناً وأما المحارب ضامر)[3] لما يعتاده من جهد فى الحرب .

---

(١) انظر كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص (١٤٦) . وكذا بديع القرآن لابن أبى الإصبع المصرى ص (٤٢) تحقيق د/ حفنى محمد شرف وكذا كتاب تحرير التحبير لابن أبى الإصبع المصرى ص (١٢٣) تحقيق د/ حفنى محمد شرف .

(٢) انظر ديوان الهذليين ح٣ ص (٤٧)، وكذا نقد الشعر لقدامة ١٤٦، وكذا بديع القرآن لابن أبي الأصبع المصري/٤٢ وكذا دراسات فى البلاغة ص (١٣٨) . وكذا علوم القرآن لابن القيم ص (١٤٦) .

(٣) كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص (١٤٧) .

* قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب كان نصرانياً وأسلم على يد المكتفى بالله وكان أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفه الفضلاء واشتهر فى زمانه بالبلاغة ونقد الشعر ، وصنف فى ذلك كتباً منها : كتاب نقد الشعر أكب على دراسة العلوم الدينية الإسلامية ليعد نفسه لصناعة الكتابه التى احترفها مات سنه ٣٣٧هـ . انظر معجم الأدباء لياقوت الحموى المجلد التاسع ج١٧ ص (١٢) وما بعدها .

وكذا انظر تاريخ البلاغة العربية د/ عبد العزيز عتيق ص (١٤١) وما بعدها .

** هكذا هي في نقد الشعر و الصواب : أو يُجلّيَ ، قال ابن حجة : فسر قدامة الالتفات بأن قال: (هو أن يكون المتكلم قد أخذ في معنى فيعترضه إما شك فيه ، أو ضن أن راداً يرده عليه ، أو سائلاً يسأله عن سببه. فيلتفت إليه بعد فراغه منه، فإما أن يجلي الشك ، أو يؤكدة ، أو يذكر سببه ح١/ ١٣٤.

وبمقارنة مفهوم الالتفات عند قدامة بن جعفر ومفهومه عند عبد الله بن المعتز يتضح أن هذا فرع من ذاك فهو داخل تحت الجزء الأخير من تعريف ابن المعتز إلا أن ابن المعتز يجعله انصرافاً من معنى إلى غيره أما قدامة فيؤكد على أنه رجوع على المعنى نفسه لتأكيده أو ذكر السبب أو إحالة الشك فيه .

وقد أفرد له ابن المعتز باباً خاصاً وسماه (الرجوع)[١] وكذلك فعل ابن أبى الإصبع المصرى ولكنه قرنه بكلمة الاستدراك فقال : باب الاستدراك والرجوع[٢] .

ولم ينفرد قدامة وحده بهذا المفهوم عن الالتفات بل نجد أن أبا هلال العسكرى* يجعله أحد الضربين اللذين عدهما التفاتاً فقد قال : (الالتفات على ضربين : فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره)[٣] .

---

(١) انظر كتاب البديع ص (٦٠) . وكذا انظر الصناعتين للعسكرى ص (٤١١) .

(٢) انظر تحرير التحبير ص (٣٣١).

(٣) انظر كتاب الصناعتين ص (٤٧) .

الغريب صلاة الحرب : من كابدوا حرها وعاشوا ويلاتها قال صاحب اللسان واصلها من قولهم : صَلِى فلان النار يَصْلَى صُلِيّاً : احترق . قال الله تعالى { **هم أولى بها صُليّا** } . انظر اللسان مادة صلا . وجاء فى مقاييس اللغة لابن فارس ج٣ /٣٠٠ الصاد ، واللام ، والحرف المعتل أصلان : أحدهما النار وما أشبهها من الحمى ، والآخر جنس من العبادة .

* هو الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى المتوفى سنه ٣٩٥ هـ والعسكر نسبه إلى مدينة (عسكر عكرم) من كور الأهواز بين البصرة وفارس وهو من أدباء القرن الرابع الهجرى . عاصر قدامة وعاش بعده ما يقرب من نصف قرن وحاول فى واحد من أهم مؤلفاته (كتاب الصناعتين) أن يتم ما بدأه قدامة وأن لا يقف بالبحث الأدبى عند حد الشعر .

انظر معجم الأدباء لياقوت ج٨ ص (٢٢٣-٢٦٧) . وكذا تاريخ البلاغة العربية ص ١٩٢ وما بعدها .

وهنا نجد أبا هلال العسكرى يتفق مع ابن المعتز فى الجزء الأخير من تعريفه للالتفات إلا أنه أكثر دقة ووضوحاً منه وذلك بذكره الصلة الوثيقة الماثلة بين المعنى الذى يكون فيه الشاعر والمعنى الذى ينصرف إليه ومن أمثلته لهذا الضرب قول جرير :

أتنسى إذ تودعنا سليمى

بعود بشامة سُقى البشام(١)

ومن الملاحظ التشابه الشديد بين هذا البيت ومثال (عبد الله بن المعتز) لجرير ايضاً .

أتنسى يوم تصقل عارضيها

بعود بشامة سُقى البشام(٢)

أى إن هذا الضرب عند أبى هلال هو نفسه الذى عند عبد الله بن المعتز وإن اختلف لفظ التعريفين قليلاً ، والذى يؤكد هذا أننا نجد العالمين يشتركان فى التمثيل لهذا الضرب ببيت جرير :

طرب الحمام بذى الأراك فشاقني

لا زلت فى غلل وأيك ناضر(٣)

---

(١) انظر كتاب الصناعتين ص (٤٠٧) .

وكذا دراسات فى البلاغة د / محمد بركات حمدى أبو على ص (١٣٩)

وكذا شرح ديوان جرير لتاج الدين شلق /٥٧٦

(٢) انظر كتاب البديع ص (٥٩) وقد سبق ذكر هذا البيت /١٨ .

(٣) انظر الصناعتين لابى هلال العسكرى ص (٤٠٧) .

أما الضرب الثانى : فهو الذى اشترك فيه أبو هلال العسكرى مع قدامة بن جعفر فقد عرفه أبو هلال بقوله : (والضرب الآخر أن يكون الشاعر آخذاً فى معنى وكأنه يعترضه شك أو ظن أن راداً يرد قوله أو سائلاً يسأله عن سببه فيعود راجعاً إلى ما قدمه فأما أن يؤكده أو يذكر سببه أو يزيل الشك عنه)[١].

من أمثلته قول المعطل الهذلى :

تبين صلاة الحرب منا ومنهم

إذا ما التقينا والمسالم بادن

ولا يخفى هنا أن هذا التعريف هو نفسه ما ذكره قدامة ، وكذلك المثال وكأن أبا هلال تحير فى أى المفهومين أصوب فجعلهما ضربين متأثراً فى الأول منهما برأى (عبد الله بن المعتز) وإن اختلف معه قليلاً فى التعريف - على نحو ما بيناه . ومتأثراً فى الضرب الآخر برأى قدامة بن جعفر .

ومن أجمل ما مثل به أبو هلال العسكرى لهذا الضرب الآخر قول ابن ميادة* :

فلا صرمه يبدو و فى اليأس راحة

ولا وده يصفو لنا فنكارمه

---

(١) المرجع السابق الصفحه نفسها .

* هو الرماح بن ميادة من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية وهو : الرماح بن أبرد بن ثوبان الذبيانى الغطفانى . شاعر رقيق ، هجاء اشتهرت نسبته إلى أمه ميادة توفى سنه (١٤٩) هـ .

الصرم : الهجر والقطيعة انظر كتاب نقد الشعر ص (١٤٧) .

وقد عقّب عليه بهذا الشرح اللطيف فقال : (وكأنه بقوله وفى اليأس راحة التفت إلى المعنى لتقديره أن معارضاً يقول له : وما تصنع بصرمه ؟ فيقول : لأنه يؤدى إلى اليأس وفى اليأس راحة)(١) .

وهذا البيت مثل به الخطيب للإعتراض الذي أفاد نكتة بلاغية هي : التنبيه على سبب أمر فيه غرابة و قد علق عليه بما هو أجمل و ألطف قال:(و الإعتراض فيه بجملة "وفي اليأس راحة" قال : فإن قوله : فلا هجره يبدو ؛ يشعر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبيه ، وغريب أن يكون هجر الحبيب مطلوباً للمحب ، فقال :" وفي اليأس راحة" لينبه على سببه)(٢)

وإذا خطونا قدماً نحو القرن الخامس الهجرى يطالعنا أبو على الحسن بن رشيق القيروانى* فى كتابه العمدة بآراء أخرى يذكر أنه نقلها عن السابقين قال فيما سماه باب الالتفات : (وهو الاعتراض عند قوم وسماه آخرون الاستدراك حكاه قدامة وسبيله ان يكون الشاعر آخذاً فى معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول إلى الثانى فيأتى به ثم يعود إلى الأول من غير أن يُخل فى شىء مما يشد الأول)(٣) .

وبالنظر فى هذا القول السابق نجدأن ابن رشيق لايتخذرأياً خاصاً به بل يسند إلى آخرين بعضهم معلوم وبعضهم مجهول،ويذكرأن تسمية الالتفات بالاستدراك مما حكاه قدامة بن جعفر، ثم يعرف الالتفات بتعريف يبعدكل البعد عما قاله قدامة وعن الاستدراك أيضاً فهو يقول:(أن يكون الشاعرآخذاً فى معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول إلى الثانى فيأتى به ثم يعودإلى

---

(١) انظر الصناعتين لابى هلال العسكرى ص (٤٠٩) وانظر فضلاً كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر تحقيق كمال مصطفى ص (١٤٧) وكذا معجم البلاغة العربية د/ بدوى طبانه ص (٦١٥) .

(٢) انظرالإيضاح ص (٣١٥)

(٣) انظر العمدة لابن رشيق ص (٢٧٥) تحقيق وشرح مفيد قميحة . يشد : يقوي ، انظر المعجم الوسيد مادة شدّ

* هو أبو على الحسن بن رشيق القيروانى مولى الأزد كان شاعراً أديباً نحوياً لغوياً حاذقاً عروضياً كثير التصنيف ولد بالمحمديه سنه تسعين وثلاثمائه للهجرة ومات بالقيروان سنه ست وخمسين وأربعمائه عن ست وستين سنه ومن أشهر كتبه (العمدة) . انظر معجم الأدباء ج٨ ص (١١٠) . وكذا تاريخ البلاغة ص (٢٢٨) د/ عبد العزيز عتيق .

الأول   من غير أن يخل فى شىء مما يشد الأول)[١] هذا القول مخالف تماماً لما قاله قدامة بن جعفر فى تعريف الاستدراك أو الالتفات فقدامة يقول :

(ومن نعوت المعانى الالتفات وبعض الناس يسميه الاستدراك وهو أن يكون الشاعر آخذاً فى معنى ، فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله ، أو سائلاً يسأله عن سببه فيعود راجعاً على ما قدمه فإما أن يؤكده أو يذكر سببه أو يجلّي الشك فيه)[٢] . فقدامة لم يذكر أبداً الخروج عن المعنى الأصلى بل هو متمسك به أشد التمسك لذلك يقول إن الشاعر يعود على نفس المعنى بما يؤكده أو يفسره أو يزيل الشك فيه وهكذا يتضح أن ما قصده قدامة بالالتفات أو الاستدراك غير ما فهمه ابن رشيق منه. أما ما ذكره ابن رشيق فقد يكون اعتراضاً[٣] . ثم يمضى ابن رشيق ليضرب لنا أمثلةً تؤكد صحة دعوانا بأن ابن رشيق لا يفرق بين الاعتراض والالتفات أو الاستدراك وأول مثال له هو قول كثير* :

لو ان الباخلين وأنت منهم   رأوك تعلموا منك المطالا

يعلق ابن رشيق بقوله(وأنت منهم اعتراض كلام فى كلام قال ذلك ابن المعتز وجعله باباً على حدته بعد باب الالتفات وسائر الناس يجمع بينهما)[٤] .

---

(١)   نفس النص السابق ونفس المرجع والصفحة

(٢)   انظرنقد الشعر لابي الفرج قدامه بن جعفر تحقيق كمال مصطفي ص (١٤٦-١٤٧)

(٣)   الاعتراض هو : ان يؤتى فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب .
انظر الإيضاح للخطيب ص ١١٦ وكذا بغية الايضاح لتلخيص المفتاح ح (٢) ص (١٤٧) .

(٤)   انظر العمدة لابن رشيق ص (٢٧٥) تحقيق وشرح / د . مفيد قميحه .

*   هو كثير بن عبد الرحمن بن أبى جمعة من خزاعة وكان رافضياً وقال لما حضرته الوفاة :

برئت إلى الإله من ابن أروى   ومن دين الخوارج أجمعينا
ومن عمر برئت ومن عتيق   غداة دعا أمير المؤمنينا

ثم خرجت نفسه كأنها حصاة وقعت فى ماء وكانت وفاته ووفاة عكرمة مولى ابن عباس فى يوم واحد، ويكنى أبا صخر عاش خلال العصر الأموى . انظر الشعر والشعراء ص (٣٤٠) .

وقد يكون ابن رشيق على حق عندما حكى عن سابقيه بأنهم عدّوا الاعتراض لوناً من الالتفات فهو وإن كان خروجاً عن المعنى لكنه وثيق الصله به لأننا إذا أمعنا النظر فى بيت (كثير) السابق نجد أن الشاعر عندما قال : (وأنت منهم) هذه الجملة الاعتراضية لم تكن بعيدة عن صلب الموضوع الأصلى حيث أثبتت بلمحة خاطفه تمكن هذه الصفة منها وعلو شأنها فيها وهذا هو أهم جزء فى الموضوع الذى من أجله قيل البيت فهى لذلك تعد من الباخلين بل تفوقهم فى صفتهم هذه وهنا بيت القصيد .

وكذلك نجده يستشهد ببيت احد الشعراء :

الا زعمت بنو عبس بأنى

ألا كذبوا كبير السن فانى[1]

فجملة - ألا كذبوا - جملة اعتراضية ولكنها مرتبطة معنوياً بما قبلها لأن الشاعر صدر البيت بقوله (زعموا) وكذبوا قريبة منها وكأن هذا الاعتراض أتى به ليزيد المعنى الأصلى وضوحاً وتأكيداً وليس خروجاً عن المعنى الأصلى وهذا يمت بصلة لما قاله (قدامة بن جعفر) فى الاستدراك الذى سماه هو التفاتاً ولكنه ليس هو . وقد أثنى ابن رشيق على ابن المعتز وذكر الجزء الأول من تعريفه للالتفات وأغفل ذكر الجزء الثانى مع أنه أقرب إلى تعريفه الذى أسنده إلى قدامة وقد أورد فى هذا الباب تلك الآية الكريمة التى مثل بها عبد الله بن المعتز فى قوله تعالى :{ **حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة** }[2] وكأنه يقول : هذا هو الالتفات الحقيقى ولكنه لم يصرح بذلك وختم كلامه بعد إيراده أمثلة عدة دون أن يحدد رأيه الشخصى فى قضية الالتفات .

---

(١) انظر ديوان النابغة الذبياني شرح وتقديم عباس عبدالساتر / ١٥٩

(٢) جزء من آية (٢٢) سورة يونس .

وما إن يطالعنا القرن السادس الهجرى حتى نرى أن الاضطراب السابق فى تحديد مفهوم الالتفات آخذ فى الزوال فقد استقر رأى علماء البلاغة على أن الالتفات هو : (نقل الكلام من الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر)(١) . وسمى هذا الرأى برأى الجمهور

فهذا محمود الزمخشرى* من علماء ذلك القرن يقولفي قوله تعالى:{إياك نعبد . } : (فإن قلت لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب قلت : هذا يسمى الالتفات فى علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم)(٢) .

ومن علماء القرن السابع الهجرى أبو يعقوب السكاكى** يقول فى تعريف الالتفات : (واعلم أن هذا النوع : أعنى نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يخص المسند إليه ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء علم المعانى)(٣)

---

(١) انظر الكشاف للزمخشرى الجزء الأول ص (١٠)، وكذا الايضاح للقزوينى ص (٤٣) . وايضاً مفتاح العلوم للسكاكى ص (٩٥) وكذا شروح التلخيص ج١/ ٤٦٢ و مابعدها وايضاً ابن الأثير فى كتاب المثل السائر الجزء الثانى ص (١٦٨). وايضاً نفحات الأزهار على نسمات الأسمار لعبد الغنى النابلسى ص (٥٤) . وانظر أيضاً أساليب بلاغية أحمد مطلوب ص (٢٧٤) .

(٢) انظر الكشاف الجزء الأول ص (١٠) . (٣) انظر مفتاح العلوم للسكاكى ص (٩٥) .

* هو : أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى الزمخشرى الإمام الكبير فى التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان . معتزلى الاعتقاد كانت ولادته يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائه بزمخشر . وتوفى ليلة عرفه سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة وأهم مؤلفاته التى كانت نيفاً واربعين كتاب الكشاف .

انظر وفيات الأعيان المجلد الخامس ص (١٦٨- ١٨٢) وكذا تاريخ البلاغة ص (٢٥٩) .

** السكاكى : هو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكى المتوفى سنه ٦٦٦ هـ من رجال البلاغة فى القرن السابع وله مؤلفات شتى منها كتاب (مفتاح العلوم) انظر تاريخ البلاغة د. عبد العزيز عتيق ص (٢٧١) .

وقد مثل لهذا النوع بأبيات عدة نختار منها هذين البيتين :

مالم الاق امرأ جزلاً مواهبه   سهل الفناء رحيب الباع محمودا

وقد سمعت بقوم يحمدون فلم   أسمع بمثلك لا حلماً ولا جودا

وعلق السكاكى على هذين البيتين بقوله : (فالتفت كما ترى حيث لم يقل بمثله)[١] . والالتفات فى قول الشاعر (بمثلك) وهو أسلوب خطاب مباشر بعد أسلوب الغيبة فى قوله: (امرأ جزلاً مواهبه) .

وهذا الرأى للسكاكى يتفق فيه تماماً مع جمهور علماء البلاغة إلا أنه يختص برأى آخر مفاده أن الالتفات هو التعبير بصيغة (كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيرها)[٢] . وهذه الأبيات لامرىء القيس* خير ما يظهر فيه هذا الضرب من الا لتفات وقد ذكرها السكاكى مثالاً عليه

تطاول ليلك بالإثمد   ونام الخلى ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة   كليلة ذى العائر الأرمد

وذلك من نبأ جاءنى   وخبرته عن أبى الأسود[٣]

ففى البيت الأول قال الشاعر : (تطاول ليلك) وقال : (ولم ترقد) وهذا أسلوب خطاب مباشر وكان مقتضى الظاهر أن يقول : (تطاول ليلي) و(لم أرقد) لأنه يقصد نفسه بهذا الخطاب بدليل البيت الثالث

---

(١) انظر مفتاح العلوم للسكاكى ص (٩٥) .

(٢) انظر خصائص التراكيب للدكتور محمد أبى موسى ص (١٩٥) .

(٣) فى ديوانه ص٥٣ دار الكتب العلمية انظر مفتاح العلوم ص (٩٦) وانظر معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ج١ ص (١٧٠) وكذا تفسير النسفى ح١ ص (٧) وايضاً نفحات الازهارص (١٢٤) . وكذا شروح التلخيص ج١ ص (٤٦٧) وكذا الايضاح ص (٤٤) .

* هو حامل لواء الشعراء امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمر بن حجر بن كندة واسمه حندج . عاش فى القرن السادس للميلاد انظرديوان امرىء القيس ص (٣) وما بعدها وكذا انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص٥٢ وما بعدها .

الذى قال فيه : (جاءنى) و(خبرته) وعلق السكاكى على هذه الأبيات تعليقاً مطولاًإقتطفت بعضاً منه : يقول السكاكى:(إذ التفت تلك الالتفاتات وكان يمكنه ألا يلتفت البتة وذلك أن يسوق الكلام على الحكاية فى الأبيات الثلاثة فيقول:تطاول ليلى بالإثمد - ونام الخلي ولم أرقد - وبت وباتت لنا ليلة كقول لبيد:(فوقفت أسألها وكيف سؤالنا)[1] .

وهكذا عد السكاكى هذا النوع من الأسلوب التفاتاً بخلاف الجمهور فهم يشترطون فيه التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها .

أما ابن الأثير* فى كتابه (المثل السائر) فيسهب القول فى الالتفات ويبدأ بتعريفه لغوياً بقوله : (وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا) ثم يقول : (وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب ، أو من خطاب غائب إلى حاضر ، أو من فعل ماض إلى مستقبل ، أو من مستقبل إلى ماض أو غير ذلك مما يأتى ذكره مفصلاً)[2] .

ومن الملاحظ على نظرة ابن الأثير فى الالتفات أنها أكثر عمقاً وشمولاً مما إرتآه الجمهور حيث إن ابن الأثير يجعل الالتفات انتقال من صيغة إلى صيغة وانتقال الأساليب من خطاب حاضر إلى غائب وعكسه فرعاً من تلك الفروع الكثيرة التى يتضمنها الانتقال من صيغة إلى صيغة

---

(١) انظر مفتاح العلوم ص (٩٧) .

(٢) انظر المثل السائر ج٢ ص (١٦٨) .

* هو : أبو الفتح نصر الدين بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى ، المعروف بابن الأثير الجزرى ، الملقب (ضياء الدين) كان مولده بجزيرة ابن عمر فى يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائه وتوفى فى إحدى الجمادين سنة سبع وثلاثين وستمائه ببغداد . حفظ كثيراً من الأحاديث وحفظ القرآن وطرفاً صالحاً من النحو واللغة وعلم البيان وكثيراً من الأشعار وترقى فى المناصب حتى وزر للملك الافضل بن صلاح الدين / انظر (وفيات الأعيان) (ج٥) ص (٣٨٩) وما بعدها .

وكذا تهذيب سيرالنبلاء ج٢٥٢/٣

كما أنه يضيف فرعاً جديداً خاصاً به وهو الانتقال فى زمن الفعل وما يتفرع عنه[١] وهذا النوع لم يثبته الجمهور على رغم أنه يتضمن روائع بلاغية مدهشة . وسنقف وقفة قصيرة فى القرن السابع الهجرى مع عالم مصرى هو: ابن أبى الإصبع المصرى* وذلك لأنه بعدما لخص رأى قدامة ابن جعفر[٢] وكذلك رأى ابن الأثير[٣] أضاف لوناً آخر من الالتفات قال عنه أن الله هداه إليه ولميسبقه أحد إليه فلنسمعه يقول : (وفى الالتفات نوع غير النوعين المتقدمين[٤] وهو أن يكون المتكلم آخذاً فى معنى فيمر فيه إلى أن يفرغ من التعبير عنه على وجه ما ، فيعرض له أنه متى إقتصر على هذا المقدار كان معناه مدخولاً من وجه غير الوجه الذى بنى معناه عليه فيلتفت إلى الكلام. فيزيد فيه ما يخلص معناه من ذلك الدخل)[٥] .

ثم مثّل بهذا البيت الشعرى

فإنك لم تبعد على متعهد بلى كل من تحت راب بعيد[٦]

ثم يقول شارحاً ومعقباً : (فإن هذا الشاعر بنى معناه على أن المقبورقريب من الحى الذى يريد تعاهده بالزيارة . إذ القبور بأفنية البيوت غالباً . فلما فرغ من العبارة عن معناه الذى قدره على هذا التقدير عرض له كأن قائلاً يقول له : وأى قرب بين الميت المدفون تحت التراب والحى.فالتفت متلافياً هذا الغلط بقوله : ***بلى كل من تحت التراب بعيد***

كأن هذا الشاعر بنى معناه على أن المقبور إلى بعد[٧].

---

(١) انظر المثل السائر ج٢ ص١٧٩ وما بعدها . (٢) انظر ص (١٩) . (٣) انظر ص (٢٨) .

(٤) يقصد ابن ابى الاصبع - رأى قدامة ورأى ابن الأثير وهذا النوع الذي وصفه ابن أبي الأصبع بأنه غير النوعين المتقدمين : هو الرجوع عند البلاغيين ، فلا فرق بين هذا البيت و بيت زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلا وغيرها الأرواح و الديم.

انظر بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح في علوم البلاغة / عبد المتعال الصيدي ح٤/٢٤ .

* هو : عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المعروف بإبن أبى الإصبع عالم وناقد وشاعر وله عدة مؤلفات أشهرها بديع القرآن وتحرير التحبير والخواطر والسوانح فى أسرار الفواتح توفى فى ٦٥٤هـ . انظر مقدمة كتاب تحرير التحبير تحقيق د/ حفنى محمد شرف وكذا مقدمة بديع القرآن لنفس المحقق . وكذا كتاب دراسات فى البلاغة العربية د/ محمد بركات حمدي ابو على ص (١٤٩)

(٥) انظر تحرير التحبير ص (١٢٥) . (٦) انظر دراسات فى البلاغة ص (١٤٩) د/ محمد بركات حمدى ابو على .

(٧) انظر تحرير التحبير ص (١٢٥) تحقيق د/ حفنى محد شرف.

وقد خصص - عالمنا الجليل - للالتفات باباً فى كتابه بديع القرآن وأورد له أمثله عدة من القرآن تمثل المذهبين مذهب قدامة بن جعفر ومذهب ابن الأثير وعلق عليها تعليقات توضح بعد نظره ودقة ملاحظته وسعة إطلاعه على علوم العربية والتفسير ثم يفعل فى هذا الكتاب ما فعله فى تحرير التحبير حيث يشير إلى أنه اهتدى إلى لون جديد أيضاً من الالتفات جاء فى كتاب الله العزيز وهو : (أن يقدم المتكلم فى كلامه مذكورين مرتين ، ثم يخبر عن الأول منهما . وينصرف عن الإخبار عنه إلى الإخبار عن الثانى ، ثم يعود فينصرف عن الإخبار عن الثانى إلى الإخبار عن الأول كقوله تعالى : { **إن الإنسان لربه لكنود* وإنه على ذلك لشهيد** } انصرف عن الإخبار عن الإنسان إلى الإخبار عن ربه تبارك وتعالى، ثم قال منصرفاً عن الإخبار عن الرب عز وجل إلى الإخبارعن الإنسان:{ **وإنه لحب الخير لشديد** }[(١)] .

وعقب عليه قائلاً (وهذا يحسن أن يسمى التفات الضمائر ، والله أعلم)[(٢)] .

ومن علماء القرن الثامن الهجرى : (الخطيب القزوينى)* الذي خاض فى آراء السابقين ولكنه لم يحدد تعريفاً يرتضيه لنفسه صراحة من بين تلك التعريفات الكثيرة وذكر الخلاف الذى كان بين رأى الجمهور ورأى السكاكى فقال : (والمشهور عند الجمهور أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق

---

(١) انظر بديع القرآن لابن أبى الإصبع المصرى ص (٤٥) تحقيق د/ حفنى محمد شرف وفى عود الضمير فى قوله تعالى : (وإنه على ذلك لشهيد) نظرٌ حيث أن بعض الأقوال ترجح أن الضمير عائد على الإنسان وإن صح هذا وهو الأرجح فلا وجه لكلام ابن أبى الإصبع عن هذا اللون من الالتفات .انظر المحرر الوجيز لابن عطية ج٥ ص (٥١٤). وكذا انظر البحر المحيط ج٨ ص (٥٠٥) .

(٢) انظر بديع القرآن الصفحة السابقة الذكر .

* الخطيب القزوينى هو : القاضى جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى المتوفى سنة (٧٣٩) للهجرة ، ولقب بالخطيب لأنه ولى الخطابة فى المسجد الأموى الكبير بدمشق . والقزوينى كان عالماً بارعاً ومفتناً فى علوم كثيرة منها : أصول الفقة والبلاغة وله مصنفات فى فنون عدة من أهمها الايضاح فى علوم البلاغة والمعانى والبيان والبديع مختصر تلخيص المفتاح . انظر فى تاريخ البلاغة العربية د/ عبد العزيز عتيق ص (٣٠٢) .

من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها وهذا أخص من تفسير السكاكى لأنه أراد بالنقل أن يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها فكل التفات عندهم التفات عنده من غير عكس)[١] .

ويلمح من كلامه أنه يؤيد رأى الجمهور[٢] دون رأى السكاكى وهذا من قوله : (وهذا أخص من تفسير السكاكى)[٣] .وكذا بذكره لصور الالتفات الست وعدم تمثيله للالتفات بما مثل به السكاكي إلا عند بيان رأي السكاكي و الزمخشري . بل إن تعريف الجمهور من صياغته هو.

وقد أخذ الخطيب القزوينى يورد أمثلة لكل لون من ألوان الالتفات على رأى الجمهور من القرآن الكريم والشعر العربى ثم وقف وقفة خاصة مع أبيات إمرىء القيس ليورد كعادته أقوال السابقين فيها وقد رجح بعضها. أما يحيى بن حمزه العلوى* من علماء القرن الثامن أيضاً فيقول فى الالتفات : (هو العدول من أسلوب فى الكلام إلى أسلوب آخر مخالفاً للأول . وهو أحسن من قولنا هو العدول من الغيبة إلى خطاب ومن خطاب إلى غيبة . لأن الأول يعم سائر الالتفاتات كلها . والحد الثانى إنما هو مقصور على الغيبة والخطاب لا غير)[٤] .

---

(١) انظر الايضاح للخطيب القزوينى ص (٤٤) وكذا اساليب بلاغية د/ احمد مطلوب ص (٢٧٤)

(٢) سبق ذكره فى ص (٢٦) . (٣) سبق ذكره فى ص (٢٧) .

(٤) انظر كتاب الطراز يحي بن حمزة العلوى ج٢ ص (١٣٢) .

* لم أجد ترجمة وافية له ، فيما لدى من كتب . وقد ذكر الدكتور / عبد العزيز عتيق أن له مصنفات عدة فى الفقة واصول الدين والنحو والبلاغة ، ومما صنفه : كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز . انظر فى تاريخ البلاغة العربية ص (١٣٣) وترجم له الشيخ احمد المراغى فى كتابه ؛ (نشأة علوم البلاغة) ومما ذكره أن العلوى كان امير المؤمنين ببلاد اليمن من سنه : ٧٢٩ إلى سنة ٧٤٩ ومن كتبه ؛ (الحاصر لفوائد مقدمة ابن طاهر . وكتاب : (الانتصار على علماء الامصار فى تقرير المختار من مذهب الائمة واقاويل الامة) فى ثمانية عشر مجلداً ص (١٣٨) وكانت حياته بين ٦٦٩ هـ - ٧٤٩ هـ.

انظر دراسات فى البلاغة العربية د / محمد بركات ابو على ص (١٢٨) وكذا انظر نظرية اعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجانى د/ محمد نقيهى هامش ص (٥٤) .

نستشف من هذا الجزء من التعريف وهو قوله: (هو انتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر مخالفاً له) أنه يؤكد على أن الالتفات أكثر إتساعاً مما أقرّه الجمهور. وهذا الإطلاق فى التعريف يجعل للالتفات فروعاً وأقساماً كثيرة لا تحد بحد ولا تضبط بضابط ، ولكن ما نلبث أن نمضى مع العلوى قليلاً حتى نراه يميل إلى تقسيم وتبويب الالتفات وفروعه قال : (ولا شك أن الالتفات قد يكون من الماضى إلى المضارع وقد يكون على عكس ذلك ، فلهذا كان الحد الأول هو أقوى دون غيره)[١] .

ثم قسم العلوى الالتفات إلى أضرب ثلاثة رأى أنها تجمع سائر الالتفاتات فقال :

الضرب الأول : ما يرجع إلى الغيبة ، والخطاب ، والتكلم يختص بالاسماء. . .

والضرب الثانى : يختص بالأفعال وهو الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر . . . . وقد يكون رجوعاً عن الفعل الماضى إلى فعل أمر .

الضرب الثالث : مختص بالأفعال كالأول ، خلا أن الأول كان الانتقال فيه من الماضى إلى المستقبل ، وهما خبران إلى الانشاء، وهو فعل الأمر، وهنا أخبار كلها المنتقل عنه ، والمنتقل إليه وذلك يأتى على وجهين : الوجه الأول الانتقال عن الماضى إلى المضارع . . . . والوجه الثانى الانتقال من المضارع إلى الماضى)[٢] .

---

(١) نفس المرجع و الصفحة

(٢) انظر الطراز ج٢ ص (١٣٥ - ١٤٠) .

إذن العلوى وإن استقل برأى خاص فى الالتفات نلمح فى تعريفه للالتفات بعضاً مما قاله : عبد الله بن المعتز[١] أما تقسيمه وتبويبه ففيه مما فعله ضياء الدين ابن الأثير[٢] الشىء الكثير ولكنه لم يخرج الالتفات إلى دائرة الاستدراك أو غيره كما فعل بعض البلاغيين[٣] .

ومن علماء القرن الثامن الهجرى العالم الجليل : خليل بن أيبك الصفدي* لم يعجبه حصر الالتفات فى تلك الألوان التى أرتاها ابن الأثير بل أطلق له العنان فقال : (الالتفات هو الخروج من نوع إلى نوع ، وسلوك سبيل بعد سبيل حتى إن التخلصات هى نوع من الالتفات ، ولكن خروجها متصل بمناسبة بين الغزل والوصف أو غير ذلك وبين المدح)[٤]. وقال فى موضع آخر : (وأرى الاقتضاب نوعاً من الالتفات)[٥] . ثم نجده يورد أمثلة على الالتفات فى انتقال الضمائر من صيغة إلى صيغة وانتقال الأفعال من زمن إلى زمن ويحلل بعضها بأسلوب يدل على مدى حسه بكلام الواحد المتعال ومدى بلاغته فى توليد المعانى واستقصائها.

---

(١) انظر البديع ص (٥٨) وكذا ص (٩) .

(٢) انظر ص (٢٨) .

(٣) امثال قدامة بن جعفر والعسكرى وابن رشيق .

(٤) انظر الغيث المسجم ج١ ص (٢٥٧) .

(٥) نفس المرجع ص (٢٥٦) .

* هو صلاح الدين خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدى ولد سنه ٦٩٧ تقريباً صاحب كتاب (الوافى بالوفيات) وتواليف كثيرة غيرها منها الغيث المسجم فى شرح لامية العجم مات بدمشق فى ليلة عاشر شوال سنه (٧٦٤) هجرية .

انظر ترجمته فى مقدمة كتابه الغيث المسجم نقلاً عن مخطوطة كتاب (الدرر الكامنه) لابن حجر العسقلانى .

وبعد هذه الجولة السريعة التى عشناها مع البلاغيين لتحديد مفهوم واضح للالتفات يتضح لنا أن الالتفات لون من ألوان الصياغة يقتضى مخالفة الأصل مخالفة معنوية سواء كانت هذه المخالفة بعد ذكر الأصل ثم الانتقال عنه أو تجاوز الأصل مباشرة إلى غيره . ولكن الالتفات بهذا المفهوم الواسع يصعب على الدارسين حصره والإلمام بكل مسائله . وخروجاً من هذا حصره الجمهور فى تغير أساليب الخطاب الثلاثة فقط بعضها إلى بعض بعد ذكر أحدها ثم الانتقال عنه إلى غيره وغضوا الطرف عن باقى ألوانه وأشكاله لكثرة تشعبها وورود بعضها تحت مصطلحات أخرى .

الفصل الثاني

اسرارة الفنية كما يراها علماء البلاغة

للالتفات أسرار عظيمة الشأن مليحة النكت دقيقة المعنى وهذا ما حدا بعلماء البلاغة أن يقولوا فيه : إنه خلاصة علم البيان ومن أجل علوم البلاغة . وقد أدرك المتقدمون ذلك ونوهوا به فى كتبهم ولكنهم لم يفصلوا القول فيه بل اكتفوا بالإشارات السريعة لبعض مواضعه وذلك على نحو ما مر بنا فى الدراسة التمهيدية[١] . ثم كانت الفترة التى بحث فيها موضوع الالتفات بصورة أكثر عمقاً ودقة مما كانت عليه سابقاً فدققوا فيه البحث حتى إنهم تساءلوا عن سر بلاغتة يقول أحدهم :(ونحن نتساءل عن السبب الذى قصدت العرب ذلك من أجله)[٢] فكتبوا في أسراره البلاغية وبعضهم أسهب فى ذلك وكان ذلك فى كتب بلاغية متخصصة أو غير ذلك مثل :-

كتب التفسير والنقد وغيرها ؛ فهذا الزمخشرى فى كتابه الكشاف وفى تفسيره لسورة الفاتحه يقول عن سر بلاغة الالتفات : (وذلك على عادة افتنانهم فى كلامهم وتصرفهم فيه ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد)[٣] . وذكر فى موضع آخر : (إنما يستعمل للتفنن فى الكلام والانتقال من أسلوب إلى أسلوب تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه)[٤] .

---

(١) فضلاً انظر الفصل التمهيدى ص (٤) .

(٢) انظر ضياء الدين بن الأثير فى كتابه المثل السائر ج٢ ص (١٦٧) . وكذا فى الطراز للعلوى ج٢ ص (١٣١) .

(٣) انظر الكشاف الجزء الأول ص (١٠) وانظر كذا من بلاغة النظم العربى د/ عبد العزيز عرفه ح١ ص (٢٠٧) .

(٤) المرجع السابق والصفحه نفسها .

انظر ايضاً بغيه الإيضاح ج١ ص (١١٧) تاليف عبد المتعال الصعيدى .

نلاحظ ان الزمخشرى أدرك أن الالتفات فن وأن لكل فن أسراره الغامضة التى لا يكشف عنها إلا التذوق الدقيق ولا بد أن تختلف فيه الآراء ويطول الجدل فيه ويصعب حصر أبعاده ومراميه وأنواعه ولذا قال عنه : (تختص مواقعه بفوائد) دون أن يحدد تلك الفوائد . فهى كثيرة جداً وكلما سبرت فيه غوراً تفتحت لك أبعاد وأبعاد ، وهذا ما حدث عندما تصدى علماء البلاغة إلى تصيد أسراره الفنية وبلاغتة المعنوية فكل اشتق فيه طريقاً وسلك فيه مسلكاً. وقد تكون جميعها موصلة إلى الصواب لأن جماع أمرها أن الالتفات فن والفن لا ضابط له ولا حدود .

ومن العلماء الذين تأثروا برأى الزمخشرى حازم القرطاجنى* قال فى سر بلاغة الالتفات : (وهم - العرب - يسأمون الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة . وكذلك أيضاً يتلاعب المتكلم بضميره فتارة يجعله ياء على جهة الإخبار عن نفسه وتارة يجعله كافاً أو تاء فيجعل نفسه مخاطباً وتارة يجعله هاءً فيقيم نفسه مقام الغائب . فلذلك كان الكلام المتوالى فيه ضمير متكلم أو مخاطب لا يستطاب وإنما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض)[١] . جعل حازم القرطاجنى سر بلاغة الالتفات تكمن فى طرد السأم وجذب انتباه السامع وتشويقه إلى الموضوع مدار الحديث . وهذه غاية قصوى يطلبها كل كلام بليغ ويحاول الجميع الأخذ

---

(١) انظر (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) ص (٣٤٨) .

وكذا كتاب المعانى فى ضوء أساليب القرآن ص (٢٦٣) د/ عبد الفتاح لاشين .

* حازم القرطاجنى : ولد حازم القرطاجنى سنه ستمائه وثمان للهجرة فى قرطاجنة ونشأ فى وسط ممتاز وعيش رغد مع إقباله على التعلم الجاد فى الدرس وحفظ القرآن وعلوم العربية والفقة والعلوم الحديثية ولما يفع أقبل على دراسة العلوم الشرعية واللغوية ثم هاجر إلى المغرب الأقصى أيام الموحدين ثم إلى تونس لشدة الاضطرابات فى المغرب وقد عمر حازم وكانت له علاقة مع بعض الأمراء الحفصيين وكانت وفاته ليلة السبت الرابع والعشرين من رمضان سنة ستمائه وأربع وثمانين للهجرة .

بطرف منها . ويتردد هذا المعنى نفسه على لسان السكاكى فيقول فى سر بلاغة الالتفات :

(وأعلم أن هذا النوع : أعنى نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص المسند إليه ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء علم المعانى والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل فى القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه وأملأ باستدرار إصغائه)[1] .

فهو يجعل الالتفات من علم المعانى وهذا يدل على دقة السكاكى فى تفكيره وتبويبه لموضوعات البلاغة . ثم هو يعدد المحاسن التى يضفيها الالتفات على الكلام فهو أدخل وأحسن وأنشط . وكل ذلك أملأ باستدرارالإصغاء إليه وهذه هى النقطة المهمة التى تعتبر العامل المشترك بين الجميع .

فهذا الزركشى* يؤكد ذلك بقوله : (ووجهه حث السامع و بعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم)[2] وزاد عليه ملاحظة دقيقة بقوله : (وأنه إعطاء فضل عنايه وتخصيص بالمواجهة) فهو يلفت النظر إلى ارتباط الالتفات بعوامل نفسيه مشتركة بين المتكلم والمتلقى حيث إنه ينتج عن هزة شعورية نفسية من لدن المتكلم ليضرب بها وترا ً حساساً فى نفس المتلقى

---

(١) انظر مفتاح العلوم للسكاكى ص (٩٥) منشورات المكتبه العلمية الجديدة بيروت وكذا اساليب بلاغية ص (٣٧٤) د/ احمد مطلوب وكذا بغية الإيضاح ج١ ص (١٥١) . وايضاً البلاغة عند السكاكى ص (١٣٦ -١٣٨) وصفحة (٢٣٥) د/ احمد مطلوب .

(٢) انظر البرهان فى علوم القرآن ج٣ ص (٣١٥) .

* الزركشى : الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى أحد العلماء الأثبات الذين نجموا بمصر فى القرن الثامن ، وجهبذ من جهابذة أهل النظر وأرباب الاجتهاد وهو أيضاً علم من أعلام الفقة والحديث والتفسير وأصول الدين ولد بالقاهرة سنه خمس وأربعين وسبعمائة وتوفى بمصر فى رجب سنة أربع وتسعين وسبعمائة وله مؤلفات عدة أشهرها البرهان فى علوم القرآن . انظر ترجمته فى مقدمة كتاب البرهان تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

وبذلك يخدم حاجة معنوية ماسة اقتضاها موقف معين بذاته وهذه هى الفوائد التى أشار اليها الزمخشرى وتمسك بها ضياء الدين بن الأثير واعتبرها المدار الأول والأخير فى أهمية الالتفات وقيمته البلاغية وعاب على الزمخشرى عدم تنبهه لها مع أن الزمخشرى أول من ذكرها[١] قال ابن الأثير: (وقال الزمخشرى رحمه الله إن الرجوع من الغيبة إلى الخطاب إنما يستعمل للتفنن فى الكلام والانتقال من أسلوب إلى أسلوب ، تطرية لنشاط السامع ، وإيقاظاً للإصغاء إليه . وليس الأمر كما ذكره ، لأن الانتقال فى الكلام من أسلوب إلى أسلوب إذا لم يكن إلا تطرية لنشاط السامع ، وإيقاظاً للإصغاء إليه ، فإن ذلك دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد . فينتقل إلى غيره ليحدث نشاطاً للاستماع . وهذا قدح فى الكلام لا وصف له ، لأنه لو كان حسناً لما مل)[٢] .

ويبدو أن ابن الأثير لم يصله تعريف الزمخشرى للالتفات كاملاً لأنه لم يذكر ذلك الجزء الذى قال فيه الزمخشرى : (وقد تختص مواقعه بفوائد)[٣] ولذا عاب عليه قوله واعتبره قصوراً منه مع أنه كلام مستوف لأهمية الالتفات وقيمته البلاغية من كافة جوانبه شكلاً ومضموناً وكذا موضح لقيمته البلاغية والمعنوية والنفسية والعجيب أن كلا العالمين متفقان على أن للالتفات فوائد معنوية لايلتفت إلا لغرض تحقيقها فابن الأثير يردد ما قاله الزمخشرى ولكن بطريقة أخرى أكثر وضوحاً فهو يقول : (والذى عندى فى ذلك أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته وتلك الفائدةأمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب ، غير أنها لا تحد بحد ، ولا تضبط بضابط

---

(١) بقوله : وقد تختص مواقعه بفوائد انظر ص (٣٦) .

(٢) انظر المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير ج٢ ص (١٦٨) .

(٣) انظر الكشاف الجزء الأول ص (١٠) .

لكن يشار إلى مواضع منها ، ليقاس عليها غيرها . . .)[١] .

ثم يزيد ابن الأثير كلامه وضوحاً وتفصيلاً قائلاً : (فإنا قد رأينا الانتقال من الغيبة إلى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب ؛ ثم رأينا ذلك بعينه - وهو ضد الأول - قد استعمل فى الانتقال من الخطاب إلى الغيبة ، فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجرى على وتيرة واحدة وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود وذلك المعنى يتشعب شعباً كثيرة لا تنحصر ، وإنما يؤتى بها على حسب الموضع الذى ترد فيه)[٢] . فهذه هى الفوائد التى ذكرها الزمخشرى يشرحها ابن الأثير ويضرب عليها الأمثله من القرآن الكريم ويعتقد أنه أتى بشىء مخالف لما قاله الزمخشرى ولذا استدرك عليه ما يعتقد أنه فاته .

واستدراك ابن الأثير هذا على الزمخشرى قد أثار حفيظة العلوى* فعقب على كلام ابن الأثير بأسلوب فيه الكثير من الغلظة قال : (فاعلم أن لعلماء البلاغة فى الوجه الذى لأجله دخل الالتفات فى الكلام أقوالاً ثلاثة ، فالقول الأول وهو الذى عول عليه ابن الأثير وحاصل ما قاله هو أنه لا يختص بضابط يجمعه ، ولكنه يكون على حسب مواقعه فى البلاغة وموارده في الخطاب وآل كلامه إلى أن الناظر إنما يعرف حسن مواقع الالتفات إذا نظر فى كل موضع يكون فيه الالتفات فيعرف قدر بلاغتة بالإضافة إلى ذلك الموقع بعينه ، فأما أن يكون مضبوطاً بضابط واحد فلا وجه له . هذا ملخص كلامه بعد حذف أكثر فضلاته)[٣] ثم ذكر الوجه الثانى بقوله : (القول الثانى محكى عن بعض من خاض فى علوم البيان وتقرير ما قاله : هو أن ذلك من عادة العرب وأساليبها فى الكلام) .

---

(١) انظر المثل السائر ج٢ ص (١٦٩) .

(٢) انظر المرجع السابق ج٢ ص (١٦٩-١٧٠) .

(٣) ج٢ ص (١٣٢-١٣٣) .

* سبق ترجمته انظر الهامش ص (٣١) .

أما الوجه الثالث فهو كلام الزمخشرى الذى يدافع عنه العلوى بحرارة شديدة فلنسمعه يقول : (القول الثالث محكى عن الزمخشرى وحاصل مقالته هو أن ورود الالتفات فى الكلام إنما يكون إيقاظاً للسامع عن الغفلة ، وتطريباً له بنقله من خطاب إلى خطاب آخر ، فإن السامع ربما مل من أسلوب فينقله إلى أسلوب آخر تنشيطاً له فى الاستماع واستمالة له فى الإصغاء إلى ما يقوله وما ذكره الزمخشرى لا غبار على وجهه ، وهو قول سديد يشيرإلى مقاصد البلاغة)[١] ومن هنا نستنبط أن العلوى يتفق مع الزمخشرى فى ماهيه الالتفات وسر بلاغتة ، إلا أنه يبرز قيمته البلاغية والاهتمام به ضمن الموقع وفى دائرة المعنى الجيد[٢] .

أما الصفدى* فقال فى الالتفات : (الالتفات عادة البلغاء فيلتفتون من فن إلى فن ومن أسلوب إلى أسلوب على عادة العرب فى كلامهم)[٣] . نلاحظ ان الالتفات من طرائق البلغاء من العرب لا الأغرارالأغمار منهم ولهذا فالالتفات فى موطن عال من مواطن الذكاء العربى ، ويأتى على سجيتهم ولا يخالف طبيعتهم . ولهذا فإن قيمته مرتبطة بغايات مجتمعهم ، وحاجات نفوسهم ورغباتهم وميولهم ، وما يغطى من متطلباتهم التى تعارفوا عليها فى النفس منفردة ومجتمعة[٤] ولهذا يسمونه شجاعة العربية[٥] .

---

(١) انظر كتاب الطراز ليحي بن حمزة العلوى ج٢ ص (١٣٣) .

(٢) انظر دراسات فى البلاغة د/ محمد بركات ص (١٥٢) بتصرف .

(٣) انظر الغيث المسجم ج١ ص (٢٥٦) .

(٤) انظر دراسات فى البلاغة د/ محمد بركات أبو على ص (١٥٥) .

(٥) انظر الغيث المسجم ج١ ص (٢٥٧) .

* سبقت ترجمته ص (٣٣)

وهكذا نرى اتفاق علماء البلاغة العربية جميعهم على أن للالتفات أسراراً عظيمة وأنه يعين ذا الموهبة الصادقه على الإيحاء بكثير من اللطائف والأسرار . ويلفت النفس المتلقية الواعية إلى كثير من المزايا البلاغية الدقيقة . كلما أمعنت النظر فى مواطنه من الكلام الرفيع بانت لك وجوه من الحسن تزيدك احساساً بقدرته[١] على إبراز المعانى البليغة فى أدق صورها وامسها بالنفس البشرية .

(١) انظر خصائص التراكيب د/ محمد ابو موسى ص (١٩٤) .

الفصل الثالث

بلاغة الالتفات من الوجهة النفسية
ودوره في حيوية الأدب

إنه مما لا شك فيه البته ارتباط الالتفات بالوجهة النفسية ، بل إن الخلجات النفسية هى الباعث الأساسى للالتفات ، فلولا شعور المتكلم بدوافع نفسية معينة تدفعه وتلح عليه فى ذلك لما كلف نفسه بهذا الجهد الزائد فى لفت الكلام وإخراجه على غير جهته الأصلية التى كان ينبغى أن يسير عليها ، ولو جاء الالتفات خالياً من غرض نفسى عميق يخدم المعنى الأصلى ويزيده وضوحاً لأصبح زخرفاً لا طائل من ورائه ، ويقتضى هذا إخراجه من علم المعانى إلى علم البديع[1] .

فالمنازعة النفسية والمغالبة الداخلية معنى من معانى مادة (لَفَتَ) التى منها الالتفات ومن معانيه أيضاً ، المباوحة النفسية للسلوك الإنسانى ومن ذلك حديث الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم إذ ورد فيه : (لا تتزوجن لفوتاً) وهى التى لها ولد من زوج آخر ، فهى لا تزال تلتفت إليه ، وتشتغل به عن الزوج[2] ، ولا يكون الالتفات مفيداً مؤثراً شائقاً ضمن الأساليب حاملاً المعانى السليمة إلا عند ربطه بالناحيه النفسيه وأثرها فى بناء العلاقات الإجتماعية بين الناس ، ولذا نرى السكاكى يورد مثلاً من الواقع الإجتماعى العربى مصوراً بقرى الضيف ليقرب للقارىء معنى الالتفات وقيمته فى البلاغة العربية فيقول ! (أليس قرى الاضياف سجيتهم ونحر العشار للضيف دأبهم وهجيراهم

---

(١) لقد تردد علماء البلاغة فى وضع الالتفات فى علم المعانى أو علم البديع ومنهم من أدخله فى العلمين معاً مثل السكاكى انظر المفتاح ٢٠٢ وكذا انظر اساليب بلاغية د/ أحمد مطلوب ص (٢٧٣) . وقد علل ابن يعقوب المغربى وجه تخصيص تسميته بعلماء المعاني بقوله : (قلت أما كونه من الاحوال التى تذكر فى علم المعانى فصحيح كما اذا اقتضى المقام فائدة من طلب مزيد للإصغاء لكونه الكلام سؤالاً أو مدحاً أو اقامه حجه أو غير ذلك فهو من هذا الوجه من علم المعانى ومن جهة كونه شيئاً طريفاً مبتدعاً يكون من علم البديع وكثيراً ما يوجد فى المعانى مثل هذا فليفهم / مواهب الفتاح ح١ ص (٤٦٤) .

(٢) انظر كتاب دراسات فى البلاغة / د محمد بركات ص (١٣٤) .

لا مزقت أيدي الأدوارِ لهم أديماً ولا أباحت لهم حريماً - أفَتُراهم يحسنون قرى الأشباح فيخالفون فيه بين لون ولون وطعم وطعم ولا يحسنون قرى الأرواح فلا يخالفون فيه بين أسلوب وأسلوب وإيراد وإيراد ، فإن الكلام المفيد عند الإنسان - بالمعنى لا بالصورة - أشهى غذاء لروحه وأطيب قرى لها)[١] .

وهذا ابن الأثير يوثق الصلة بين الالتفات والذوق السليم المدرب إذ الانتقال من صيغة إلى صيغة مرتبط بالمعنى والمعانى متشعبة لا نهاية لها لأنها تابعة للأغراض النفسيه والمقاصد الإجتماعيه أسمعه يقول : (والذى عندى ان الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ، أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته ، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب ، غير انها لا تحد بحد ، ولا تضبط بضابط ولكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها ، فإنا قد رأينا الانتقال من الغيبة إلى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب ثم رأينا ذلك بعينه قد استعمل فى الانتقال من الخطاب إلى الغيبة ، فعلمت حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجرى على وتيرة واحدة ، إنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود وذلك المعنى يتشعب شعباً كثيرة لاتنحصر وإنما يؤتى بها على حسب الموضع الذى ترد فيه)[٢].

فقوله إنما هو مقصور على العناية بالمعنى يؤكد ما صدرنا إليه من أول الفصل وما نرمى إليه الآن ، وهو عمق الصلة النفسية بين الالتفات والمعنى . والمعنى إنما هو تلك الحالة النفسية الشعورية التى يريد القائل أن يبوح بها لتصل إلى المتلقي فى أوضح وأقرب صورة تتلاءم وحالته النفسية فيعمد إلى تلك النقلة الشعورية اللفظية ليضرب بها على وتر حساس فى نفس المتلقى لتجعلهما أقرب

---

(١) انظر مفتاح العلوم ص (٩٥) .

(٢) انظر المثل السائر لابن الا ثير ح٣ ص (١٧٣) .

وانظر ايضاً دراسات فى البلاغة العربية ص (١٤٥) د/ محمد بركات .

ما يكونان مشتركين فى شعورهما وتصورهما عن الموضوع مدار الحديث الذى قصد إليه ، وهذا لا بد أن يصدر من البليغ الواعى العارف لمصايد الكلام ومقاصده وقوه الدفقه الشعورية التى يرسلها إلى المتلقي حتى تستقر بدورها فى نفسه وتحرك سواكنها ليتفاعل معه أشد التفاعل تجاه ما قصد إليه من موضوع .

وكما قال الصفدى : (والالتفات عادة البلغاء ، فيلتفتون من فن إلى فن ومن أسلوب إلى أسلوب على عادة العرب فى كلامهم)[١] .

ولا يغيب عن الزركشى - الصلة النفسية بين الالتفات وقيمته البلاغية فيما عرض له من شواهد ونظرة إلى أي آيه من الآيات التى عرض لها توضح ما يقول لنتتبع تحليله لهذه الآية المباركة { **ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون** }[٢] يقول الزركشي : (الأصل "وإليه أرجع " فالتفت من التكلم إلى الخطاب ، وفائدته أنه أخرج الكلام فى معرض مناصحته لنفسه ، وهو يريد نصح قومه تلطفاً واعلاماً أنه يريده لنفسه ثم التفت إليهم لكونه فى مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله)[٣] . ليضعهم ايضاً أمام الأمر الذى لا مفر منه والحقيقة التى هم يحاولون جاهدين إنكارهالعل هذه الهزة النفسيه تؤثر فيهم فتلين نفوسهم العاصية وتعيد إليهم رشدهم المفقود وتفتح أمام النفس الواعية فيهم مجال التفكير والتأمل فى المصير الآتى لا محالة .

---

(١) انظر الغيث المسجم : ح١ ص (٢٥٦) .

(٢) سورة يس الآية : (٢٢) .

(٣) انظر البرهان ح٣ ص (٣١٥) . وكذا الاتقان ح٣ ص (٣٨٩) .

ويتفق السيوطي فى كتابه الإتقان مع الزركشى تماماً حول هذه الآية الكريمة وهذا يدل على إصرار العالمين : الزركشي والسيوطي على ربط الالتفات بالمعنى ، وأثر ذلك فى النفس وما يحرزه من فوائد ونكت مليحة المعنى فى الأساليب والمقامات بين النفوس[1] .

وعند تتبعنا لهذه الظاهرة وتعليق العلماء عليها سواء منهم المفسرون أو علماء البلاغة وجدنا أن كل عالم منهم يشير صراحة أو تنويهاً إلى تلك الصلة الكبيرة والقوية القائمة بين الالتفات والحالة النفسيه قدامى أو معاصرين فهذا سيد قطب فى ظلاله يقول فى معرض تفسيره للآية الكريمة:

{الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون}[2] .

يقول سيد قطب فى تعليقه على الآية : (فهم يعترفون إبتداءً بأن المال الذى فى أيديهم هو من رزق الله لهم ، لا من خلق أنفسهم ومن هذا الاعتراف بنعمة الرزق ينبثق البر بضعاف الخلق ، والتضامن بين عيال الخالق ،

والشعور بالإصرة الإنسانية وبالأخوة البشرية . . . وقيمة هذا كله

---

(١) انظر دراسات فى البلاغة العربية بتصرف د/ محمد بركات ص (١٦٢) .

(٢) سورة البقرة الآيات (٤ ؛ ٥ ؛ ٦) .

يتجلى فى تطهير النفس من الشح وتزكيتها بالبر)[1] لأنهم يؤمنون بكل مُنَزّل من عند الله ويعترفون أن مآلهم إليه سبحانه هؤلاء هم الذين هدى الله سبحانه وتعالى { **أولئك على هدى من ربهم** } تعليلاً رائعاً لما هم عليه من الخير لأن هداهم الذى هم عليه منحة ربانية ربى نفوسهم منفطرة عليه وهنا يتجلى الالتفات بما فيه من دقة معنى وعمق تأصيل فى قوله تعالى : { **من ربهم** } بعد قوله تعالى : { **مما رزقناهم** } ليفسر لنا تلك الطبائع النفسيه التى هم عليها من حب للخير وفعل للبر بارتباط ما هم فيه من هدى بخالقهم ومربيهم وجابل نفوسهم على التقى وهو أصل كل خير فيتصور كل واقف على الآية الكريمة عظمة هذا الهدى الذى هو هدية من عند الله فيغبطونهم عليه ويحاولون جاهدين تقليدهم والسير على منوالهم وبهذا يكون هذا الالتفات قد خدم أغراضاً عدة منها تصوير نفسيه المهديين المنفقين فى سبيل الله ، ومنها بعث حب الخير والمنافسه فيه فى نفوس كافة المسلمين التالين لكتاب الله ليزدادوا صلة بربهم وزلفى إليه .

وهكذا نلمس عمق الصلة بين الالتفات والأحوال النفسيه لما يوجده من علاقة وثيقة بين المنشيء والمتلقى وهذا عينه ما يطلبه كل أدب ناجح ممتاز فى كل زمان ومكان وبأى لغة كان وناهيك عن كتاب الله وما فيه من روائع للالتفات .

---

(١) ظلال القرآن ج١ ص (٤١) .

ومصداقاً لما نقول سنناقش بعض الأمثلة الشعرية لنقف على تلك الصلات الكبيرة بين الالتفات والأحوال النفسية .

قال ابن الدمينة*:

ألا يا صبا نجد متى هِجْتِ من نجد
لقد زادني مسراك وجداً على وجد
أإن هتفت ورقاء في رونق الضحى
على فَنَن غض النبات من الرند
بَكَيْت كما يبكي الوليد ولم تكن
جليداً وأبديت الذى لم تكن تُبْدي
وقد زعموا أن المحب إذا دنا
يمل وان النأى يُشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
على أن قرب الدار خير من البعد

(تجد الشاعر يجرى الكلام على طريقة المخاطب فى قوله (بكيت كما يبكى الوليد) وقد أراد نفسه ، وفى البيت الآخر يقول (بكل تداوينا فلم يشف ما بنا) واضح أن البيت يضعف لو قال : بكل تداويت وأجراه على أسلوب الخطاب لأنه يصف ما يجده مع هذا الدواء

---

* ابن الدمينة وهو من الشعراء المخضرمين هو عبيد الله ، والدُّمينة أمه وهو من خثعم.

انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص (٤٩٢) .

الذى زعموا أنه يشفى من الوجد فلو أجراه على طريق الخطاب لكان كأنه يقول لمخاطبه إنك لم تشف من الوجد بعد تجربة الدواء ، والوجد داء السرائر المضمرة لا يحس به علةً وشفاءً إلا من يعانى لواعجه . وطريق التكلم هنا يقوى صدق الخبر ، ومن هنا كان الخطاب هو أسلوب البيت الأول : لانه عتاب على بكاء وأشجان أثاره هتاف الحمامة ، وعتابك الباكى فى مثل هذا مما هو شائع ، ويلاحظ أنه قال : أإن هتفت ورقاء فأدخل همزة الإنكار على السبب الذى هو هتاف الورقاء ولم يقل أبَكَيْت لأن هتفت ورقاء ، لأنه لا ينكر عليه البكاء فله أن يبكى أحبابه وذلك لا يُنكر وإنما المنكر أن يسلم نفسه لما يحيط به من كل ما يُعين على تذكر أيامه الخوالى لانه ما دام كذلك فلن يرفأ له دمع . وكأنه لا يطلب منه التجلد وعدم البكاء لانه يعلم أن ذلك مما لا سبيل إليه ، وإنما يطلب منه قدراً من التماسك يحفظ به نفسه فلا يندفع إندفاع الطفل فى بكائه لهتفة حمامة أو لمعه برق وهذا معنى جليل يذهب كله لو قال أبكيت)[1] .

---

(١) انظر كتاب خصائص التراكيب د/ محمد ابو موسى ص (٢٠٣).

لقد تعمدت نقل هذا التحليل بكامله لما فيه من روعة وتماسك ونتائج تقوم على مقدمات ولهذا لم أرد إفساده بتدخلى ولكن أهم نقطة فيه هى : ما أحدثه الالتفات فى هذه الأبيات من روعة ودهشه وتماسك حتى أنه جعل من الأبيات شبكة شعورية حية صورت المعنى بأدق ما يكون وجعلت بين المنشىء والمتلقى صلة روحية فكرية لا يمكن تجاهلها ، وهذا ما رمينا إلى تأكيده آنفا .

وهذا مثال آخر وله طريقته الخاصة ؛ إذ يقع الانتقال فيه من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم ، ثم من ضمير المتكلم إلى ضمير المخاطب هو - أنا - أنت ومثله قول أبى تمام* :

وركب يساقون الركاب زجاجة	من السير لم تقصد لها كف قاطب
فقد اكلوا منها الغوارب بالسرى	وصارت لهم اشباحهم كالغوارب
يصرف مسراها جذيل مشارق	إذا آبه هم عذيق مغارب
يرى بالكعاب الرود طلعة ثائر	وبالعرمس الوجناء غرة آئب
كأن بها ضغنا على كل جانب	من الأرض أو شوقاً إلى كل جانب

---

* هو : حبيب بن اوس بن الحارث بن قيس الطائى كان أوحد عصره فى ديباجةلفظه ونصاعة شعره وحسن أسلوبه وله كتاب (الحماسة) كانت ولادته سنه تسعين ومائة بقرية جاسم قرب دمشق ونشأ بمصر قيل أنه كان يسقى الناس ماء فى جامع مصر . وتوفى بالموصل سنة إحدى وثلاثين ومائتين . انظر وفيات الاعيان لابن خلكان ج٢ ص (٥) وما بعدها وكذا الفن ومذاهبه لشوقى ضيف ص (٢١٩).

الغريب:

القاطب: مازج الخمر بالماء . الغوارب : الكواهل . الجُذَيل : تصغير جذل : وهو عود ينصب للجربة لتحتك به و منه. أبه : أتاه ليلاً ، و العذيق تصغير عذق ، وهو الفرع من النخلة . الكعاب : بارزة النهد ، الرود : اللينة . الثائر : طالب الثأر . العرمس : الناقة الشديدة . الوجناء : عظيمة الوجنتين . العيس : الإبل البيض بشقرة . التمائم : خرزات تعلق في عنق الصبي لدفع العين عنه ، و المفرد تميمة.

إذا العيس لاقت بى أبا دلف فقد

تقطع مـــا بينـى وبـين النوائب

هنـالك تلقى الجـود من حيث قطعت

تمائمه ، والمجد مرخي الذوائب[١]

يقول ضياء الدين ابن الأثير* :

(ألا ترى أنه قال فى الأول { يُصَرِّف مسراها } مخاطبة للغائب ثم قال بعد ذلك : إذا العيس لاقت بى ، مخاطباً نفسه ؟

وفى هذا من الفائدة أنه لما صار إلى مشافهة الممدوح والتصريح باسمه خاطب عند ذلك نفسه ، مبشراً لها بالبعد عن المكروه والقرب من المحبوب ، ثم جاء بالبيت الذى يليه معدولاً به عن خطاب نفسه إلى خطاب غيره ، وهو أيضاً خطاب حاضر فقال : هنالك تَلْقى الجود . والفائدة بذلك أنه يخبر غيره بما شاهده ، كأنه يصف له جود الممدوح وما لاقاه منه إشادة بذكره ، وتنويهاً باسمه ، وحملا لغيره على قصده . وفى وصفه جود الممدوح بتلك الصفة الغريبة البليغة وهى قوله : حيث قطعت تمائمه ، ما يقتضى له الرجوع إلى خطاب الحاضر.

والمراد بذلك أن محل الممدوح هو مألف الجود قد أمن عليه الآفات

---

(١) انظر شرح الصولى لديوان ابى تمام دراسة وتحقيق د/ خلف رشيد نعمان ص (٢٧٨) وما بعدها . وكذا فى المثل السائر ح٢ ص (١٧٤) ، وكذا مجلد قراءة جديدة لتراثنا النقدى (جماليات الالتفات) د/ عز الدين اسماعيل ص (٨٩٤) وما بعدها .

* سبقت ترجمته ص (٢٨).

العارضة لغيره من المن والمطل والاعتذار وغير ذلك ؛ إذ أن التمائم لاتقطع إلا عمن أمنت عليه المخاوف)[1] .

وهنا يمكننا التوقف عند النقلة الأخيرة من (ياء) المتكلم إلى (أنت) المخاطب ، من قوله : (لاقت بى) و (تقطع ما بينى) إلى (تلقي الجود) فقد كان من الممكن أن يستأنف المتكلم كلامه فيقول : هنالك ألقى الجود . . . . فَيَطِرد عندئذ النَسَق . وفى العدول عن هذا النسق - فيما يرى ابن الأثير - فائدة تتمثل فى إخبار المتكلم غيره (المخاطب) بما شاهده . وقد عرفنا من قبل أن شهادة المتكلم أوثق وأقوى فى التأثير والإقناع من مجرد رواية الخبر فى صيغة الغيبة .

ولكننا نلاحظ أنه لو قال : (هنالك ألقى) كان كالمني نفسه بشيء. ولا سيما أن خطاب المتكلم الذى يبدأ فى البيت قبل الأخير مشروط بـ {إذا}

ومن هنا لم يكن لخطاب المتكلم فى هذا السياق قوه خطابه فى سياق سابق ومن ثم اتجه المتكلم بالخطاب إلى الآخر (هنالك تلقى) ليخرج به من دائرة الشرط نهائياً ومن دائرة التمنى المتعلقه بها ، إلى دائرة التأكيد من خلال إسناد الفعل إلى المخاطب نفسه ومن ذلك فمن حقنا هنا أن نتساءل عما إذا كان إسناد الفعل إلى ضمير المخاطب قد إتجه إلى المخاطب . أي إلى شخص آخر غير المتكلم . إننا لا نعرف من السياق أن هناك مخاطباً فرداً ذكراً يدلى إليه المتكلم بكلامه ، كما أننا لا نجد أى ضرورة تحملنا على تصور ذلك من باب الافتراض ، حقاً إن الصيغة تضعنا أمام ثنائية (أنا - أنت) . التى تشي بالمغايرة بل تعلمنا إعلاناً . ومع ذلك فإن السياق - كما رأينا - لا يحتمل هذه المغايرة

---

(١) انظر المثل السائر ح٢ ص (١٧٤) وما بعدها .

من حيث إنه لا يتضمن مخاطباً حقيقياً (له وجود مستقل فى ذاته) لا يبقى عندئذ إلا أن يكون (أنت) هو (أنا) المتكلم بعد أن مُوضِعَها المتكلم نفسه . إذن فالمتكلم فى بيت أبى تمام الأخير حين يقول : (هنالك تلقى الجود) إنما يخاطب نفسه أولاً وأخيراً ، فإذا كان الأمر كذلك فَلِمَ عدل المتكلم عن النسق فى هذا البيت ولم يقل هنالك ألقى الجود ؟ وهل كان لهذا العدول مزية ؟ .

والجواب عند ذلك هين بيّنٌ ؛ فإن إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم (ألقى) تضع المتكلم - كما رأينا - فى دائرة التمنى ، لأن النسق سيتصل عندئذ بدءاً من إذا الشرطية فى البيت قبل الأخير . أما العدول عن النسق بإسناد الفعل إلى ضمير المخاطب (الذى لا يعدو أن يكون {أنا} المتكلم مموضعه) فإنه يدخل المتكلم نفسه فى دائرة الوثوق والطمأنينة إلى ما سيلقاه من جود . والذى يحمل المتكلم على هذا التصرف أن التمنى فى هذا السياق يلقى ظلالاً غير مرضية على وجود الممدوح ، فى حين أن الوثوق بقطع الطريق على أدنى بادرة تشكك وعلى كل فهذا التحليل لم يقله ابن الأثير وكان قميناً أن يقوله لو أنه أدخل فى أنواع الالتفات التى حاول حصرها العدول عن الحضور (ممثلاً فى أنا المتكلم) إلى الحضور أيضاً ممثلاً فى (أنت) المتكلم نفسه - إذا أمكن التعبير - وهذا النوع من الالتفات كثير الاستخدام فى الكتابات الحديثة ، بخاصة الروائية منها . حيث يحل ضمير المخاطب منفصلاً (أنت) أو متصلاً مسند إلى الأفعال محل ضمير المتكلم ليدل آخر الأمر عليه)[١] .

---

(١) نقلاً من مجلد قراءة جديدة لتراثنا النقدى تحت عنوان جماليات الالتفات للدكتور عزالدين اسماعيل جامعة عين شمس ص (٨٧٩).

وانظر إلى قول أبى عبادة البحتري* :

أخيال علوة كيف زرت وعندنا
أرق يشرد بالخيال الزائر
طيف ألم لها ونحن بمهمه
قفر يشق على الملم الخاطر
أفضى إلى شعب تطير كراهم
روحات تقود كالقسي ضوامر
حتى إذ نزعوا الدجى وتسربلوا
من فضل هلهلة الصباح النائر
ورنوا إلى شعب الرحال بأعين
يكسرن من نظر النعاس الفاتر
أهوى فأسعف بالتحية خلسة
والشمس تلمع فى جناحى طائر

---

* هو الوليد بن عبيد الله بن يحى بن عبيد ، أبو عباده ، البحترى الطائى الشاعر المشهور كان فاضلاً أديباً فصيحاً بليغاً شاعراً مجيداً . ولد بمنبج من أعمال حلب سنه ست ومائتين وبها نشأ وتوفى سنه أربع وثمانين ومائتين ، وله كتاب الحماسة على مثال حماسة أبى تمام ، وكتاب معانى الشعر وديوان فى مجلدين . انظر معجم الادباء من ص (٢٤٨) إلى (٢٥٨) وكذا وفيات الاعيان ح٦ ص (٢١) رقم (٧٧٠) .

سـرنا وأنـت مـقـيـمة ولـربـا

كـان المقيم علاقـة للسائر(١)

لقد جمعت هذه الأبيات التفاتات عدة جميعها تترجم حالة الشاعر النفسية بأوضح ما يكون الإيضاح . لقد كان شاعرنا في مطلع القصيدة يخاطب خيال المحبوبة ، ويستنكر عليه وجوده بهذا القفر البعيد ، ثم أخذ يحكي لنا عن الطيف الزائر بصيغة الغيبة واسترسل حتى إذا وصل إلى بيت القصيد وجد نفسه يخاطب (علوة) مباشرة وكأنها لم تعد طيفاً فقال لها (سرنا وأنت مقيمة) ثم يلتفت بلون آخر ليقول : ولربما كان المقيم علاقة للسائر . وكأن صحوةً قد عاودته من جديد وأيقن أنه في حلم جميل فتنبه .

وتعقيباً على ما قدمناه في هذا الفصل نقول أن تغير التركيب وخروجه عن مقتضى الظاهر بالالتفات يكسب المعنى صورة أوضح وأروع وأنضر

ويجعل منه سندانا يدق على وتر حساس فى النفس الواعية المتلقية ويضفى نبض الحياة على الأسلوب الذى لا يتأتى بغير هذه اللفتة المدهشة وشبيه بهذا ما حاول أحد الباحثين(٢) المحدثين

---

(١) الأبيات للبحترى .و ذكرها ابن سنان الخفاجى ص (١٧٣) فى سر الفصاحة ص (١٧٣) .

قود جمع أقود وهو الذلول المنقاد من الإبل والخيل ونحوهما .

النائر : اسم فاعل من نار الصبح ظهر نوره ، وهلهلته : ضعفه ورقته ورواية الديوان الصباح الغائر المرجع السابق الصفحه نفسها. المهمه : المفازة البعيدة ، والجمع المهامه وهى الفلاه لا ماء بها ولا أنيس انظر اللسان مادة مهه . شعث جاء فى اللسان قيل شعث اى غير مفرجنه أى محسوسه والشعب : الصدع والتفرق فى الشىء ، والجمع شعوب المرجع السابق مادة شعب .

(٢) انظر كتاب الدكتور مصطفى ناصف نظرية المعنى في النقد العربي ص (١٢).

إثباته للغة الشعر واختلافها عن لغة النثر. وأيد كلامه بما جاء في كتاب (دلائل الاعجاز) لعبد القاهر الجرجاني فيما أسماه (النظم) حيث أوضح هذا الباحث أن للشعر وطريقته أكبر الأثر على دقة المعنى لهذا يعلو كلام الشعر عن سائر الكلام لما فيه من ملامسة للمشاعر الإنسانية وتصوير لكثير منها ولو كانت الفكرة واحدة . ونحن نقول إن الذي حاول هذا الباحث إثباته للشعر لا يكاد يذكر بجانب النظم القرآني الذي من أبرز خصائص أسلوبه الالتفات فسبحان الله العالم بخفايا النفوس وما يصلح لها من أساليب والحمد لله رب العالمين .

الفصل الرابع

أساليب الالتفات في الأدب العربي
شعراً و نثراً

أولاً في الشعر:

انطلاقاً مما قررناه فى مفهوم الالتفات فى الفصل الأول وهو : أن الالتفات لون من ألوان الصياغة يقتضى مخالفة الأصل مخالفة لفظية أو معنوية سواء كانت هذه المخالفة بعد ذكر الأصل ثم الانتقال عنه أو الانتقال عن الأصل مباشرة إلى غيره[1] . أجد لزاماً عليّ أن أتتبع أساليبه فى الأدب العربى محاولة حصر هذه الأساليب بقدر الإمكان وتقديم نماذج لها .

والأدب العربى ملىء بهذه الأمثلة شعراً ونثراً . وسأبدأ بحول الله وقوته بالتمثيل للالتفات حسب رأىء الجمهور فى الشعر ثم النثر . ثم أحاول تقديم بعض أشكاله التى خرجت عن رأىء الجمهور وبالله التوفيق .

أولاً :الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

(١) ومن أمثلته فى الشعر الجاهلي قول عوف بن الأحوص

تهدمت الحياض فلم يغادر لحوض من نصائبه إزاء[2]

لخولة إذ هم مغنى وأهلي وأهلك ساكنون وهم رثاء

ففى قوله (وأهلك) التفات من الغيبة السابقة عند ذكره خولة بطريق الغائب وكأنه يتحدث عنها مع شخص ثالث إلى هذا الخطاب المباشر فى قوله : (وأهلك) يخاطب خولة مباشرة وكأنها مثلت أمامه وفى هذا لفتة نفسية دقيقة لأنه عندما ذكر خولة بطريق الغائب تصورها أمامه لشدة تعلقه بها فخاطبها هذا الخطاب المباشر وهذا جانب من جوانب بلاغة الالتفات حيث يعمد إلى الأسرار النفسية الدفينه فيظهرها للعيان ليطلع عليها السامع أو القارىء عندما تظهر فى أسلوب المنشىء

---

(١) انظر صفحة (٣٤).

(٢) النصائب : حجارة تنصب حول الحوض . والإزاء مصب الماء إلى الحوض ورثاء أى متقابلة .

البيتان في المفضليات ج١/ ١٧١ - ١٧٣ ، وكذا المفتاح لسكاكي/ ٩٥

دون قصد منه حيناً أو بغية التعمق فى المعنى أحياناً أخرى .

(٢) وأنظر قول النابغة الجعدى* وهو يتذكر زوجته وما قالته له ثم تجره هذه

الذكرى إلى مخاطبتها شخصياً بقوله :

باتت تـذكرنـى بالله قاعدة

والـدمع ينهـل مـن شأنيهما سبلا

يا بنت عمى كتاب الله أخرجنى

كـرهاً ، وهـل أمنعـن اللـه مـا فعـلا

فإن رجعت فرب الناس يرجعنى

وإن لحـقت بربـى فابتـغى بـدلا

ماكنت اعـرج أعمى فيعذرنـى

أوضارعاً من ضنى - لم يستطع حولا(١)

---

(١) الشأن : مجرى الدمع من العين ، السبل : المطر والدمع الهاطلان . الضارع : النحيف الهزيل الضاوى. الضنىً : المرض . والحول : الاحتيال والتصرف . انظر الشعر والشعراء ص (١٨٣) وأنظر البيت الثاني فى تفسير النيسابورى ج٢ ص (٦٢) فى معرض استشهاده بأن كتب بمعنى فرض .

* هو عبد الله بن قيس بن جعدة بن كعب بن ربيعة وكان يكنى أبا ليلى ، وهو جاهلى وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وانشده أبيات أعجبته فدعى له صلى الله عليه وسلم بقوله :((لا يفضض الله فاك)) قال فبقى عمره ولم تنفض له سن وكان معمراً ونادم المناذرة ومناسبة النص/انظر الشعر والشعراء لابن قتيبه ص (١٨١)، (١٨٣) وانظر ايضاً شعر الدعوة الاسلامية فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص (٢١٦) .

وهكذا نجده قد أخرجته الذكرى من أسلوب الغائب فى (باتت) إلى أسلوب الخطاب المباشر فى قوله : (يا بنت عمى) وفى قوله (فابتغي) .

(٣) ومنه قول أبى العلاء المعرى* :

هى قالت لما رأت شيب رأسـ

ـسى وأرادت تنكـرًا وازورار

أنا بدر وقد بدا الصبح فى رأ

سك والصبح يطرد الأقمار

لست بدراً وإنما أنت شمس

لا ترى فى الدجى وتبدو نهارا[1]

ففى قوله (لست) التفاتاً عن الغيبة السابقة فى مطلع الأبيات فى قوله : (هى قالت) إلى هذا الخطاب المباشر ونكتته ما قلناه سالفاً فى أن الحالةالنفسية التى تسيطر على مشاعر الشاعر تجعله يهرب من الواقع إلى دنيا الخيال ليحضر مخاطبته أمام عينه وينعم برؤيتها

---

* أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعروف باسم المعري وكان يكنى أبا العلاء من أهل محلة النعمان من بلاد الشام ولد سنه ثلاث وستين وثلاثمائه واعتل بالجدرى التى ذهب فيها بصره سنه سبع وستين وثلاثمائة وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ورحل إلى بغداد ثم رجع إلى بلده فأقام ولزم منزله إلى أن مات يوم الجمعة الثانى من شهر ربيع الأول سنه تسع وأربعين وأربعمائه فى أيام القائم . انظر معجم الادباء ج٣ ص (١٠٧) وكذا وفيات الاعيان ج١ ص (١١٣) وما بعدها .

(١) انظر انوار الربيع ص (٣٦٤) .

ولو فى الخيال وهذا ليس وقفاً على مثل هذه المواقف وإنما يتعداه إلى كل موقف شعورى يهتز له كيان المتكلم قبل السامع فيخرج من حالة فى الخطاب إلى حالة أخرى تشخص ما بنفسه من مشاعر جياشة .

ثانياً : الالتفات من الخطاب إلى الغيبة

(١) ومن أمثلته قول عنترة بن شداد* :

ولقد نزلت فلا تظني غيره

مني بمنزلة المحب المكرم

كيف المزار وقد تربع أهلها

بعنيزتين وأهلنا بالغيلم(١)

الالتفات فى قوله أهلها بعد قوله : (ولقد نزلت فلا تظني) ، فبعد أن كان الخطاب موجهاً لها حوله بصورة مفاجئةً لكل سامع لشدة ما يجد من وجد ببعدها فهى مثله لا تجد جواباً لهذا صرف الكلام

---

(١) انظر شرح المعلقات السبع ص (١٩٥) لابى عبد الله الحسين بن احمد الزوزنى وكذا تحرير التحبير ص (١٢٤) .

* هو ابو المفلس عنترة بن شداد العبسى من أهل نجد وأمه اسمها زبيبة ومنها لحقه السواد كان من فرسان العرب وأجوادهم المشهورين من شعراء الطبقة الاولى ومن أصحاب المعلقات . قتل فى بداية القرن السابع للميلاد على إثر غارته على بنى نبهان حيث تصدى له رجل يدعى الأسد الرهيصى فرماه وارداه قتيلاً / انظر الشعر والشعراء ص (١٠٣) وما بعدها وكذا شرح المعلقات السبع ص (١٩٥) وجاء فيه. التربع : الإقامة زمن الربيع .

عنها إلى غيرها لعله يجد من يحل له هذه المعضلة ويقصر عليه تلك المسافات الطوال بينهما ولهذا التفت .

(٢) ومنه قول النابغة* الذبيانى من مطلع قصيدة له يمدح فيها النعمان بن المنذر ويعتذر إليه :

يا دار ميه بالعلياء فالسند

أقوت وطال عليها سالف الامد[١]

والالتفات فى قوله (أقوت وطال عليها) بأسلوب الغائب وذلك بعد مخاطبتها فى مطلع القصيدة بقوله : (يا دار مية) .

وكأن شاعرنا بعدما خاطب جاشت نفسه بلوعة البعد فتنبه وقال : أقوت وطال عليها سالف الأبد .

---

(١) انظر الصاحبى لابى الحسين احمد بن فارس بن زكريا ص (٣٥٦) تحقيق السيد احمد صقر

* هو زياد بن معاوية ، ويكنى أبا أمامة شاعر جاهلى كان شريفاً ففاض منه الشعر وكان مع النعمان ابن المنذر قال الأصمعي كان النابغة يضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها انظر الشعر والشعراء ص (٨٧-٩٩).

(٣) ومن روائع هذا اللون من الالتفات قول الخنساء* ترثى أخاها صخراً

قذى بعينيك أم بالعين عوار
أم ذرفت اذ خلت من أهلها الدار
كأن عيني لذكراه إذا خطرت
فيض يسيل على الخدين مدرار
فالعين تبكي على صخر وحق لها
ودونه من جديد الأرض أستار
تبكي خناس وما تنفك ما عمرت
لها عليه رنين وهى مقتار(١)

الالتفات فى قولها (تبكى خناس ... وحق لها) بصيغة الغائب وذلك بعد مخاطبتها نفسها فى مطلع القصيدة بقولها : (قذى بعينيك) وكأن شدة حرقتها على صخر طوحت برأسها فلم تعد تدرى أهى هى أم شخصٌ أخر أهى حاضرة فتخاطب نفسها خطاب الحاضر أم غائبة عن الوجود لغياب أخيها فتتحدث عن نفسها حديث الغائب والالتفات يسعفها ويصور لنا تلك المشاعر الدفينة التى تعترى نفسها الحزينة .

---

(١) انظر الديوان ٤٧/ دار بيروت للطباعة و النشر، وكذا تاريخ الأدب العربى العصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ص (٢٠٨) .

* هى تماضر بنت عمرو بن الشريد وهى جاهليه كانت تقول الشعر فى زمن النابغة واشتهرت بالمراثى ثم أسلمت وحسن إسلامها وشهدت القادسية .

انظر الشعر والشعراء ص (٢١٨)، وكذا ديوان الخنساء/ ٥ .

ومنه أيضاً قول الشاعر :

اسيئي بنا أو احسنى لا ملومة

لدينا ولا مقلية ان تقلت[١]

والالتفات فى قوله : (إن تقلت) بصيغة الغيبة بعد مخاطبتها فى مطلع البيت بقوله (أسيئي) والغرض البلاغى منه كراهية مواجهتها بهذا الفعل الذى يدل على الجفاء .

ثالثاً : الالتفات من الغائب إلى المتكلم

(١) ومنه قول أبى تمام* :

يصرّف مسراها جزيل مشارق

أذا آبه هم عذيق مغارب

إذا العيس لاقت بى أبا دلف فقد

تقطع ما بينى وبين النوائب[٢]

---

(١) البيت لكثير بن عبد الرحمن الخزاعى ((كثير عزة)) سبقت ترجمة الشاعر ص (٢٤) والبيت من قصيدة فى ديوانه ح١ ض (٥٣) وانظر ايضاً عيار الشعر ص (١٤٤) تحقيق د/ عبد العزيز ناصر المانع ومقلية تعنى مبغضة عن القلى وهو البغض انظر اللسان مادة سوأ . وفى خزانة الأدب ح٢ ص (٢٧٨-٢٨٠) . وانظر الصاحبى لابن الحسين بن احمد فارسى بن زكريا ص (٣٥٦) تحقيق السيد احمد صقر .

(٢) انظر شرح الصولى لديوان ابى تمام دراسة وتحقيق د/ خلف رشيد ص (٢٧٩) وكذا ديوان أبى تمام ج١ ص (٢٠٢) ؛ (٢٠٣) . وايضاً مجلة الرسالة الاسلامية تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية فى الجمهورية العراقية العدد (٢٠٧) .

* سبق ترجمته ص (٥١) .

فإنه قال فى البيت الأول : (يصرف مسراها) على طريق الغيبة وهو يريد نفسه بدليل قوله : (إذا العيس لاقت بى) . فالالتفات من الغيبة إلى المتكلم فقد كان يتحدث حديث الغائب عن نفسه عن طريق الحكاية التى تتناقلها الأفواه لعله يجد من يشاركه همه أو يخفيف عليه . وهذه المشاعر نراها قد تغيرت بوصوله للفرج والبشرى ولذلك تغير معها الأسلوب ليدل عليها .

(٢) ومنه قول إمرىء القيس* :

تطاول ليلك بالأثمد
ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة
كليلة ذي العائر الأرمد
وذلك من نبأ جاءني
وخبرته عن أبي الأسود

والالتفات المقصود هنا فى قوله : (جاءنى) بصيغة التكلم بعد الغيبة السابقة في قوله (وبات وباتت) وغرضه البلاغى شبيه بسابقه فى حديث الغيبة

مع الفارق الشاسع عند تحوله للتكلم فقوله (جاءنى) يفصح عن ذهول الشاعر لهذا النبأ وشدة وقعه عليه .

---

* سبق ترجمته ص (٢٧).

(٣) ومنه قول لبيد :

قامت تشكى إليّ النفس مجهشة

وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا (١)

الالتفات فى قوله (حملتك) بصيغة المتكلم التى يمثلها ضمير المتكلم تاء الفاعل فى (حملتك) .

لقد اعطت هذه اللفته الرائعة للاسلوب صورة حية تشدنا إلى عالمها فكأننا نسمع صوت النفس وهى تحدثه مجهشة بالبكاء تقول فى إعياء وملل (وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا) .

رابعاً : الالتفات من الخطاب إلى التكلم

(١) ومنه قول علقمة بن عبدة* :

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

يكلفنى ليلى وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب (٢)

والشاهد فيه هو أن الكلام جرى فى البيت الأول على طريق الخطاب فى قوله : (طحا بك) ثم انتقل إلى طريق التكلم فى قوله يكلفنى وحسن هذا الإنتقال هو أن التكليف بليلى والحال كما وصف مقطع مهم من مقاطع المعنى ووقوعه على نفسه وقوعاً واضحاً ومباشراً مما يقوى به الكلام(٣) .

---

(١) انظر تفسير المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ح١ ص (٦٨) .

(٢) البيتان لعلقمه بن عبدة الفحل من القصيدة التى يمدح بها الحارث بن جبلة الغساني وكان قد أسر أخاه فسافر له يطلب فكه، انظر الايضاح للخطيب ص (٤٤) والغريب فيهما : طحا ؛ أى اتسع وذهب بك كل مذهب ، وطروب مأخوذ من الطرب وهو استحفاف القلب من الود . وعوادى الدهر : عوائقه .

* وعلقمة بن عبدة بن عبد المنعم النعمانى ينتهى نسبه إلى نزار ويقال له الفحل لانه خلف على إمرأة إمرىء القيس لما حكمت له أنه أشعر من إمرىء القيس وكان ينازعه الشعر . انظر خزانه الادب ح١ ص (٥٦٥) . والأغانى ح٢١ ص (١٧٢) وكذا الشعر والشعراء ص (١٣٠)

(٣) انظر خصائص التراكيب د/ محمد ابو موسى ص (١٩٨) .

(٢) ومنه قول أبى فراس بن حمدان* :

وقوفك بالديار عليك عار
وقد رد الشباب المستعار
ابعد الاربعين محرمات
تماد فى الصبا بتواغترار
نزعت عن الصبا إلا بقايا
يحفدها على الشيب الوقار
وطال الليل بى ولرب دهر
نعمت به لياليه قصار[(١)]

والالتفات فى قوله : (وطال الليل بى) بضمير المتكلم وذلك بعد الخطاب الذى استهل به البيت الأول فى قوله : (وقوفك بالديار عليك عار) .

و النكته فيه مماثلة لماقبله حيث أن طول الليل هو شعور خاص به يؤلمه و لا أحد يقدّر هذا مثله.

---

(١) انظر ديوان ابى فراس الحمدانى ص (١٢٤) ويحفدها : يحملها على الإسراع وانظر أنوار الربيع ص (٣٧٣) .

* هو الحارث بن سعيد بن حمدان ، ولد سنه (٣٢٠) هـ ، وكان أبوه حينئذ والياً على الموصل أما امه فكانت رومية قال الثعالبى فى اليتيمة : كان فرد دهره وشمس عصره أدباً وفضلاً وكرماً ومجداً وبلاغة وبراعة انظر وفيات الاعيان ج٢ ص (٥٨) وما بعدها وانظر الفن ومذاهبه ص (٣٥٢) وما بعدها .

خامساً : الانتقال من التكلم إلى الغيبة

(١) ومنه قول الحجاج* بن يوسف الثقفى يعتذر لعبد الملك بن مروان عندما أرسل خطاب يلومه على إسرافه فى الدماء والأموال قال الحجاج :

إذا أنا لم أبلغ رضاك وأتقى
أذاك فيومى لا تزول كواكبه
وما لامرىء بعد الخليفة جنة
تقيه من الأمر الذى هو كاسبه
أسالم من سالمت من ذى هوادة
ومن لم تسالمه فإنى محاربه
إذا قارف الحجاج منك خطيئة
فقامت عليه فى الصباح نوادبه[1]

الالتفات فى قوله : (إذا قارف الحجاج . . . فقامت عليه فى الصباح نوادبه) بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة التكلم فى مطلع القصيدة (إذا أنا) وكأن شعوراً دفيناً دفع بالشاعر إلى أن يتخلص من تبعية هذا الأمر الذى أغضب الخليفة وقد يجعله فى عداد المندوب عليهم . ولهذا اتجه بالأسلوب إلى الحديث عن غائب وإن كان هو ذلك الغائب .

---

(١) انظر وفيات الاعيان ج٢ ص (٣٦) .

* ابو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل بن مسعود وهو ثقفى وامه فارعه بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفى كان الحجاج وابوه يعلمان الصبيان بالطائف ثم لحق بشرطة عبد الملك بن مروان ثم قلدة أمير المؤمنين أمر عسكره وهكذا حتى اصبح اميراً على العراق انظر وفيات الاعيان ح٢ ص (٢٩) وكذا مروج الذهب ح٣ ص (١٣٢) وكذا العقد الفريد ح٥ ص (١٣-١٤) .

(٢) ومثله فى الشعر العربى قول الحصين بن الحمام* فى مفضليته:-

وبجين من أبقين منا بخطة

من العذر لم يدنس وإن كان مؤلما

أبى لابن سلمى أنه غير خالد

ملاقى المنايا أى صرف تيمما

فلست مبتاع الحياة بسبة

ولا مبتغ من رهبة العيش سلما[1]

البيت الأول يصف خيلهم وقد نجّت من بقى منهم فى معركتهم الظافره يوم داره . قال : أبى لابن سلمى وهو يريد نفسه . وكان قد ذكرها بضمير جماعة المتكلمين فى قوله من أبقين منا ، ولكنه نقل الحديث إلى الغيبة ليخيل بذلك أنه يحدثنا عن فارس همام ويروى لنا قصة شجاعته العجيبة ثم رجع إلى نفسه واستمر الحديث عنها في البيت الثالث : فلست بمبتاع الحياة ، وطريقة التكلم فيه هى التى تتسع لفيض شعوره وإعتزازه بفضائله[2] .

---

(١) انظر خصائص التراكيب د/ محمد ابو موسى ص (١٩٧) .

* هو من بنى مرة جاهلى ويعد من أوفياء العرب وقال ابو عبيدة اتفقوا على أن أشعر المقلين فى الجاهلية ثلاثة : المسيب بن علس والمتلمس وحصين بن الحمام المرى / انظر الشعر والشعراء ص (٤٣٧) .

(٢) انظر خصائص التراكيب د/ محمد ابو موسى ص (١٩٧) .

سادساً : الالتفات من التكلم إلى الخطاب

(١) ومنه هذين البيتين ؛ قال الشاعر :

تذكــرت والذكــرى تهيــجك زينبا وأصبح باقى وصلها قد تقضبا

وحــل بفلــج فالأبــاتر أهــلنـا وشطت فحلت غمرة فمثقبا(١)

الشاهد فى البيت حيث لم يقل (تهيجني) بضمير المتكلم تمشياً مع السياق السابق فى قوله : (تذكرت) بل عدل عن هذا التكلم إلى الخطاب فقال (تهيجك) .

ومنه قول ؛ المجنون*

بكت عينى اليسرى فلما زجرتها عن الجهـل بعد الحلم اسبلتا معـا

وأذكـر أيـام الحمـى ثـم انثنـى علـى كبدى من خشية ان تصدعـا

فليست عشيات الحمى برواجـع عليك ولكن خل عينيك تدمعا(٢)

الالتفات فى فى قوله : (برواجع عليك ولكن خل عينيك تدمعا) بصيغة الخطاب بعد أن كان مطلع الأبيات بصيغة التلكم فى قوله (بكت عينى) وفيه لفتة لطيفة تدل على أن الشاعر أراد الفرارمن نفسه ولكن نفسه جردت منها شخصاً آخر يخاطبه ويذكره بالواقع المؤلم وينصحه باليأس والاستسلام اللذين قضيا عليه .

---

(١) انظرمن بلاغة النظم العربى د/ عبد العزيز عبد المعطى عرفه ج١ ص (٢٠٢) .

(٢) انظر ديوان (مجنون ليلى) شرح الدكتور يوسف فرحات ص (١٣٦)، وقد نسبه السيد رشيد رضى إلى الصمة بن عبد الله بن الطفيل، انظر دلائل الإعجاز ص ٤٦ - ٤٧

وانظر ايضاً أنوار الربيع ج١ ص (٣٧٦) .

* هو قيس بن الملوح بن مزاحم وقيل : قيس بن معاذ من بنى عامر بن صعصعه المعروف بمجنون ليلى . شاعر فحل من شعراء الغزل عاش فى أوائل الدولة الأموية حرم من محبوبته ليلى وسكن البادية إلى ان قضى نحبه سنه ٦٥هـ .

انظر مقدمة ديوان مجنون ليلى لعبد الستار احمد فرّاج والأغانى ج٢ ص (٥) وايضاً وفات الوفيات ج٢ ص (٢٢٤) والشعر والشعراء ص (٣٧٧) .

ومما خرج عن رأى الجمهور من ألوان الالتفات البديعة

(١) قول طرفة بن العبد*

وتصد عنك مخيلة الرجل الشـ
نـوف موضحة عن العظم
بحسام سيفك أو لسانك والـ
كلم الأصيل كأرغب الكلم[١]

قال قدامة بن جعفر : فكأنه لما بلغ بعد (حسامك) إلى (لسانك) قدر أن معترضاً يعترضه فيقول : كيف يكون مجرى السيف واللسان واحداً فقال : والكلم الأصيل كأشد الجراح وأكثرها إتساعاً [٢].

---

(١) انظر شرح الديوان ٨٦ قدم له و علق على حواشيه سيف الدين الكاتب

(٢) انظر نقد الشعر ص (١٤٨ وكذا معجم البلاغة العربية د/ بدوى طبانه ص (٦١٦) .

وكذا الشعر والشعراء ص (١٠٩)

* هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد واسمه عمرو وسمى طرفة ببيت قاله . وامه وردة من رهط أبيه وكان أحدث الشعراء سناً قتل وهو ابن عشرين سنة . وكان ينادم عمرو بن هند وهو الذى أوعز بقتله .

انظر الشعر والشعراء ص (١٠٨) وما بعدها .

(٢) ومنه قول أبي الطيب المتنبى* :

يا من يعز علينا أن نفارقهم

وجداننا كل شيء بعدكم عدم

إن كان سركم ما قال حاسدنا

فما لجرح إذا أرضاكم ألم

وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة

إن المعارف في أهل النهى ذمم[1]

والالتفات فى قوله : (إن المعارف فى أهل النهى ذمم)وهو من قبيل (التذييل) الجاري مجرى المثل .

---

(١) انظر ديوان المتنبى (وكذ ا) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ص (١٧٣) .

* ابو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى الكندى الكوفى المعروف بالمتنبى قدم الشام فى صباه وجال فى اقطاره واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها ، وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان ثم فارقه إلى مصر ومدح كافوراً ثم خرج وفارقه وذهب إلى بلاد فارس ثم فى عودته قاصداً بغداد ثم إلى الكوفة فى شعبان لثمان خلون منه عرض له فاتك بن أبى جهل الأسدى فى عدة من أصحابه وكان المتنبى معه جماعة من أصحابه فقاتلوهم فقتل المتنبى وابنه محمد وغلامه بالقرب من النعمانيه سنه أربع وخمسين وثلاثمائه / انظر وفيات الاعيان ج١ ص (١٢٠) وما بعدها .

(٣) وانظر إلى هذا اللون من الالتفات فى قول ربيعة بن مقروم* :

بانت سعاد فأمسى القلب معمودا

وأخلفتك إبنة الحر المواعيدا

وفيه التفات على رأىء السكاكى حيث لم يقل : (واخلفتنى) ولا مانع أن يكون هذا الأسلوب من قبيل التجريد ، حيث جرد الشاعر من نفسه شخصاً آخر ، وخاطبه : (وأخلفتك) بدل (وأخلفتنى)[1].

(٤)

وهذا التفات فى زمن الفعل انظر إلى تأبط شراً** يقول :

بأنى قد لقيت الغول تهوى

بسهب كالصحيفة صحصحان

فأضربها بلا دهش فخرت

صريعاً لليدين وللجران

---

(١) انظر الايضاح ص (٤٢) وكذا ((بلاغة النظم العربى)) د/ عبد العزيز عبد المعطى عرفه ج١ ص (٢٥١) .

والمعمود : الحزين ، وابنه الحر : هى سعاد ، من وضع المظهر موضع المضمر انظر المرجع السابق .

* سبقت ترجمته ص (٥٩) .

** هو ثابت بن عمسل ، وقال الأصمعى كان ابن طرفة الهزلى وهو اعلمهم بتأبط شراً وقيل هو ثابت بن جابر وهو من فهم وكان شاعراً بئيساً أحد العدائين وإنما لقب : ((تابط شراً)) لأنه تابط سكينا ذات يوم وخرج فسئلت عنه أمه ، فقالت : لا أدرى إنه تابط شراً وخرج والبيتان فى الكشاف ح٣/ ٦٠١ و كذا المفتاح ١١٩ و كذا الإيضاح مع ابيات أخرى ص ٥٨ و انظر الشعر والشعراء ص (١٩٧) وما بعدها وكذا المثل السائر ح٢ ص (١٨٢) .

فإنه قصد أن يصور لقومه الحال التى تشجع فيها على ضرب الغول ، كأنه يبصّرهم إياها مشاهدة ، للتعجب من جراءته على ذلك الهول ، ولو قال : (فضربتها) عطفاً على الأول ، لزالت هذه الفائدة المذكورة[1] .

(١) انظر المثل السائر لابن الأثير ج٢ ص (١٨٣) .

ثانياً : الالتفات فى النثر العربي :

لم يقتصر ورود الالتفات فى الفصيح من شعر العرب بل ورد كثير منه فى المنثور من كلامهم أيضاً وهذه نماذج تمثل بعض ألوانه :

وخير ما أبدأ به كلام المصطفى عليه أفضل الصلاة واتم التسليم لأنه صلى الله عليه وسلم قال عن نفسه : { أنا أفصح العرب ، بيد أنى من قريش }[١] وهو الصادق المصدوق .

(١) وقال صلى الله عليه وسلم فى خطبة خص بها الانصار - رضوان الله عليهم - وذلك بعد غزوة حنين عندما بلغه أن بعضهم وجد فى نفسه موجدة لتوزيع غنائم تلك المعركة بين المؤلفة قلوبهم من قبائل العرب ومن بينهم قبيلة قريش فظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استغنى عن خدماتهم لوجود قبيلته معه فى تلك المعركة فقال عليه أفضل الصلاة والتسليم : {وجدتم فى أنفسكم يامعشر الانصار فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليَسْلِمُوا ووكلتكم إلى إسلامكم ؟! أفلا ترضون يام معشرالأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار ولو سلك الناس شعباً وسلك الانصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وأبناء أبناء الأنصار }[٢].

---

(١) وقد جاء بهذا اللفظ :(أنا أفصح من نطق بالضاص بيد أنى من قريش قال صاحب اللآليء معناه صحيح ولكن لا أصل له / انظر كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس اسماعيل بن محمد العجلونى ج١ ص (٢٣٢) وقد ذكره ابن الاثير فى غريب الحديث و كذا ذكره السخاوي في المقاصدالحسنة وقال معناه صحيح لكن لاأصل له، انظر ص١١٢/٥.

(٢) قال الالبانى صحيح اخرجه مسلم ، والنسائى ، واحمد بن حنبل / صحيح الجامع الصغير ج٢ ص (١٣٢٠) . وانظر كذا تفسير فتح القدير للشوكانى ج٢ ص (٣٠٩) فى تفسير الآية (٤١) من سورة الانفال : (واعلموا أنما غنمتم . . . .) .

وكذا اخرجه البخاري في صحيحه ص٣٨/٥ باب مناقب الأنصار.

ولا يخفى ان الالتفات فى ثلاثة مواضع فى هذا النص الشريف : -

(١) أولها فى قوله صلى الله عليه وسلم : { برسول الله}[١] بصيغة الغائب وكان حق السياق ان يقول عليه أفضل الصلاة والتسليم : وترجعون (بي) بضمير المتكلم ولكن عدل عليه الصلاة والتسليم عن هذا إلى الاسم الظاهر اى من المتكلم إلى الغائب بقوله : { رسول الله } وذلك لما فى هذه الكلمة - رسول الله - من وقع مؤثر فى نفوس الأنصار وشأن عظيم عنده وعند عامة الناس

فهى تدل على أن فوزهم فى هذه المعركة كان فوزاً عظيماً وحظهم منها كان شرفاً مقيماً لقد عادوا - برسول الله - ويكفيهم هذا إعزازاً وتكريماً وشتان بين استخدام هذا التركيب الجليل رسول الله - وبين الضمير (ياء المتكلم) فى قوله صلى الله عليه وسلم (بى) .

أما ثانى مواضع الالتفات فى هذا النص فى قوله صلى الله عليه وسلم : { لولا الهجرة لكنت إمرءاً من الأنصار}بضمير المتكلم في (لكنت) و ذلك بعد ذكره بنفسه الشريفة بصيغة الغيبة بقوله (فوالذي نفس محمد) فيكون التفاتاً من الغيبة في (محمد) إلى المتكلم في (كنت) وقيمته البلاغية تكمن في زيادة التأكيد على المعنى المقصود .

أما الموضع الثالث فى قوله صلى الله عليه وسلم : { لولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار ولو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار . . . إلخ } وكان حق السياق استمرار صيغة المخاطبة فيكون الكلام - لولا الهجرة لكنت امراءاً منكم ولو سلك الناس شعباً وسلكتم شعباً لسلكت شعبكم - ولكنه عليه أفضل الصلاة واتم

---

(١) لأن الاسم الظاهر كما قال علماء البلاغة هو من قبيل الغيبة .

انظر شروح التلخيص كتاب عروس الافراح فى شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكى ج١ ص (٤٦٢) . وكذا كتاب : (من بلاغة النظم العربى) د/ عبد العزيز عرفه ح١ ص (٢٠٤) وكذا خصائص التراكيب د/ محمد أبو موسى ص (١٩٧) .

وكذا حاشية الدسوقى ج١ ص (٤٦٨) .

التسليم عدل عن الخطاب إلى الغيبة وذلك لأن كلمة (الأنصار) كلمة محببة إلى نفسه الشريفة وإلى نفوس مخاطبيه فهى تدل على عظم فضل هذه الفئة المؤمنه على الاسلام والمسلمين وعلو شأنهم عند رسول الله وعند رب العالمين فهم الذين ناصروا ونصروا ولولا فضل الله ثم سواعدهم الأبيه ونفوسهم الطاهرة لما قام للإسلام جانب ولما رسخت دعائمه فى الجزيرة وخارجها ولذا سماهم ربهم هذه التسمية اعترافاً منه سبحانه بما لهم من فضل . ولذا نراه صلى الله عليه وسلم يردد هذه الكلمة الحبيبة إلى نفسه لأن وقعها برداً وسلاماً على الحضور يغسل بها ما فى نفوس بعضهم من موجدة رانت عليهم بعض حين فكيف لا يبكى الانصار بعدها حتى تقطر لحاهم الطاهرة بما رأوا وبما سمعوا وأحسوا من نبى الهدى والرحمة واللين عليه أفضل الصلاة والسلام.

(٢) ومما جاء فيه الالتفات من كلام الامام علي رضى الله عنه وهو سيد البلغاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله رضي الله عنه لما قبض رسول الله عليه الصلاة والسلام وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب فى أن يبايعا له بالخلافة قال: (أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة ، وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا عن تيجان المفاخرة ، أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح ، هذا ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها ومجتنى الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه فإن أقل يقولوا : حرص على الملك ، وإن أسكت يقولوا : جزع من الموت . هيهات بعد اللتيا والتى[١] والله لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمه ، بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية فى الطوى البعيدة)[٢] .

---

(١) هيهات بعد اللتيا والتى : أى بعد ظن من يرمينى بالجزع بعد ما ركبت الشدائد وقاسيت المخاطر صغيرها وكبيرها ، قيل ان رجلاً تزوج بقصيرة سيئة الخلق فشقى بعشرتها ، ثم طلقها وتزوج أخرى طويلة فكان شقاؤه بها أشد فطلقها وقال الا اتزوج بعد اللتيا والتى ، يشير بالأولى إلى الصغيرة وبالثانية إلى الكبيرة فصارت مثلاً فى الشدائد والمصاعب صغيرها وكبيرها وقوله – هيهات – نفى لما عساهم يظنون من جزعه من الموت عند سكوته / انظر نهج البلاغة ص (٣٨-٣٩) وهامش ص (٢٨) .

(٢) انظر نهج البلاغة ص (٣٨-٣٩) وايضاً هامش ص (٢٨) . تحقيق محمد عاشور ، محمد البنا .

الارشيه : جمع رشاء وهو الحبل ، والطوى البئر ، البعيدة العميقة .

والالتفات فى قوله رضى الله عنه وكرم الله وجهه : (والله لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمه) . فأبدل الاسم الظاهر بضمير المتكلم وهذا التفات من التكلم إلى الغيبة[1] .

(٣) ومن هذا القبيل قول الحجاج* بن يوسف الثقفى وكان مشهوداً له بالفصاحة والبلاغة :-

قال فى إحدى خطبه فى العراق : (أيها الناس ؛ إن طائفة من أهل العراق أهل الشقاق والنفاق ، نزغ الشيطان بينهم فقالوا : مات الحجاج مات الحجاج ، فمه !! وهل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت ؟ والله ما يسرنى ألا أموت وأن لى الدنيا وما فيها وما رأيت الله - سبحانه وتعالى - رضى بالتخليد إلا لأهون خلقه عليه ! إبلس -)[2] .

فى هذه الخطبة التى خاطب بها الحجاج أهل العراق موضعان للالتفات أولها فى قوله : (إن طائفة من أهل العراق) بصيغة الغيبة وذلك بعد مخاطبتهم مباشرة فى أول النص وكان مقتضى سياق ذلك الخطاب أن يقول - إن طائفة منكم ولكنه التفت إلى الغيبة ليسوغ ورود تلك الاوصاف الشنيعة التى أردفها بشتم أهل العراق وكأنهم ليسوا هم المخاطبين ولو لم يلتفت إلى الغيبة لما حسن تذكيرهم ببعض صفاتهم القبيحة وقد يكون عمله هذا من باب اللباقة وحسن تصريف الكلام وخصوصاً أن لهجة الحجاج فى هذه الخطبة مغايرة بعض الشىء عما عرف عنه دائماً فى مخاطبته لأهل العراق إننا نلمس فيها شيئاً من الهدوء وسعه الصدر رغم الغضب ولذا لم يشأ مجاهرتهم بالسوء.

---

(١) انظر هامش ص (٧٧) .

(٢) انظر منهج السنه الأولى ثانوى للطالبات تأليف د/ حسن شاذلى وآخرون الطبعة الحادية عشر ١٤١٢هـ ص (٣٣٢) .

لم اجد هذه الخطبة فى كل من البيان والتبين أو الكامل أو الفن ومذاهبه شوقى ضيف ولم يوضع لها توثيق فى كتاب المنهج المشار إليه .

* سبق ترجمته ص (٦٩) .

كعادته أخذاً بقول الله سبحانه وتعالى { **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم** }[١] وربما يكون الباعث الأساسى لهذا الهدوء هو ذكره للموت . الموت الذى ذكره يهد كل جبار عنيد والذى قال فيه صلى الله عليه وسلم:{ **اكثروا من ذكر هادم اللذات ومفرق الجماعات** }[٢] ليكون أكبر رادعاً عن الطغيان والفجور. وقد يكون الباعث وراء هذا الالتفات رغبته فى إشعار مخاطبيه ببعدهم عن نفسه فنظر إليهم نظرة الغائب البعيد . ومهما يكن من أسباب فإن الالتفات أحدث ضرباً من الكلام عالٍ فى البلاغة ولا بد له من ارتباط شديد بالأحوال النفسية وتغيراتها فكل تغير فى الحالة النفسيه يتبعه تغير فى الصياغة أيضاً .

وإليك لون من الالتفات لم يعده الجمهور منه وهو تغير زمن الفعل من حالة إلى حالة جاء هذا اللون فى حديث الزبير بن العوام رضى الله عنه فى غزوة بدر قال:(لقيت عبيدة بن سعيد بن العاص وهو على فرس وعليه لامه كاملة لا يرى منه إلا عيناه، وهو يقول:أنا أبو ذات الكئوس وفى يدى عنزة فأطعن بها فى عينه ، فوقع ، وأطأ برجلى على خده، حتى خرجت العنزة متعقفة .

فقوله أطعن بها فى عينه وأطأ برجلى عدول عن لفظ الماضى إلى المستقبل على طريقه الالتفات ليمثل للسامع الصورة التى فعل فيها ما فعل من الاقدام والجرأة على قتل ذلك - الرعديد - ولو عطف الكلام على أوله لقال : فطعنت[٢] ولكنه صرفه عن الماضى ملتفتاً إلى المضارع كعادتهم فى هذا الأسلوب.

---

(١) سورة النساء أيه (١٤٨).　　(٢) انظر الالبانى فى صحيح الجامع ج١ ص (٢٦٤) حديث رقم (١٢١٠) . وكذا اخرجه الترمذي في جامعه ج٤ ص٤٧٩ باب في ذكر الموت

(٣) انظر المثل السائر ج٢ ص (١٨٢) .

اللامه : الدرع أو السلاح أو أداة الحرب / انظر المثل السائر ج٢ ص (١٨٢) العنزه : أطول من العصا وأقصر من الرمح وهى أداة للحرب . المرجع السابق . وانظر كذا كتاب الطراز ليحى بن حمزة العلوى ج٢ ص (١٣٩) .

الباب الثاني

بدراسة استقصائية تحليلية لمواضع الالتفات في القرآن الكريم
من سورة الفاتحة إلى سورة الكهف

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

هذا الباب في استقصاء مواضع الالتفات في النصف الأول من القرآن الكريم استخراجاً ثم شرحاً وتعليقاً لبيان النكتة البلاغية التي استهدفت بالالتفات وهو لب الرسالة وهدفها الأول ولذا آمل من المولى القدير أن ييسر الدراسة فيه ويلهمنا الصواب ويعصمنا عن الزلل إنه قريب سميع مجيب . وسيتضمن سبع فصول ستة منها في الالتفات على مذهب الجمهور وهو عندهم : (نقل الكلام من الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر) والفصل السابع سأذكر فيه بعض مواضع الالتفات التي لا ينطبق عليها تعريف الجمهور للالتفات وإنما هي منه وأستوقفتني لما فيها من روعة بلاغية . وبالله التوفيق .

الفصل الأول

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

سورة الفاتحة

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) أول مواضع الالتفات من الغائب إلى المخاطب في سورة الفاتحة الكريمة .

لقد تميزت سورة الفاتحة بما لا يحصى عدداً من الفوائد الجليلة . وهى حرية بهذا إذ هى أم الكتاب ، ومن تلك الفضائل وجود موضعين[1] للالتفات فيها :

أولهما في قول الله تعالى : { **إياك نعبد وإياك نستعين** } حيث أجرى الكلام بأسلوب الخطاب المباشر وذلك بعد أسلوب الغائب الذى بدأت به السورة الكريمة من قوله تعالى : { **بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين** } ثم انتقلت السورة من أسلوب الغيبة إلى الخطاب فى قوله تعالى:{ **إياك نعبد وإياك نستعين** }[2] وكان مقتضى الظاهر وتمشياً مع السياق السابق أن تكون الآية - الذى نعبده ونستعينه - أو إياه نعبد

---

(١) الموضع الثانى فى سورة الفاتحة من المخاطبة فى قوله تعالى : (أنعمت) إلى الغيبة فى قوله تعالى : (غير المغضوب) دُرس فى فصله ص (١٣٧) .

(٢) انظر البرهان ج٢ ص (٣٢٦) وكذا الغيث المسجم للصفدى ج١ ص (٢٥٧) وكذا الاتقان ج٣ ص (٢٩٢) وكذا علوم القرآن لابن القيم ص (١٤٦) وانظر شروح التلخيص ج١ ص (٤٦٦) وكذا المحرر الوجيز لابن عطية ص(٧٢) تحقيق عبد السلام عبد الشافى ص (٧٢) .

وإياه نستعين ولكن قد خرج الأسلوب من الغيبة إلى الخطاب ولهذا الخروج لطائف ربانية عظيمة يعجز البيان عن حصرها إلى يوم الدين وقد كتب فيها كثير من المفسرين وعلماء البلاغة ولكنها فوق كل ما قيل ويقال وما جهود العلماء الأجلاء إلا محاولات جليلة للوقوف على النزر اليسير لبعض جوانب إعجازها . وعلى سبيل المثال لا الحصر نورد رأىء الزمخشرى* القائل : (ومما إختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق - المستحق - بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء ، وغاية الخضوع والإستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات ، فقيل : (إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة ولا نعبد غيرك ولا نستعينه ، ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له ذلك المتميز الذي لا تحق العبادة إلا به)[١]. وقيل إنما أختير للحمد الغيبة وللعباده الخطاب للإشارة إلى أن الحمد دون العبادة فى الرتبه ، فإنك تحمد نظيرك ولا تعبده إذ الإنسان يحمد من لا يعبده ولا يعبد من لا يحمده فلما كان كذلك استعمل لفظ (الحمد) لتوسطه مع الغيبة في الخبر ، فقال : { الحمد لله} ، ولم يقل : { الحمد لك } ولفظ (العبادة) مع الخطاب فقال : { إياك نعبد} لينسب إلى العظيم حال المخاطبة والمواجهة ، ما هو أعلى رتبة ، وذلك على طريقة التأدب[٢].

---

(١) الكشاف للزمخشرى ح١ ص (٦٣ ، ٦٤) .

وكذا تفسير النسفي ح١ ص (٦) .

(٢) انظرالاتقان ح٣ ص (٢٩٢ - ٢٩٣)، وكذا المثل السائر ح٢ ص (١٧٣) ،وكذا الجامع لابن الأثير ص (٩٩) ، وكذا البرهان ح٣ ص (٣٢٧) ، وكذا نهايه الايجاز فى دراية الاعجاز الرازى ص (٢٨٧) ، وكذا فن البلاغة د/ عبد القادر حسين ص (٢٨٧)

* انظر ترجمته ص (٢٦) ..

وقيل :أن سرالالتفات من الغيبة إلى الخطاب هو التنبيه على أن مبتدأ الخلق الغيبة منهم عنه - سبحانه وتعالى - وقصورهم عن محاضرته ومخاطبته ، وقيام حجاب العظمة عليهم، فإذا عرفوه بما هو له، وتوسلوا للقرب بالثناء عليه ، وأقروا بالمحامد له، وتعبدواله بما يليق بهم تأهلوا لمخاطبته ، ومناجاته ، فقالوا:{ **إياك نعبد وإياك نستعين** }[١].

وزاد ابن كثير* بقوله : (لما أثنى عليه فكأنه اقترب وحضر بين يدى الله تعالى **إياك نعبد وإياك نستعين** }[٢]. وهى كما قال سيد قطب: (مفرق طريق بين التحرر المطلق من كل عبودية وبين العبودية المطلقة للعبيد)[٣] حيث يرتفع قلب المؤمن من عبودية الأرض وما فيها إلى عبودية علوية في أعلى سماء أمام الرب الحقيق بالعبادة ، ولهذا لا يتناسب مع هذا المقام أسلوب الغيبة فهو الآن قد طار بروحه وإرتفع بها إلى العلياء ووقف أمام ربه يخاطبه خطاب الحاضر ماثل بين يدى رحمته يطلب منه مباشرة ويتذلل إليه ويسند ما قلنا ما جاء فى صحيح الإمام مسلم من حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريره رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : { يقول الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل ، إذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله حمدني عبدي ، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله : مجدني عبدي ، وإذا قال : مالك يوم الدين ، يقول المولى : ملكني عبدي ، وإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ... }[٤].

---

(١) انظر الاتقان نفس الصفحه السابقه وكذا البرهان ج٢ ص (٣٢٧) وانظر ايضاً من اسرار البلاغة فى القران ص (٢٠) د/ محمود السيد شيخون .

(٢) تفسير ابن كثير ح١ ص (٣٦) . (٣) ظلال القرآن ح١ ص (١٩) .

(٤) صحيح الامام مسلم كتاب الصلاة حديث رقم (٣٨) وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعه

* هو الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء الفقيه الشافعي ولد سنة سبعمائة وتوفي سنة سبعمائة واربع وسبعون للهجره وقد كف بصره في آخر عمره وقد كان على مبلغ عظيم من العلم في التفسير والحديث والتاريخ خلف ثروة علمية كبيرة في هذه العلوم. انظر تفسير المفسرون تاليف الدكتور محمد حسين الذهبي ح ٢٤٢/١

ومن الملاحظ أنه لم يعط العبد حرية السؤال إلا عند الخطاب المباشر في قوله : { إياك نعبد وإياك نستعين } الذي جعله سبحانه بينه وبين عبده دون وسائط وكأن الخطاب المباشر أكثر عمقاً في التذلل وإظهار الخضوع والمحبة من جهة العبد ، وأكثر رفعة وعظمة ورحمة من جهة الرب المعبود - سبحانه وتعالى - وهو اتصال روحي بقدرة الله ويجيب عليه بأعظم ما يتمنى العبد : وهو تحقيق سؤله .

فهل يتصور أحد أن هذا المقام الرفيع في المعاني كان متحققاً بغير تغير أسلوب الآية إلى الخطاب المباشر ومخالفة النمط السابق عليه ؟ إذا صح لنا هذا فللالتفات مواضع شريفة عظيمة الشأن يظهر فيها الإعجاز القرآني بكمال روعته وعظيم فوائده وهو أجل بكثير مما قاله الزمخشرى وغيره : (إنما يستعمل للتفنن فى الكلام . والانتقال من أسلوب إلى أسلوب تطرية لنشاط السا مع وإيقاظاً للإصغاء إليه)[1] فهو كما يبدو أبعد من هذا بكثير إنه حاجة ملحة تقتضيها ضروره إظهار المعنى بدرجة من الوضوح والاستجلاء والعمق والدقة لو عدل عنه إلى مسايرة الأسلوب السابق عليه ، لفات المعنى الشيء الكثير وكأن الالتفات هو الأصل في إظهار المعنى وإن كان شكله مخالفاً للأصل .

وقد قال ابن الأثير كلاماً قريباً من هذا في كتابه (المثل السائر) : (إن تلك الفائدة التي اقتضت الالتفات أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب غير أنها لا تحد بحد ولا تضبط بضابط لكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها [2].

---

(١) انظر الكشاف ح١ ص (١٠)

(٢) انظر المثل السائر ح٢ ص (١٦٩) .

** سورة البقرة **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) أما الموضع الثاني من الالتفات من الغيبة إلى الخطاب فقد جاء في سورة البقرة في قوله تعالى :

{ يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون }[١] بأسلوب النداء المباشر في قوله تعالى : **{ يأيها الناس }** وذلك بعد العديد من الآيات السابقة عليها التى جاءت كلها بضمير الغائب من مثل قوله تعالى : **{ ومن الناس من يقول آمنا بالله }** وكذا ما بعدها من آيات .

والسر العظيم في هذا التحول وذلك والله أعلم - ليكون النداء عاماً للناس أجمعين في كل زمان ومكان حتى قيام الساعة خصوصاً أن هذا النداء متعلق بأمر العبادة ثم لننظر كيف إختار المولى عز وجل أعظم منة منه سبحانه على الناس وهى خلقهم فقد (خص الله سبحانه وتعالى خلقه لهم من سائر صفاته إذ كانت العرب مقرة بأن الله خالقها ، فذكر ذلك حجة عليهم وتقريعاً لهم وليذكرهم بذلك نعمته عليهم)[٢] ويكفى بها منة توجب عليكم عبادته أنتم أيها المخاطبون وكل من كان قبلكم وكل من سيأتي بعدكم على مر العصور والنداء ساري المفعول لأنه يتضمن حقائق ثابته لا يمكن لأحد تبديلها ، لذلك فالالتفات من أسلوب الغيبة إلى الاسم الظاهر في قوله تعالى: **{يايها الناس}** أتى به ليفي حاجة ملحة اقتضاها إيضاح المعنى الدقيق الذي حمله إلينا هذا الالتفات وهو عموم حكم النداءلسائر الناس في كل زمان ومكان.

---

(١) سورة البقرة الآية (٢١) .

(٢) انظر جامع الاحكام للقرطبى ج١ ص (٢٢٦) وكذا فتح القدير للشوكانى ج ١ ص (٥٠) وكذا المحرر الوجيز لابن عطية ج١ ص(١٠٥) .

وقد ذكره الزمخشرى فى الكشاف بقوله :(وهو من الالتفات المذكور عند قوله - إياك نعبد وإياك نستعين ... وهو فن من الكلام جزلٌ فيه هز وتحريك من السامع ، كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكياً عن ثالث لكما ؛ إن فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت يافلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة في مجاري أمورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك ، نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه ، واستدعيت إصغائه إلى إرشادك زيادة استدعاءٍ ، وأوجدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازاً من طبعه ما لا يجده إذا استمررت على لفظ الغيبة . وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الأنفس للقبول)[١] .

(٢) وانظر قول الله تعالى : { **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون** }[٢] . وذلك بعد قوله تعالى : { **الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل و يفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون** }[٣]بصيغة الغيبه إلى الخطاب في قوله تعالى : {**كيف تكفرون** } وفيه قال العلامه أبو السعود* : (التفات إلى خطاب المذكورين مبني على إيراد ما عدد من قبائحهم السابقة لتزايد السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتقريع)[٤] .

---

(١) انظر الكشاف ج١ ص (٢٢٤) .

(٢) سورة البقرة الآية (٢٨) .

(٣) سورة البقرة الآية (٢٧) .

(٤) انظرارشاد العقل السليم ج١ ص (٩٤)

* هو محمد بن محمد بن مصطفى ، العمادي ، الحنفي ، المولود سنة (٨٩٣ هـ) ثلاث وتسعين وثمانمائه للهجرة بقرية قريبة من القسطنطينية ، من بيت عُرف أهله بالعلم والفضل تولّى التدريس فى كثير من المدارس التركية ، ثم قُلد القضاء ، ثم ولاية العسكر وأمر الفتوى . أخرج للناس كتابه : (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، كما أنه كتب بعض الحواشي على تفسير الكشاف . توفي سنه (٩٨٢ هـ) اثنتين وثمانين وتسعمائة للهجرة / انظر التفسير والمفسرون - تأليف الدكتور محمد حسين الذهبي ج١ ص (٢٤٥) .

فهو يعلل الالتفات بعلة المشافهة بالتوبيخ والتقريع على الإنكار وهذا الأمر إذا وجه للمخاطب مباشرة كان أوقع فى النفس من توجهه إلى الغائب وأردع له بجواز أن لا يصله[١] ، وهكذا يأتي الالتفات ليس فقط ليشد إذن السامع ويطربها ولكن ليقضي حاجة معنوية لا غنى للمقام عنها وهى كما أسلفنا مواجهة هؤلاء الجاحدين بالاستنكار الشديد لحال كفرهم الذي لا مبرر له فقد مهدت هذه المواجهة للسياق أن يضع أمام أعينهم حقائق لا يستطيعون إنكارها وهى إيجادهم من العدم ثم موتهم ثم إحياؤهم مرة أخرى . وقد قال سيد قطب : (والكفر بالله فى مواجهة هذه الدلائل والالآء كفر قبيح بشع مجرد من كل حجة أو سند ، والقرآن يواجه البشر بما لا بد لهم من مواجهته والاعتراف به والتسليم بمقتضياته ، يواجههم بموكب حياتهم وأطوار وجودهم لقد كانوا أمواتاً فأحياهم . كانوا في حالة موت فنقلهم منها إلى حالة حياة ولا مفر من مواجهة هذه الحقيقة التي لا تسير لها إلا بالقدرة الخالقة إنهم أحياء فيهم حياة فمن الذي أنشأ لهم هذه الحياة)[٢].

وكل هذه المعاني الدقيقة لا تتأتي إلا بتلك المواجهة التى احدثها تغير الأسلوب من الغيبة إلى الخطاب بالالتفات .

---

(١) انظر روح المعانى بتصرف ح١ ص (٢١٢) ..

وانظر تفسير الآية فى الكشاف ح١ ص (٢٦٩) .

(٢) فى ظلال القرآن لسيد قطب ح١ ص (٦٠) .

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ **وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون** }[١] .

هذه الآية المباركة من عجائب أسلوب القرآن الكريم لقد إجتمع فيها التفاتان عدة ولكل موضع منها حكمة ربانية جليلة القدر عميقة المعنى والذي يعنينا هنا الالتفات في قوله سبحانه وتعالى:{ **ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون** } هذا الخطاب المباشر لبني

إسرائيل وكأنهم ماثلون في الوقت الذي نزل فيه القرآن بعد أن كانوا غيباً في أول الآية عند قوله تعالى : { **وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل** } فيه استحضار لصورة التأنيب المباشر واستمراره مدى الزمان مما يتناسب مع فداحة جرمهم وإصرارهم عليه خلفا بعد سلف ، وفيه أيضاً تأكيد على أهمية توثيق عقيدة التوحيد وعدم الإشراك بالله نداً لأولئك اليهود الذين عاصروا النبى صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن ولكل أحد من عباد الله . قال الزمخشري فيه (ثم توليتم) (على طريقة الالتفات: أي توليتم على الميثاق ورفضتموه)[٢].

---

(١) سورة البقرة آية (٨٣) . (٢)انظر الكشاف ج١/ ٢٩٢

الالتفات الثانى فى قوله تعالى (إلا الله) لفظ الجلاله الذى يمثل ضمير الغائب وذلك بعد قوله تعالى : (اخذنا) بصيغة المتكلم دُرس فى فصله ص (٢٠٧) وكذا هناك التفات من الفعل الماضى إلى المضارع من (أخذنا) إلى (الا تعبدون) وايضاً من الامر فى كثير من المواضيع منها : وقولوا ، واقيموا ، وأتوا إلى الماضى فى : (ثم توليتم وهذا النوع من الالتفات خرج عن رأى الجمهور) .

وكما قال الألوسي* : فهذا التفات إلى خطاب بني إسرائيل جميعاً بتغليب أخلاقهم على أسلافهم بجريان ذكرهم كلهم حينئذ على نهج الغيبة[1] فإن الخطابات السابقة للأسلاف محكية بالقول المقدر قبل (لا تعبدون) كأنهم استحضروا عند ذكر جناياتهم فنعيت عليهم - وإن جعل خطاباً لليهودالمعاصرين-فهذاتعميم للخطاب يتنزل الأسلاف منزلة الأخلاف[2]

وقال الشوكاني**: (قيل الخطاب للحاضرين منهم فى عصر النبي صلى الله عليه ووسلم لأنهم مثل سلفهم في ذلك وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب)[3] .

(٤) وقال الله تعالى :{**وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وماجعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وماكان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤف رحيم** }[4]

الالتفات في قوله تعالى:{كنت }بخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى : {ويكون **الرسول**}

---

(١) انظر تفسير أبي السعود ج١/١٤٨ م

(٢) انظر روح المعانى ج١ ص (٣١٠) .

(٣) انظر فتح القدير ج١ /١٨٠ ، وكذا الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج٢ /١٧

(٤) سورة البقره : ١٤٣

* هو أبو الثناء شهاب الدين ، السيد محمود افندي ، الألوسي ، البغدادي . ولُد فى سنة (١٢١٧ هـ) سبع عشره ومائتين بعد الألف من الهجرة ، فى جانب الكرخ من بغداد . خلَّف ثروة علمية كبيرة نافعة ، من ذلك تفسيره لكتاب الله فى كتاب : (روح المعاني فى تفسير الكتاب العظيم والسبع المثاني) ، وحاشيته على القَصر . كتب منها إلى موضع الحال وأتمها إبنه النعمان . وله مؤلفات أخرى . توفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة (١٢٧٠هـ) سبعين ومائتين بعد الألف للهجرة / انظر التفسير والمفسرون - تأليف الدكتور محمد حسين الذهبي ، ج١ ص (٣٥٢-٣٥٤)

** هو العلامه محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني ، ولد فى سنة (١١٧٣هـ) ثلاث وسبعين ومائه بعد الألف من الهجرة النبوية ، فى بلده هجرة شوكان . ونشأ بصنعاء، وتربى فى حجر أبيه على العفاف والطهاره ، وأخذ فى طلب العلم والسماع من العلماء الأعلام حتى صار إماماً يعوّل عليه ومفسراً للقرآن لا يبارى ، ومحدثاً لا يشق له غبار . وقد خلّف رحمه الله كتباً فى العلم نافعة وكثيرة ، أهمها : كتاب فتح القدير توفي الشوكاني سنة (١٢٥٠هـ) خمسين ومئتين بعد الألف ./ انظر التفسير والمفسرون د/ محمد حسين الذهبي ج٢ ص (٢٨٥-٢٨٦) .

وكان حق السياق استمرار هذه الغيبة لتأتي - التي كان عليها الرسول ولكنـــه سبحانه آثرصيغة الخطاب بين هذين الموضعين من الغيبة بتجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم رمزاً الى أن مضمون الكلام من الأسرار الحقيقة بأن يخص معرفته به عليه السلام[1] وما عليهم إلا إتباعك دون ما ادنى إعتراض. ولهاذا ناسب ظهور الخطاب بعد الغيبة السابقة.

(٥) وقال الله تعالى :{ **وأتموا الحج والعمرة لله فإن احصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففديه من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب** }[2] .

موضع الالتفات في هذه الآية المباركة في قوله تعالى:{ **إذا رجعتم** }[3] بضمير الخطاب وذلك بعد قوله عز من قائل { **تمتع** } بضمير المفرد الغائب العائد على (من) ، ونكتته البلاغية تكمن في أن الرجوع شيء محبب إلى الجميع وأمر تتوق إليه نفس كل غريب عن وطنه وتحب سماعه وتطرب له ولذا واجههم القرآن به وأسنده إليهم جميعاً صراحة ليشعر الحاج بأنه ما زال هناك قبس من ضياء الحج عائد معه إلى موطنه فيتمسك به حتى بعد عودته إلى بلده فلا يلهينكم الوطن والأهل عن إستكمال حجكم وقد ختمت الآية بقوله تعالى:{ **واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب**} عوداً على ذي بدء إلى ضمير المخاطب مرة ثانية تأكيداً منه سبحانه على تكليفهم بهذا الأمر ووجوب

---

(١) انظر إرشاد العقل السليم ح ٢٠٦/١ وكذا روح المعاني ٥/٢ الآيه بها لونان من الالتفات انظر صفحة ١٤٨ وكذا صفحة (٢١١) ، (٢) سورة البقرة الآية (١٩٦) .

(٣) انظر تفسير أبى السعود ح١ ص (٣٤٣) وكذا انظر روح المعانى المجلد الأول ح٢ ص (٨٣) . وكذا البحر المحيط ح٢ ص (٧٩) وانظر تفسير الآية فى تفسير ابن عطية ح١ ص (٢٧٠) .

القيام به ليتقوا غضبه سبحانه فجاء الخطاب مرة أخرى بعد ضمير المفرد للغائب فى قوله تعالى : { **ذلك لمن لم يكن** } ؛ ثم عطرت الآية المباركة بذكر لفظ الجلالة (الله) وهذا التفات آخر من المتكلم إلى الغائب سيرد الكلام عنه فى فصله إن شاءالله.

(٦) ومنه قوله تعالى :

{**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم * أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب**}[١] .

موضع الالتفات في قوله تعالى: {**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة**} بصيغة الخطاب المباشر وذلك بعد قوله تعالى : { **كان الناس** } بصيغة الغيبة وكان مقتضى السياق - أم حسبوا - باستمرار الغيبة نهجاً على سابقه ولكنه سبحانه عدل عن هذا إلى الخطاب المباشر لحكمة جليلة اقتضت هذا العدول البليغ قال فيها أحد المفسرين[٢] : (في الكلام التفات إلا أنه غير صريح من الغيبة إلى الخطاب لأن قوله سبحانه : { **كان الناس أمه واحدة** } كلام مشتمل على ذكر الأمم السابقة والقرون الخالية ، وعلى ذكر من بعث إليهم من الأنبياء ومالقوا منهم من الشدائد وإظهار المعجزات تشجيعاً للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر على أذى المشركين أوالمؤمنين خاصة فكانوا من هذا الوجه مرادين غائبين - ويؤيده قوله تعالى - { **فهدى الله الذين آمنوا** } فإذا قيل : بعد (أم حسبتم) كان نقلاً من الغيبة إلى الخطاب).

---

(١) سورة البقرة الآية (٢١٤) .

(٢) انظر الالوسى فى روح المعانى ج١ ص (١٠٣) .

وقال الزمخشرى:(ولما ذكر ماكانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم و المؤمنين على الثبات و الصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين و أهل الكتاب و إنكارهم لآياته و عداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هى أبلغ(أم حسبتم)[١]

أما نكتة هذا الالتفات فهى في مناسبة المواجهة بهذا الخطاب المباشر في هذا المقام الحاسم والحقيقة التي لا بد من الكشف عنها لتشحذ الهمم ويصبح الصبر والثبات الغاية القصوى للوصول إلى رضاء الله والفوز بالكرامه عنده والمواجهة أبلغ وسيلة لتحقيق هذه المقاصد جميعها .

(٧) ومنه قول الله تعالى :

{ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون }[٢]

موضع الالتفات في قوله تعالى : **{ وما تنفقوا من خير فلأنفسكم }** بصيغة الخطاب وذلك بعد ورود ذكرهم على سبيل الغيبة فيى قوله تعالى : **{ ليس عليك هداهم }** وكان حق النظم يقتضي - وما ينفقوا من خير فلأنفسهم - واستمرار صيغة الغيبة —

---

(١) انظر الكشاف ج١ ص (٣٣٥)

(٢) سورة البقرة الآية (٢٧٢) .

لم يذكره الزمخشرى مع انه التفات واضح حسب تفسيره حيث جعل ضمير الغائب يعود على المؤمنين . انظر الكشاف ج١ ص (٣٩٧) . أما ابن عطية فى تفسيره فقد جعل ضمير الغائب يعود على من ليس على دين الاسلام وإذا كان الامر كذلك فلا التفات لاختلاف صاحب الضميرين والله أعلم انظر تفسير المحرر الوجيز لابن عطية ج١ ص (٣٦٧) وما بعدها

إلى أخر الآية تمشياً مع سابقه غيرأن القرآن الكريم التفت إلى مواجهتهم بخطاب يحقق أغراضاً بلاغية لا تتأتى بدونه أيسرها (الإبداع في تلوين الخطاب ومجاذبة النفس مرة وموادعتها مرة)(١) ومنها حرارة هذه المواجهة التي من شأنها هز النفس البشرية وإخضاعها ولكن بالإقناع فقد بسط سبحانه وتعالى القول في مناقشتهم حول مردود هذا الإنفاق وجزائه العاجل والآجل وما ينبغي أن تكون عليه نية الإنفاق وإن كانت خالصة لله فقدأعطوا الضمان عليها بقوله تعالى : { **وأنتم لا تظلمون** } وليت شعري إنه لضمان كاف بأن يبذل في سبيله كل غال ونفيس .

---

(١) انظر اعجاز القرآن للرافعى ص (٢٢١) فى معرض حديثه عن كلمات القرآن وحروفه

** سورة آل عمران **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومما جاء من الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في سورة آل عمران قول الله تعالى :

{ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلي الله المصير }[1] .

موضع الالتفات في الآية في قوله تعالى : **{ إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم }** بأسلوب الخطاب بعد قوله تعالى : **{ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء }** بأسلوب الغيبة .

بدأ الله سبحانه النهى الذي يحمل معنى التحذير من موالاة الكافرين لما في ذلك من خطر شديد على الدين الإسلامى فموالاتهم وهم أعداء الله ورسوله فرصة كبيرة لهم في بث سمومهم في أذهان المؤمنين وكذا لما فيه من ضياع لهوية الإنسان المؤمن و شخصيته

---

(١) سورة آل عمران الآية (٢٨) .

انظر تفسير الآية فى تفسير ابن عطية ج١ ص (٤١٩) وما بعدها. وجاء في تفسير أبي السعود :(إلا أن تتقوا) على صسغة الخطاب بطريق الالتفات ج٣٤٦/١ .

وجاء فى روح المعانى : (الا ان تتقوا) أى على صيغة الخطاب بطريق الغيبة استثناء مفرع من اعم الاحوال والعامل فيه النهى معتبراً فيه الخطاب أى لا تتخذوهم أولياء فى حال من الاحوال إلا حال تقاتلكم / انظر روح المعانى ج١ : ٣ ص (١٢٢) .

وهذا بلا شك يغضب الله سبحانه وتعالى ولذا أتى هذا النهى بأسلوب الغيبة إشارة صريحة بأن هذا الصنيع من المعاصى التي تبعد فاعلها عن أسباب رحمته . أما عند الترخيص بملاينة الكافرين في بعض الأمور لاتقاء شرهم ودفع أذاهم إذا كان محدقاً أتت هذه الرخصة بإسلوب الخطاب المباشر دليلاً قوياً على أن هذا غير ذاك فالحق سبحانه وتعالى شملهم بعطفه لأنهم لا يملكون حولاً ولا قوة للدفاع عن أنفسهم ولا سبيل إلى النجاة من براثن الأعداء إلا بهذه الملاينة فلا بأس فى إظهار قدر منها حسب الحاجة لكف أذاهم دون اعتقاد قلبي فالموالاة من إعمال القلوب أما التقية فهى من الجوارح والقلب خالص لله وللرسول وللمؤمنين أما الظاهر فقد يتجاوز الحق عنه بقدر الحاجة إلى ذلك وقد قال السمين :(و أبدوا بالالتفات هنا معناً حسناً : وذلك أن موالات الكفار لمّا كانت مستقبحة لم يواجه الله عباده بخطاب النهي، بل جاء به في كلام أسند الفعل المنهي عنه لغُيَّب ، ولما كانت المجاملة في الظاهر و المحاسنة جائزة لعذر وهو إتقاء شرهم حسن الإقبال إليهم و خاطبهم برفع الحرج عنهم في ذلك)[١].

(٢) وقال تعالى :

{ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ءامنا بالله واشهد بأنا مسلمون * ربنا ءامنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين }[٢] .

الالتفات في قوله تعالى : (ربنا) بصيغة الخطاب المباشر لله سبحانه وتعالى وذلك بعد أن جاء ذكره سبحانه على لسان الحواريين

---

(١) انظر الدر المصون ج٢/٦٠

(٢) سورة آل عمران الآيتين (٥٢-٥٣) .

بصيغة الغيبة في قوله تعالى : { **نحن انصار الله** } في لفظ الجلالة ونكتته البلاغية تكمن في حاجتهم الماسة لعرض حالهم على الله سبحانه وتعالى مباشرة بطريق الدعاء وذلك بعد أن عرضوها على نبيهم بقولهم { **نحن انصار الله ءامنا بالله واشهد بانا مسلمون** } عندها إهتزت مشاعرهم فتوجهوا إلى خالقهم مباشرة استحضاراً لسحائب إجابة دعائهم[١] فهو قريب يناجى ولذلك خاطبوه مباشرة بهذا الخطاب الذي تفيض فيه مشاعرهم بإسلامهم واستسلامهم التام لمولاهم ولهذا تتابعت الخطابات فيما أقروه على أنفسهم وتفتحت لهم أبواب رحمته التى شجعتهم على طلبهم العظيم فى قولهم : (فأكتبنا مع الشاهدين . وقيل نكتة هذا الالتفات هى المبالغة في إظهار أمرهم)[٢] .

(٣) ومنه فى نفس السورة المباركة - آل عمران - قول الله تعالى :

{ **إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون** }[٣]

الالتفات فى هذه الآية المباركة من ضمير الغائب فى قوله تعالى : { **من الذين كفروا** } ثم تحولت الآية إلى مخاطبتهم جميعاً بقوله تعالى : { **ثم إليّ مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون** } .

---

(١) انظر روح المعانى ح١: ٣ / ١٧٧ . وكذا البحر المحيط ح٢ / ٤٧٢ .

(٢) انظر تفسير الكشاف ح١ / ٤٣٢ .

(٣) الآية (٥٥) من سورة آل عمران .

قال فيه بعض المفسرين وفيه التفات للدلالة على شدة إرادة إيصال الثواب والعقاب لدلالة الخطاب على الإعتناء[١] فإنه أبلغ في التبشير والانذار[٢]

نقول بالله التوفيق أن الآية المباركة بدأت بخطاب عيسى عليه السلام بأمر خاص به حيث وفاته ورفعه إلى السماء وتطهيره من الذين كفروا فأتى ذكر الذين كفروا في معرض حديثه سبحانه وتعالى مع عيسى عليه السلام ولذلك كان الأولى والأحق أن يكونوا غيباً إذ لا دخل لهم ولا شأن بهذا الحديث الخاص . وكذا ما كان من ذكر تأيده لعيسى برفعه إلى السماء فقد أتى ذكرهم في معرض هذه المناجاة فقط ثم تأتي مرحلة حازمة وحديث يخص الجميع لأنه يحمل الأخبار بأمر الرجوع إلى الله وهل يستطيع أحد المفر من هذا المصير وإلى أين فناسب هنا الخطاب المباشر لهم كافة بما فيهم عيسى عليه السلام ولهذا تغير الأسلوب من صيغة الغيبة إلى الخطاب فى قوله تعالى ، قال فيه الطبرى : (فأحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون ولكن رد الكلام إلى الخطاب لسوق القول على سبيل ما ذكرنا من الكلام الذى يخرج على وجة الحكاية كما قال { حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة }[٣] { **ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون** } خاطبهم الله سبحانه مباشرة لكي لا تكون لهم حجة بعد الرسل . وهكذا لا يأتي الالتفات في القرآن الكريم إلا ليزيد المعنى عمقاً ووضوحاً وجمالاً[٤] .

---

(١) انظر روح المعانى ح١ : ، ٣ / ١٨٤ .

(٢) انظرارشاد العقل السليم ح ١/٣٧٠، وكذا الدر المصون ح١١٦/٢ . (٣) يونس الآية (٢٢) .

(٤) انظر جامع البيان ح٣ / ٢٠٦ وكذا تفسير النهر الماد من البحر لأبى حيان على هامش البحر المحيط ح٢ ص (٤٧٤) وكذا البحر المحيط ح٢ ص (٤٧٥) . وانظر تفسير النسفى ح١ ص (١٦٠) .

(٤) ومنه قوله تعالى : { **ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون * ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون** }[١] .

موضع الالتفات في قوله تعالى:{ **ياأهل الكتاب** } بصيغة الخطاب بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى : { **ودت طائفة من أهل الكتاب** }. فهو التفات من الغيبة إلى الخطاب ومسوغه حاجة المقام إلى أسلوب النداءالذي استحضر به أهل الكتاب ليواجهوا بكفرهم وجعلهم شهداء على أنفسهم بذنوبهم العظيمة التي ارتكبوها حقداً على المصطفى صلى الله عليه وسلم وحسداً له ؛ فهم يعلمون ولا ريب أنه الحق من ربهم ولكنهم عموا وصموا وجحدوا الحق الذي بين أيديهم ومسطر في كتبهم مع اعترافهم به لأنفسهم والله مطّلع على دخائلهم فاستحضرهم في هذا المقام ليفضح ما يسترون بخطاب مباشر استمر عدة آيات متتاليات لم يستطيعوا حياله إلا أن يولوامندحرين .

(٥) ومنه قوله تعالى:{ **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم** }[٢] .

موضع الالتفات في هذه الآية المباركة في قوله تعالى: { **على ما أنتم عليه** } بصيغة الخطاب المباشر مع المؤمنين بعد ذكرهم بأسلوب الغيبة في قوله تعالى : { **ليذر المؤمنين** } .

---

(١) الآيتين (٦٩ : ٧٠) من سورة آل عمران . انظر الكشاف ح١ ص (٤٣٦) .
وكذا تفسير الطبرى ح٣ ص (٢١٢) .
وكذا روح المعانى للالوسى ح١ ص (١٩٩) ،
وقال صاحب التحرير و التنوير :(الالتفات إلى خطاب اليهود ح٢٧٩/٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية (١٧٩) .

وسره كما قال العلماء والمفسرون . يكمن فى غاية عموم الخطاب[1] لكافة خلق الله على اختلاف عقائدهم ولهذا العموم جاءت (ما) الموصولة فقوله تعالى:{ **على ما أنتم عليه** } من إيمان بالله واخلاص له أو نفاق أو كفر . وإن أعيت الخلائق صعوبة التمييز فهى ليست كذلك مع الخالق . وقد أخرج هذا الخطاب الآية من دائرة الاختصاص لمعاصرى نزول القران الكريم إلى كافة البشر على مر العصور والأزمان وهذا من عظيم نظم القرآن فهو حي باقٍ على الدوام

(٦) ومنه قول الله تعالى : { **ولا يحسبن الذين يبخلون بما ءاتهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير** }[2] .

الالتفات في الآية في قوله تعالى:{ **بما تعملون** } بصيغة الخطاب المباشر وذلك بعد أسلوب الغيبة في أول الآية عند قوله تعالى:{ **لا يحسبن الذين..** }والسر فيه كما قال المفسرون[3] إن الخطاب أبلغ في الوعيد من صيغة الغيبة فهوأقرع لأذن السامع وأنفذ إلى لبه، وفيه من استحضار الصورة ما يفوق الغيبة بكثير ولهذا حول المولى الحكيم الأسلوب من الغيبة التى كانت عليها صيغة الحكاية إلى هذه المواجهة القوية في إخبارهم بشمول علمه سبحانه بما يعملون و قد فرض عليهم - سبحانه - الزكاة التي هى (مصلحة للجماعة

---

(١) انظر تفسير البحر المحيط ج٣ ص (١٢٥) . وكذا انوار التنزيل للبيضاوى ج١ ص (٩٧) الآية فى تفسير السعدى ج١ ص (٢٩٦) وكذا روح المعانى ج٢ ص (١٣٦) و النسفي ج١ ص (١٩٧).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٨٠) .

(٣) انظر الكشاف ج٤٨٤/١ ، وكذا البيضاوي ٩٨ ، وكذا تفسير النسفي ج١ ص (١٩٧) ، وكذا السعدى ج١ ص (٩٧) ، وكذا تفسير أبي السعود ج٤٥٦/١. وكذا روح المعانى ج٢ ص (١٤٠) وكذا البحر المحيط ج٣ ص (١٢٩) .

لأنها تقيم دعائم التعاون بين المجدودين والمحرومين ، وتعالج مشكلة الفقر والحاجة علاجاً يقوم على التعاطف والولاء بين من يعول ومن يعال)[1] فإذا بخلوا بها منى المجتمع بما لا يحصى عداً منالمشكلات التي

قد تهوى به إلى الحضيض - والعياذ بالله - ولهذا تجدلهجة الآية المباركة تميل إلى الشدة التي تتناسب مع الموضوع فالغيبة في البداية حتى تدل على بعد الباخلين عن رضى الله ثم الخطاب وما فيه من قوة المواجهة بالتهديد والوعيد . وقد أضفت كلمة (خبير) معنى أبعد في تأكيد ذلك والتنبيه عليه .

(٧) وقال عز من قائل :

{ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب }[2] .

في هذ الآية المباركة نوعان من الالتفات الأول من الغيبة إلى التكلم وسيرد ذكره* بإذن الله تعالى.أما الثاني فهو ما يعنينا هنا وهو في قوله تعالى : (فاستجاب لهم ربهم) بصيغة الغيبة إلى ذلك الخطاب المباشر في قوله تعالى : {**عمل عامل منكم** } (والنكته فيه إظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة ولتشريف الداعين بشرف الخطاب و التعرض لبيان السبب لتأكيد الاستجابة و الإشعار بأن

---

(١) انظر الفلسفة القرآنية / عباس محمد العقاد ص (١٤٨)

(٢) الآية (١٩٥) من سورة آل عمران .

* انظر / ٣٣٧

مدارها أعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء)[١]. وقد عمم الحق - سبحانه - الخطاب في (منكم) وجعله بدرجة واحدة للجنسين ثم فصله بقوله تعالى: { **من ذكر أو أنثى** } وهى جملة معترضه كما قال الزمخشري : (بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين)[٢] وكذا في شرف الخطاب المباشر وما وراءه من تعظيم حال الجنسين عند الله سبحانه وتعالى بميزان أعمالهم ورضائه عنهم لا غير .

---

(١) انظر ارشاد العقل السليم لابي السعود ح ٤٧١/١ وكذا روح المعاني للالوسي ح ١٦٨/٢ و كذا انظر تفسير الآيات في البحر المحيط ح ١٤٣/٣ ومابعدها ، وكذا النسفي ح ٢٠٢/١ و مابعدها و في قاتلو وقتلوا قراءتان إحداهما بتقديم الفاعل و الآخر يتقدم المفعول وعلي تقديم المفعول زيادة مدح للمؤمنين الذين رأوا بعضهم يقتل أمامهم ولكنهم ثبتوا على الحق و لم يهنوا و لم يضعفوا ، انظر الكشف لأبي محد مكي القيس ح ٣٧٣/١ تحقيق محي الدين رمضان .

(٢) انظر الكشاف ح١ ص (٤٩٠) .

وكذا البحر المحيط ح٣ ص (١٤٣) وما بعدها .

وكذا تفسير النسفى ح١ / ٢٠٣ وما بعدها .

سورة النساء

بسم الله الرحن الرحيم

(١) ومما جاء في سورة النساء من هذا اللون من الالتفات قوله تعالى : { **وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءُوك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً × فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** }[١] .

وذلك بعد قوله تعالى : { **واستغفر لهم الرسول** }[٢] في الآية السابقه عليها فالالتفات من الغيبة في قوله تعالى { **واستغفر لهم الرسول** } إلى الخطاب في قوله تعالى : { **فلا وربك** }.والسرفيه في مناسبه لفظة(رب) واضافتها لضميره صلى الله عليه وسلم زيادة تأكيد على حاجتهم جميعاً لتحكيمه صلوات الله وسلامه عليه في كافة أمورهم فأنت المربي لهذا الغرض من لدن البارىء المصور ولا أحد يبلغ منزلتك هذه مهما كان ولهذا فمن عدل عنك إلى سواك في الحكم فقد عدل عن الكمال إلى النقص وهذا ما يوجب إخراجه من الإيمان ففعله هذادليل عليه فى عدم ثقته بك وبمن رباك لهذه المهام العظام وهذاالحكم لايقتصرعلى معاصري النبي عليه أفضل الصلاةوأتم التسليم بل يدخل فيه كافة الخلق في كل زمان ومكان فإن قضاء شريعته عليه الصلاة والسلام قضاؤه . فقد روي عن الصادق× رضي الله عنه أنه قال لو أن قوماً عبدوا الله تعالى وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاموا رمضان وحجوا البيت ثم قالوا لشيء صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا صنع خلاف ما صنع أو وجدوا فى أنفسهم حرجاً لكانوا مشركين ثم تلا هذه الآية[٣].

(١) سورة النساء الآية (٦٤ - ٦٥)

(٢) جزء من الآية ٦٤

× هو جعفر بن محمد بن على الشهيد أبى عبد الله ، ريحانة النبى صلى الله عليه وسلم وسبطه ومحبوبه الحسين بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، الإمام الصادق ، شيخ بني هاشم أبو عبد الله القرشي ، الهاشمي ، العلوي . وأمه هى أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر النيمى ، وأمها هى أسماء . ولهذا كان يقول : ولدني أبو بكر الصديق مرتين مات فى سنة ثمان واربعين ومئة / انظر تهذيب سير الأعلام /١ ص (٢٣١) .

(٣) انظر روح المعانى للالوسى المجلد الثانى ج٥ ص (٧٠) وما بعدها بتصرف

وقال صاحب×البحر المحيط : (وأقسم بإضافة الرب إلى كاف الخطاب تعظيماً للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو التفات راجع إلى قوله : (جاؤوك)[١] .

(٢) ومنه في سورة النساء العظيمة قول الله تعالى :

{ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً }[٢] وهذا بعد قوله تعالى : **{ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً }**[٣] .

الالتفات من الغيبة: وهو طريق الموصول الواقع فاعلاً لفعل الأمر (فليقاتل) في قوله تعالى (**الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة**) إلى الخطاب في قوله تعالى : { **ومالكم لا تقاتلون** } ونكتته كما قال أحد المفسرين (خطاب للمأمورين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة في التحريض والحث عليه وهو المقصود من الاستفهام)[٤] وقد جاء الاستفهام بغرض الاستنكار الشديد على القاعدين عن نصرة المستضعفين والاستنكار يحتاج إلى مواجهة ليكون أدعى للشذب والتنديد ولهذا تغير الأسلوب من الغيبة السابقة إلى الخطاب فى أول الآية .

× هو أثير الدين ، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الأندلسي الغرناطي ، المولود سنة (٦٥٤هـ) أربع وخمسين وستمائه من الهجرة . جمع علوماً كثيره فى القرآءات واللغة كما كان له اليد الطولىّ في التفسير والحديث وتراجم الرجال . وأما مؤلفاته فكثيره من أهمها : تفسير البحر المحيط . توفى بمصر سنة (٧٤٥هـ) خمس وأربعين وسبعمائه من الهجرة ./ انظر التفسير والمفسرون ج١ (٣١٧-٣١٨) .

(١) انظر البحر المحيط ج٣ / ٢٨٤ . ويقصد بقوله (جاؤوك) اشارة إلى الآية السابقه (٦٤) من سورة النساء .

(٢) سورة النساء الآية (٧٥) .

(٣) نفس السورة الآية (٧٤) .

(٤) انظر تفسير أبو السعود ج٥٤٩/١ . وانظر الالوسى فى روح المعانى ج٢ :٥ ص (٨١) وكذا تفسير السعدى ج١ ص (٣٧٠) . وكذا البحر المحيط ج٣ ص (٢٩٥) وما بعدها .

وقد علل أحد المفسرين ذكر أهل القرية دون القرية قائلاً : (و في هذه نكتة بلاغية حسنة : وهي أن كل قرية ذكرت في الكتاب العزيز فالظلم إليها ينسب بطريق المجاز كقوله - وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة إلى قوله تعالى - فكفرت بأنعم الله[١]- وقوله تعالى - وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها[٢] - وأما هذه القرية في سورة النساء فينسب الظلم إلى أهلها على الحقيقة لأن المراد بها مكة المكرمة ، فوقرت عن نسبة الظلم إليها تشريفاً لها شرفها الله تعالى)[٣].

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً }[٤].

موضع الالتفات الأول[٥] في هذه الآية الكريمة في قوله تعالى : { **فما أرسلناك** } بضمير الخطاب - الكاف - وذلك بعد ذكره صلى الله عليه وسلم بصيغة الغائب في قوله تعالى : { **ومن يطع الرسول** } فالالتفات كما ترى من الغائب إلى المخاطب .

وبالتأمل في هذه الآية المباركة نجد أن للالتفات فائدة عظيمة جداً يبرزها العلم بسبب نزولها ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد

---

(١) سورة النحل الآية (١٢٢) .

(٢) سورة القصص الآية (٥٨) .

(٣) انظر الانتصاف من شبه الكشاف للإمام ناصر الدين أحمد الاسكندرى المالكى (بهامش الكشاف) ج١ / ٥٤٢ المتوفي سنة ٦٨٣ هـ

(٤) سورة النساء الآية (٨٠) .

(٥) فى الآية التفات آخر من الغائب ايضاً فى لفظ الجلاله (الله) فى قوله تعالى : (فقد أطاع الله) إلى المتكلم فى قوله تعالى : (فما أرسلناك) بضمير (نا) المتكلم أو (نا) العظمة كما يسميها المفسرون وسيرد إن شاء الله فى فصله ص (٣٤٢) .

عنه أنه قال : { من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله ، فقال المنافقون ألا تسمعوا إلى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك ، وهو نهى أن يعبد غير الله تعالى ما يريد إلا أن نتخذه رباً كما اتخذت النصارى عيسى عليه السلام ؟ فنزلت }[١] أي من أعرض عن الطاعة فأعرض عنه لأننا إنما أرسلناك رسولاً مبلغاً لا حفيظاً مهيمناً تحفظ أعمالهم عليهم وتحاسبهم عليها فهذا عملنا نحن المرسلين وفي توجيه الخطاب له عليه أفضل الصلاة والتسليم تبكيت للمنافقين المدعين على الرسول صلى الله عليه وسلم تلك الدعاوي الباطلة .

(٤) ومنه ايضاً قول الله تعالى :

{ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً }[٢].

الالتفات في هذه الآية المباركة في قوله تعالى : { **ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً** } على سبيل الخطاب المباشر بعد أن كان السياق في أول الآية بصورة الغيبة في قوله تعالى : { **وإذا أصابهم أمر** } أي أن الالتفات من الغيبة إلى الخطاب[٣]. ولهذا الالتفات حكمة عظيمة ولطيفة دقيقة فالمتأمل في معنى الآية الكريمة يجد أنه لما كان المقام مقام تأنيب وتنديد بأحوال هؤلاء القوم المشيعين للأمور قبل التثبت منها وإيذاء الرسول والمسلمين جاء السياق على طريق الغيبة إيذاناً ببعد هؤلاء عن الصواب و عتاب الله سبحانه وتعالى لهم ؛

(١) انظر تفسير الآية فى تفسير أبى السعود ج١/ ٥٥٥ وكذا اخرجه احمد في مسنده ج ٢/٩٣. وكذا روح المعانى للالوسى ج٢ :٥ / ٩١ . وكذا البحر المحيط ج٣ /٣٠٤ .

(٢) سورة النساء الآية (٨٣) .

(٣) انظر تفسير الآية فى روح المعانى ج٢ : ٥ /٩٣ وما بعدها . وكذا انظر ارشاد العقل السليم ج١ / ٥٥٨ وكذا انظر تفسير أبى حيان الاندلسى ج٣ ص (٣٠٥) وقد جاء فيه ذكر هذا الالتفات فى نيل ص (٣٠٦) . يوجد فى الآية الكريمة إلتفات آخر من المخاطب إلى الغائب فى لفظ (الرسول) سيرد فى فصله ص (١٦٤).

ولما صار المقام مقام رحمة وتكريم وتودد جاء السياق على طريق الخطاب المباشر لبيان مقدار العناية الإلهية بالفئة الناجية منهم ولهذا ولمثله يأتي الالتفات مرتبطاً تماماً بالمعاني الوارده في السياق ولذا فهو من باب الإعجاز البلاغى للقرآن الكريم .

** سورة المائده **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومما جاء من الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في سورة المائدة قول الله تعالى :

{ ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين }[١] .

جاء في الآية المباركة نوعان[٢] من الالتفات الأول هو ما بدأت به الآية من نداء لأهل الكتاب بصورة الخطاب وذلك بعد قوله تعالى فيما سبق من آيات : { ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل } وكذا في قوله تعالى: { فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم } وكذا قوله تعالى : { ومن الذين قالوا إنّا نصارى} كل هذه الآيات السابقات كانت تحكي عن أهل الكتاب بصيغة الغيبة ثم يلتفت المولى العزيز المتعالى إليهم في هذه الآية ليخاطبهم بنداء مباشر لإيقاظ نفوسهم لعلها تصحو عندما توجه لهم هذه الصفعة القوية فيعود الغائب إلى رشده ويعترف بالحقائق كاملة ليحق الحق ويزهق الباطل . ثم لننظر ونتأمل كلمة (رسولنا) كم فيها من تشريف للحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم وتبكيت وإندحار لهؤلاء الضالين وقد زاد المعنى عمقاً (التعبير عنهم بعنوان أهلية الكتاب للتشنيع ، فإن أهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه من الأحكام)[٣] . ولكنهم جحدوا ذلك كله وهو الخطاب يواجههم بجرمهم و قبيح فعلهم ليكون حجة عليهم

---

(١) الآية (١٥) من سورة المائدة : والآيات ١٢ ؛ ١٣ ؛ ١٤ من نفس السورة .

(٢) فى الآية إلتفات آخر من المتكلم فى قوله تعالى : (رسولنا) إلى الغيبة فى قوله تعالى : (لقد جاءكم من الله نور) فى لفظ الجلاله : (الله) سيرد الكلام عليه فى فصله ص(٢٣٤) .

(٣) انظر روح المعانى للالوسى ج٢ : ٦ ص (٩٧) ، وكذا تفسير أبي السعود ج٢/٢٤.

ونصرة للرسول الكريم فقد كان من أهم ما جحده أهل الكتاب صفته صلى الله عليه وسلم[١]

وجاء فى تفسير ابن جرير الطبري[×] ان الذي كانوا يخفونه (فبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس رجم الزانيين المحصنين)[٢]

وقال آخر:(كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجيم في التوراة وبشارة عيسى بأحمد صلى الله عليه وسلم في الإنجيل[٣]

(٢) و منه قول الله تعالى:{**ياأ هل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ماجاءنا من رسول ولانذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير**}[٤] .

في الآية المباركة التفات من الغيبة الواردة في أسلوب الآية السابقة عند قوله تعالى: { **وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ....**}[٥] . إلى هذا النداء المباشر في قوله تعالى:{**ياأهل الكتاب**} وقد تكرر مثل هذا كثيراً وذلك لتأخذ الدعوة معهم مختلف الأساليب ، و النداء هنا يدل على التلطف واللين ليكون الأمل أكبر والرجاء أرحب في هدايتهم إلى الحق ، ولكنهم قوم ضالون قالوا:(مابعث الله من نبي بعد موسى ولا أنزل بعد التوراة كتاباً)[٦].

---

(١) انظر الكشاف ج١ ص (٦٠١) .

× هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري ، الإمام الجليل والمجتهد المطلق صاحب التصانيف المشهوره . من أهل طبرستان ، ولد بها سنة (٢٢٤هـ) أربع وعشرين ومائتين من الهجرة ، ومن أشهر مصنفاته : جامع البيان في تفسير القرآن / انظر التفسير والمفسرون . د / محمد حسين الذهبي ج١ ص (٢٠٥) .

(٢) انظر جامع الاحكام ج١٠٣/٦

(٣) انظر انوار التزيل للبيضاوي ص ١٤٤

(٤) سورة المائدة الآية (١٩)

(٥) سورة المائدة الآية (١٨)

(٦) انظرتفسير الطبري ج ١٠٧/٦ ، وكذا الكشاف ج ٦٠٢/١ ، وكذا روح المعاني ج ٤/ ١٠٣/٦
في الآية التفات آخر انظر ص (٢٣٥)

سورة الأنعام

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومما جاء في سورة الأنعام المباركة من هذا الضرب من الالتفات قول الله تعالى :

{ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون * هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون }[١] .

الالتفات في قوله تعالى : { **خلقكم من طين** } بصيغة الخطاب وذلك بعد أسلوب الغيبة في الآية الأولى في قوله تعالى : { **ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** } وكان مقتضى السياق - هو الذي خلقهم - بدل (خلقكم) ولكنه سبحانه عدل عن هذا إلى مواجهتهم بالخطاب لحكمة إقتضاها المقام وهى : أن المواجهة فيها زيادة تشنيع وتوبيخ[٢] لهم على عدولهم عن عبادة من يستحق العبادة

---

(١) سورة الانعام الآيتين (١ : ٢) .

(٢) انظر ارشاد العقل السليم ج٢ : ٢ / ٨٧ .

وانظر كذا تفسير المنار م٧ ص (٢٩٨) .

جاء فى روح المعانى : (ثم أنتم تمترون أى تشكون فى البعث كما أخرجه ابن أبى حاتم عن خالد بن معدان ، وعن الراغب : المرية التردد فى المتقابلين وطلب الإماره مأخوذ من مرى الضرع إذا مسحه للدر. ووجه المناسبة فى استعماله فى الشك . ان الشك سبب لاستخراج العلم الذى هو كاللبن الخالص من بين فرث ودم . قيل الامتراء الجحد ، وقيل الجدال وأياً ما كان فالمراد استبعاد إمترائهم فى وقوع البعث وتحققه فى نفسه مع مشاهدتهم فى أنفسهم عن الشواهد ما يقطع ماده ذلك بالكليه فإن من قدر على إفاضة الحياة وما يتفرع عليها على مادة غير مستعدة لشىء من ذلك كان أوضح اقتداراً على إفاضته على مادة قد أستعدت له وقارفته مدة / انظر روح المعانى ج٣ : ٧ ص (٨٨) .

وصرفها لغيره جل شأنه وتعالى عما يصفون علواً كبيراً وذلك لشك يغمرقلوبهم في مقدرته سبحانه على إعادة خلقهم بالبعث ليحاسبهم ويجازيهم على ما اقترفته أيديهم ولهذا عدل الأسلوب عن الغيبة التي بدأت بها الآية إلى الخطاب المباشر .

(٢) وقال تعالى في السورة نفسها :

{ الم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض مالم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين }[١]

الالتفات في الآية المباركة في قوله تعالى : { **مالم نمكن لكم** } بصيغة الخطاب وذلك بعد ذكرهم بصيغة الغيبة في قوله تعالى : { **الم يروا** } وما بعدها أي أن الالتفات من الغيبة إلى الخطاب . وفائدته البلاغية في مواجهتهم بضعف حالهم مزيد من التبكيت لهم[٢] وإشعارهم بالصغار والمذلة لتخف حدة كبريائهم الذي هم عليه كما أن هذه المواجهة تكون لكل واقف على الآية الكريمة فتشد انتباهه وتجعله يتأمل ويقارن حاله بحال تلك الأمم السابقة ويوقن عندها كل اليقين أن لا ملجأ من الله إلا إليه فهو العظيم المتعال وهذا خير رادع للناس عن الغواية والكبرياء إلى الاستقامه على صراط العزيز الوهاب .

---

(١) سورة الانعام الآية (٦) .

(٢) انظر تفسير أبى السعود ج٢ ص (١٢٥) ، وكذا روح المعانى ج٣ : ٧ ص (٩٥) .
وكذا تفسير البحر المحيط ج٤ ص (٧٥) . وكذا فتح القدير ج٢ ص (١٠٠) .
وكذا تفسير المنار ج٧ ص (٣٧) ، وانظر كذا بديع القرآن لابن أبى الاصبع المصرى ص٤٤ حيث أوردها شاهداً على هذا اللون من الالتفات ، وكذا فى تحرير التحبير ص (١٢٤) للمؤلف السابق .

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ **وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون** }[١] .

موضع الالتفات في قوله تعالى : { **أفلا تعقلون** } بصيغة الخطاب وذلك بعد صيغة الغيبة التي كانت تسير عليها الآية في قول الله تعالى:{ **وللدار الآخرة خير للذين يتقون** } وكان مقتضى الظاهر : أفلا يعقلون بدل : (تعقلون) . قال صاحب البحر المحيط فالمواجهة في هذا المقام أبلغ وأردع[٢] لما تحمله من هزة نفسية قوية في نفس السامع أو التالى فينزل نفسه منزلة الشخص المخاطب الداخل في حيز الامر بالتدبر والتفكر والتعقل في آيات الله وملكوته وهذا من أعظم ما جاء به القرآن الكريم خاطب العقول الغافلة وأيقظ النفوس النائمة وأثار فطرة الخير وسبيل الحق وقد أثمر غرسه في الجيل الأول وأينع ثمره أيما إيناع ولازالت أمة محمد على الخير الذى أنبته القرآن ولاتزال بحول من الله وقوته حتى قيام الساعة . لذا ظهرت صيغة الخطاب ولو استمر السياق كسابقه لغاب هذا المعنى كله أو جُله ولكنه القرآن بأسلوبه المعجز .

---

(١) سورة الانعام الآية (٣٢) .

(٢) انظر البحر المحيط .قال : قرأ نافع وابن عامر ، وحفص : (تعقلون) بالتاء ، خطاب مواجهة لمن كان بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم من منكرى البعث ج٤ / ص (١٠٨) .

وكذا التبصرة ص (١٩٢) . وانظر كذا ابن كثير ج٢ ص (١٢٩) .

وكذا تفسير النسفى ج٢ ص (٩) . وكذا الكوكب الدرى فى شرح طيبة ابن الجزرى ص (٤٢٦) .

وكذا الاقناع ج٢ ص (٦٣٨) . وكذا فى النشر ج٢ ص (٢٥٧) .

وكذا الكشف ج١ ص (٤٢٩) . وكذا الكشاف ج٢ ص (١٤) .

سورة الأعراف

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومماجاء من هذا اللون في سورة الأعراف قول الله تعالى :

{ وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفاسقين }(١)

الالتفات في قوله تعالى : { **فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها** } بأسلوب الخطاب وذلك بعد قوله تعالى : { **وكتبنا له** } بصيغة الغيبة عن موسى عليه السلام . وكان حق السياق - وقلنا له خذها بقوة - ولكنه سبحانه عدل عن هذا واستحضر المشهد ليظهره بصورة حية ماثلة أمام الواقفين على هذه الآية فيكون وقعها عليهم أشد وتأثرهم بها أقوى .

وثم التفات آخر في الآية من الغيبة ايضاً إلى الخطاب في قوله تعالى : { **سأوريكم** } وهذا ليكون خطاباً عاماً لكافة المسلمين قال فيه الألوسي : (وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب ، وحسن موقعه قصد

---

(١) سورة الاعراف الآية (١٤٥)

في الآية التفات آخر انظر ص(٤٣٦) .

المبالغة في الحث)[1] على عدم التفريط فيما أمروا به لأن الحث بالمواجهة أرجى في القبول وأنشط للهمه وأبلغ في الحجه وأقوى في التأثير على النفس لما يصاحبه من مؤثرات كثيرة . ولهذا واجههم الله بهذا الخطاب وكان الالتفات إليه أبلغ .

وقد قال فيه أبو السعود : { **سأوريكم دار الفاسقين** } تلوين للخطاب وتوجيه له عليه الصلاة والسلام بطريق الالتفات حملاً لهم على الجد في الامتثال بما أمروا به أما على نهج الوعيد والترهيب على أن المراد بدار الفاسقين أرض مصر وديار عاد وثمود وإضرابهم فإن رؤيتها وهى خالية عن أهلها خاوية على عروشها وموجبة للاعتبار والانزجار عن مثل أعمال أهلها كيلا يحل بهم ما حل بأولئك وأما على نهج الوعيدوالترغيب على أن المراد بدار الفاسقين أما أرض مصر خاصة أو مع أرض الجبابرة والعمالقة بالشام)[2] .

---

(١) انظر روح المعانى ح٣ : ٩ ص (٦٠) .

(٢) انظر تفسير ابو السعود ح٢ ص (٢٩٥) .

(٢) وقال تعالى في هذه السورة المباركه :

{ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون }[(١)] .

والالتفات في هذه الآية المباركة في قوله تعالى: **{ أفلا تعقلون }** بصيغة الخطاب وذلك بعد ورود ذكر بني إسرائيل بصيغة الغيبة في مواضع كثيرة في الآية نفسها مثل قوله تعالى : **{ فخلف من بعدهم .... إلخ }** حتى قوله تعالى : **{ ودرسوا ما فيه }** وكان مقتضى السياق - أفلا يعقلون - ولكنه سبحانه أتى بالخطاب ليكون قرعاً قوياً مدوياً ينبه الأحياء من بني إسرائيل وغيرهم لعلهم يعقلون فيحكّموا عقولهم فيما جاء به الذكر الحكيم ويدبروه على مكث وبصيرة لعلهم يهتدون . وفي هذا الالتفات تشديد للتوبيخ[(٢)].

(٣) ومنه في هذه السورة أيضاً قول الله تعالى :

{ أيشركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون* ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون * وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون }[(٣)] .

---

(١) سورة الاعراف الآية (١٦٩) .

(٢) انظر ارشاد العقل السليم لابى السعود ج٢ / ٣١٤ وكذا انظر تفسير الآية فى روح المعانى المجلد الثالث ج٩ ص (٩٧) وما بعدها وكذا انظر انوار التنزيل للبيضاوى / ٢٢٨ وقال السمين في الدر المصون :فالخطاب (أفلا تعقلون) يحتمل وجهين أحدهما: أنه التفات من الغيبة إلى الخطاب، و المراد بالضمائر حينئذ شئاً واحد. و الثاني: أن الخطاب لهذه الأمة ، أي : أفلا تعقلون أنتم حال هؤلاء وماهم عليه و تتعجبون من حالهم. و أما الغيبة فجري على ماتقدم من الضمائر/٣/ ٣٦٧

(٣) سورة الاعراف الآيات (١٩١ : ١٩٢ : ١٩٣) .

الالتفات في قوله تعالى : { **وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون** } بطريق الخطاب المباشر للمشركين)[١] وذلك بعد ذكرهم بطريق الغيبة في قوله تعالى : { **أيشركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون** } وكان مقتضى السياق استمرار صيغة الغيبة التي جاءت في أول الآية فيأتي السياق على النحو التالى :- وإن يدعوهم إلى الهدى لا يتبعوهم - ولكن صيغة الخطاب أقوى في المواجهة والتبكيت اللذان يحتاجهما المقام العقائدي فهى أحق بتحقيق الحق وإزهاق الباطل . قال أبو السعود:(و الخطاب ممشركين بطريق الالتفات المنبىء عن مزيد الاعتناء بأمر التوبيخ و التبكيت أي أن تدعوهم أيها المشركون إلى أن يهدوكم إلى ما يحصلون به المطالب أو تنجون به عن المكاره لا يتبعوكم إلى مرادكم وطلباتكم)[٢]

---

(١) انظر روح المعانى المجلد الثالث ج٩ ص (١٤٣) .

وكذا انوار التنزيل للبيضاوى / ٢٣٢ .

(٢) انظر ارشاد العقل السليم لابى السعود ج٢ / ٢٣٣ .

** سورة الأنفال **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومنه ما جاء في سورة الأنفال في قوله تعالى :

{ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب * ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار }[١] .

الالتفات من الغيبة في (شاقوا) إلى الخطاب في (ذلكم)[٢] وكان مقتضى السياق استمرار صيغة الغيبة ولكنه سبحانه أراد بهذه اللفته أن يدلل على مقدار غضبه عز وجل عليهم فاستحقوا هذا القهر والتشفى الذي يحمل أسلوب الخطاب في قوله تعالى:{ **ذلكم فذوقوه** } وذلك لما اقترفته أيديهم من مشاقة الله ورسوله فيقول تعالى ذكره هذا العقاب الذى عجلته لكم أيها الكافرون المشاقون لله ورسوله فى الدنيا من الضرب فوق الاعناق منكم وضرب كل بنان بأيدى أوليائى المؤمنين فذوقوه عاجلاً واعلموا أن لكم فى الآجل والمعاد عذاب النار[٣] .

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون }[٤] . الالتفات في قوله تعالى : { **فذوقوا العذاب** } بطريق الخطاب المباشر وذلك بعد صيغة الغيبة التي كانت عليها الآية في قوله تعالى : { **وما كان صلاتهم** } فالالتفات من الغيبة إلى الخطاب وكان مقتضى الظاهر - فليذوقوا العذاب بما كانوا يكفرون[٥]

---

(١) الانفال الآيتين (١٣، ١٤) ، فى الآية التفات آخر من الخطاب إلى الغيبة سيأتى فى صفحه (١٧٣) .

(٢) انظر الكشاف ج٢/١٤٨ ، وكذا البيضاوي ٢٣٦

(٣) انظر الطبرى ج٦ : ٩ / ١٣٢ وكذا ارشاد العقل السليم ج٢ / ٢٥٠ وكذا روح المعانى ج٣ : ٩ / ١٣٠

(٤) سورة الانفال الآية (٣٥) قال ابن عمر ومجاهد والسدى : (المكاء الصفير والتصديه التصفيق .
انظر البحر المحيط المجلد الرابع ص (٤٩٢) . وكذا فى روح المعانى المجلد الثالث ص (٢٠٣) .

(٥) وجاء فى روح المعانى : فذوقوا العذاب : يعنى القتل والأسر يوم بدر كما روى عن الحسن والضحاك .
وقيل : العذاب المعهود فى قوله سبحانه : (أو آتنا بعذاب) روح المعانى ج٣ : ٩ / ٢٠٤ .

ولكنه عز وجل عدل عن هذا إلى صيغة الخطاب المباشر استعظاماً منه سبحانه لهذا العذاب الذي يتوعدهم به ودليلاً على أنه سيكون مستمراً في المستقبل في الدنيا والآخرة ولو أتت صيغة الماضي لضاع هذا المعنى ولتحدد زمن العذاب به وهذا خلاف ما قصدته الآية ولهذا فصيغة الخطاب أدق معنى وأبلغ كما أنه لا يخفى على متأمل أن قوله سبحانه {فذوقوا} بهذا الخطاب في صيغة الأمر فيها من الاستهزاء والسخرية والتبكيت الشيء الكثير واختياره سبحانه للفظة نفسها يزيد تلك المعانى عمقاً فالتذوق معهود في الأشياء التي يتلذذ بها المرء واقترانها مع العذاب يدل على احتقارهم وصغر منزلتهم عند الله سبحانه وتعالى .

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ ياايها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائه يغلبوا الفاً من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون }[٢] .

الالتفات في هذه الآية في قوله تعالى : { **إن يكن منكم** } بصيغة الخطاب المباشر وذلك بعد ذكر المؤمنين بصيغة الغيبة في قوله تعالى : { **حرض المؤمنين** } وكان مقتضى السياق - إن يكن منهم - باستمرار صيغة الغيبة التى بدأت بها الآية ولكن هذه المواجهة من أهم خصائص التثبيت وزيادة الإطمئنان في قلوب المؤمنين لشعورهم أن الله معهم وهم بحضرته رأفة بهم وتعظيماً لشأنهم وتأكيداً لوعد الله سبحانه وتعالى لهم بالنصر المبين . وهو وعد كريم منه تعالى بتغليب كل جماعة من المؤمنين على عشرة أمثالهم بطريق الاستئناف بعد الأمر بتحريضهم[١] .

---

(١) سورة الانفال الآية (٦٥) .

(٢) انظر روح المعانى ج٤ : ١٠ / ٣١ . وكذا ارشاد العقل السليم ج٢ / ٣٧٣

**سورة التوبة **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومنه فى سورة التوية قول الله تعالى :

{ براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين* فسيحوا في الارض أربعة اشهر واعلموا انكم غير معجز ي الله وأن الله مخزي الكافرين }[1]

موضع الالتفات في قوله تعالى : { **فسيحوا في الارض أربعة أشهر واعلموا انكم غير معجزي الله** } في هذا الخطاب الطويل وذلك بعد أسلوب الغيبة في أول الآية في قوله تعالى : { **براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين** } وكان مقتضى السياق - فليسيحوا في الارض أربعة أشهر وليعلموا أنهم غير معجزى الله - ولكن شتان بين هذا، وذاك لأن أسلوب مباشرة الخطاب أعطى تأكيداً على الرخصه والإباحة في هذه الشهور الاربعة فلينتظروا ما عساه ان يأتيهم من وراء ذلك إن آثروا الاستمرار على كفرهم فحمل هذا الخطاب في طياته أقوى معاني التهديد والوعيد ولذا ذيلت الآية الكريمة بقوله تعالى:{ **وأن الله مخزي الكافرين**} .

---

(١) سورة التوبة الآيتين (٢.١) . انظر تفسير الآيتين فى روح المعانى ح٤ : ١٠ / ٤٣ وقد أشار الالوسى إلى هذا الالتفات بقوله و الكلام بتقدير قولوا ، أو بدونه وهو التفات من الغيبة إلى الخطاب و المقصود الإباحة و الإعلام بحصول الأمان من القتل و القتال في المدة المضروبة.

(٢) ومنه فى سورة التوبة أيضاً :

{ وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر إن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم }[١]

الالتفات فى هذه الآية فى قوله تعالى:{ **فإن تبتم فهو خير لكم** } بصيغة الخطاب وذلك بعد ورود ذكرهم بطريق الغيبة في أول الآية الكريمة عند قوله تعالى : { **وأذان من الله ورسوله إلى الناس** } وكذا في قوله تعالى : { **إن الله بريء من المشركين** } وكان مقتضى السياق استمرار صيغة الغيبة فتكون - فإن تابوا فهو خير لهم - ولكن أمر التوبة والرجوع إلى الله أمر عظيم الشأن وهو حبل الله المتين الذي يتمسك به كل مشرف على الهلاك لينجيه من براثن العذاب الأليم . هذا الأمر العظيم لا يناسبه إلا الخطاب المباشر يزفه المولى العلي القدير بنفسه الشريفة إلى عباده الآيبين إليه والنفس تكون أشد قرباً عند المواجهة بالخير لذا أتى الخطاب المباشر ليدعوهم إلى طرق باب التوبة دون تردد ووجل ويؤيد هذا ما جاء في نهاية الآية فقد عاد الأسلوب إلى الغيبة عند ذكر العذاب ليتناسب وحالة الجفاء[٢] والخزي لأولئك المبعدين الكافرين .

(٣) وفي الآية موضع آخر للالتفات من الغيبة إلى الخطاب أيضاً في قوله تعالى :{ **وبشر** } خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ذكره بصيغة الغيبة في قوله تعالى : { **إن الله بريء من المشركين ورسوله** } وكان مقتضى الظاهر أن تسير الآية على الغيبة السابقة فتكون - والرسول يبشر الذين كفروا - ولكنه القرآن بأسلوبه الفذ المعجز جمع في هذه

---

(١) التوبة الآية (٣) .

(٢) قال بعض المفسرين :(فإن تبتم) من الشرك و الغدر : التفات من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التهديد و التشديد، انظر إرشاد العقل السليم ج٢/٣٨٢ ، وكذا روح المعاني ج٤/ : ١٠ /٤٨

الآية التفاتات عدة لو إتفق أحدها في كلام البشر لجاء على درجة عاليه من البلاغة . والحاجة إلى هذا الالتفات خصوصية[1] التكليف بالرسالة للنبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وفي هذاالأمر على وجه التحديد حيث العذاب والعقاب . وقد يكون الخطاب دالاً على العموم ليشمل كافة المكلفين لأنهم في درجة ثانية من التكليف بتبليغ الرسالة المحمدية لكافة البشر فكل من بلغه هذا الخطاب يشعر معه بأنه موجه إليه فيلزم نفسه به .

(٤) ومنه قول الله تعالى :

{ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم }[2].

موضع الالتفات في قوله تعالى : { **قل** } بصيغة الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ذكره بصيغة الغائب في قوله تعالى : { **يؤذون النبي** } فالالتفات كما نرى من الغيبة الى الخطاب ولو سار الأسلوب مناسباً لسابقه لكان السياق كما يلي - فليقل لهم النبي - ولكن الحق تبارك وتعالى أوجز المعنى ونقلنا مباشرة إلى أسلوب الخطاب اعتماداً على فطنة المؤمن وتنبيهاً للغافل واستحضاراً للصورة أمام متعهدي القرآن . ومن عجائب نظم القران العظيم عودة الأسلوب مرة أخرى إلى نفس الصيغة الأولى - الغيبة - في قوله تعالى : { **يؤذون رسول الله** } ليظهر التفات جديد عجيب في بلاغته[3]

---

(١) انظر روح المعانى ج٤ : ١٠ / ٤٨ .

يوجد موضع ثالث للالتفات من الخطاب الى الغيبة سيرد ص (١٨٠).

(٢) الآية (٦١) من سورة التوبة .

(٣) انظر البحر المحيط ج٥ / ٦٢ وما بعدها . وكذا روح المعانى ج٤ : ١٠ / ١٢٦ .

يوجد في الايه (٦١) التفات آخر انظر ص (١٧٦) .

(٥) ومنه قول الله تعالى :

{ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم * كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والأخرة وأولئك هم الخاسرون }[1] .

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وذلك فى قوله تعالى{ **كالذين من قبلكم** } بصيغة الخطاب بعد الغيبة فى قوله تعالى : { **وعد الله المنافقين** } . قال فيه أبو السعود*: (الالتفات من الغيبة إلى الخطاب للتشديد)[2] على المنافقين لما فى المواجهة من هزة شعوريه قويه تجعلهم مبلسين ولهذا كان الأبلغ في هذا المقام الخطاب المباشر .

(٦) ومنه قول الله تعالى :

{ إن الله إشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم }[3]

الالتفات في هذه الآية في قوله تعالى : { **فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم** } بصيغة الخطاب المباشر للمؤمنين الذين اشترى الله

---

(١) الآيتين (٦٨.٦٩) من سورة التوبة .

(٢) انظر ارشاد العقل السليم ج٢ / ٤٢٤ وكذا روح المعانى ج٤ : ١٠ / ١٣٣ وكذا فى البحر المحيط ج٥ / ٦٨ .

(٣) سورة التوبة الآية (١١١) .

* سبق ترجمته (٨٩)

سبحانه وتعالى منهم أنفسهم وأموالهم وذلك بعد ذكرهم في بداية الآية بصيغة الغيبة في قوله تعالى :

{ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم** } فالالتفات من الغيبة إلى الخطاب وكان مقتضى الظاهر استمرار أسلوب الغيبة بمثل - فاستبشر المؤمنون ببيعهم الذي بايعوا - ولكنه سبحانه التفت إلى الخطاب ،كما قال أبو السعود :(التفات إلى الخطاب تشريفاً لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور)[١].

---

(١) انظر ارشاد العقل السليم ج٢/ ٤٥١، وكذا روح المعاني ج١١:٤/٢٩.

وانظر ايضاً تفسير السعدى ج٢ / ٢٨٩ . .

** سورة يونس **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومما جاء في سورة يونس من هذا اللون من الالتفات قول الله تعالى :

{ وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله اسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ماتمكرون }(١) .

الالتفات في قوله تعالى : (**ما تمكرون**) بصيغة الخطاب وذلك بعد ورود ذكرهم بصيغة الغائب فى أول الآية فى قوله تعالى : (**الناس**) وكذا فى(**مستهم**) وكذا (**لهم**) عدة مواضع تؤكد بعضها بعضا كلها بضمير الغيبة ثم يتحول الأسلوب إلى الخطاب المباشر فى قوله تعالى: (**تمكرون**)

قال ابو حيان* (الخطاب مبالغة لهم فى الاعلام بحال مكرهم والتفاتا لقوله قل الله أى قل لهم فناسب الخطاب)(٢) .

(٢) و منه قوله تعالى :

{ فلما انجاهم إذا هم يبغون فى الأرض بغير الحق يأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون }(٣)

فى الآية المباركة نوعان(٤) من الالتفات أولهما فى قوله تعالى: (**يأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم**) بصيغة الخطاب وذلك بعد أسلوب الغيبة فى أول الآية فى قوله تعالى : (**فلما انجاهم إذا هم يبغون**)

---

(١) سورة يونس آية (٢١) ، (٢) انظر البحر المحيط ج٥ ص (١٣٦) .
في الآية التفات آخر انظر ص (٣٨٣)
(٣) الآية ٢٣ من سورة يونس .
(٤) الالتفات الآخر من الغيبة فى قوله تعالى : (انجاهم) إلى التكلم فى قوله تعالى : (إلينا) سيرد الكلام عليه فى فصله ص (٣٧٨)

* سبق ترجمته (١٠٦)

وكان مقتضى السياق - إنما بغيهم على أنفسهم - ولكنه سبحانه ليجعل النداء عاماً لكل الناس لعلمه السابق بأن النفس أمارة بالسوء خاطب كافة الناس بهذا النداء ليحذرهم جميعاً مغبة البغي ففى هذا الخطاب تحذير للمؤمنين وزجر للكافرين .

(٣) ومنه قوله الله تعالى :

{ **ألا إن لله ما فى السموات والأرض ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون * هو يحي ويميت وإليه ترجعون** }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : (**ترجعون**) وكان مقتضى السياق - وإليه يرجعون - ولكن صيغة الخطاب أبلغ فى المواجهه بهذا المصير المحتوم لعلها تنتزع ما فى نفوسهم من جحود وكبر . ومباشرة الخطاب تفيد أيضاً عموميه الزجر .

(٤) ومنه قول الله تعالى :

{ **هو يحي ويميت وإليه ترجعون × ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين** }[٢]

الالتفات من الغيبة في قوله تعالى :(**اكثرهم لا يعلمون**) إلى الخطاب في قوله تعالى :(**يا ايها الناس**) قال فيه أبو السعود :(التفات ورجوع إلى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم إلى قبوله واتباعه غبَّ تحذيرهم من غوائل الضلال بما تلي عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم وإيذان بأن جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم)[٣]

---

(١) سورة يونس الآيتين (٥٥ ، ٥٦) .

(٢) سورة يونس الآية (٥٧،٥٦) .

(٣) انظر إرشاد العقل السليم ح٢/ ٥٠٦ . (٤) سورة يونس الآية (٦٨).

(٥) ومنه قول الله تعالى :

{ **قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغنى له ما فى السموات وما فى الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون** }[١] .

الالتفات فى هذه الآية المباركة فى قوله تعالى : (**إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون**) خاطبهم سبحانه بعد ذكرهم عن طريق الغيبة فى قوله تعالى : (**قالوا اتخذ الله ولداً**) ولو سار السياق على نفس النمط لكان - إن عندهم من سلطان بهذا أ يقولون على الله ما لا يعلمون - استكمالاً لما بدأت به الآية ولكن الالتفات إلى مخاطبتهم (لمزيد المبالغة فى إلزامهم)[٢] بذنبهم الذى افتروه على الله وتقريعهم بهذا التساؤل المفحم بقوله عز من قائل : (أتقولون على الله ما لا تعلمون) .قال أبو السعود :(والالتفات إلى الخطاب لمزيد المبالغة في الإلزام والإقحام ، وتأكيد مافي قوله تعالى :(**أتقولون على الله مالا تعلمون**) من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلافهم ، وفيه تنبيه على أن كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وأن العقائد لابد لها من برهان قطعي ،وأن التقليد بمعزل من الاعتداد به)[٣]

---

(١) سورة يونس الآية (٦٨).

(٢) انظر روح المعانى المجلد الرابع الجزء الحادى عشر ص (١٥٥) وانظر كذا تفسير المنار ج١١ ص (٤٥٦) .

(٣) انظر إرشاد العقل السليم ج٢/ ٥١٤ .

** سورة هـود **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

ومما جاء من الالتفات من الغيبة إلى الخطاب فى سورة هود قوله تعالى :

{ فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربى قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً إن ربى على كل شىء حفيظ }[١] .

الالتفات فى قول الله تعالى : (**أبلغتكم**) بصيغة الخطاب وذلك بعد ذكرهم بصيغة الغيبة فى قوله تعالى : (**فإن تولوا**) وكان مقتضى السياق فقل : قد أبلغتكم[٢] ولكنه سبحانه نقلنا مباشرة الي المشهد ليعطي الصورة روح الحياه ويجعل المتلقي داخل دائرة هذا التبليغ فيتحمل تبعيته.قال فيه ابن عطية :(قرأ الجمهور : (تولوا) بفتح اللام والتاء على معنى تتولوا ، وقرأ عيسى الثقفي والأعرج :(تولوا)بضم التاء واللام)[٣] ، وعلى هاتين القرآئتين فلا التفات ولكنه استدراك،

وقال :(ويحتمل أن يكون (تولوا) فعلاً ماضياً ويجيء في الكلام رجوع من الغيبة إلى الخطاب ، أي فقل : قد أبلغتكم)[٤]

---

(١) سورة هود الآية (٥٧)

(٢) انظر تفسير ابن عطية ج٣ ص (١٨٢) .

(٣) انظر تفسير ابن عطية الصفحة السابقة

(٤) المرجع السابق الصفحة نفسها

** سورة يوسف **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

ومما جاء من الالتفات من الغيبة إلى الخطاب فى سورة يوسف قوله تعالى:

{ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : (**أفلا تعقلون**) وذلك بعد الغيبة فى قوله تعالى : (**أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا**) وكان مقتضى السياق - أفلا يعقلون - تمشياً مع سابقه ولكن وجود هذا الخطاب أحدث هزة نفسية للمؤمنين الواقفين على الآية زمن النبى صلى الله عليه وسلم وإلى أن تقوم الساعة فالخطاب هو الأدعى لأسلوب الدعوة إلى الله (والتحذير مما وقع فيه أولئك الأقوام فيصيبهم ما أصابهم[٢] .

---

(١) سورة يوسف آية (١٠٩) ج ٢٥٤/٥.

(٢) انظر تفسير البحر المحيط المجلد الجامس ص (٢٥٤) .

سورة إبراهيم

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) وقال الله تعالى فى سورة إبراهيم :

{ الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق إن ربى لسميع الدعاء * ربى اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء }(١) .

الالتفات فى قوله تعالى : (**رب اجعلنى**) بصيغة الخطاب وذلك بعد ذكره سبحانه بصيغة الغيبة عند قوله تعالى : (**إن ربي**) ونكتته أنه عليه السلام لما تذكر أن ربه سبحانه وتعالى سميع الدعاء شرع فى مناجاته ودعائه بما يريد ولهذا فإن حالة نفسية دفعت سيدنا إبراهيم عليه السلام للتوجه إلى الله بهذه الحرارة فى دعائه .

---

(١) سورة إبراهيم الآية (٣٩:٤٠) .

انظر تفسير الآية فى روح المعانى المجلد الخامس ج١٣ ص (٢٤٨) .

** سورة الحجر **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

وقال عز وجل فى سورة الحجر :

{ إن المتقين فى جنات وعيون * ادخلوها بسلام آمنين }[(١)] .

الالتفات فى قوله تعالى : (**ادخلوها**) بصيغة الخطاب المباشر وذلك بعد صيغة الغيبة فى قوله تعالى : (**إن المتقين فى جنات وعيون**) وكان مقتضى السياق - فليدخلوها - ولكنها أعظم بشرى ينتظرها العبد المؤمن وقلبه معلق بمولاه وهو سبحانه يزفها إليه بخطاب مباشر يحمل هذه النعمة العظيمة لعباد الله المتقين .

---

(١) سورة الحجر الآيتين (٤٥ ، ٤٦) .

قال الزمخشري :(ادخلوها) على إرادة القول /انظر ج٢/ ٣٩٢ .

جاء فى تفسير ابى السعود : (ادخلوها) على إرادة القول أمراً من الله تعالى لهم بالدخول انظر تفسير ابى السعود المجلد الثالث ص (٢٢٩) .

سورة النحل

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومنه فى سورة النحل قول الله تعالى :

{ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون }[1] .

الالتفات فى قوله تعالى : (بما كنتم تعملون) بصيغة الخطاب فى (كنتم) وكذا (تعملون) وذلك بعد ذكرهم بصيغة الغيبة فى قوله تعالى : (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) وكان مقتضى السياق وتمشياً مع سابقه - بما كانوا يعملون - ولكنه تبارك وتعالى أتى بصيغة الخطاب تقريراً منه لتلك المواجهه التى يتطلبها المقام وتنبيهاً لكل واقف على الآية بأن الجزاء من جنس العمل . أسلوب المواجهه فى هذا الموقف فيه ما فيه من عمق التأثير النفسى الذى هو أعظم أساليب الدعوة إلى الله واتخذه القرآن جنباً إلى جنب مع خطاب العقل منهاجاً للوصول إلى الحق .

(٢) ومنه قوله تعالى :{ **أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم** }[2] .

الالتفات فى قوله تعالى : (**فإن ربكم**) بصيغة الخطاب بعد صيغة الغيبة التى كانت عليها الآية فى قوله تعالى : (**أو يأخذهم**) وكان حق الظاهر - فإن ربهم - تمشياً مع سابقه ولكنه عدل سبحانه إلى الخطاب لحكمة عنده قال فيها احد المفسرين : (والتعبير بعنوان الربوبية مع الاضافة إلى ضمير الخطاب من آثار رحمته جل شأنه)[3] نسب السوء للغيب وجعل الرأفة والرحمة خطاباً للمؤمنين .

---

(١) سورة النحل الآية (٢٨) انظر تفسير الآية فى تفسير ابى السعود المجلد الثالث ص (٢٦١) وما بعدها ، في الآية التفات آخر انظر ص (٢٩٦).

(٢) الآية (٤٧) من سورة النحل . (٣) روح المعانى المجلد الخامس ح١٤ ص (١٥٣) .

روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ما تقولون فيها فقام شيخ من هذيل فقال : هذه لغتنا التخوف والنقص - وذكر شاهداً شعرياً عليه - روح المعانى الصفحة نفسها .

(٣) وقال تعالى :

{ **ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون** }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : (فتمتعوا فسوف تعلمون) بهذا الخطاب الواضح وذلك بعد أن أتى ذكرهم بصيغة الغيبة فى قوله تعالى : (ليكفروا بما آتاهم) ولو سار السياق على الغيبة لكان - فليتمتعوا فسوف يعلمون - ولكن المواجهه أبلغ فى هذا المقام لما فيها من سياط التوعد والتهديد[٢] تلفح وجوههم وجنوبهم وتكشف لهم جانباً لما أعد لهم من عذاب مقيم ولهذا غير الأسلوب إلى الخطاب .

(٤) ومنه قول الله تعالى :

{ **ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون** }[٣] .

لا يخفى أن الالتفات فى قوله : (لتسئلن عما كنتم تفترون) (وفى تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة إلى الخطاب المنبىء عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى)[٤] على أحد فترعد صواعق الوعيد فى النفوس رهبة فيتهيبوا لهذا السؤال المنتظر ويكون هذا الشعور مدعاة للنفس البشرية فى العمل الصالح تحسباً له .

---

(١) سورة النحل الآية (٥٥) .

(٢) انظر فتح القدير للشوكانى ج٣ ص (١٦٩)

انظر روح المعانى المجلد الخامس ج١٤ ص (١٦٦) .

(٣) سورة النحل الآية (٥٦) .

فى الآية التفات آخر فى قوله تعالى : (تالله) بصيغة الغيبة بعد صيغة التكلم فى قوله تعالى : (مما رزقناهم) سيرد فى فصله ص (٣٠٢) .

(٤) انظر ارشاد العقل السليم لابى السعود ج٣ / ٢٧٢ ، وروح المعانى المجلد الخامس ج١٤ ص (١٦٧) . انظر فتح القدير ج٣ / ١٧٠

** سورة الكهف **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) وجاء في سورة الكهف المباركة من هذا اللون من الالتفات قول الله تعالى : { **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً . قيماً لينذر باساً شديد من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً. ماكثين فيه أبداً . وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً . مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً . فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً** }[١] .

الالتفات من صيغة الغيبة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تبارك وتعالى: {**على عبده**} إلى صيغة الخطاب في قوله تعالى : {**فلعلك باخع نفسك**} لقد بدأ السورة بالثناء عليه سبحانه من عباده[٢] وأعظم درجات الثناء في النفس ثناء الغائب. وناسبت هذه البداية اسلوب الغيبة ايضاً في قوله تعالى{**على عبده**} لما (في عبده من الاضافة المقتضيه تشريفه)[٣] صلى الله عليه وسلم ولكن عند التلطف مع الحبيب المصطفى لمواساة هذا العبد لما يجده من حزن والم شديدين . على صدود الكافرين فأسلوب الخطاب هو الأرحب لحمل تلك المعاني العظام (تقريراً وتوقيفاً بمعني الانكارعليه)[٤] صلى الله عليه وسلم ولكن هذا الانكار يحمل في طياته الحب والتودد والمواساة ولا شك هو الأجدر والأبلغ ولاغير .

---

(١) سورة الكهف من (١ - ٦)

(٢) انظر الكشاف ح٢/٤٧١

(٣) انظر البحر المحيط ح٦/٩٥

(٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ح٣/٤٩٦

الفصل الثاني

الالتفات من الخطاب إلى الغيبة

** سورة الفاتحه **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

أول مواضع الالتفات من الخطاب إلى الغيبة جاء في سورة الفاتحه المباركة في قول الله تعالى :

{ **صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** }[١] .

(١) الالتفات فى قوله تعالى : { **غير المغضوب** } وذلك بعد قوله تعالى : { **صراط الذين أنعمت** } ولو جاءت كسابقها لكانت - غير الذين غضبت عليهم - ولكنه سبحانه عدل عن إسناد الغضب له مباشرة لأغراض بلاغية عظيمة أولها أن (من أنعم الله عليه فهداه لدينه الحق فقد سلم من غضب ربه ونجا من الضلال في دينه[٢] ولذا نجد الأسلوب القرآني المعجز يترفع عن إسناد الغضب لله صراحة فى هذا المقام لما فيه من كراهية فى النفس بعد إسناد النعمة له سبحانه وتعالى بتاء الخطاب المباشر فى (أنعمت) فقال تعالى صراط الذين أنعمت عليهم فأصرح الخطاب لمّا ذكر النعمة ثم قال : {**غير المغضوب عليهم**} عطفا على الأول[٣] لأن الأول موضع التقرب من الله بذكر نعمه فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفا عن ذكر الغاضب ، فأسند النعمة إليه لفظا وروى عنه لفظ الغضب تحننا ولطفا[٤] وإسناد الغضب هنا لله لا يتناسب مع مافات من معنى الرحمة والرضا على العباد وعلو العبد بروحه إلى آفاق السماء

---

(١) سورة الفاتحه الآية (٧).

(٢) انظر جامع البيان للطبرى ح ٦٠/١.

وكذا تفسير البيضاوى انور التنزيل /٥.

(٣) لأن السورة بدأت بصيغة الغيبة فى قوله تعالى الحمد لله رب العالمين ثم عدل عن هذه الغيبة بالالتفات إلى الخطاب فى قوله تعالى إياك نعبد وإياك نستعين هذا الالتفات درس فى الفصل الأول ص (٨٤) .

(٤) انظر المثل السائر لابنالأثير ح /١٧٠.

ومواجهة الجليل بأسلوب الخطاب المباشر والتماس الهدى والرشاد منه سبحانه وتحننه على عباده بنعمة العطاء كل هذا يجعل المقام مقام رضى ورحمة من المولى العلى القدير فكيف يناسب إسناد الغضب إليه وهكذا اقتضت حاجة المعنى العدول عن الأسلوب السابق إلى الالتفات فغير إلى الغائب عودا على ذى بدء (وهذه السورة قد انتقل فى أولها من الغيبة إلى الخطاب لتعظيم شأن المخاطب ، ثم انتقل فى آخرها من الخطاب إلي الغيبة لتلك العلة بعينها ، وهى تعظيم شأن المخاطب أيضاً لأن مخاطبة الرب تبارك وتعالى بإسناد النعمة إليه تعظيم لخطابه ، وكذلك ترك مخاطبته بإسناد الغضب إليه تعظيم لخطابه)[١].

---

(١) انظر المثل السائر لضياء الدين ابن الأثير ج٢ / ١٧١ .

** سورة البقرة **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومنه قول الله تعالى :

{ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون }[١] .

الالتفات كما لايخفى فى قوله تعالى : {وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون } بصيغة الغيبة عدولا عن صيغة الخطاب فى أول الآية فى قوله تعالى : { وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم } وكان مقتضي هذا الخطاب قوله - وما ظلمتونا ولكن كنتم أنفسكم تظلمون - ولكنه أخرجه سبحانه معدولا به عن نهج الخطاب السابق للإيذان باقتضاء جنايات المخاطبين للإعراض عنهم وتعدد قبائحهم عند غيرهم على طريق المباثة[٢] للخلائق جميعا بما صنعته بنو اسرائيل من ظلمهم لأنفسهم (فما وضعوا فعلهم ذلك وعصيأنهم ايانا موضع مضرة علينا ومنقصة لنا ولكنهم وضعوه من أنفسهم موضع مضرة عليها ومنقصة لها)[٣] فعصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر[٤] ولكنهم قابلوها بالكفر الذى لا يتخطاهم ضرره ..... وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل بين ظلمونا ، ويظلمون للدلالة على تماديهم فى الظلم واستمرارهم على الكفر[٥] فكأن الحق تبارك وتعالى يخبرنا عنهم أنهم فى جميع الازمان ماضيها و حاضرها

---

(١) سورة البقره الآية (٥٧) .

(٢) انظر إرشاد العقل السليم لأبي السعود ح ١٢٧/١ ، وكذا صفوة التفاسير للصابونى ح ٢١٥/١ .

(٣) انظر جامع البيان للطبرى د ٢٣٧/١ .

(٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطيه ح ١٤٩/١ .

(٥) انظر تفسير ارشاد العقل السليم لابى السعود ح ١٢٧/١ .

مسوغ الالتفات اعتبار ضمير الغائب عائد على بني اسرائيل أما إن عاد على الأنفس فلا وجه له.

ومستقبلها هم ظالمون لأنفسهم وقد جعل سبحانه وتعالى الكلام عنهم بصيغة الغيبة على طريق الحكاية ايذانا منه بغضبه الشديد عليهم لتعدد جناياتهم على عفوه عنهم مرارا حتى أبعدتهم عن رحمته وأكسبتهم عظيم غضبه ولهذا حرمهم المولى من شرف الحضور وجعلهم عبره تروى لمن يعتبر .

(٢) ومن هذا اللون فى سورة البقرة المباركة قول الله تعالى :

{ **واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ماسألتم وضربت عليهم الذله والمسكنه وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** }[1] .

الالتفات فى قول الله تعالى : { **وضربت عليهم الذله والمسكنه وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** } أخبر عنهم المولى بصيغة الغيبة لما تحمله قصتهم من معنى السخط الذى ضرب عليهم جزاء وفاقا لجرائمهم الشنعاء التى عددها الله عليهم فى هذه الآية وفى غيرها من آيات الكتاب الحكيم وهذه الغيبة ناسبت حالهم وما هم فيه من دنىء الخصال وذلك بعد صيغة الخطاب التى بدأت بها الآية فى قوله تعالى :{**واذ قلتم ياموسى**} إلى قوله عز من قائل {**أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتم**}.

بدأت الآية بمخاطبة اليهود الأحياء المعاصرين لنزول القرآن وكل يهودى حتى آخر الزمان ومواجهتهم بجرم آبائهم وتعنتهم الشديد وميلهم إلى الدناءة وحب الشقاء ، وعلى الرغم من أن آبائهم هم القائلون إلا أن الفعل أسند إليهم توبيخا لهم لما بينهم من

---

(١) سورة البقرة الآية (٦١) .

الاتحاد[١] وتماثل الجبلات[٢] ، ولذا فهم أحقاء بغضب شديد من الله مسند الى الاسم الجليل بكل ما يحمله هذا الاسناد من معنى[٣] .
وهذا ما ابعدهم عن شرف الخطاب وجعل قصتهم حكاية تروى لخلق الله اجمعين وضمير الغائب يدل على أن ذلك راجع إلى جميع اليهود وشامل المخاطبين أيضا

(٣) ومنه قوله تعالى :

{ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وإن يأتوكم أسرى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون * أولائك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخره فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون }[٤] .

معنا هنا مواضع عدة من الالتفات وما يعنينا فى هذا الفصل موضعان منها فقط :- أولهما فى قوله تعالى : { ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب } بصيغة الغيبة فى (يردون)[٥] وذلك بعد الخطاب

---

(١) انظر ارشاد العقل السليم لأبي السعود ح ١٢٩/١ .
(٢) انظر روح المعانى ح ٢٧٦/١ .
(٣) المرجع السابق الصفحه نفسها .
البوء : بالفتح والضم مساواة الأجزاء وفى الحديث فليتبوأ مقعده من النار وباؤا : اى رجعوا او مروا متحملين له وصاروا
احقاء بغضب الله .
انظر البحر المحيط ح ٢٣٦/١ وكذا انوار التنزيل للبيضاوى ١٣/
وكذا المحرر الوجيز لابن عطيه ح ١٥٥/١ وكذا تفسير الطبرى جامع البيان ح ٢٥٠/١ .
(٤) البقره الأيتين (٨٥ ، ٨٦) .
(٥) قال ابو السعود : (ويوم القيامة يردون) وقرىء بالتاء أوثر صيغة الجمع نظراً إلى معنى «من» بعد ما أوثر الافراد نظراً إلى لفظها لما ان الرد انما يكون بالأجماع انظر ارشاد العقل السليم ح ١٥١/١ وكذا المحرر الوجيز لابن عطيه ح ١ /١٧٦.

المتكرر فى الآية مثل قوله تعالى : {**ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم** } إلى قوله تعالى {**فما جزاء من يفعل ذلك منكم** } وكان مقتضى الظاهر أن يأتى مقطع الغيبة بأسلوب الخطاب أيضاً فيكون - ويوم القيامة تردون إلى أشد العذاب ولكنه سبحانه أتى بصيغة الغيبة متحاشيا من أن يدخل كافة العباد فى هذا الخطاب بما فيهم سيد المخاطبين فحول الأسلوب فى مقام العذاب إلى الغيبة تنبيهاً منه سبحانه بأن هذا الحكم يختص بؤلئك الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض وهذه والله اعلم بعض أسرار ذلك التحول إلى الغيبة وقد مهدت (من) لهذه الغيبة التى أشارت إلى أن من كان فى العذاب فهو مبعد كل البعدعن رحمة الله وشرف حضوره ، وتوعدهم بعذاب (لا روح فيه ولا فرح)[١]

(بعد الخزى الذى يحل به فى الدنيا جزاء على معصيه الله إلى أشد العذاب الذى أعده الله لأعدائه)[٢] كما أن الآية تحمل بشارة على الطاعة لأن الغفلة إذا كانت ممتنعه عليه سبحانه مع أنه أقدر القادرين وصلت الحقوق لا محالة إلى مستحقيها[٣].

(٤) أما ثانى مواضع الالتفات فى الآيتين السابقتين فهو قوله تعالى { **أولئك الذين اشترو الحياة الدنيا بالآخره فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون** }بصيغة الغيبة عن بنى إسرائيل وذلك بعد قوله تعالى : {**وما الله بغافل عما تعملون** }[٤] بصيغة الخطاب فى (**تعملون**) فعمد سبحانه إلى أسلوب الغيبة لتكون حكايتهم عبرة تروى على رؤس الأشهاد ما دام القرآن الكريم يتلى تشهيراً بهم وهم أحقاء بذلك لما فعلوه من تلك

---

(١) انظر تفسير النسفى ح ٦٠/١.

(٢) انظر جامع البيان للطبرى ح ٣١٨/١ .

(٣) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ح ١٧٤/٣ .

(٤) الأيتين السابقتين ٨٥ - ٨٦ انظر ص (١٤١).

الجرائم الشنعاء التى واجهتهم بها كلتا الآيتين. لقد كان أسلوب الأية الأولى يعتمد فى معظمه على الخطاب المباشر ، ثم يلتفت القرآن الكريم إلى الملأ كافة ليشير إلى أولئك المجرمين إشارة بعد (للدلالة على أن ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصى واعتدائهم حدود الله تعالى)[١]. وإيثارهم بهجة الدنيا وزينتها على النعيم السرمدى ..... والعاجل الفانى على الآجل الباقى[٢].

والأشارة إليهم بالبعد وإسلوب الغيبة مع وصفهم بتلك الصفات كانت (فى نهاية الذم لهم لأن المغبون فى البيع والشراء فى الدنيا مذموم حتى يوصف بأنه تغير فى عقله فبأن يذم مشترى متاع الدنيا بالآخره أولى[٣] فجعل حظهم من نعيم الأخرة كفرهم بالله ثمناً لما إبتاعوه به من خسيس الدنيا. كما روى عن قتاده* قوله : أولئك الذين اشترو الحياة الدنيا بالآخره استحبوا قليل الدنيا على كثير الآخرة[٤] . وهذا ما جلب لهم سخط الله وأبعدهم عن رحمتة وفضله وجعلهم عبره لمن كان له قلب أو القي السمع وهو شهيد .

---

(١) انظر انوار التنزيل للبيضاوى ح ١٣/١ .

(٢) انظر البحر المحيط لأبى حبان ح ٢٩٥/١ .

(٣) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ح ١٧٥/٣ .

(٤) انظر جامع البيان للطبرى ح ٣١٩/١
وكذا روح المعانى ح ، ٣١٥/١

* هو ابن النعمان بن زيد بن عامر . الأمير المجاهد. أبو عمر الأنصاري الضفري البدري . من نجباء الصحابة . وهو أخو ابي سعيد الخدري لأمه ، وهو الذي وقعت عينه على خده يوم احد فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فغمزها له بيده الشريفه ، فردها، عاش خمس وستين سنة وتوفي سنة ثلاث وعشرين بالمدينة ونزل عمر يومئذ في قبره،
انظر تهذيب سير اعلام النبلاء ح١/ ٦٦-٦٧.

(٥) ومنه فى هذه السورة المباركة قول الله تعالى :

{ ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون. وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون }[١] .

الالتفات فى قول الله تعالى : (وقالوا) بصيغة الغيبة عنهم وذلك بعد مخاطبتهم فيما سبق وهذه الجملة (عطف على استكبرتم) او على (كذبتم) فتكون تفسيرا للاستكبار ، وعلى التقديرين فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة إعراضاً عن مخاطبتهم وإبعاداً لهم عن عز الحضور ، والقائلون هم الموجودون فى عصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم[٢]. ويؤيد ذلك الإبعاد والتغيب قوله عز من قائل : (بل لعنهم الله بكفرهم) يعنى جل ثناؤه : بل أقصاهم الله وأبعدهم وطردهم وأخزاهم وأهلكهم بكفرهم وجحودهم آيات الله وبيناته وما ابتعث به رسله وتكذيبهم أنبياءه فأخبر تعالى ذكره أنه أبعدهم منه ومن رحمته بما كانوا يفعلون من ذلك[٣].

هؤلاء هم اليهود فى كل زمان ومكان يفترون على الله الكذب وينسبون ما هم فيه من الضلال إلى فطرتهم والذى فطرهم برىء من هذا وذاك ولكن ليجازيهم الحق تبارك وتعالى ببعدهم بهذه الغيبة وليتبعهم لعنة فوق ما هم فيه (من المخازى الموجبة الأعراض عنهم وحكاية نظائرها لكل من يفهم بطلانها وقباحتها من أهل الحق)[٤] .

---

(١) البقره الأيتين (٨٧ – ٨٨) .

(٢) انظر روح المعانى ح ٣١٨/١ ، وكذا البحر المحيط ح ٣٠١/١ .

(٣) انظر جامع البيان للطبرى ح ٣٢٣/١ .

(٤) انظر ارشاد العقل السليم لأبى السعود ح ٣٠١/١ .

(٦) ومما جاء من هذا القبيل قول الله تعالى :

{ أم تريدون أن تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل }(١) .

موضع الالتفات فى هذه الآية المباركة فى قول الحق عز وجل : { ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل } باسلوب الغائب وذلك بعد قوله تعالى فى أول الآية { **أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل** } بصيغة الخطاب المباشر وقد كان حق ظاهر اللفظ السابق - وإن تتبدلوا الكفر بالإيمان فقد ضللتم سواء السبيل - ولكنه سبحانه عدل عن هذا لأسرار بلاغية فى الآية الكريمة من بينها أن الرحمن الرحيم جل شأنه وعظم سلطانه لم يشأ أن يسند الكفر والضلال صراحة لهؤلاء المخاطبين رحمة منه سبحانه حتى لا ينقطع الأمل فى هدايتهم وعودتهم إلى الطريق المستقيم وهذا على تقدير أن الخطاب كان لمشركى عصر الرسول من قريش واليهود حينما تعنتوا بالسؤال وطلبوا منه صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء ويفجر لهم الأرض أنهاراً وغير ذلك كما أورد ابن جرير الطبرى عن ابن عباس - رضى الله عنه - قال : (قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم آتنا بكتاب تنزله علينا من السماء يقرؤه وفجر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك فأنزل الله فى ذلك (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) الآية(٢) .

و قال ابو العالية : إن هذه الآية نزلت حين قال بعض الصحابة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم : ليت ذنوبنا جرت مجرى ذنوب بنى اسرائيل بتعجيل العقوبه فى الدنيا ،

---

(١) سورة البقره الآية (١٠٨) .

(٢) انظرجامع البيان للطبرى ح ٣٨٥/١ . وكذا الدر المنثور للسيوطى ح ٢٦٠/١ .
وكذا البحر المحيط ح ٢٤٥/١ .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : قد أعطاكم الله خيرا مما أعطى بنى اسرائيل وتلا { **ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما** }[١] وقد يكون هذا الرأى هو الأرجح ويؤيده قوله تعالى : (رسولكم) بإضافة كلمة (رسول) إلى المخاطبين[٢] فهو بهذا يكون خطاباً للمسلمين المعاصرين للنبى بالدرجة الأولى ثم لكل مسلم فيما بعد يحاول التمحق فى الدين والتنطع فيه والمروق من أحكامه وذلك بإيعاذ من الشيطان الرجيم (بترك الثقة بالأيات المنزلة والشك فيها واقتراح غيرها)[٣] وقد سوغ لهذا العموم كلمة (من) فكأنه سبحانه يتحاش نسبة هذا إلى فئة معينه لطفاً منه ورأفة بهم ولكنه يضع أمام العباد نموذجاً حياً لمن ضل سواء السبيل ويترك لهم حرية الأختيار فى سلوكه.

هذا ما ظهر لنا فى هذا الموضع ولكل متأمل فى الآية نظرات جديده غير هذا وذاك والله الهادى إلى سواء السبيل .

(٧) ومنه قول الله تعالى :

{ **واذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير** }[٤] .

الالتفات فى قول الله تعالى { **من آمن منهم بالله** } فى لفظ الجلالة - الله - بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة الخطاب فى دعاء سيدنا إبراهيم فى قوله (رب) وكان مقتضى السياق قوله - من آمن منهم بك - تمشياً مع سابقه.

---

(١) النساء الآية (١١٠) انظر المحرر الوجيز لابن عطيه ح ١٩٥/١ .

(٢) انظر ارشاد العقل السليم ح ١٧٤/١ .

(٣) انظر تفسير النسفى ح ٦٨/١ .

(٤) سورة البقره الآي (١٢٦) .

والنكته فيه والله أعلم (حكم تكمن فى تأدب سيدنا إبراهيم - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - مع ربه)[١] جعله يختار الكلمات المناسبة لكل مقام ففى مقام الدعاء اختار كلمة (رب) لما فيها من لين وتحنن وإقرار بالربوبيه لله وحده وهى حبيبه لسيدنا إبراهيم فقد تكررت على لسانه الطاهر كثيراً.

أما فى مجال العقيدة وإخلاص التوحيد فيجب أن تكون القوه والحزم والوضوح التام ولا يتناسب مع هذا المقام إلا لفظ الجلالة الجامع لكافة الأسماء والصفات فكان الالتفات إليها بصيغة الغائب هو الانسب والأوضح .

قال ابن جرير فى هذا المقطع من الأية { وهذه مسئلة من إبراهيم ربه أن يرزق مؤمنى أهل مكة من الثمرات دون كافريهم وخص بمسئلة ذلك للمؤمنين دون الكافرين لما أعلمه الله عند مسئلته اياه أن يجعل من ذريته أئمه يقتدى بهم أن منهم الكافر الذى لا ينال عهده والظالم الذي لا يدرك ولأتيه } ولهذا تحرز إبراهيم عليه السلام وقال : (**من آمن منهم بالله**)[٢] .

---

(١) انظر ارشاد العقل السليم لأبى السعود

(٢) انظر جامع البيان ح ٤٢٧/١ .

وانظر المحرر الوجيز لابن عطية ح ٢٠٩/١ .

(٨) ومنه قول الله تعالى :

{ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيره الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم إن الله بالناس لرؤف رحيم }[١] .

فى الآية المباركة التفاتات عده ولكن المقصود فى قوله تعالى : {**من يتبع الرسول**} فى كلمة (الرسول) التى جاءت بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله {**القبلة التى كنت** } بخطاب مباشر للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وكان حق مناسبه هذا الخطاب استمرار الصيغه نفسها فتأتى الآية - من يتبعك - بدل من (يتبع الرسول) فلماذا عدل الحق تبارك وتعالى عن مسايره الأسلوب إلى هذا الالتفات؟ . أراد بقوله هذا سبحانه وتعالى:{**وما جعلنا القبلة التى كنت عليها**} ولم نجعل صرفك عن القبلة التى كنت على التوجه إليها يا محمد فصرفناك عنها الا لنعلم من يتبعك ممن لا يتبعك ممن ينقلب على عقبيه}[٢] .

ولما كان التوجه إلى الكعبة توجهاً إلى المكان الذى ألفه النبى والمؤمنون وله إلى ذلك نزوع أتى بالخطاب دون لفظ الرساله[٣] ليستشعر كل المطيعين للرسول فى تغير القبلة أن الخطاب موجه له وعلى رأسهم النبى صلى الله عليه وسلم (قال ابن عباس* : القبلة فى الآية الكعبة[٤] وقد كان الهادى صلى الله عليه وسلم تتوق نفسه الطاهرة إلى التوجه إليها فى الصلاة ولذا قال الله عز من قائل : {**قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام**} [٥]

---

(١) سورة البقره الآية (١٤٣) . (٢) انظر جامع البيان للطبرى ج ٨/٢ .

(٣) انظر البحر المحيط ج ٤٢٤/١ . (٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطيه ج ٢٢٠/١ .

(٥) جزء من الآية (١٤٤) من سورة البقرة..

* هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب حبرالأمة وفقيه العصر وإمام التفسيروُلد في زمن الحصار في شعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين وأمه لبابه الكبرى أخت أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنهما، لازم النبي عليه الصلاة والسلام وروى عنه كثير من الاحاديث في كتب الصحاح وتوفى سنة ثمان أوسبع وستين للهجرة ، انظر تهذيب سير اعلام النبلاء ج١/١٠١ وكذا التفسير والمفسرون للذهبي ج١/٦٥.

و في قوله : (لنعلم من يتبع الرسول) .جاء الالتفات إلى الغيبة لإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة للإشعار بعلة الإتباع[١] فمن اتبع الرسول صدق وآمن برسالته ومن خالف فقد خالف الرسالة بمخالفته الرسول ولهذا ساغ الالتفات إلى الغيبة لحاجة المقام إلى كلمة رسول . ثم يأتى الأسلوب القرآنى بجمل هى من أعظم الجمل وابلغها لتعزز موقف الرسول وتعظم تلك الرسالة وتوضح مقاصدها ألا وهى قوله تعالى : {**وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤف رحيم**}. فالأمر وا ضح جلى وانتم مخيرون فى الاتباع او عدمه فمن اتبع الرسول فهو ناج ومن انقلب على عقبيه فعليه إثمه والله لا يهدى القوم الظالمين .

(٩) ومنه قول الله تعالى :

{ **ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهوائهم من بعد ما جاءك من العلم إنك اذاً لمن الظالمين. الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** }[٢] .

الالتفات فى قوله تعالى : {يعرفونه}[٣] بصيغة الغيبة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه الغيبة جاءت بعد مخاطبته عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى : {**ولئن آتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك**} إلى اخر الآية المباركة.

---

(١) انظر ارشاد العقل السليم لأبى السعود ج ٢٠٦/١ . وكذا روح المعانى للالوس ج٥/٢ .
فى الآية التفاتان أخرآن من التكلم الي الغيبة درس ص (٢١١)
وكذا من الغيبة إلى الخطاب درس ص (٩٣) .

(٢) البقره الأيتين ١٤٥ - ١٤٦

(٣) أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن ابى حاتم وابو الشيخ عن قتاده فى قوله { الذين أتيناهم الكتاب} قال : اليهود والنصارى (يعرفونه) أى يعرفون رسول الله فى كتابهم (كما يعرفون أبناءهم) انظر الدر المنثور للسيوطى ج ٣٥٦/١ .

وكـان حـق السيـاق استمـرار هـذا الخطاب فتأتى - يعرفونك - بدل (يعرفونه)، ولكنه سبحانه أثر صيغة الغيبة فى يعرفونه للإيذان بأن المراد ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطورا فى الكتاب منعوتاً فيه بالنعوت التى من جملتها أنه يصلى إلى قبلتين [١] .

قال أبو حيان (وهذا من باب الالتفات لأنه قال تعالى:{**قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك**} ثم قال : (ولئن أتيت الذين) إلى آخر الآية فهذه كلها ضمائر خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة وحكمة هذا الالتفات أنه لما فرغ من الإقبال عليه بالخطاب أقبل على الناس فقال الذين أتيناهم الكتاب واخترناهم لتحمل العلم والوحى يعرفون هذا الذى خاطبناه فى الآية السابقة وأمرناه ونهيناه لا يشكون فى معرفته ولا فى صدق إخباره بما كلفناه من التكاليف التى منها نسخ بيت المقدس بالكعبة لما فى كتابهم من ذكره ونعته والنص عليه يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والأنجيل)[٢] . ويعزز هذا الرأى ماجاء عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : أنا أعلم به منى بابنى قال : ولم؟ قال لأنى لست اشك فى محمد أنه نبى وأما ولدى فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه [٣]

وقد ذكرت بعض كتب التفسير أن الضمير فى يعرفونه يعود على الحق الذي هوالتحول بأمر الله إلى الكعبه[٤] ولكن القول الأرجح ان يكون الضمير عائداً على النبى يشهد لذلك قوله تعالى (كما يعرفون أبناءهم) وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام ....واختص الأبناء لأن الذكر أشهر وأعرف وهم لصحبة الأباء ألزم وبقلوبهم ألصق[٥] .

---

(١) انظر ارشاد العقل السليم لأبى اسعود ج١/٢٠٩. (٢) انظر البحر المحيط ج ٤٣٥/١ .

(٣) انظر التفسير الكبير للرازى ج ١٢٨/٤، وكذا تفسير أبى سعود ج ٢١٠/١، وكذا الكشاف للزمخشرى ج ٣٢١/١

(٤) انظر جامع البيان للطبرى ج ١٦/٢ وكذا تفسير ابن عطيه ج ٢٢٣/١ ، وكذا الدر للسيوطى ج ٣٥٦/١

(٥) انظر الكشاف ج ٣٢١/١ .

(١٠) ومنه قوله تعالى :

{ يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالاً طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين* إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون* واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه أباءنا أو لو كان أباءهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : {**واذا قيل لهم**} بصيغة الغيبة وذلك بعد مخاطبتهم بصورة مباشرة فى قوله تعالى : {**يا أيها الناس كلوا**} إلى قوله تعالى : {**وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**} ولو لم يعدل بالأسلوب إلى الغيبة لكان حق الظاهر - واذا قيل لكم - بدل قوله تعالى : (واذا قيل لهم) قال فيه ابن جرير (ان تكون الهاء والميم اللتان فى قوله تعالى : (واذ ا قيل لهم من ذكر الناس الذين فى قوله تعالى ذكره : (يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالاً طيبا) فيكون ذلك انصرافاً من الخطاب إلى الخبر عن الغائب كما فى قوله تعالى ذكره حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبه ... ويكون ذلك رجوعاً من الخطاب إلى الخبر الغائب)[٢] . وهذا العدول عن الخطاب إلى الغيبة اقتضته نكتة بلاغية قال فيها أحد المفسرين[٣] : (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله التفات إلى الغيبة تسجيلاً بكمال ضلالهم وايذاناً بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه إلى العقلاء وتفصيل مساويء أحوالهم لهم على نهج المباثة أي اذا قيل لهم على وجه النصيحة والإرشاد اتبعوا كتاب الله الذى أنزل «قالوا» لا نتبعه «بل نتبع ما ألفينا عليه أباءنا أى وجدناهم عليه») فلفرط جهلهم و حمقهم ليسوا أهلاً للخطاب بل

---

(١) سورة البقره الآيات (١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠) .

(٢) انظر جامع البيان ح ٤٧/٢ .

(٣) انظر أبو السعود في إرشاد العقل السليم ح٢٢٣/١

ينبغى أن يصرف عنهم الى من يعقله وكذا فيه من النداء لكل أحد من العقلاء على ضلالتهم ماليس اذا خوطبوا به مباشرة[١] .

(١١) ومنه قول الله تعالى :

{ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم أباءكم أو أشد ذكراً فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق }[٢] .

موضع الالتفات فى هذه الآية المباركة فى قوله تعالى : **{فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق}** بصيغة الغيبة التى جاءت بعد بدء الآية بخطاب مباشر فى قوله تعالى : { فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم أباءكم } وكان مقتضى السياق استمرار هذا الخطاب بقوله فمنكم من يقول ...الخ ولكنه سبحانه عدل عنه إلى صيغة الغيبة لحكمة اقتضت هذا العدول منها والله أعلم وأحكم أنه فى موضع الذكر والتقرب إلى المولى العلى القدير خاطبهم سبحانه مباشرة تقرباً منه سبحانه بهم ورأفة عظيمة عليهم ورفعة لشأنهم وهم الذاكرون الله أما مع الذين يطلبون الدنيا ولا غير ويركضون خلفها لاهين متشاغلين بها عن دار البقاء السرمدى فهؤلاء فى منزلة لا تليق بالحضور فى شرف حضرته سبحانه وتعالى فابعدهم العزيز الحكيم عن شرف الحضور بالتحدث عنهم باسلوب الغائب و بمثل هذا قال المفسرون رحمهم الله -

---

(١) انظر روح المعاني ح١/٢/٤٠ .
وإذا قيل لهم : يعنى كفار العرب وقال ابن عباس : نزلت في اليهود وقال الطبرى : الضمير فى «لهم» عائد على الناس من قوله يا أيها الناس» وقيل عائد على (من) فى قوله تعالى(ومن الناس من يتخذن دون الله أنداداً) البقره ١/١٦٥ انظر المحرر الوجيز لابن عطيه ح ١/٢٣٨ وكذا انظر البحر المحيط لأبى حبان ح ١/٤٨٠ .

(٢) سورة البقره الآية (٢٠٠) .

فاسمع أبا حيان يقول { قالوا بين تعالى حال الذاكرين له قبل مبعثه وحال المؤمنين بعد مبعثه وعلمهم بالثواب والعقاب والذى يظهر أن هذا تقسيم للمأمورين بالذكر بعد الفراغ من المناسك وأنهم ينقسمون فى السؤال إلى من يغلب عليه حب الدنيا فلا يدعوا الا بها ومنهم من يدعو بصلاح حاله فى الدنيا والأخرة . وان هذا من الالتفات ولو جاء على الخطاب لكان فمنكم من يقول ومنكم . وحكمة هذا الالتفات أنهم ما وجهوا بهذا الذى لا ينبغى أن يسلكه عاقل وهو الاقتصار على الدنيا فابرزوا فى صورة أنهم غير المخاطبين بذكر الله بأن جعلوا فى صورة الغائبين وهذا من التقسيم الذى هو من جملة ضروب البيان وهو تقسيم بديع)[1] والمراد به الحث على الإكثار والانتظام فى سلك الآخرين[2] الذين يقولون « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» وقد اخرج ابن أبى شيبة والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وأبو يعلى عن أنس قال كان أكثر دعوة يدعو بها رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)[3] .

(١٢) ومنه قول الله تعالى :

{ **وما أنفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار** }[4] .

الالتفات فى قول الله تعالى : {**وما للظالمين من أنصار**} بصيغة الغيبة بعد أن بدأت الآية بخطاب مباشر فى قوله تعالى : (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر) ففى الخطاب الوارد فى أول

---

(١) انظر البحر المحيط ج ١٠٤/٢.

(٢) انظر ارشاد العقل السليم لأبى السعود ج ٢٤٦/١.

(٣) انظر الدر المنثور للسيوطى ج ٥٥٨/١، وكذا البخاري ج٨ ص (٧٠) كتاب الدعوات .

(٤) سورة البقره الآية (٢٧٠) .

الآية لين وتقرب من الله لعبادة المنفقين أموالهم فى طاعته ورضاه وفى نفس الوقت نجده ينبه بهذا الخطاب المباشر أولئك المبذرين وقد قال ابن جرير فيه : (وما للظالمين من أنصار يعنى سبحانه - وما لمن أنفق ماله رياء الناس وفى معصية الله وكانت نذره للشيطان وفى طاعته من أنصار - ينصرهم من الله يوم القيامة فيدفع عنهم عقابه يومئذ بقوة وشدة بطش ولا يفديه ... وإنما سمى الله المنفق رياء الناس والناذر فى غير طاعة ظالماً لوضعه انفاق ماله فى غير موضعه ونذره فى غيرماله وضعه فيه فكان ذلك ظلمه[١] فقد أشار ابن جرير بكلامه هذا إلى أن فى الآية التفاتاً من الخطاب إلى الغيبة وإن لم يصرح بهذا. وهكذا يجعلهم الله فى عداد الغائبين لأنهم ظالموا أنفسهم بما صنعوا من رياء ونذر وإن كان نذر طاعة لأنه ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : « لا تنذروا فإن النذر لا يغنى من القدر شيئاً ، وإنما يستخرج من البخيل»[٢] فسماهم الحق ظالمين أي الواضعين الأشياء فى غير مواضعها فيشمل المنفقين بالرياء وبالمن والأذى[٣] وعدم الوفاء بالنذر أو بالإنفاق الخبيث وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم[٤] وظاهر اللفظ العموم فكل ظالم لا يجد له من ينصره ويمنعه من الله[٥] ومن الملاحظ على أسلوب القرآن المعجز أنه يتحاشى نسبة السوء فى كثير من المواضع إلى فاعل معين بل يجعله سبحانه أمراً عاماً لتوخذ منه العظة والعبرة على مر الزمان دون تشهير أو تنديد فسبحانه وتعالى ما أعظم رحمتة بعباده حتى العاصين منهم ومن هذا يتضح أن الالتفات إلى الغيبة هو الأبلغ في هذا المقام الكريم والله أعلم واحكم .

---

(١) انظر جامع البيان ج ٣/٦١.

(٢) انظر الدر المنثور للسيوطى ج ٢/٧٣. وكذا اخرجه مسلم في صحيحه باب النهي عن النذر ج٣ ص(١٢٦١).

(٣) انظر روح المعانى ج ٣/٤٣.

(٤) انظر ارشاد العقل السليم لأبى السعود ج ١/٢٠٥.

(٥) انظر البحر المحيط لأبى حبان ج ٢/٣٢٣ وكذا تفسير ابن عطيه ج ١/٣٦٥ .

** سورة آل عمران **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) أول مواضع الالتفات من المخاطب إلى الغائب فى سورة آل عمران المباركة قول الله تعالى :

{**ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد**}[١] .

الالتفات فى قول الله عز وجل : { **إن الله لا يخلف الميعاد**} بصيغة الغيبة وذلك بعد مخاطبته سبحانه بالدعاء والالتجاء إليه فى قولهم : {**ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه**} وكان مقتضى السياق- إنك لا تخلف الميعاد - باستمرارصيغة التخاطب ولكن ظهور جملة : {**إن الله لا يخلف الميعاد**} بصيغة الغيبة لأغراض بلاغية كعادة الالتفات منها كما قال : ابن عطيه* (يحتمل ان يكون إخباراً منه محمداً عليه السلام وأمته. ويحتمل ان يكون حكاية من قول الداعين ، ففى ذلك إقرار بصفة ذات الله تعالى)[٢] . وهو من بقية كلام الراسخين فى العلم[٣] وذلك أن معنى الكلام (ربنا إنك جامع الناس ليوم القيامة فاغفر لنا يومئذ واعف عنا فإنك لا تخلف وعدك أن من آمن بك واتبع رسولك وعمل بالذى امرته به فى كتابك أنك غافره يومئذ وإنما هذا من القوم مسألة ربهم أن يثبتهم على ماهم عليه من حسن)[٤] .

والغرض الأعظم من دعائهم مايتعلق بالآخرة فإنا نعلم أنك يا إلهنا جامع الناس للجزاء في يوم القيامة ، ونعلم أن وعدك لا يكون خلفاً وكلامك لا يكون كذبا افمن زاغ قلبه بقى هناك فى العذاب أبد الآباد ومن اعطيته التوفيق والهداية والرحمة وجعلته من المؤمنين ، بقى هناك فى السعاده[٥]

---

(١) سورة آل عمران الآية : (٩).

(٢) انظر المحرر الوجيز ج١/ ٤٠٥ .

(٣) انظر التفسير الكبير للرازى ج ١٨٢/٧.

(٤) انظر جامع البيان للطبرى ج ١٢٦/٣.

(٥) انظر التفسير الكبير للرازى ج ١٨٢/٧.

* هو القاضي أبومحمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي المولود سنة ٤٨ ، و المتوفي سنة ٥٤٦ ، انظر ترجمته في مقدمة كتاب تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد.

فأصبح إظهار الاسم الجليل مع الالتفات لابراز كمال التعظيم والإجلال الناشيء من ذكر اليوم المهيب الهائل[١] وهذه بعض أغراض الالتفات إلى الغيبة فى هذا الموضع .و النكتة الثانية:(الإشعار بعلة الحكم فإن الألوهية منافية للاخلاف.

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين }[٢] .

موضع الالتفات فى هذه الآية المباركة : فى إيثار الإظهار فى قوله تعالى : (والرسول) على الإضمار الذى كان من مقتضى السياق وروده فى «اطيعوا الله» واطيعونى - تمشيا مع السياق السابق عليه فى قوله تبارك وتعالى «قل» . فلماذا عدل أسلوب القرآن إلى الغيبة وظهور الاسم الظاهر - الرسول - بدل استمرار السياق على وتيرة واحده؟.

روى الطبرى عن ابن الزبير - رضى الله عنه - قوله : (فأنتم تعرفونه يعنى الوفد من نصارى نجران وتجدونه فى كتابكم)[٣] فاطيعوه سبحانه بامتثال أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، واجتناب نهيه وتصديق خبره[٤] .والمعنى : (إنما أوجب الله عليكم متابعتى لا كما تقول النصارى فى عيسى بل لكونى رسولاً من عند الله)[٥] وهذه هى علة إيثار الإظهار على الإضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الإطاعة والإشعار بعلتها فإن الإطاعة المأمور بها إطاعتة عليه الصلاة والسلام من حيث أنه رسول الله لا من حيث ذاته ولا ريب فى أن عنوان الرسالة من موجبات الأطاعة ودواعيها[٦] ولهذا عدل بالإسلوب من الخطاب فى (قل) إلى الغيبة فى (الرسول) وفيه وعيد شديد لمن أعرض عن هذا بدليل قوله تعالى (فإن الله لا يحب الكافرين) ولذا يحتمل أن تكون هذه الآية بعد الصدع بالقتال[٧] والله أعلم .

---

(١) انظر ارشاد العقل السليم ح ٢٣١/١ وكذا روح المعانى ح١: ٩١/٣، وكذا البحر المحيط ح ٣٨٧/٢ .

(٢) آل عمران الآية : (٣٢).

(٣) انظر جامع البيان ح ٥٦/٣ وكذا الدر المنثور للسيوطى ح١٧٩/٢.

(٤) تفسير السعدى بتصرف ح ٢٤٠/١.

(٥) انظر تفسير الكبير للرازى ح ١٩/٨.

(٦) انظر ارشاد العقل السليم لأبى السعود ح /٢٤٨.

(٧) انظر المحرر الوجيز لابن عطيه ح ٤٢٢/١.

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم }[١] .

الالتفات فى هذه الآية المباركة فى قوله تعالى **{والله أعلم بما وضعت}** بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة الخطاب فى قول «حنه» امرأة عمران (رب) مناجيه الله سبحانه وتعالى بهذا النداء الذى فى ضمنه التحسر والتلهف لأنهم كانوا لا يحررون الإناث لخدمة الكنائس ولا يجوز ذلك عندهم وكانت قد رجت أن يكون مافى بطنها ذكراً فلما وضعتها انثى تلهفت على فوت الأمل وافزعها ان نذرت مالا يجوز نذره[٢] فهذه الجملة الاعتراضية خبر من الله عز وجل عن نفسه أنه العالم بما وضعت من غير قيلها «رب إنى وضعتها أنثى»[٣] وفيه (تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشأنه وتجهيل لها بقدره أى والله أعلم بالشىء الذى وضعته وماعلق به من عظائم الأمور وجعله وابنه آيه للعالمين وهى غافله عن ذلك)[٤] واظهر ما يكون الالتفات لو كانت هذه الجملة الاعتراضية من كلام أم مريم أنها هى قائلة هذا والله أعلم بما ولدت منى على صيغة التكلم مع الله من الخطاب إلى الغيبة إظهارا لغاية الإجلال فيكون وذلك منها اعتذار إلى الله تعالى حيث أتت بمولود لا يصلح لما نذرته ... تسليه لنفسها على معنى لعل لله تعالى فيه سراً وحكمة ولعل هذه الأنثى خير من الذكر فوجه الالتفات حينئذ ظاهر)[٥]. فكان الالتفات هنا من الخطاب إلى الغيبة إذ لوجرت على مقتضى قولها:(رب) لقالت و أنت أعلم بما وضعت.

---

(١) آل عمران الآية : (٣٦) .

(٢) انظر المحرر الوجيز لابنعطيه ح ٤٢٤/١/٤٢٥.

(٣) انظر جامع البيان للطبرى ح ١٥٩/٣.

(٤) المرجع السابق الصفحه نفسها.

(٥) انظر ارشاد العقل السليم لأبى السعود ح ٣٥٢/١. وكذا البحر المحيط ح /٤٣٩ ، وكذا روح المعانى ح١ : ١٣٤/٣ وما بعدها وكذا أنوار التنزيل للبيضاوى : ٧٢ ، وكذا تفسير السعدى ح ٣٧٦/١. وذكر ابن عطيه قراءة ثالثة عن ابن عباس قرأ (والله اعلم بما وضعت) بكسر التاء على الخطاب من الله لها / انظر المحرر الوجيز ح ٤٢٥/١ وفيها التفات من المخاطب إلى التكلم .

(٤) ومنه فى نفس السورة المباركة - آل عمران - قول الله تعالى :
{ **قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون** }[1] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون** } بصيغة الغيبة عنه عز وجل وذلك بعد خطاب مريم عليها السلام له مباشرة بقولها : (رب). وكان حق السياق - كذلك أنا أخلق ما أشاء اذا قضيت أمراً فإنما أقول له كن فيكون - ولكن اين هذا من ذاك لقد غاب لغياب لفظ الجلال بصيغة الغيبة شيء معجز لا يقف على اسرار كنهه غير مبدعه سبحانه وتعالى وإنما هى محاولات من البشر لعلها تصيب شيئا من الصواب قال فيه بعض المفسرين : (يعنى بذلك جل ثناؤه قالت مريم اذ قالت لها لملائكة إن الله يبشرك بكلمة منه (رب أنى يكون لى ولد) من أى وجه يكون لى ولد أمن قبل زوج أتزوجه وبعل أنكحه أو تبتديء في خلقه من غير بعل و لا فحل ومن غير أن يمسنى بشر فقال الله لها «كذلك الله يخلق ما يشاء» يعنى هكذا يخلق الله منك ولداً لك من غير أن يمسك بشر فيجعله آية للناس وعبرة فإنه يخلق ما يشاء ويصنع ما يريد)[2] .
وقوله (فقال الله لها) فيه إشارة إلى وجود الالتفات لأن الله كان فى - كلام مريم عليها السلا م - مخاطبا بقولها (رب) ثم أخبر عن نفسه سبحانه بطريق الغيبة فى قوله (قال كذلك - الخ) .
وبما أن الموقف موقف إعجاز عظيم في خلقه سبحانه ناسب ظهور لفظ الجلالة جل جلاله ذي القدرة المطلقة والصفات والأسماء الجامعة ومن هنا كان الالتفات إلى الغيبة الأبلغ فى هذا المقام لحاجة المعنى للاسم الجليل مع ظهور معجزة من معجزات خلقه جل جلاله.

---

(١) آل عمران الآية : (٤٧) وشبيه بهذا قول زكريا عليه السلام في الآية ٤٠ من نفس السورة.
(٢) انظر جامع البيان للطبرى ح ١٨٨/٣ . وكذا الدر المنثور للسيوطى ح ١٩٩/٢.
وكذا البحر المحيط ح ٤٦٣/٢.
وكذا تفسير ابى السعود ح ٣٦٢/١ ، وكذا ابن عطيه ح /٤٣٧ ،. وانظر تفسير السعدى ح ٢٤٥/١.

(٥) ومنه قول الله تعالى :

{ ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون }[١] .

الالتفات في قوله تعالى : {**يجمعون**} بصيغة الغيبة وذلك بعد بدء الآية المباركة بأسلوب الخطاب كما هو واضح في قوله تعالى : {ولئن قتلتم} وكذا في (متم) وكان مقتضى السياق قول الحق عز وجل من قائل - خير مما تجمعون[٢] - باستمرار صيغة الخطاب. فماسر هذا الالتفات؟ إن فى تغير الإسلوب من الخطاب إلى الغيبة إشعاراً بأن الجمّاعين هم أقل درجة ممن قتل فى سبيل إعلاء كلمة الله وشأنهم أحقر من أن يخاطبهم الله مباشرة كما أتى خطاب المغفره والرحمة ليتضح الفرق جلياً بين الزمرتين. من وهب نفسه فى سبيل الله ومن تهالك علي الدنيا وسعى لها سعيها أولئك جعلهم الله غيّباً لما انطوت عليه قلوبهم من حب للدنيا وعدم مبالاة بالآخره. ولهذا نفسه نجد الأسلوب يعود مرة ثانيه إلى الخطاب المباشر فى قوله تعالى {**ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون** }[٣] .وكذا لأن هذين الأمرين حكمها عام فجميعهم يساقون إلى نفس المصير

من الموت والحشر والمثول أمام الله فهو أمر ليس لأحد أن يفر منه - وهكذا نجد الالتفات فى حاجة المعانى البلاغية دائما.

---

(١) آل عمران الآية :(١٥٧) .

(٢) ذكر ابن عطيه : وقرأ الجمهور «تجمعون» بالتاء على المخاطبة وهى اشكل بالكلام / انظر المحرر الوجيز ح ١/٥٣٣ .

وقرأ حفص (يجمعون) بياء الغيبة على أن الضمير عائد على المشركين أى : خير لكم من غنائم المشركين التى جمعوها وطمعتم انتم فى غنمها / انظر الكشف لمكى ح /٣٦٢ وكذا القناع ح ٦٣٢/٢.

أو أنه على معنى : المغفره من الله لكم ورحمة خير مما يجمع غيركم فمن ترك القتال فى سبيل الله لجمع الدنيا ولم يقاتل معكم / انظر اتحاف فضلاء البشر ص ١٨١ وكذا الكشف ح ٣٦٢/١ .

(٣) آل عمران الآية : (١٥٨) .

** ســورة النساء **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) قال الله تعالى :

{ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنابك على هؤلاء شهيداً * يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً} [(١)]

الالتفات فى قوله تعالى : { **عصوا الرسول** } فى كلمة (الرسول) أتى بصيغة الغيبة عنه صلى الله عليه وسلم - وذلك بعد مخاطبته بقوله تعالى : {**وجئنابك**} وكان مقتضى السياق - وعصوك - تمشيا مع الخطاب السابق ولكنه سبحانه أتى بصيغة الغيبة ليورد ذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبيه فإن حق الرسول أن يؤمن به ويطاع لا أن يكفر به ويعصى[(٢)] فتسميته صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم تعليل كاف لوجوب طاعته وعظم جرم من عصاه. وفى هذا من تهويل الأمر وتفظيع الحال مالا يقادر قدرة[(٣)]. وان كانت كلمة (رسول) تدل على جنس الرسل[(٤)] فإنه صلى الله عليه وسلم يدخل فيها دخولاً أولياً فكأنه قال عز من قائل : (يوم نجيء من كل أمة بشهيد ونجيء بك على أمتك يامحمد شهيداً يود الذين كفروا يقول يتمنى الذين جحدوا وحدانية الله وعصوا رسوله لو تسوى بهم الأرض)[(٥)] فيصيرون ترابا حالهم كحال البهائم[(٦)] أعاذنا الله من هذا المصير .

---

(١) سورة النساء الأيتين (٤١ ، ٤٢)

(٢) انظر روح المعانى ح٢: ٥ /٣٤ وكذا البحر المحيط ح ٢٥١/٣.

(٣) انظر ارشاد العقل السليم ح١ / ٥٢٢- ٥٢٣.

(٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطيه ح ٥٦/٢ .

(٥) انظر جامع البيان للطبرى ح٤ : ٦٠/٥.

(٦) انظر التفسير الكبير للرازى ح ١٠٦/١٠.

فى الآية التفات أخر من المتكلم فى «جئنا» إلى الغائب فى لفظ الجلالة درس فى فضله ص (٢٢٤) .

(٢) ومنه فى سورة النساء أيضا قول الله تعالى :
{ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا }[١].

موضع الالتفات من الخطاب إلى الغيبة فى قوله تعالى:{ **أو نلعنهم**} بصيغة الغيبة عن أهل الكتاب وذلك بعد مخاطبتهم بالنداء الذى تصدرت به الآية المباركة فى قوله تعالى:{ **يا أيها الذين أوتو الكتاب امنوا**} وكان مقتضى هذا الخطاب استمرار صيغتة فتأتى الآية - من قبل أن نطمس وجوهكم فنردها على أدبارها أو نلعنكم كما لعنا أصحاب السبت . والذى حسن هذا الالتفات (أنه تعالى لما ناداهم كان ذلك تشريفاً لهم وهزاً لسماع ما يلقيه إليهم ثم ألقى إليهم الأمر بالإيمان بما نزل ثم ذكر أن الذى نزل هو مصد ق لما معهم من كتاب فكان ذلك أدعى إلى الإيمان ثم ذكر هذا الوعيد البالغ فحذف المضاف إليه من قوله من قبل أن نطمس وجوها والمعنى وجوهكم ثم عطف عليه قوله أو نلعنهم فأتى بضمير الغيبة لأن الخطاب حين كان الوعيد بطمس الوجوه وباللعنة ليس لهم ليبقى التأنيس دالهم والاستدعاء إلى الإيمان غير مشوب بمفاجأة الخطاب الذى يوحش السامع ويروع القلب ويصير أدعى إلى عدم القبول وهذا من جليل المخاطبة وبديع المحاورة)[٢] التى تستحوذ علي الألباب وتصل إلى الأعماق ولهذا اسلم بها من مكان ذا فطنة وذكاء من أهل الكتاب أخرج ابن أبى حاتم عن كعب قال أتيت المدينه فإذا تال يقرأ القرآن { **ياأيها الذين أوتو الكتاب** } الآية فبادرت الماء اغتسل ، وإنى لامس وجهى مخافة أن أطمس ثم أسلمت[٣].

---

(١) سورة النساء الآية : (٤٧) .

(٢) انظر البحر المحيط لأبى حبان التوحيدى ح ٣/٢٦٧ ، وكذا انوار التنزيل للبيضاوى ص ١١٤، وكذا جامع البيان للطبرى ٤: ٥/٧٩. وكذا ارشاد العقل السليم لأبى السعود ح ١/ ٥٣١ وما بعدها ، وكذا روح المعانى ح ٢: ٥/٥١ . وكذا التفسير الكبير ح ١٠/١٢٣

(٣) انظر الدر المنثور للسيوطى ح ٢/٥٥ . فى الآية التفات أخر من المتكلم إلى الغائب انظر ص (٢٢٤) .

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ومــــا أرسلنا مــن رســـول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلمـــوا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيماً}[1] .

الالتفات فى قول الله تعالى : **{استغفر لهم الرسول}** بصيغة الغيبة عنه صلى الله عليه وسلم بعد مخاطبته في قوله تعالى : **{جاءوك}** وقد كان مقتضى هذا الخطاب استمراره بمثل - واستغفرت لهم بدل قوله تعالى : **{واستغفر لهم الرسول}** قال الطبرى رحمه الله - (يعنى بذلك جل ثناؤه ولو أن هؤلاء المنافقين الذين وصف صفتهم فى هاتين الأيتين الذين إذا دعوا إلى حكم الله وحكم رسوله صدوا صدوداً أي ظلموا أنفسهم باكتسابهم إياها العظيم من الإثم فى احتكامهم إلى الطاغوت وصدودهم عن كتاب الله وسنة رسوله إذا دعوا إليها جاؤك يامحمد.. تائبين منيبين فسألوا الله أن يصفح لهم.... وسأل لهم الله رسوله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك. لوجدوا الله توابا رحيماً)[2] فقال عز من قائل : (واستغفر لهم الرسول) (ولم يقل واستغفرت لهم إجلالاً للرسول عليه الصلاة والسلام ، وأنهم اذا جاءوه فقد جاءوا من خصه الله برسالته وأكرمه بوحيه وجعله سفيراً بينه وبين خلقه ، ومن كان كذلك فإن الله لا يرد شفاعته ، فكانت الفائدة فى العدول عن لفظ الخطاب إلى لفظ المغايبه ما ذكرناه)[3] فشفاعة من هو رسول عظيمة الشأن جديرة بالقبول عنده سبحانه ولهذا عدل بالأسلوب من الخطاب إلى الغيبة تفخيماً لشأن تلك الشفاعة ويراداً لعلة قبولها.

---

(١) النساء الآية : (٦٤) . (٢) انظر جامع البيان للطبرى ج٤ : ١٠٠/٥.

(٣) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ج ١٦٢/١٠. وانظر كذا البحر المحيط ج ٢٨٣/٣.
وكذا من اسرار البلاغه فى القرآن د/ محمود السيد شيخون ص (١٨) .
وكذا انوار التنزيل للبيضاوى ص(١١٦) ، وكذا ارشاد العقل السليم لأبى السعود ج ٥٤٤/١ .
وكذا روح المعانى للالوس ج٢ : ٧٠/٥.
فى الآية التفات أخر من المتكلم إلى الغائب انظر ص (٢٢٦) .

(٤) ومنه قول الله تعالى :

{ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيده وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : **{ وإن تصبهم حسنة يقولوا}** بصيغة الغيبة عنهم وذلك بعد الخطاب المباشر فى بداية الآية : **{أينما تكونوا}** بدأت الآية المباركة بخطاب مباشر وذلك لعموم الحكم الذى تضمنه هذا المقطع من الآية ، مبينا سبحانه وتعالى (أنه لا خلاص لهم من الموت ، والجهاد موت مستعقب لسعادة الآخرة ، فاذا كان لابد من الموت ، فبأن يقع على وجه يكون مستعقبا للسعادة الأبدية كان أولى من أن لا يكون كذلك[٢]. ثم اعقب هذا الحكم العام كلام يخص اليهود وكذا المنافقين[٣] وقيل أنه خاص بالمنافقين لكونهم متثاقلين عن الجهاد خائفين من الموت غير راغبين فى سعادة الآخرة وإن جاهدوا وقاتلوا فأصابوا راحة وغنيمة قالوا : هذه من عند الله ، وإن أصابهم مكروه قالوا : هذا من شؤم مصاحبة محمد صلى الله عليه وسلم[٤] كما اخرج ابن جرير عن زيد قال : هذه الأيات نزلت فى شأن الحرب[٥] وفى هذا الالتفات إلى الغيبة فى قوله تعالى : **{وإن تصبهم }** من الاستنكار الشديد اللهجة من الله عز وجل لعملهم هذا مايجعلهم غير أهل لمخاطبته سبحانه فهم أحقر من ذلك بكثير فاستحقوا البعد عن حضرة الله وأوليائه ولذا جاءت صيغة الغيبة لتمثل هذا المعنى أوضح تمثيل وذلك بعد المواجهة الصريحة فى أول الآية **{أينما تكونوا يدرككم الموت}** التى تفيد عموم الخطاب والله أعلم .

---

(١) النساء الآية : (٧٨)

(٢) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ح ١٨٧/١٠ ، وكذا تفسير السعدى ح ٣٧٣/١.

(٣) انظر ارشاد العقل السليم لأبى السعود ح ٥٥٣/١ ، وكذا البحر المحيط ح ٣٠٠/٣.

(٤) انظر التفسير الكبير ح ١٨٨/١٠ وكذا تفسير النسفى ح ٢٣٨/١.

(٥) جامع البيان للطبرى ح٤ : ١١٠/٥.

(٥) ومنه فى سورة النساء المباركة قول الله تعالى :

{ ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفه منهم غير الذى تقول والله يكتب مايبيتون فاعرض عنهم وتوكل علي الله وكفى بالله وكيلا* أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا* واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولو لا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا }[1] .

الالتفات فى قول الله تعالى: { **إلى الرسول** } بصيغة الغيبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد مخاطبته فى قوله تعالى : {**من عندك**} وكذا حتى (**تقول**) وكذا (**فاعرض**) وكذا (**وتوكل**) وكان مقتضى هذه المخاطبة قوله- ولو ردوه إليك - بدل قوله تعالى:(**ولو ردوه إلى الرسول**) فلماذ عدل بالأسلوب من الخطاب إلى الغيبة ؟قيل فيه:(والالتفات لما أن عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة إلى رأيه عليه الصلاة والسلام)[2] فلو امسكوا عن الخوض فيما بلغهم واستقصوا الأمر من الرسول وأولى الأمر لعلم حقيقة ذلك الأمر الوارد من له بحث ونظر وتجربة فأخبروهم بحقيقة ذلك وأن الآمر ليس جارياً على أول خبر يطرأ[3] فحاجة السياق لإيراد كلمة (**الرسول**) صلى الله عليه وسلم وأنه من أحق حقوقه أن يرد إليه فى كافة الأمور وهو حى وإلى الكتاب الذى جاء به وسنته المطهرة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى وقد نبه سبحانه بقوله:(**وإلى أولى الأمرمنهم**) على وجوب طاعة الحكام والعلماء وأن طاعتهم فى غير معصيته امتداد لطاعته سبحانه وهذا الحكم سارى المفعول إلى قيام الساعة .

---

(١) النساء الآية : (٨١ ، ٨٢ ، ٨٣) .

(٢) انظر ارشاد العقل السليم لأبى السعود ح ٥٥٧/١ .
وكذا روح المعانى للألوس ح٢ : ٩٣/٥. وانظر تفسير السعدى ح ٣٧٧/١ .

(٣) انظر البحر المحيط لأبى حبان ح ٣٠٥/٢ - ٣٠٦. وكذا أنوار التنزيل للبيضاوى ص (١٢٠) .
وكذا المحرر الوجيز لابن عطيه ح ٨٤/٢ . فى الآية التفات أخر من الغيبة إلى الخطاب درس ص (١٠٩)

** سورة المائده **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

جاء فى هذه السورة قول الله تعالى :

{ يا أيها الذين آمنو اذكروا نعمت الله عليكم إذهم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون }[١] .

الالتفات فى هذه الآية من صيغة الخطاب فى قوله تعالى : **{يا أيها الذين آمنوا}** إلى صيغة الغيبة فى قوله تعالى : **{فليتوكل المؤمنون}** يعنى بذلك (جل ثناؤه واحذروا الله أيها المؤمنون إن تخالفوه فيما أمركم ونهاكم وأن تنقضوا الميثاق الذى وثقكم به فتستوجبوا منه العقاب الذى لاقبل لكم به ... وإلى الله فليلق أزمة أمورهم ويستسلم لقضائه ويثق بنصرته وعونه المقرون بوحدانية الله ورسالة رسوله. العاملون بأمره ونهيه فإن ذلك من كمال دينهم وتمام إيمانهم وأنهم اذا فعلوا ذلك كلأهم ورعاهم وحفظهم ممن أرادهم بسوء كما حفظكم ودافع عنكم أيها المؤمنون) [٢] فقد جاء الأمر بالتقوى أمر مواجهه مناسباً لقوله اذكروا وجاء الأمر بالتوكل أمر غائب لأجل الفاصلة وإشعاراً بالغلبة وإفادة لعموم وصف الإيمان أي لأجل تصديقه بالله ورسوله يؤمر بالتوكل كل مؤمن لإبتداء الآية بمؤمنين على جهة الإختصاص وختمها بمؤمنين على جهة التقريب[٣] والجمله تذييل مقرر لما قبله[٤] أى يعتمدوا عليه سبحانه فى جلب مصالحهم الدينية والدنيوية ، ويتبرأوا من حولهم وقوتهم ، ويثقوا بالله تعالى فى حصول ما يحبون وعلى حسب إيمان العبد يكون توكله هو من واجبات القلب المتفق عليها[٥] .

---

(١) المائده الآية : (١١)ونظير هذه الاية الاية (١٦٠)من سورة آل عمران .

(٢) انظر جامع البيان للطبرى ج٤ : ٩٥/٦.

(٣) انظر البحر المحيط ج ٤٤٢/٣.

(٤) انظر ارشاد العقل السليم ج ١٥/٢. وكذا روح المعانى ج٢ : ٨٥/٦.

(٥) انظر تفسير السعدى ج ٤٦٦/١.

** سـورة الأنعام **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) أول مـواضع هذا اللون من الالتـفات فى هذه السورة المباركة فى قـوله تعـالى : { **قل أى شىء أكبـر شـهـادة قل الله شـهـيـد بينى وبينكم وأوحى إلى هذا القـرآن لأنذركم به ومـن بلغ أئـنـكم لتـشـهـدون أن مع الله آلهة أخـرى قل لا أشـهـد قل إنما هو اله واحـد وإنـنـى برىء مما تشـركـون* الذين آتيناهم الكتاب يعرفـونه كما يعرفـون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فـهم لا يؤمنون** }[١] .

موضع الالتفات في هذه الآية فى قـوله تعالى : (يعرفـونه) بصـيـغـة الغـيـبـة عن رسـول الله صلى الله عليـه وسلم وذلك بعـد مخاطبته فى قوله تعالى : (قل) وكان حق النظم - يعرفونك - بدل (يعرفونه) ولكنه سبحانه آثر صيغة الغيبة لتناسبها مع أسلوب الحكاية التى تروى عبر القرون والأجيال نعياً على أهل الكتاب الذين جحدوا معرفتهم له عليه أفضل الصلاة والتسليم رغم أنهم واثقون تماما أنه صلى الله عليـه وسلم هو النبى الذى بشر به عيسى عليـه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم ولكنه الحسد الذى أعمى قلوبهم وملأ الدنيا أمام عيونهم فعموا وصموا ثم عموا وصموا وثم أنهم يعرفون رسول الله صلي الله عليه وسلم من جهة الكتابين بحليته ونعوته المذكوره فيهما[٢] وصفته وبلده ومهاجره وصفة أمته ولهذا قال بعده : (الذين خسرو أنفسهم فهم لا يؤمنون) بهذا الأمر الجلى الظاهر الذى بشرت به الأنبياء ونوهت به فى قديم الزمان وحديثه[٣] .

---

(١) سورة الأنعام الأيتين (١٩، ٢٠) .

(٢) انظر ارشاد العقل السليم ج٢/ ١٣٢ وكذا روح ج٣ : ١١٩/٧.

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج٢ /١٢٧.

(٢) ومنه فى نفس السورة المباركة قول الله تعالى :

{ ومنهم من يستمع إليك وجعلنا علي قلوبهم أكنه أن يفقهوه وفى أذانهم وقراً وإن يروا كل إيه لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا اساطير الأولين * وهم ينهون عنه وينئون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون }(١) .

الالتفات في قول الله تعالى:{ **ينهون عنه وينأون عنه** } بصيغة الغيبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد مخاطبته عليه أفضل الصلاة واتم التسليم فى قوله تعالى : (إليك) وكذا في قوله جل ذكره : (جاءوك يجادلونك) وكان مقتضى السياق - وهم ينهون عنك وينأون عنك - تمشياً مع ذى قبل ولكنه سبحانه عدل عن هذا إلى الغيبة لتحقيق هدف بلاغى إقتضى هذا العدول . قال المفسرون: يردون الناس عن محمد صلي الله عليه وسلم إن يؤمنوا به. وقال محمد بن الحنفية كان كفار قريش لا يأتون النبى صلى الله عليه وسلم وينهون عنه(٢) ، فيكون الضمير بهذا عائداً علي النبى صلى الله عليه وسلم . وقد يكون الضمير عائداً على القرآن ويصدق هذا الرأى قوله تعالى :{ **وقال الذين كفرو لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون** }(٣)كما ثبت فى الأثرأن كفارقريش كانوايتناهون عن سماعه(٤) ولهذا أتى ضمير الغائب ليشمل الرسول والقرآن والدين الإسلامى كله وهذا ما يفسره واقعهم الذين كانوا عليه. ولو سار السياق على نمط سابقه لانحصر النهى والنأى على الرسول فقط لأنه مخصوص بالخطاب فى - عنك - عليه أفضل الصلاة والتسليم وهذا بخلاف ما كانت عليه قريش آنذاك فالالتفات إلى الغيبة ادخل في دائرة الضمير كل ماذكرناه ولهذا كان أكثر عمقا وشمولاً من عدمه.

---

(١) الأنعام الآية : (٢٥- ٢٦) .

(٢) انظر ابن كثير ج٢ /١٢٨ وكذا أنوار التنزيل للبيضاوى /١٧٢ . وكذا البحر المحيط ج٤ /٩٩ - ١٠٠ وكذا روح المعانى ج ١٢٧/٣.

(٣) فصلت الآية :(٢٧) .

(٤) انظر تفسير النسفى ج ٨/٢ وكذا المراجع السابقه .

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى الله مولهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين }[١] .

الالتفات في هذا الموضع في قوله تعالى : **{ثم ردوا إلى الله}** بصيغة الغيبة فى : (ردوا). وكان مقتضى السياق - ثم رددتم - بنفس الصيغه التى وردت في قوله تعالى : (حتى اذا جاء أحدكم) وعدوله عز وجل عن الخطاب إلى الغيبة فى : (ردوا) إشارة إلى أن الرجوع إلى الله بالبعث حكم عام ينسحب على المخاطبين وسواهم منذ خلق الله الخلق إلى أن تقوم الساعة فلو أتى ضمير الخطاب فى هذا الموضوع لا قتصر حكم الرجوع علي المخاطبين وهذا بخلاف الأصل . قال فيه المفسرون : (والضمير راجع إلى أحد لأنه فى معنى الكل مع الالتفات من الخطاب إلى الغيبة : أى ردوا بعد الحشر إلى الله أى إلى حكمة وجزائه)[٢] . ثم أن المخاطبة تناسب المقام الأول وهو ذكر الموت فهو شيء خاص بكل فرد لوحده يقاس لواعجه ويتلمس رحمة ربه أما البعث فهو كون عام على الجميع فى الوقت نفسه ثم إن مواجهتهم بالموت في ذلك الخطاب أمر مطلوب لإيقاظهم من غفلة المعاش وإعدادهم للحظة الفراق أما البعث فهو غير محتاج لهذا و (لأن الرد يناسبه الغيبة بلا شبهة)[٣] .

---

(١) الأنعام الآية : (٦١، ٦٢) .

(٢) انظر فتح القدير للشوكانى ج٢ /١٢٤- ١٢٥.
وكذا ارشاد العقل السليم لأبى السعود ج ١٦٢/٢.
وكذا روح المعانى ج٣ : ٧٧/٧.
وكذا البحر المحيط لأبى حبان التوحيدى ج ١٤٣/٤.

(٣) انظر روح المعانى للألوس ج٣ : ١٧٧/٧.

فى الآية التفات أخر من الغائب إلى المتكلم ص (٣٥٧) وكذا من التكلم الي الغيبة ص(٢٤٧).

(٤) ومنه قول الله تعالى :

{ أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذّب بآيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون }[1] .

موضع الالتفات قول الله تعالى : {**فمن أظلم ممن كذب بأيات الله** } فى وضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات - من الخطاب السابق فى قوله تعالى : (أوتقولوا) إلى الغيبة فى قوله تعالى : (ممن كذّب) تنصيصا على اتصافهم بما فى حيز الصلة وإشعاراً بعلة الحكم واسقاطاً لهم عن رتبة الخطاب[2] احتقاراً لهم وهم أحقاء بذلك لأنهم ظلموا أنفسهم بالتكذيب بآيات الله والصدود عنها... وصرف من أراد الإقبال إليها[3] وهل هناك جرم أقبح من هذا فقد عدلوا عن الهدى إلى الضلال فظلموا أنفسهم ومن تبعهم واستحقوا ذلك البعد عن رحمة الله وهذا الالتفات إلى الغيبة .

---

(١) سورةالانعام الآية (١٥٧).

(٢) انظر تفسير العلامه أبى السعود ح٢ ص (٢٣٩)

وكذا تفسير الالوسى ح٣ : ٨ ص (٨٨) .

(٣) انظر تفسير ابن عطية ح٢ ص (٣٧٨) .

في الآية التفات آخر من الغائب إلى المتكلم انظر ص(٣٦٥)

** سورة الأعراف **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) قال الله تعالى :
{ يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون }[(١)].

الالتفات فى قوله تعالى { **لعلهم يذكرون**} بصيغة الغيبة وذلك بعد ندائهم بقوله تعالى : { **يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم** } وكان مقتضى السياق لعلكم تتذكرون بدل قوله تعالى:{ **لعلهم يذكرون**} لقد جاء هذا المقطع من الآية الكريمة بصيغة الغيبة إشعاراً ببعد من لم يتذكر نعم الله عليه وآياته ويتفكر فيها ويصل إلى طريق الحق مهتديا بقبس منها قال الطبرى رحمه الله :{يقول تعالى ذكره ذلك الذى ذكرت لكم أنى أنزلته إليكم أيها الناس من اللباس والرياش من حجج الله وأدلته التى يعلم بها من كفر صحة توحيد الله وخطأ ما هم عليه مقيمون من الضلالة لعلهم يذكرون.... وجعلت ذلك دليلا علي ماوصفت ليذكروا فيعتبروا أو ينيبوا إلى الحق وترك الباطل رحمة منى بعبادى}[(٢)] (لعلهم يذكرون) فيعرفون نعمته أو يتعظون فيتورعون عن القبائح[(٣)] ولكنهم أوعز لهم الشيطان بأن يتجردوا من تقواهم وخشيتهم لربهم ومن لباسهم حتى أنهم طافوا بالبيت عراة متجردين وزين لهم ذلك كما زين لأبويهم فبدت لهما سوأتهما وأخرجا من الجنه إلى دار البلية ، وها هو اليوم يزين لكثير فعلته الشنعاء فيطوفون فى العالم وهم أشباه عراه (وفي هذا الالتفات تعريض لمن لم يتذكر من بني آدم فكأنه غائب عن حضرة الخطاب) [(٤)]

---

(١) الأعراف الآية : (٢٦).
(٢) انظر جامع البيان ج٥ : ١١٢/٨،، وكذا تفسير النيسابورى بهامش الطبرى ج٥ : ٨١/٨ .
(٣) انظر ارشاد العقل السليم ج/٢/٢٤٦ ، وكذا روح المعانى ج٣/٨/١٠٤.
(٤) التحرير والتنوير /٨/ ٧٦.

(٢) و منه قال الله تعالى:

{ **وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطاٍ امماً واوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانو انفسهم يظلمون**} [١].

الالتفات فى قوله تعالى {**وما ظلمونا ولكن كانو انفسهم يظلمون**} بصيغة الغيبة وذلك مخاطبتهم في قوله تعالى {**كلوا من طيبات ما رزقناكم**} وكان مقتضى الخطاب استمراره لتكون الآية - وماظلمتمونا ولكن كنتم لأنفسكم تظلمون- ولكن الغيبة أبلغ من عدة وجوه، منها أن الله سبحانه أراد أن يشعرهم بفحش صنيعهم وعظم جرمهم فخاطبهم خطاب الغائب إحتقاراً لهم ومذلة فأبعدهم عن شرف الخطاب المباشر الذي ظهر في مجال الإنعام عليهم و منها أيضاٍ إراده تعميم الحكم لكل ظالم مكلف إذا اقدم على المعصية فما أضر إلا نفسه حيث سعى في صيرورة نفسه مستحقة للعقاب العظيم [٢] ويتحاشى سبحانه إسناد هذا لفرد من الأفراد او جماعة من الجماعات و إنما يجعله حكماً عاماً لتؤخذ منه العظة فيحذر المؤمنون من الوقوع فيه ولهاذاجاء هذا الالتفات

---

(١) الأعراف الآية : (١٦٠).

(٢) انظر تفسير الرازي ج١٥ ص(٣٤)

** سورة الانفال **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) قال تعالى :

{ **يسئلونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين** }[١].

موضع الالتفات في هذه الآية المباركة فى قوله تعالى : (والرسول) بصيغة الغيبة بعد مخاطبته صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى :{ **يسئلونك عن الأنفال قل** } وكان مقتضى هذا الخطاب - قل الأنفال لى ولك - بدل قوله تعالى { **قل الأنفال لله والرسول** } قال فى تفسيرها ابن جرير (يسألك أصحابك يا محمد عن الفضل من المال الذى تقع فيه القسمة من غنيمة كفار قريش الذين قتلوا ببدر لمن هو؟ قل لهم يا محمد هو لله ولرسوله دونكم يجعله حيث شاء)[٢] فحكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول عليه الصلاة والسلام كيفما أمر به من غير أن يدخل فيه رأى أحد[٣] لقد أظهر المولى فى هذا المقام الحاسم لفظ الجلالة لإظهار علة التسليم التام له سبحانه وهذا نفسه ما دعا إلى ظهور كلمة (الرسول) بصيغة الغيبة بدل ضمير الخطاب وذلك بالأستسلام التام لمن شأنه معكم أنه رسول من قبل الله ذى الجلال والإكرام وهذا ما يصدقه سبب نزول الآية كما رواها غير واحد من المفسرين[٤] قالوا : (اختلف المسلمون فى غنائم بدر كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم أم الأنصار وقبل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له عناء أن ينقله فتسارع شبابهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوة الذين كانوا عند الرايات كنا رداءً

---

(١) الأنفال الآية : (١) .

(٢) انظر جامع البيان ج٦:٩/١١٥.

(٣) انظر ارشاد العقل السليم ج٢/٣٢٩ .

(٤) انظر تفسير الطبرى ج٦:٩/١١٥ وكذا تفسير ابن كثير ج٢/٢٨٤ . وكذا انوار التنزيل للبيضاوى /٢٣٤ .

لكم وفئةً تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء)[١].

وهذا القرآن بأسلوبه العجيب يشير بلمحة خاطفة بهذا الالتفات إلى ما ينبغى عليهم فعله و الالتزام به ويعلل لهم بذكره لفظ الجلالة وكلمة «الرسول» سببا كافيا يوجب عدم الاختلاف وتكالبهم على حطام الدنيا. سئل عبادة عن الأنفال فقال فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فانتزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بواء ، يقول عن سواء[٢] .

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وإن للكافرين عذاب النار }[٣] .

الالتفات فى قوله تعالى : **{وإن للكافرين}** بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله تعالى : **{ذلكم فذوقوه}** وكان مقتضى السياق أن لكم عذاب النار ولكنه سبحانه عدل عن مخاطبتهم إلى الغيبة زيادة فى تحقيرهم وإيذانا لظهور وصفهم بالكفر (فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذى أصابكم فذقوه عاجلا مع أن لكم عذاب النار آجلا فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به[٤].وإرادة التعميم أى أن لكل كافر عذاب النار.

---

(١) انظر أنوار التنزيل للبيضاوى / ٢٣٤ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ح٢/٢٨٤.

(٣) الأنفال الآية : (١٣ ، ١٤) .

(٤) انظر ارشاد العقل السليم ح٢/٣٥٠ وكذا روح المعانى ح٣ : ١٨٠/٩. وكذا جامع البيان ح٦:٩/١٣٣.

في الآية التفات آخر من الغائب الى المخاطب درس ص(١١٩)

** سورة التوبة **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) قال الله تعالى :

{ **فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين** }[١] .

موضع الالتفات فى قوله تعالى : { **وان الله مخزى الكافرين** } فى { **الكافرين** } بصيغة الغيبة وذلك بعد مخاطبتهم بقوله : { **فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله** } وكان مقتضى السياق - واعلموا ان الله مخزيكم - باستمرارالخطاب ولكن الغيبة بلا شك هى الأبلغ لظهور كلمة (الكافرين) وما تحمله من تعليل شافٍ لخزيهم (قال ابن عباس الآية حد الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر يسيحون فى الأرض حيث شاءوا وأجل من ليس عهد انسلاخ الأشهر الحرم من يوم النحر إلى سلخ المحرم فذلك خمسون ليلة فأمر الله نبيه إذا انسلخ المحرم أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبينه عهد بقتلهم حتى يدخلوا في الإسلام وأمر بمن كان له عهد إذا انسلخ أربعة أشهر من يوم النحر إلى عشر خلون من ربيع الآخر أن يضع فيهم السيف أيضا حتى يدخلون فى الإسلام[٢] وقال فيها أبو السعود : {أى مخزيكم ومذلكم فى الدنيا بالقتل والأسر وفى الآخره بالعذاب وإيثار الإظهار على الإضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالآشراك والإشعار بأن علة الأخزاء هى كفرهم ويجوز أن يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولاً أوليا)[٣] وهذا هو الأرجح .

---

(١) التوبه الآية : (٢) .

(٢) انظر ابن كثير ج٢/٣٣٣ .

(٣) انظر ارشاد العقل السليم ج٢/٣٨١ .

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{ وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم }[١] .

الالتفات فى هذه الآية المباركة فى قوله تعالى : { **وبشر الذين كفروا بعذاب أليم** } بصيغة الغيبة عن الذين كفروا وهذه الغيبة جاءت بعد مخاطبتهم بقوله تعالى : { **فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله** } وكان مقتضى الظاهر- ويبشركم بعذاب أليم - ذكر صاحب الدر[٢] أنه سئل سفيان بن عيينه عن البشاره أتكون فى المكروه؟ قال : ألم تسمع قوله تعالى : { **وبشر الذين كفروا بعذاب أليم** } ولكنها هنا خرجت عن معناها الحقيقى إلى معنى مجازى بغرض السخرية والأزدراء لهؤلاء المبعدين عن رحمته فأراد سبحانه التنكيل بهم أى بشرهم فى الدنيا بالخزى والنكال وفى الآخرة بالمقامع والأغلال[٣] فهم لهذا ولكفرهم أحقر من مقام الخطاب وأبعد عن شرف الحضور وذكرهم بعنوان كفرهم (فيه من التهديد ما لا يخفى)[٤] ولهذا جاء هذا الالتفات .

(٣) ومنه قوله تعالى :

{ ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون }[٥] .

---

(١) التوبه الآية : (٣) .

(٢) السيوطى فى الدر المنثور ج٤/١٣٠.

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج٢/٣٣٣ .

(٤) انظر فتح القدير ج٢/٣٣٤ .

فى الآية موضعان للالتفات من الغيبة إلى الخطاب أحدهما فى قوله تعالى : (فإن تبتم) والآخر فى قوله : (وبشر) درس ص (١٢٢) .

(٥) التوبه الآية (٥٨ ، ٥٩) .

الالتفات في قوله تعالى:{**ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله**} في لفظه(رسوله) التى أتت بصيغة الغيبة وذلك بعد مخاطبته صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى :{ **يلمزك في الصدقات** }. وكان مقتضى ظاهر الأسلوب وآتيتهم باستمرارمخاطبته ولكن صيغة الغيبة أنسب لأقتران كلمة «الرسول» بكلمة «الله» عز وجل على سبيل المشكلة اللفظية في الأسلوب (للتعظيم وللتنبيه على أن مافعله الرسول عليه الصلاة والسلام كان بأمره سبحانه)[١] فلو أنهم رضوا بما فرضه الله لهم وما أعطاهم رسوله صلى الله عليه وسلم لكان خير لهم[٢] فالالتفات إلى ذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة علة لوجوب امتثال أمره والرضى بما قسم لنزاهته فيه.

(٤) ومنه قول الله تعالى :

{ **ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم** }[٣] .

الالتفات في قول الله تعالى :{ **يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا** } بذكره عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بطريق الغيبة بعد مخاطبتة بقوله تعالى : (قل) ولو كان الكلام من درجة كلام البشر لجاء السياق قل أنا أذن خيرلكم آومن بالله وآومن للمؤمنين ولكنه القرآن الذى صيغ للتحكم في النفوس بدرجة تستحق وصفها بالإعجاز الباهر البديع فالمقام يتطلب الكثير من المبالغة والتوبيخ والتهديد لأنه حكاية عن المنافقين الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلام فيه ويقولون (هو أذن) أى من قال له شيئاً صدقه فينا ومن حدثه صدقه فإذا جئناه وحلفنا له صدقنا[٤]

---

(١) انظر روح المعانى ج٤ : ١٢٠/١٠

(٢) انظر فتح القدير ج٢ : ٣٧١ وكذا إرشاد العقل السليم ج٤١٨/٢ .

(٣) التوبه الآية : (٦١) .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ج٣٦٧/٢ .

في الآية التفات آخر من الغيبة إلى الخطاب انظر ص (١٢٣)

فوصفه تعالى بأنه يؤمن بالله ومن آمن بالله كان خائفا منه لايقدم على الأيذاء بالباطل ويؤمن للمؤمنين أى يسمع من المؤمنين ويسلم لهم ما يقولون ويصدقهم لكونهم مؤمنين فهم صادقون[١]
وقد عزز هذا الالتفات إلى الغيبة بقوله تعالى : { **والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم** } حيث أورده الله سبحانه وتعالى بعنوان الرسالة مضافا إلى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على أن أذيته راجعة إلى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب ولهذا كان الالتفات أدق معنى وأكثر شمولا .

(٥) ومنه فى السورة نفسها قول الله تعالى :

{ **كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أمولا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون+ ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** }[٢] .

الالتفات في قوله تعالى : (ألم يأتهم) بصيغة الغيبة فى التحدث عن المنافقين[٣] وذلك بعد مخاطبتهم فى قوله تعالى : (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم) إلى آخر الآية فكان مقتضى السياق ألم يأتكم باستمرارالمخاطبة ولكنه سبحانه صرف الخطاب عنهم لتشابه حالهم بحال تلك الأقوام التى استحقت غضب الله وسخطه ومضوا فى الغابرين بعد أن انقلبت أحوالهم من الخير إلى الشر[٤] فأعرض الله عن هؤلاء المنافقين[٥] لتشابههم بؤلئك بقوله ألم يأتهم

---

(١) انظر البحر المحيط ح٥/٦٣ .

(٢) التوبه الآية (٦٩، ٧٠) .

(٣) انظر ارشاد العقل السليم ح٢/ ٤٢١.

(٤) انظر أنوار التنزيل /٢٦٠ . وكذا انظر روح المعانى ح ٤ : ١١/١٣٤.

(٥) انظر ارشاد العقل السليم ح ٢/٤٢٥ .

تذكيراً بما قص الله عليهم فى القرآن من أحوال هؤلاء وتفاصيلها[١] فحذرهم الله بهذه اللفته (أن يصبهم ما أصاب من قبلهم من الأمم المكذبة)[٢] وهذا التحذير الذى أتى بصيغة الغيبة لعله أردع لحالهم لشعورهم بالصغار والذله والإعراض الله سبحانه وتعالى عن مخاطبتهم إلى من يستحق ذلك من المتدبرين لكلامه الجليل .

(٦) ومنه قول الله تعالى :

{ استغفرلهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين }[٣].

الالتفات فى قوله تعالى : **{ ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله }** فى كلمة (رسول) التى أتت بصيغة الغيبة بعد مخاطبته عليه أفضل الصلاة والتسليم فى قوله تعالى **{ استغفر لهم أولا تستغفر }** وكان حق هذا الخطاب - ذلك بأنهم كفروا بالله وبك - بدل (بالله ورسوله) وفى هذا الالتفات غرض بلاغى عظيم ذلك أن الله عز وجل أخبر نبيه بأمر قد يحزنه لأنه الحريص على هداية الناس جميعاً (فبين أن العلة التى لأجلها لا ينفعهم استغفار الرسول لهم وإن بلغ سبعين مرة هى كفرهم وفسقهم[٤] وذلك سبب الامتناع[٥] والكافر لا ينفعه الاستغفار ولا العمل . ما دام كافرا[٦].فذكر سبحانه نبيه بعنوان الرسالة مع اقتران اسمه بلفظ الجلالة أتى تعزية للرسول وتطيبا لنفسه الشريفه وتعليلا شافيا لعدم قبول الاستغفار **{ ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين }** .

---

(١) انظر البحر المحيط ج٥/٧٠ .

(٢) انظر تفسير السعدى ج٢/٢٦٤ .

(٣) التوبه الآية (٨٠) .

(٤) انظر البحر المحيط ج٥/٧٨ .

(٥) انظر فتح القدير ج٢/٣٨٧ .

(٦) انظر تفسير السعدىج٢/٢٧٠.

(٧) ومنه قول الله تعالى :

{ **ولا تصل على احدهم منهم مات ابدا ولاتقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون** }[٢] .

الالتفات فى قوله تعالى : (ورسوله) بصيغة الغيبة بعد مخاطبته صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : (ولاتصل) وكذا (تقم) وكان مقتضى السياق قوله إنهم كفروا بالله وبك تمشيا مع خطابه السابق وعله الالتفات مشابه لما سبق ذكره فى الآية السابقة على هذا الموضع وذلك تعليل للنهى على معنى إن الاستغفار للميت والوقوف على قبره وإنما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل فى حقهم لأنهم استمروا على الكفر بالله ورسوله مدة حياتهم[٣] فأتى هذا المقطع من الآية زيادة فى ضحدهم وتعليلاً للحكم السابق من غضب الله عليهم فقد (جحدوا توحيده ورسالة رسوله وماتوا وهم خارجون من الإسلام مفارقون أمر الله ونهيه)[٤] .

---

(١) انظر تفسير السعدى ح٢/٢٧٠ .

(٢) التوبه الآية : (٨٤) .

(٣) انظر ارشاد العقل السليم ح٢/٤٣٤ .

وكذا روح المعانى ح٤ : ١١/١٥٥

وكذا البحر المحيط ح٥/٨١ .

(٤) انظر جامع البيان ح٦/١٤١.

(٨) ومنه قول الله تعالى :

{ وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استئذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين*رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون* لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون }[١] .

الالتفات فى قول الله تعالى : { **لكن الرسول والذين آمنو معه**} بصيغة الغيبة عن النبى صلى الله عليه وسلم وذلك بعد مخاطبته بقوله تعالى : (استئذنك) وكان مقتضى السياق - ولكنك والذين أمنوا معك - ولكنه سبحانه وتعالى (لما شرح حال المنافقين فى الفرار عن الجهاد بين أن حال الرسول والذين معه بالضد منه، حيث بذلوا المال والنفس فى طلب رضوان الله والتقرب إليه)[٢] فاذا تخلف هؤلاء المنافقون عن الجهاد ، فالله سيغنى عنهم. ولله عباد وخواص من خلقه اختصهم بفضله ، ويقومون بهذا الأمر وهم : (الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم ، { **والذين أمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم** } غير متثاقلين ولا كسلين ، بل هم فرحون مستبشرون[٣] ولهذا آثر المولى أسلوب الحكاية عن الرسول ومن معه لان عملهم عمل عظيم يستحق أن يروى على العباد وتنقله العصور تلو العصور حثا على الاقتداء بهم والاتيان بصنيع يضارع صنيعهم طلبا لرضاء الله وجنات النعيم ولذا كان الالتفات هو الأبلغ لما ذكرنا بعضه آنفا .

---

(١) التوبه الآية : (٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨).

(٢) انظر التفسير الكبير ح/١٦/١٥٧.

(٣) انظر تفسير السعدى ح٢/٢٧٤.

والخوالف : هن النساء/ انظر الدر المنثور ح٤/٢٦٠.

(٩) ومنه قول الله تعالى :

{ يعتذرون إليكم اذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : **{ وسيرى الله عملكم ورسوله }** فى كلمة (رسول) بصيغة الغيبة هذا بعد خطابه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : **{ يعتذرون إليكم اذا رجعتم إليهم قل }** وإثار صيغة الغيبة لإيراد ذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان الرساله التى هى من أبرز معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وسبب علمه بما اخفوا لأنه رسول مبلغ من لدن حكيم خبير وقد مر هذا كثيرا فى القرآن والله أعلم وأحكم .

(١٠) ومنه قول الله تعالى :

{ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهاده فينبئكم بما كنتم تعملون }[٢] .

الالتفات فى قوله تعالى : (ورسوله) بصيغة الغيبة وذلك بعد الخطاب فى قوله تعالى : (قل) وحاجة المعنى لكلمة رسول هى التى سوغت هذا الالتفات لما مر سابقا.

---

(١) التوبه الآية : (٩٤) .

انظر تفسير الآية فى روح المعنى ج٤ : ٢٠/١٢.

وكذا تفسير السعدى ج٢/٢٧٧.

(٢) التوبه الآية : (١٠٥) .

** سورة يونس **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومما جاء من المخاطب إلى الغائب فى هذه السورة المباركة قوله تعالى :

{ **ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون*واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا اوبدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقائى نفسى إن أتبع إلا مايوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم** }[1] .

الالتفات فى هذا الموضع فى قوله تعالى : {**اذا تتلى عليهم آياتنا**} بصيغة الغيبة وذلك بعد مخاطبتهم فى قوله تعالى : {**ثم جعلناكم خلائف فى الأرض**} وكان مقتضى السياق - اذا تتلى عليكم - باستمرا الخطاب تمشيا مع سابقه ولكن العدول إلى الغيبة حقق غرضا بلاغيا دقيقا قيل فيه : (الالتفات من خطابهم إلى الغيبة إعراضاً عنهم وتوجيها للخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد جناياتهم المضادة لما أريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالايات البينات وغير ذلك كدأب من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الآتى حسب تجدد التلاوه)[2] وهذا إخبار من المولى عز وجل عن تعنت الكفار من مشركى قريش الجاحدين المعرضين عنه أنهم اذا قرأ عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب الله وحججه الواضحه قالوا له أئت بقرآن غير هذا[3] ولهذا الجرم والتعنت استحقوا من الحق عز وجل ذلك البعد والإقلاء وتحول الخطاب منهم إلى سيد المخاطبين محمد صلى الله عليه وسلم ليروى جرمهم هذا إلى الناس أجمعين.

---

(١) يونس الآية : (١٤ ، ١٥) .

(٢) انظر ارشاد العقل السليم لأبى السعود ح ٤٧٥/٢ .
وكذا روح المعانى ح٤ : ٨٣/١١ وكذا الدر المنثور للسيوطى ح٣٥١/٤ .
وكذا انظر فتح القدير للشوكانى ح٤٣٠/٢ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ح٤١١/٢.

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{ **هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبه وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لتكونن من الشاكرين** }(١) .

الالتفات فى هذه الآية المباركة فى قوله تعالى : { **وجرين بهم** } صيغة الغيبة وذلك بعد خطابهم بصورة مباشرة فى أول الأية عند قوله تعالى { **يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم** } وكان مقتضى الظاهر استمرار صيغة الخطاب فيأتى المقطع بهذه الصورة - وجرين بكم - تمشيا مع ماكان قبله من خطاب وقد عدل الحق تبارك وتعالى لأغراض بلاغية دقيقة حاول كثير من المفسرين وعلماء البلاغة الوقوف على النزر اليسير منها وما زالت الآية تنتظر المزيد من البحث والتدقيق على مر العصورفالتفت القرآن من الخطاب فى { **كنتم** } إلى الغيبة فى { **جرين بهم** } لأن الخطاب أولا مع الناس مؤمنهم وكافرهم ، بدليل قوله تعالى : { **هو الذى يسيركم فى البر والبحر** } فلو قال (وجرين بكم) للزم الذم للجميع ، فالتفت عن الأول للإشارة إلى أن الاختصاص بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم فى اخر الآية فعدل عن الخطاب العام إلى الذم الخاص ببعضهم ، وهم الموصوفون بما أخبر به عنهم(٢) (فالخطاب الأول فيه امتنان وإظهار نعمة للمخاطبين ، والمسيرون فى البر والبحر مؤمنون وكفار ... فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالحون على الشكر ولعل الطالح يتذكر هذه النعمه فيرجع فلما ذكرت حالة آل الأمر فى آخرها إلى أن الملتبس بها هو باغ فى الأرض بغير الحق عدل عن الخطاب إلى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون يخاطبون بصدورمثل هذه الحاله التى آخرها البغى)(٣).

---

(١) يونس الآية : (٢٢) .

(٢) انظر البرهان ج٣/٣١٨ : وكذا من أسرار البلاغة فى القرآن ص (١٣) دكتور محمود السيد شيخون .

(٣) انظر البحر المحيط ج٥/١٣٨/١٣٩.

وقيل أن سر الالتفات فى الآية الكريمة ، أنهم وقت الركوب حضروا لأنهم خافوا الهلاك وغلبت الرياح فخاطبهم خطاب الحاضرين ثم لما جرت الرياح بما تشتهى السفن ، وأمنوا الهلاك لم يبق حضورهم كما كان على عادة الإنسان أنه اذا أمن غاب قلبه عن ربه ، فلما غابوا ذكرهم الله بصيغة الغيبة[١] .

ويرى الزمخشرى أن سر الالتفات فى الآية الكريمة ، هو المبالغة حيث قال : (فإن قلت : ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت : المبالغة ، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ، ليعجبهم منها ، ويستدعى منهم الإنكار والتقبيح)[٢] .

ويقول الرازى : (الأنتقال من مقام الخطاب إلى مقام الغيبة فى هذه الآية دليل المقت والتبعيد والطرد ، وهو اللائق بحال هؤلاء لأن من كان صفته أن يقابل احسان الله تعالى إليه بالكفران ، كان الأليق به ماذكرناه)[٣] وقيل : الالتفات إلى الغيبة للإيذان بمالهم من سوء الحال الموجب للإعراض عنهم كأنه يذكر لغيرهم مساوى أحوالهم ليعجبهم منها ويستدعى منه الإنكار والتقبيح[٤].

---

(١) انظر الأتقان ج٢/٢٩١.

(٢) انظر الكشاف ج٢/٢٣١.

وكذا من اسرار البلاغة فى القرآن د/محمود السيد شيخون ص (١٣ ، ١٤) .

(٣) انظر التفسير الكبير ج١٧/٦٩.

وكذا فتح القدير للشوكانى ج٢/٤٣٥ .

(٤) انظر ارشاد العقل السليم ج٢/٤٨٢ .

وكذا روح المعانى ج٥ : ٩٦/١١ .

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ **فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون. كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون** }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى { **الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون** } بصيغة الغيبة بعد قوله تعالى : { **فذلكم الله ربكم** } بخطاب مباشر وكان مقتضى السياق - كذلك حقت كلمة ربكم عليكم أنكم لا تؤمنون - ولكن شتان بين ما جاء به القرآن الكريم وهذا الذى قلنا والسر فى تلك الأغراض البلاغية التى حققها أسلوب القرآن الكريم بهذا الالتفات الرائع منها أن الخطاب الأول فى قوله تعالى : { **فذلكم الله ربكم** } خطاب عام لكل بر وفاسق على طول الزمان وهو يحتاج إلى مواجهة لما فيه من تقرير للحق الذى يحمله هذا المقطع من الآية الكريمة (فمعناه أن من هذه قدرته ورحمتة هو ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه)[٢] ولكن الفاسقين انصرفوا عنه رغم وضوحه إلى الضلال فاحتاج الموقف إلى انصراف الكلام من مخاطبتهم إلى الحكاية عنهم إعراضا منه سبحانه لهذه الفئة الضالة فأكد سبحانه بأنه (كما قد صرف هؤلاء المشركون عن الحق إلى الضلال كذلك حقت كلمة ربك ووجب عليهم قضاءه وحكمه فى السابق من علمه على الذين فسقوا فخرجوا من طاعة ربهم إلى معصيته وكفروا به وأنهم لا يؤمنون بوحدانية الله ولانبوة نبيه صلى الله عليه وسلم)[٣] ولهذا استحقوا صرف الخطاب عنهم ونبذهم من الفئة الأولى المخاطبة والتوجه به إلى سيد المخاطبين إعراضا عنهم لشنيع فعلهم وجعل حالهم حكاية تروى على لسان نبيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم وهو الجدير بكلمة (ربك) لتقديره صلى الله عليه وسلم لها حق التقدير.

---

(١) يونس الآية : (٣٢ ، ٣٣) .

(٢) انظر التفسير الكبير للرازى ج١٧/٨٧ .

(٣) انظر جامع البيان للطبرى ج٧ :١١/٨٠ . انظر كذا الدر المنثور للسيوطى ج٤/٣٦٣ .

(٤) ومنه قول الله تعالى :

{ قل أرءيتم إن أتاكم عذابه بياتاً أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون }[(١)] .

الالتفات في قوله تعالى : **{ماذا يستعجل منه المجرمون}** بصيغة الغيبة عن المجرمين وذلك بعد مخاطبتهم فى أول جملة القول : **{أرءيتم إن أتاكم}** وكان مقتضى الظاهر ماذا تستعجلون منه باستمرار المخاطبة ولكنه سبحانه أعرض عنهم وجعلهم فى عداد الغائبين لأمور منها :

قال الزمخشرى : (فإن قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه؟ قلت : أريد الدلاله على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام ، لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وإن أبطأ فضلا أن يستعجله)[(٢)] ويقصد بهذا الالتفات تنديمهم على استعجالهم لماعساه هالكهم فستندمون (على الاستعجال أو تعرفون الخطأ منكم فيه)[(٣)] ولأت ساعة مندم (فإن قلتم نؤمن عنده ، فذلك باطل، لأن الإيمان فى ذلك الوقت إيمان حاصل فى وقت الإلجاء والقسر ، وذلك لا يفيد نفعا البته فثبت أن هذا الذى تطلبونه لو حصل لم يحصل منه الا العذاب فى الدنيا ، ثم يحصل عقيبه يوم القيامة عذاب آخر أشد منه)[(٤)] فحاجة المعنى إلى كلمة (مجرمون) نقلت الكلام من صيغة الخطاب إلى صيغة الغيبة لما ذكرناه .

---

(١) يونس الآية (٥٠) .

(٢) انظر الكشاف ج٢/٢٤٠

وكذا أنوار التنزيل للبيضاوى/٢٨١ .

(٣) انظر فتح القدر للشوكانى ج٢ /٤٥١ .

(٤) انظر التفسير الكبير للرازى ج١٧/١٠٩.

** سورة هود **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) قال الله تعالى :

{ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وإن تولوا فإنى أخاف عليكم عذاب يوم كبير }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **وإن تولوا** } بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله تعالى:{ **وأن استغفروا ربكم ثم توبو إليه يمتعكم** } بصيغة المخاطبة وكان حق هذه المخاطبة - وإن تتولوا- ولكنه سبحانه صرفها عنهم عند توليهم وغياب ضمائرهم وبعدهم عن الحق إلى الضلال قال ابن عطية : (وإن تولوا بفتح التاء واللام فبعضهم قال الغيبة أى فقل لهم : إنى أخاف عليكم)[٢] مغبة توليكم (عماألقى إليكم من التوحيد والاستغفار والتوبه... لأن العذاب علق بالتولى)[٣] ثم عاد الأسلوب مرة أخرى إلى المخاطبة فى مجال النصح والحرص على ما ينجيهم من عذاب يوم كبير .قال فيه ابن جربر الطبرى : (يقول تعالى ذكره وإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من إخلاص العبادة لله وترك عبارة الآلهة وامتنعوا من الاستغفارلله والتوبه إليه فأدبروا مولين عن ذلك فإنى أيها القوم أخاف عليكم عذاب يوم كبير شأنه عظيم هوله وذلك يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون وقال جل ثناؤه وإن تولوا فإنى أخاف عليكم عذاب يوم كبير ولكنه مما قد تقدمه قول والعرب اذاقدمت قبل الكلام خاطبت ثم عادت إلى الخبرعن الغائب ثم رجعت بعد إلى الخطاب)[٤] وهذا التلوين فى الخطاب يستهدف بلا ريب أغراضا بلاغية لا يتضح المعنى الا بتحقيقها ولهذا كان الالتفات إلى الغيبة أبلغ فى هذا المقام .

---

(١) هود الآية : (٣) .

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ج٣/١٥٠.

(٣) انظر ارشاد العقل السليم لأبى السعود ج٣/٥ ، وكذا انظر فتح القدير للشوكانى ج٢/٤٨١ .

(٤) انظر جامع البيان ج٧ : ١١/١٢٥.

(٢) ومنه فى نفس السورة المباركة قول الله تعالى :
{ إلى الله مرجعكم وهو على كل شىء قدير ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور }[١] .

الالتفات في قول الله تعالى : **{ ألا إنهم يثنون صدورهم }** بصيغة الغيبة وذلك بعد الخطاب السابق في قوله تعالى : **{ إلى الله مرجعكم }** وكذا الأية السابقة عليها. وكان مقتضى السياق - ألا إنكم تثنون - لأن الخبر هنا عن مشركى مكة[٢] فأعرض عنهم المولى جل ثناؤه بعد أن خاطبهم لإعراضهم فإنهم (يزورون عن الحق وينحرفون عنه ، لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدره ، ومن ازورّ عنه وانحرف ثنى صدره وطوى عنه كشحه)[٣] واستحق لهذا الصنيع إعراض الله جل جلاله عنه لما فى نفسه كما روى عن ابن عباس من الشك فى الله وعمل السيئات[٤] فبين تعالى اعراضهم بجسمهم أيضاً إثر الأشارة إلى توليهم بقلبهم[٥] وأكد سبحانه علي شدة غضبه عليهم بتغير الأسلوب من الخطاب إلى الغيبة.

---

(١) هود الأيتين : (٤ ، ٥) .

(٢) انظر التفسير الكبير للرازى ج١٧/١٨٤.

(٣) انظر الكشاف ج٢/٢٥٨ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ج٢/٤٣٧ .

(٥) انظر محاسن التأويل للقاسمى ج٩/٩٤ .

** سورة الرعد **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

مما جاء من الالتفات من الخطاب إلى الغيبة فى سورة الرعد قول الله تعالى :

{ هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال * ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **وهم يجادلون فى الله**} بصيغة الغيبة عنهم وذلك بعد أسلوب الخطاب المباشر الذى سبق فى قوله تعالى : { **وهو الذى يريكم** } فى (يريكم) وكان مقتضى السياق - وأنتم تجادلون - قال ابوالسعود : (وهم أى الكفره المخاطبون فى قوله تعالى هو الذى يوريكم البرق) وقد التفت إلى الغيبة ايذانا بإسقاطم عن درجة الخطاب وإعرضاً عنهم وتعديدا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب كأنه قيل هو الذى يفعل أمثال هذه الأفاعيل العجيبة من إراءة البرق وإنشاء السحاب الثقال وارسال الصواعق الدالة علي كمال علمه وقدرته وهم أي الكفره الذين حكيت هناتهم مع ذلهم وهوانهم وحقارة شأنهم[٢] (**يجادلون فى الله**) أى فيصيب بها من يشاء فى حال جدالهم[٣] ويشكون فى عظمته وأنه لا اله الا هو[٤] (وهو شديد المحال) .

---

(١) الرعد الآية : (١٢ ، ١٣) .

(٢) انظر ارشاد العقل السليم ج٣/١٥٢ .

(٣) انظر البحر المحيط ج٥/٣٧٥ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ج٢/٥٠٨ .

** سورة إبراهيم **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

ومنه في هذه السورة قوله تعالى :

{ ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شيء فى الأرض ولا فى السماء }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : **{ وما يخفى على الله من شىء}** فى لفظ الجلالة وذلك بعد مخاطبته سبحانه فى (**ربنا إنك**) وكان مقتضى السياق - وما يخفى عليك من شىء - ولكن الالتفات إلى الغيبة أبلغ لحاجة المعنى إلى لفظ الجلالة فقد علت نفس سيدنا إبراهيم عليه السلام وارتفع إلى آفاق السماء وعلم أن الذى يناجيه بهذا الدعاء ويتضرع إليه إنما هو الله الذى لا يخفى عليه من شىء فى الأرض ولا فى السماء فقد قال أحد المفسرين (أنه كلام إبراهيم لأكتناف ماقبله وما بعده بكلام إبراهيم)[٢] فكان الالتفات من الخطاب إلى اسم الذات المستجمعه للصفات لتربية المهابة والإشعار بعلة الحكم علي نهج قوله تعالى : { **آلا يعلم ومن خلق وهو اللطيف الخبير** } والإيذان بعمومه لأنه ليس بشأن يختص به أو بمن يتعلق به بل شامل لجميع الأشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدأ الكل)[٣] ليدل سبحانه على عظمته وكبرياءه واحاطته بكافة الأمور ولهذا جاء الالتفات والله أعلم .

---

(١) سورة ابراهيم الآية : (٣٨) .

(٢) انظر البحر المحيط ج٥/٤٣٣ .

(٣) انظر ارشاد العقل السليم لأبى السعود ج٣/٢٠٠ .

وكذا انظر روح المعانى ج٥/١٣/٢٤١.

** سورة الحجر **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

ومنه قول الله تعالى :

{ادخلوها بسلام آمنين * ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى { **ونزعنا مافى صدورهم** } بصيغة الغيبة فى (**صدورهم**) وهذا بعد مخاطبتهم في قوله تعالى (**إدخلوها**) بصيغة لأمر[٢] وكان مقتضى الظاهر - ونزعنا ما فى صدوركم - أو وننزع مافى صدوركم - ولكنه سبحانه آتى بصيغة الغيبة إشارة إلى كل متق على مر الزمان (يقول تعالى : وأخرجنا مافى صدور هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم من حقد وضغينة بعضهم لبعض)[٣] فقد جعل المولى عز وجل أمر هذا النزع ثابت التحقيق باستخدام صيغة الغيبة والفعل الماضى وكأنه قد انقضى وأصبح حكاية تروى. وهذا الأسلوب أحد أساليب التأكيد فى القرآن الكريم .

---

(١) الحجر الآية : (٤٦ ، ٤٧) .

(٢) انظر ارشاد العقل السليم لأبى السعود ح٣/٢٢٩ .
وكذا روح المعنى ح٥ :١٤ /٥٨ .

(٣) انظر جامع البيان ح٧ : ٢٥/١٤ .

** سورة النحل **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) مما جاء من الالتفات من الخطاب إلى الغيبة قول الله تعالى : { **أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون** }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى ذكره { **عما يشركون** } بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة الخطاب المباشر فى قوله تعالى { **فلا تستعجلوه**} وكان مقتضى السياق - عما تشركون - وقد كانوا يستعجلون ما أوعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة أو إهلاك الله تعالى إياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالأصنام تشفع لنا وتخلصنا منه[٢] .

واختلاف الأسلوب من صيغة المخاطب إلى الغائب كما قال أبو حيان لأن الأول كان عاما أما الخطاب الثانى فهو خاص بالمشركين[٣] فلتفت إلى الغيبة للايذان بإقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنائعهم لغيرهم[٤].والتعبير بالمضارع فى (يشركون) للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره[٥] ولذا جاءت صيغة الغيبة لتدل على شنيع فعلهم وعظم غضبه سبحانه وتعالى عليهم لقاء ما أشركوا به سبحانه وتعالى عما يشركون .

---

(١) سورة النحل الآية : (١) .

(٢) انظر أنوار التنزيل للبيضاوى /٣٥١ .
وكذا محاسن التأويل للقاسمى ح١٠/٧٧ .

(٣) انظر البحر المحيط ح٥/٤٧٢ .

(٤) انظر تفسير أبو السعود ح٣/٢٤٤ .

(٥) انظر روح المعانى ح٥ : ١٤ /٩٢ .

(٢) ومن هذا قوله تعالى :
{ **وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون** }[١] .

الالتفات في قوله تعالى : { **وبالنجم هم يهتدون** } بصيغة الغيبة بعد صيغة المخاطبة فى قوله تعالى :{ **لعلكم تهتدون** } قال ابن كثير : { **وقوله وبالنجم هم يهتدون** } أى فى ظلام الليل قاله ابن عباس وعن مالك يقول النجوم وهى الجبال[٢] وفائدة تحول الأسلوب من الخطاب إلى الغيبة للتنديد على قريش فهم المعنيون بضمير «هم» فقد كانت لهم صولات وجولات فى هذا المجال لكثرة سفرياتهم فى طلب التجارة (فكان لهم بذلك علم لم يكن لغيرهم لذا كان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم)[٣] ولكنهم جحدوا الحق الذى يعلمون فاستحقوا الجفوة والإبعاد وذكر صنيعهم هذا على سبيل الحكاية ليتعظ به المتعظون بالقرآن : (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد)[٤] وهكذا هو القرآن بلمحة عابره يحقق أبعاد وأبعاد تصل إلى أعماق النفس الواعية لترشدها إلى الحق وتبعدها عن الضلال والله لطيف خبير .

---

(١) النحل الآية : (١٥ ، ١٦) .

(٢) انظر ح٢/٥٦٦ .

(٣) انظر البحر المحيط ح٥/٤٨١ .

وكذا ارشاد العقل السليم ح٣/٢٥٤ .

(٤) سورة " ق " آية (٥٠)

(٣) ومنه قوله تعالى :

{ **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون** }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون** } بصيغة الغيبة عن هؤلاء الكافرون وذلك بعد صيغة الخطاب فى قوله تعالى : { **والله جعل لكم من أنفسكم** } لقد خاطبهم الله عز وجل جلاله في مجال النعم خطابا مباشراً (ثم قال تعالى منكرا على من أشرك في عبادة المنعم غيره «**أفبالباطل يؤمنون**» وهم الأنداد والأصنام «**وبنعمة الله هم يكفرون**» أى يسترون نعم الله عليهم ويضييفونها إلى غيره. وفى الحديث الصحيح «إن الله يقول للعبد يوم القيامة ممتنا عليه ألم أزوجك ألم أكرمك؟ألم أسخر لك الخيل والأبل وأذرك ترأس وتربع؟)[٢] .

والالتفات إلى الغيبة للإيذان باستيجاب مالهم للإعراض عنهم وصرف الخطاب إلى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه)[٣]. ونعى عليهم - سبحانه - فساد نظرهم فى عبادة ما لا يمكن أن يقع منه ما يسعى عابده فى تحصيله[٤] وهم بهذا دون منزلة الخطاب فجاء الالتفات لما سلف .

---

(١) النحل الآية : (٧٢) ،

مثل هذا الالتفات جاء في الآية (٧١)من نفس السورة .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج٥٧٩/٢ .

(٣) انظر ارشاد العقل السليم ج٢٨٠/٣ .

وكذا روح المعانى ج ٥ : ١٩٢/١٤ .

(٤) انظر البحر المحيط ج٥١٦/٥ .

(٤) ومنه في هذه السورة المباركة قول الله تعالى :
{ **والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين** }[(١)] .

الالتفات في قول الله تعالى : { **فإن تولوا** } بصيغة الغيبة عن المخاطبين أول الآية بقوله تعالى (**لكم**) التى ترددت ثلاث مرات ثم قوله تعالى : (**تقيكم**) وكذا (**عليكم لعلكم تسلمون**) وكان مقتضى هذا الخطاب - فإن تتولوا - بدل قوله تعالى : (**فإن تولوا**) الذى جاء بصيغة الغيبة إعراضا عنهم ودليلاً على قبح صنيعهم وبعدهم به عن شرف الحضور فهو (فعل ماض على طريقة الالتفات وصرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له أى فإن أعرضوا عن الإسلام ولم يقبلوا منك ما ألقى إليهم من البينات والعبر والعظات (**فإنما عليك البلاغ المبين**) أى فلا قصور من جهتك لأن وظيفتك هى البلاغ الموضح أوالواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه)[(٢)] فإن أعرضوا فلست بقادر على خلق الإيمان فى قلوبهم [(٣)] الضالة فإنما عليك أن تبين وتبلغ أمر الله ونهيه[(٤)] .

---

(١) النحل الآية : (٨١ ، ٨٢) .

(٢) انظر إرشاد العقل السليم ج٣/٢٨٥ .

وكذا روح المعانى ج٥ : ٢٠٦/١٤ وكذا فتح القدير للشوكانى ج٣/١٨٥.

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطيه ج٣/٤١٣ .

(٤) انظر البحر المحيط ج٥/٥٢٤ .

** سورة الاسراء **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومما جاء فى سورة الأسراء من الالتفات من المخاطب إلى الغائب قول الحق تبارك وتعالى :

{أفأصفاكم ربك بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولا عظيما * ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفوراً}[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **ليذكروا وما يزيدهم** } بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة الخطاب فى قوله تعالى : { **أفأصفاكم ربكم بالبنين** } مخاطباً المشركين الكاذبين الزاعمين عليهم لعائن الله إن الملائكة بنات الله فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، ثم ادعوا أنهم بنات الله ثم عبدوهم فأخطأوا في كل من المقامات الثلاث خطأعظيما[٢] ولهذا أعرض عنهم المولى العليم الحكيم وجعلهم غيبا فى قوله تعالى (**ليذكروا**) مافيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه والالتفات إلى الغيبة للإيذان باقتضاء حالهم أن يعرض عنهم ويحكى للسامعين هناتهم[٣] (**وما يزيدهم**) هذا التذكر للقرآن وما فيه من آيات (**إلا نفوراً**) وهو (عبارة عن شدة الأعراض تشبيهاً بنفور الدابة)[٤] وهكذا هم بل أشد ضلالاً وتحيراً .

---

(١) الأسراء الآية : (٤٠ ، ٤١) .

(٢) انظر ابن كثير ح٣/٤٢ .

(٣) انظر إرشاد العقل السليم لأبى السعود ح٣/٣٢٩ .

وكذا روح المعانى ح٥ :١٥/٨٢ .

(٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ح٣/٤٥٨ .

في الآيتين التفات آخر ص (٤١٠) .

(٢) ومنه قول الله تعالى :
{ **ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا** }[(١)].

الالتفات فى قوله تعالى : (عليهم) بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة الخطاب فى قول الله تعالى : { **ربكم أعلم بكم** } وكان مقتضى السياق السابق - وما أرسلناه عليكم - ولكنه سبحانه آثر خطاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لقربه منه وعلو شأنه عنده سبحانه وتعالى فجعلهم هم الغيب لبعدهم عن الحق إلى ما قد يوجب عذابهم قال ابن جرير : (يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش الذين قالوا { **أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا** } ربكم أيها القوم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم فيتوب عليكم برحمته حتى تنيبوا عما أنتم عليه من الكفر به وباليوم الآخر. وإن يشأ يعذبكم بأن يخذلكم عن الإيمان فتموتوا علي شرككم فيعذبكم يوم القيامة بكفركم به)[(٢)] -علق سبحانه- أمرهم علي مشيئته ولم يصرح بأنهم من أهل النار فإنه مما يهيجهم على الشر مع أن الخاتمة مجهولة لا يعلمها غيره تعالى فلعله يهديهم إلى الإيمان[(٣)] والظاهر أن تحول الضمير إلى الغيبة دليل قوى على ردعهم واستحقاقهم لهذه الجفوة .

---

(١) الاسراء الآية : (٥٤) .

(٢) انظر جامع البيان ج٨ : ٧١/١٥ .

(٣) انظر ارشاد العقل السليم ج٣٣٤/٣ .

وكذا روح المعانى ج٥ : ٩٤/١٥ .

فى الآية المباركة التفات أخر من الغيبة فى قوله تعالى : (ربكم) إلى التكلم فى قوله تعالى : (أرسلناك) درس ص (٤١١) .

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ **واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غروراً** }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ً** } بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة الخطاب في قوله تعالى : { **واستفزز من استطعت** } وكان حق السياق - وعدهم وما تعدهم - بدل قوله تعالى: { **وما يعدهم الشيطان** } وهو (اعتراض لبيان شأن مواعيده والالتفات إلى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع مافيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شأنه للناس ومن الإشعار بعلية شيطنته ؛ للغرور وهو تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب)[٢] وقيل هي علي طريقة الاستخفاف به وبمن تبعه[٣] .

ومنه قول الله تعالى :

{ **واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً** }[٤] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **وكان الإنسان كفوراً** } بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة الخطاب فى قوله تعالى : { **اذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون** } (ذكر - سبحانه - حالهم اذ كشف عنهم من إعراضهم عنه وكفرانهم نعمة انجائهم من الغرق وجاءت صفة - كفوراً - دلالة علي المبالغه ثم لم يخاطبهم بذلك بل أسند ذلك إلى الإنسان لطفاً بهم وإحالة على الجنس إذ كل أحد لا يكاد يؤدى شكر نعم الله)[٥] وهو تعليل لما سبق من الإعراض [٦] في قوله تعالى : { **فلما نجاكم إلى البر أعرضتم** } .

---

(١) الأسراء الآية : (٦٤) . وكذا روح المعانى ح٥ : ١١٢/١٥ .

(٢) انظر إرشاد العقل السليم ح٢٤١/٣ ، وكذا روح المعانى ح ٥ : ١١٢/١٥.

(٣) انظر فتح القدير ح٢٤٢/٣ .

(٤) الأسراء الآية : (٦٧) . (٥) انظر البحر المحيط ح٦٠/٦ .

(٦) انظر ارشاد العقل السليم ح٢٤١/٣ . وكذا روح المعانى ح٥ : ١١٦/١٥ .

** سورة الكهف **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

ومما جاء من الالتفات من الخطاب الى الغيبة قول الله سبحانه و تعالى : **{وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً}** [١] .

الالتفات فى قوله تعالى : {**بئس للظالمين بدلا**} بصيغة الغيبة وذلك بعد مخاطبتهم بقوله تعالى : {**أفتتخذونه**} وكذا (**لكم عدو**). قال فيه بعض المفسرين : (وفى الالتفات إلى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الايذان بكمال السخط والإشارة إلى أن ما فعلوه ظلم قبيح مالا يخفى)[٢] لأنهم (الواضعون للشىء فى غير موضعه المستبدلون بطاعة ربهم الشيطان فبئس ذلك البدل الذى استبدلوه عن الله سبحانه)[٣].

---

(١) الكهف الآية : ٥٠.

(٢) انظر ارشاد العقل السليم ج٣/٣٨٦ ، ٣٨٧.

وكذا روح المعانى ج٥ : ١٥/٢٩٥.

(٣) انظر فتح القدير ج٣/٢٩٣.

في الآية المباركة التفاتان آخران انظر ص (٣١٧) ص(٤١٩)

الفصل الثالث

الالتفات من التكلم إلى الغيبة

** سورة البقرة **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) أول مواضع هذا اللون من الالتفات فى سورة البقرة المباركة : فى قول الله تعالى : { **الذين يؤمنون بالغيب**[١] **ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما إنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون** }[٢] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **من ربهم** } بضمير الغيبة عنه سبحانه بعد أن كان الضمير فى الآية السابقة عليه للتكلم عن الله عز وجل فى قوله تعالى : { **رزقناهم** } فما السر فى هذا التحول ؟! .

لنتأمل المقام ملياً سنجده مقام هداية ، والهداية هى أهم مقاصد التربية ووجود كلمة (رب) وإضافتها إلى ضمير الغائبين فيه ما فيه من الدقة والوضوح بحيث لا تعادلها أى كلمة أخرى فهداية هؤلاء المتقين منحة من المتفرد بالربوبية جزاء لهم على تقواهم وحسن إيمانهم فلا بد أن يكون الجزاء من جنس العمل ولا بد أن تكون هذه الهداية هداية من المربي وهو الله عز وجل .

وقد تعددت أقوال المفسرين فى هذا الموضع :

يقول الزمخشري : (معنى - هدى من ربهم - أى منحوه من عنده وأوتوه من قبله وهو اللطف . والتوفيق الذى اعتضدوا به على أعمال الخير والترقى إلى الأفضل فالأفضل - ونكّر هدى ليفيد ضرباً مبهماً)[٣] ، لايعلم كنهه ، ولا يقدر قدره .

---

(١) يؤمنون بالغيب أى ما غاب عنهم انظر العمدة فى غريب القرآن لأبى محمدمكي القيس ص (٧٠).

(٢) سورة البقرة الآيات (٣ ، ٤ ، ٥).

(٣) انظر الكشاف ح١/١٤٤.

جاء فى الإيضاح : أفاد إسم الإشارة زيادة الدلالة على المقصود من اختصاص المذكورين قبله باستحقاق الهدى من ربهم والفلاح الإيضاح للقزويني / ٢٧ .

ويقول أبو السعود* : (- من ربهم - متعلق بمحذوف وقع صفه له مبينة له لفخامته أثر بيان فخامته الذاتيه مؤكدة لها أى على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع أنواع هدايته تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف إليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقرير بيان ما يوجبه ويقتضيه)(١) . فوصف الهدى بأنه من ربهم تعظيم للهدى الذى هم عليه(٢) فهم فى رحلة الحياة الدنيا لا يمتطون راحلة تتعثر ولا جواداً يكبو ولا سفينة تعصف بها الرياح وتتقاذفها الأمواج فى لجج البحار ولكنهم امتطوا خيراً من ذلك ، إذ تمسكوا بالهدى وتمكنوا منه واستقروا عليه(٣) الذى هو من ربهم وهذا لا يتأتى لو لم يتغير الأسلوب إلى صيغة الغيبة وتظهر كلمة (رب) التى أضفت على المقام كل تلك المعانى العظام .

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{ وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين }(٤) .

الالتفات فى هذه الآية المباركة فى تغير الأسلوب من صيغة التكلم فى قوله تعالى : { **مما نزلنا** } وكذا فى { **عبدنا** } إلى صيغة الغيبة فى قوله تعالى : { **من دون الله** } . لقد تحدى الله جل جلاله الملحدين الكفرة

---

(١) انظر تفسير العلامه أبى السعود ح١ /٤٠ .

(٢) انظر البحر المحيط ح١ /٤٥ .

(٣) انظر المعجزة الخالدة د / حسن ضياء الدين عتر /٢٥٢ .

(٤) سورة البقرة الآية (٢٣) .

{ من دون الله } قال فيها الشوكاني : أى ادنى مكان من الشىء / انظر فتح القدير ح١ ص (٥٢) ومعناه ايضاً : من غيره ودون نقيض فوق وهو تقصير عن الغاية / جامع الاحكام للقرطبى ح١ /٢٣٢ وانظر كذا التفسير الكبير للفخر الرازى ح٢ /١١٩ .

* سبق ترجمته ص (٨٩) .انظر

بهذه الآية المباركة (قال ابن عباس إن كنتم صادقين أى فيما قلتم من أنكم تقدرون على معارضته)[١] { **فأتوا بسورة من مثله** } وقال ايضاً أى فى مثل القران[٢] فإن خامر قلوبكم المريضة شك فى أنه منزل من عندنا واغراكم ما فطرتم عليه من بلاغة القول فأجمعوا كل من ترجون عونه لكم من غير الله واستحدثوا سورة من مثل القران مهما صغرت تلك السورة أو كبرت ولكنهم وقفوا عاجزين أمام هذا التحدى الذى ظهر فيه اسم الله الأعظم الجامع لصفات الكمال والرفعة والعلو والمقدرة وكل ما لا يستطيعونه بنفوسهم الضعيفة .

لقد رأينا أن الآية الكريمة بدأت بضمير المتكلم ليوثق نسبة هذا المنزل ويوضح مصدره الحقيقى رغم أنف المعارضين ثم تأتى كلمة (عبدنا) لتبين صلة النبى بالله وتؤكد عبوديته وخضوعه التام لربه وهنا تلتفت الآية إلى أسلوب الغيبة فى لفظ الجلاله - الله - لتزيد الأمر شرفاً وتعلى قدره وتوضح أمراً دقيقاً وهو أن صاحب هذا الضمير السابق هو الله ذو الالوهية والعبودية على الخلق أجمعين (فوجه الالتفات للايذان بكمال سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة من له الألوهية الجامعة لجميع صفات الكمال عبادة ما لا أحقر منه)[٣] والالتفات إلى اسم الله الأعظم رشح فيما بعد لقوله تعالى { **فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا** } بحزم وتأكيد لأنه الإله علاّم الغيوب[٤] .

---

(١) انظر تفسير الثعالبى (جواهر الحسان) ح١ (٢٨ - ٣٩) .

(٢) انظر الدر المنثور للسيوطى ح١ ص ٨٩ .

(٣) انظر تفسير أبى السعود ح١ /٨٠ .

(٤) انظر روح المعانى للالوسي ح١ ص ١٩٦ .

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ **فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين * فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم** }[1] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم** } بصيغة الغيبة عنه سبحانه وذلك بعد صيغة التكلم التى بدأت بها الآية السابقة على هذا الموضع ولو سار السياق على وتيرة واحدة لقال - فتلقى آدم منا - بدل (من ربه) ولكن الالتفات إلى صيغة الغيبة يناسب أسلوب الحكاية بما فيها من مقاصد تربوية عظيمة تنبه السامع إلى ما ينبغى عند الوقوع فى الخطأ - وقد خلق ابن آدم خطاء - ثم إن المقام يقصد إلى كلمة (رب) قصداً لما فيه من معانى العطف والرحمة والحرص والهداية والتربية وكذا العقاب والصفح والغفران ، لقد أخطأ (أبونا) عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم ولكنه ندم وتحسر والتمس من ربه الصفح فى تذلل وخضوع فانظر إلى الرب التواب الرحيم المقدر لكافة الأمور العالم سبحانه بما تخفى الصدور لقد علم أن توبة آدم عليه السلام توبة صادقة قال عليه السلام (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت[2] فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) .

---

(١) سورة البقرة الآيتين (٣٦ ، ٣٧) .

(٢) انظر الكشاف للزمخشرى ج١ /٢٧٤ .

وكذا روح المعانى للالوسي ج١/٢٣٧ .

وكذا تفسير النسفى ج١/٤٣ .

وكذا تفسير الطبرى ج١/ ١٩٤ .

وكذا تفسير البحر المحيط ج١/ ١٦٥ .

وكذا تفسير الثعالبى (جواهر الحسان) ج ١/٥٣

(٤) ومنه قول الله تعالى :

{ وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا إضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه إثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين }[1] .

موضع الالتفات فى قوله تعالى : { **من رزق الله** } بلفظ الغيبة عنه سبحانه بعد أن كان السياق بصيغة التكلم فى قوله تعالى : { **فقلنا** } واختلفت آراء المفسرين - يرحمهم الله - فى هذا؛ فبعضهم [2] يرى أن الكلام من قول الله تعالى:{ **كلوا واشربوا من رزق الله**} حكاية عن موسى عليه السلام فهو القائل لقومه{ **كلوا واشربوا من رزق الله** } ولكن الكثير[3] من المفسرين جعلوا الكلام جميعه لله سبحانه وتعالى وعليه فقداختلفت الصيغة الثانية فى (رزق الله) التى جاءت من قبيل الغيبة عن الأولى فى قوله تعالى : { **فقلنا** } بضمير المتكلم ويرى المفسرون أن إخراج الصيغة الثانية بالغيبة أمر اقتضته حاجة المعنى الملحة إلى إسناد هذا الرزق الكريم لله عز وجل لأنه رزق حاصل لبنى اسرائيل من غير كلفة ولا عناء[4] بخلاف ما هو فى تحصيل الرزق للناس أبد الدهر فقد خلق الإنسان فى كبد، وفى إضافة هذا الرزق للفظ الجلالة تعظيم لشأن المنة والإنعام وتقريع لهم بأن هذه المنه تقتضى الشكر والانابة للكريم المنان وليس الجحود والفساد فى الأرض وقد ربط هذا المقطع من الآية الذى أتى مفعماً

---

(١) سورة البقرة الآية (٦٠) .

(٢) انظر البحر المحيط لأبى حيان ح١/٢٣٠ .

وكذا انظر إرشاد العقل السليم ح١/١٢٨ حيث يقول : إنما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى : { فقلنا} إيذاناً بأن الأمر بالأكل والشرب لم يكن بطريقه بل بواسطة موسى عليه السلام انظر ص(٤٣٤). وكذا فى التفسير الكبير للرازى ح٣ /٩٧ . وكذا صفوة التفاسير ح١/٤٩ .

(٣) انظر الكشاف ح١/٢٨٤ وكذا روح المعانى ح١ / ٢٧٢ .

وهناك رأى فى كل من البحر المحيط ح١ / ٢٣٠ وكذا تفسير الرازى ٣ / ٩٧

وكذا أبو السعود ح١ / ١٢٩ .

(٤) هذا الرزق هو المن والسلوى باتفاق المفسرين انظر النسفى ح١ / ٥٠ .

بذكر الاسم الأعظم لله بين اجزاء الآية كلها على هذا النحو : أما الأكل والشرب والرزق الذى أنتم فيه منة من الله سبحانه وتعالى عليكم فكيف تقابلون ذلك بالجحود والنكران وطلب ما هو أدنى ولكنها وكما قال سيد قطب - يرحمه الله - (تلك البنية النفسية المفككة والجبلة الهابطة المتداعية أبت على القوم أن يرتفعوا إلى مستوى الغاية التى من أجلها أخرجوا من مصر ومن أجلها ضربوا فى الصحراء .... ولقد أخرجهم الله على يدى نبيهم موسى - عليه السلام - من الذل والهوان ليورثهم الأرض المقدسة وليرفعهم من المهانه والضعة)[١] .

ثم قال سيد قطب : (وللحرية ثمن ، وللعزة تكاليف وللأمانة الكبرى التى ناطهم الله بها فدية ولكنهم لا يريدون أن يؤدوا الثمن ولا يريدون أن ينهضوا بالتكاليف ولا يريدون أن يدفعوا الفدية حتى بأن يتركوا مألوف حياتهم الرتيبة الهينة ...)[٢] وقد أمرهم الله أن يقابلوا إنعامه العظيم وإحسانه الجزيل بالتقوى والاحتراز عما تؤديه السعة فى غير أهل الايمان من كفران النعم وبطر وأشر وعصيان وتمادٍ فى الفساد[٣] .

---

(١) انظر فى ظلال القرآن ح١ / ٩٢ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) انظر المعجزة الخالدة / د حسن ضياء الدين عتر / ٢٤٧ وما بعدها
والعتو : قال ابن سيدة عتا عتواً وعتى عتواً
أفسد أشد الفساد / انظر لسان العرب مادة : عتا .

(٥) ومن هذا اللون من الالتفات قول الله تعالى :
{ **وإذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلاً منكم وانتم معرضون** }(١) .

هذه الآية المباركة من عجائب أسلوب الالتفات لقد حوت نوعين من الالتفات ولكل نوع حكمة ربانيه والذى يعنينا هنا فى قوله تعالى : { **إلا الله** } بصيغة الغيبة عنه سبحانه فى لفظ الجلاله وذلك بعد قوله تعالى : { **وإذ اخذنا** } بصيغة التكلم وكان مقتضى السياق - لا تعبدون غيرنا - أو إلا إياى ولكنه سبحانه آثر لفظ الجلالة لحكمة بلاغية عظيمة .

لقد بدأت الآية بضمير التكلم فى قوله تعالى : { **أخذنا** } ثم نمضى قليلاً مع الآية لنجد أن هذه الصيغة تغيرت إلى الغيبة فى لفظ الجلاله والسر فيه والله أعلم وأحكم هو الإحتراس المتناهى فى وضع العبادة موضعها اللائق بها وتوجهها للمولى العلى القدير رب العالمين وقد لا يتضح هذا التوجيه لو استمر ضمير المتكلم المناسب للسياق السابق وقد يختلط فى ذهن البعض المقصود الحقيقى بالعبادة ويتسبب عنه منفذ سهل يدخل منه الشيطان ليزيد الزيغ والضلال وصرف العبادة لغير الله . ولهذا كله أتى لفظ الجلالة فى هذا المقام الخطير ليوضح معالم الطريق ويسد كل ثغرة أمام جهود اللعين وقدر المفسرون(٢) إرادة القول فى هذا الموضع وشغلهم الالتفات الثانى عن الأول وفى ظنى أنه أولى وأبلغ والله أعلم .

---

(١) سورة البقرة آية (٨٣) .

(٢) ا نظر تفسير الكشاف ج١/٢٩٣. وكذا تفسير الطبرى ج١/ ٣٧ وما بعدها . وكذا تفسير أبى السعود ج١ /١٤٨.

وكذا تفسير ابن عطية ج١/١٧٢.

الالتفات الثانى من الغيبة فى قوله تعالى بنى اسرائيل إلى الخطاب فى قوله تعالى { ثم توليتم إلا قليلاً منكم وانتم معرضون } درس فى فصله ص (٩١) .

(٦) ومنه قول الله تعالى :

{ ما ننسخ* من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير }[١] .

الالتفات هنا من ضمير المتكلم فى قوله تعالى : { ننسخ }وكذا{ ننسها } إلى صيغة الغيبة فى قوله تعالى : {أن الله } وكان حق الظاهر - اننا - بدل : { أن الله } .

وسبب نزول هذه الآية كما قال المفسرون أنه عندما طعن الطاعنون من المشركين أو اليهود فى القران الكريم بقولهم : (ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً)[٢] ما هذا القرآن إلا كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه ، وهو كلام يناقض بعضه بعضا[٣] فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية المباركة ليرد كيدهم إلى نحورهم

---

(١) سورة البقرة الآية (١٠٦) .

(٢) انظر الكشاف للزمخشرى ح١ /٣٠٢ .

(٣) وكذا روح المعانى ح١ : /٣٥١ وكذا البحر المحيط ح١ /٣٤٣.
وكذا تفسير أبى السعود ح١/١٧٢ وكذا فتح القدير للشوكانى ح١/١٢٥ .

* ننسخ : النسخ فى اللغة الازاله والنقل يقال نسخت الريح الأثر أى ازالته ونسخت الكتاب أى نقلته ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها أو بالحكم المستفاد منها أو بهما جميعاً . وهذا ما جاء فى تفسير العلامه أبى السعود ح١/١٧١ وجاء فى البحر المحيط ؛ ننسيها : بغير همزه فان كان من النسيان ضد الذكر فالمعنى ؛ ننسيك إياها إذا كان من (أفعل) أو ننسها إذا كان من (فعل) قاله مجاهد وقتادة وإن كان من الترك فالمعنى أو نترك إنزالها قاله الضحاك أو نمحها فلا نترك لها لفظاً يتلى ولا حكماً يلزم قاله ابن زيد أو نأمر بتركها . وقال الزجاج قراءة ننسها بضم النون وسكون النون الثانية وكسر السين لا يتوجه فيها معنى الترك لانه لا يقال أنسى بمعنى ترك واما من قرأ بالهمزة فهو من التأخير تقول العرب نسأت الابل عن الحوض وأنسأ الابل عن ظمئها يوماً أو يومين أو أكثر : أخرها عن الورد فى الآية بمعنى نؤخر نسخها أو نزولها..

انظر أبو حيان فى البحر المحيط ح١/٣٤٣ وما بعدها وقال الزمخشرى : ننسخ الآية إزالتها بإبدال أخرى مكانها وإنساخها الأمر بنسخها ، ونسؤها تأخيرها وإذهابها إلى بدل الكشاف ح١ /٣٠٢ .

بنسبة هذا العمل إليه سبحانه بضمير المتكلم غير أنه ما زال هناك مجال للطعن فلربما قال المفترون إن صاحب هذا الضمير هو النبى محمد - صلوات الله وسلامه عليه.

وهنا يأتى البرهان الساطع واليقين الواضح الذى لا يترك مجالاً للشك أو الريبة قول الله تعالى : { **ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير** } إذاً لفظ الجلالة أتى هنا ليغرس خنجراً مسموماً فى نحور الطاعنين على القران ويبطل كل مكيدة لهم ويعلنها مدوية أن من بيده مقاليد الأمور يتصرف فيها كيف شاء لا معارض لأمره ولا معقب لحكمه هو الله الذى أسند إليه النسخ والنسىء ولا ريب فى ذلك فقد قطع عليهم بهذا الالتفات كل طرق الوهم والتضليل واثبت نسبة هذا الفعل لله وحده وهذا يقتضى أموراً كثيرة أولها نسبة القرآن كله لله وحده جل جلاله الحكيم الخبير بما ينزله ومتى ينزله ومتى يؤخره .

إذن الالتفات إلى الغيبة فى لفظ الجلالة (لتربية المهابة ولأنه الاسم العلم الجامع لسائر الصفات ففى ضمنه صفة القدرة فهو أبلغ فى نسبة القدرة إليه)[١] فمن علم شموله قدرته سبحانه على جميع الأشياء علم قدرته على ذلك قطعاً [٢].

(٧) ومنه قول الله تعالى :

{ **ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين**}[٣]

موضع الالتفات فى قوله تعالى:{ **إذ قال له ربه**} بصيغة الغيبة فى قوله تعالى : { **ربه**} وذلك بعد قوله تعالى :{ **ولقد اصطفيناه** }

---

(١) انظر تفسير الالوسى روح المعانى ج١/٣٥٤ .

(٢) وانظر تفسير أبى السعود ج١/١٧٠ .

(٣) سورة البقرة الآيتين (١٣٠ - ١٣١) .

وجاء فى الدر المنثور قوله : (وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى مالك فى قوله { ولقد اصطفيناه } قال : أخترناه / ج١ /٣٣٥ .

بصيغة التكلم . والاصطفاء هو غاية الود والتكريم فلا بد أن يكون هذا المصطفى قد بلغ درجة من الكمال تخوله لهذه المنزلة الرفيعة وتؤهله لأن يكون خليل الرحمن ومصطفاه . وهل يعبر عن هذا القرب والتعظيم سوى نون العظمة! ولكن ما السر فى هذا الاصطفاء ؟! أن المصطفى الصالح المستحق للإمامه والتقدم قد فاز بهذا لمبادرته إلى الإذعان والانقياد لما أمر به ، أخلص سره وعلنه حين قال له { ربه أسلم } أى لربك - إن كنت أيقنت له الربوبية - قال أسلمت لرب العالمين[1] . والعجب ممن أعظم مفاخرة الانتساب إلى إبراهيم عليه السلام ثم أنه لا يؤمن بالرسول الذى هو دعوة إبراهيم عليه السلام ومطلوبه بالتضرع إليه لا شك أن هذا مما يستحق أن يتعجب منه[2] وإنما عنى الله سبحانه وتعالى بذلك اليهود والنصار[3] فقد خطأهم لانهم رغبوا عن ملة إبراهيم[4] التى هى غاية فى الكمال وهم يعتزون بنسبهم إليه .

بقى لنا التساؤل المهم ما هو سر هذا التغير فى الأسلوب من صيغة التكلم إلى صيغة الغيبة ؟! إنها ولا ريب حاجة المعنى الملحة لكلمة (رب) فقد حددت المقصود بالضمير السابق فى : (اصطفيناه) وزادته رفعة ووضوحاً ونسبته إلى صاحبه الحقيقى صاحب الأمر بالاستسلام التام الرب الذى خلقه وتفضل عليه بنعمة الوجود ولطف به من عذاب الضياع والصراع الذهنى الذى كان فيه وهداه إليه وأنار قلبه بضياء الحق الأبدى وجعله أمة كاملة وليس فرداً واستجاب له دعاءه بأن بعث فى المسلمين محمداً . إذن ظهور كلمة (رب) ثم إضافتها إلى ضمير يعود على خليل الله يدل على عمق الصلة الرحمانيةبين هذا العبد وبين خالقه ومربيه .

---

(١) انظر تفسير أبى السعود ح١/١٩٤ وكذا روح المعانى للالوسى ح١/٣٣٨ .

(٢) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ح٢ /٦٩ .

(٣) انظر تفسير الطبرى ح١/٤٣٦ .

(٤) انظر الكشاف للزمخشرى ح١/٣١٢ .

معنى الاصطفاء : أنه نباه واتخذه خليلاً انظر تفسير ابن عطية ح١/٢١٢ .

(٨) ومنه قول الله تعالى :

{ **وكذلك جعلناكم أمةوسطاً لتكونواشهداءعلى الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً وماجعلناالقبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هد ى الله وماكان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤف رحيم** }[١] .

موضع الالتفات فى قوله تعالى : { **هد ى الله** } بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة التكلم فى قوله تعالى: { **وماجعلناالقبلة** } وكذا فى { **إلا لنعلم** } وكان حق الظاهر- هدينا - وكذا -كنا - وإننا - بدل قوله تعالى { **هد ى الله وماكان الله** } ووجهه أن الذين هدى الله لإتباع الرسول أو عصمهم و اهتدوا بهدايته أو خلق لهم الهدى الذي هو الإيمان في قلوبهم أو وفقهم إلى الحق وثبتهم على الإيمان . وهذه أقوال متقاربة ولكنها جميعاً أسندت الهداية الى الله وهذا ينبىء بعدم صعوبة ذلك إنما هو بتوفيق من الله لا من ذوات أنفسهم فهو الذي وفقهم لهدايته[٢] سبحانه ولايقدر على ذلك إلا هو وحده وهذا مادعى هذا الالتفات إلى الظهور.

---

(١) سورة البقرة الآية (١٤٣) .

(٢) انظرالبحر المحيط ح ١/٤٢٥-٤٢٦

في الآية لونان آخران من الالتفات انظر ص (٩٢ ـ ٩٣) و ص (١٤٩)

(٩) ومنه قول الله تعالى :

{ **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون** }[١] .

موضع الالتفات فى قوله تعالى : { **من ربهم وما الله بغافل** } بصيغة الغيبة وذلك بعدصيغة التكلم فى قوله تعالى { **قد نرى** } وكذا فى قوله { **فلنولينك** } .

فما سر هذا الالتفات ؟ من الملاحظ فى أسلوب القرآن فى كثير من المواضع أن يأتى الخطاب الموجه من المولى العلى القدير للنبى والمؤمنين بصورة خطاب مباشر منه سبحانه لهم مباشرة وذلك - والله أعلم - تكريم وتعظيم لمنزلة المخاطب سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم وكذا لأمته أما مع من سواهم فيأتى أسلوب الغائب ليشعر ببعدهم عن الحق وتدنى منزلتهم وطردهم من رحمة الله لما فى البعد من جفوة وهذا بعينه ما نراه فى هذه الآية المباركة .لقد قال عز وجل { **قد نرى تقلب وجهك** } خطاباً مباشراً لنبيه وخليله محمد صلى الله عليه وسلم وفى (نرى) ضمير المتكلم العائد عليه سبحانه وكذلك : (فلنولينك) أسلوب يفيض بالود له صلى الله عليه وسلم ولأمته وهى منزلة عظيمة وما أجلها نعمة لو قورنت بما بعدها أى قوله تعالى : { **وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أن الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون** } تقريع وتهديد ووعد ووعيد يتناسب مع ذكر لفظ الجلالة (الله) وكأنه يذكرهم بعظم ألوهيته عليهم وأنه المطلع على ما أقروه أو أنكروه فهم أنكروا الحق الذى جاء فى بشارة أنبيائهم برسول الله أنه يصلى إلى القبلتين[٢].

---

(١) سورة البقرة الآية (١٤٤) .

(٢) انظر الكشاف للزمخشرى ح١/٢٢٠ وكذا انظر فتح القدير للشوكانى ح١ /١٥٣ وكذا روح المعانى للالوسى ح١ : ٢/١٠ وكذا أنوار التنزيل للبيضاوى ح٢ /٣١ وكذا تفسير الطبرى ح٢/١٥ وكذا تفسير أبى السعودح٢/٢٠٨

فلو استمر الأسلوب على صيغة التكلم مسايرة للسياق السابق عليه ولم يأت الالتفات اختفى ذلك الدوى المرعب الذى أحدثه ذكر لفظ الجلالة فى الأسلوب وهكذا القرآن يُعِد لكل مقام مقالاً .

(١٠) ومنه قول الله تعالى :

{ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** }[١] .

موضع الالتفات فى هذه الآية المباركة فى تحول الأسلوب من صيغة التكلم فى قوله تعالى : { **أنزلنا** } و { **بيناه** } إلى الغيبة فى لفظ الجلالة (**الله**) قال عنه جمع من المفسرين : (الالتفات إلى الغيبة بإظهار اسم الذات الجامع للصفات لتربية المهابة وإدخال الروعة والإشعار بأن مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال المغايرة لما هو مبدأ الإنزال والتبين من وصف الجمال والرحمة)[٢] وهكذا يتغير الأسلوب بتغير المقام (فالذين يكتمون ما أنزله الله من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وأمر دينه أنه الحق من بعد ما بينه الله لهم فى كتبهم يلعنهم بكتمانهم ذلك وتركهم تبيينه للناس)[٣] أقلاهم الله عن رحمته وحضوره لأن جرمهم عظيم حيث أرادوا بكتمانهم هذا إطفاء نور الله وإغماض الحق المنزل من لدنه سبحانه فجازاهم الله بهذا الطرد من رحمته ولأنه سبحانه كتب على نفسه الرحمة لم يسند الطرد له مباشرة بضمير المتكلم بل جعله بصورة الغائب بلفظ الجلالة الدال على القوة والجبروت وهو لفظ جامع لكل اسمائه وصفاته .

وقد أذن سبحانه وتعالى لكافة مخلوقاته بلعنهم كما جاء فى تفسير ابن عطية قال : (واختلف فى اللاعنين فقال قتادة والربيع : الملائكة والمؤمنون....... وقال مجاهد وعكرمة:هم الحشرات

---

(١) سورة البقرة الآية (١٥٩) .

(٢) انظر تفسير أبى السعود ج١ /٢١٦ .

وكذا روح المعانى ج٢/٢٧ وكذا البحر المحيط ج١/٤٥٨ .

(٣) انظر تفسير الطبرى ج٢/٣٢ .

والبهائم ...... وقال البراء ابن عازب (اللاعنون) كل المخلوقات ما عدا الثقلين الجن والإنس)[١] .

(١١) ومنه قول الله تعالى :

{ سل بنى إسرائيل كم ءاتيناهم من ءاية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب }[٢] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **نعمة الله** } بصيغة الغيبة عنه سبحانه وذلك بعد قوله تعالى : { **ءاتيناهم** } بصيغة التكلم وكان مقتضى الظاهر - ومن يبدل نعمتنا - تمشياً مع ما قبله ولكنه عز وجل آثر صيغة الغيبة لحاجة المقام للفظ الجلالة المضافة إليه النعمة التى بدلها بنو إسرائيل واستحقوا بذلك العقاب الشديد من الله عز وجل وهى : (الحجج الواضحة الدالة على أمره صلى الله عليه وسلم يبدل بها التشبية والتأويلات أو ما ورد فى كتاب الله من نعته صلى الله عليه وسلم يبدل به نعت الدجال أو الاعتراف بنبوته يبدل بها الجحد لها أو كتب الله المنزلة على موسى وعيسى على نبينا وعليهم السلام يبدل بها غير أحكامها كآية الرجم وشبهها)[٣] . أو شكر النعمة يبدل بها الكفر[٤] .

لقد ناسب ضمير المتكلم مقام المعجزات زيادة فى تأكيد صلة هذه الآيات الدالة على الالوهية تأكيداً على وجوب الإيمان بها والاستسلام لمبدعها . أما عند ذكر الانتقام والشدة والعقاب فلا يتناسب مع هذا المقام إلا لفظ الجلالة الأعظم - الله - وصيغة الغيبة التى يمثلها حيث أن النفس البشرية جبلت على الخوف من الغائب فإن صيغة الغيبة تناسب مقام الترهيب والتخويف وتظهر مقدار الغضب فى قوله : { **فإن الله شديد العقاب** } وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة[٥] فى نفوس هؤلاء الطغاة .

---

(١) انظر تفسير ابن عطية المحرر الوجيز ج١/ ٢٣١ . (٢) سورة البقرة الآية (٢١١) .

(٣) انظر تفسير البحر المحيط ج٢/١٢٨ . (٤) انظر تفسير الطبرى ج٢/١٩٣ - ١٩٤ .

(٥) انظر تفسير أبى السعود ج١/٢٥٠. وكذا انظر تفسير روح المعانى ج١ : ٢/١٠٠ .

(١٢) ومنه فى هذه السورة المباركة قول الله تعالى :

{ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وءاتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من ءامن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اختلفوا ولكن الله يفعل ما يريد }[١] .

موضع الالتفات فى قول الله تعالى : { **منهم من كلم الله** } بصيغة الغيبة حكاية عنه سبحانه وذلك بعد قوله تعالى : { **فضلنا** } بصيغة التكلم .وقد تكررت صورة الالتفات فى هذه الآية فبعد ورود صيغة الغيبة فى قوله تعالى : { **كلم الله** } تحول الأسلوب إلى صيغة التكلم[٢] فى قوله تعالى: { **وآتينا** } وكذا { **وأيدنا** } ثم تحول الأسلوب مرة أخرى إلى صيغة الغيبة فى قوله تعالى : { **ولو شاد الله...** }لقد ظهرت نون العظمة فى قوله تعالى : { **فضلنا** } قال أبو حيان : (والتفضل بالفضائل بعد الفرائض أو الشرائع على غير ذى الشرائع أو بالخصائص كالكلام)[٣] إشارة إلى موسى عليه السلام ولكن (أجمعت الأمة على أن بعض الانبياء أفضل من بعض ، وعلى أن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل من الكل)[٤] وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله : (أنا سيد ولد آدم)[٥] وقد أشار الله سبحانه إلى هذا بقوله : (ورفع بعضهم درجات) لأنه بعث إلى الناس كافه وأعطى الخمس التى لم يعطها أحد قبله وهو أعظم الناس أمة ،

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٣) .

(٢) هذا الالتفات درس فى فصله ص (٢٣٢) .

(٣) انظر البحر المحيط ج٢/٢٧٢ .

(٤) انظر التفسير الكبير ج٦/٩٥

(٥) انظر صحيح مسلم كتاب الفضائل باب تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، حديث رقم ٢٢٧٨ .

وختم الله به النبوات)[١] . وفى معرض تفصيل المفاضلة بين الرسل أورد سبحانه وتعالى الاسم الجليل بطريق الالتفات فى قوله تعالى : { **ومنهم من كلم الله** } لتربية المهابة والرمز إلى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلق التفضيل وما لحق من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت[٢] ويؤيده عودة الضمير إلى المتكلم فى قوله تعالى : { **وءاتينا** } وكذا { **وأيدناه** } وورود اسم الجلالة بين هذين الموضعين للتنبيه على أن تلك الآيات التى فصلها الله هى من المعجزات الباهرات التى توجب على العباد التفكر والتدبر فيها .

ثم تأتى المشيئة التى هى من أعظم أمور العقيدة : { **ولو شاء الله ما اقتتل** } فيعود لفظ الجلالة إلى الظهور مرسخاً مبدأ أساسياً وهو : { **وما تشاؤن إلا أن يشاء الله** }[٣] وزيادة فى هذا التأكيد يتردد لفظ الجلالة الأعظم مع الإشاءة ومع القدرة الإلهية المطلقة فى قوله تعالى : { **ولكن الله يفعل ما يريد** } .

---

(١) انظر تفسير ابن عطية ج١/٣٣٨ وكذا انظر الدرر المنثور للسيوطى ج٢/٣
وكذا تفسير غرائب القرآن للعلامة النيسابورى بهامش تفسير الطبرى ٣ / ٤ والخمس التى أعطيها الرسول هى كما قال صلى الله عليه وسلم : (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى وجعلت لى الأرض طيبة وطهوراً ومسجداً فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدى مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة
ا نظر المرجع السابق ج٣ / ٦.
وكذا أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٤/٤١٦ من حديث أبي موسى مرفوعاً .

(٢) تفسير العلامه أبى السعود ج١/٢٨٦ .
وكذا روح المعانى ج١ : ٣ / ٢ .

(٣) سورة الانسان : ٣٠ (وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً) .

** سورة آل عمران **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) قال الله تعالى :

{ **كداب ءال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب** }[١] .

موضع الالتفات فى هذه الآية المباركة فى قوله تعالى : {**فأخذهم الله** } وفى قوله { **والله شديد العقاب** } بلفظ الجلالة والغيبة التى يعنيها وذلك بعد قوله تعالى : { **كذبوا بآياتنا** } بصيغة التكلم وكان مقتضى السياق - فأخذناهم بدل { **أخذهم الله** } . وسره البلاغى يكمن فى قوة لفظ الجلالة - الله - وما يندرج تحته من صفات وأسماء عظام ليتضح منه نوع الأخذ الذى سيؤخذون به جزاء تكذيبهم آيات الله المتلوه أو المنصوبة[٢] فرجع الأسلوب من التكلم إلى الغيبة[٣] لإظهار الجلالة وتربية المهابة وإدخال الروعة[٤] فى قلوب معاصرى[٥] نزول القرآن ومن تبعهم إلى أخر الزمان فالآية تشبه (هؤلاء فى لزومهم الكفر ودوامهم عليه بأولئك المتقدمين . وآخر الآية يقتضى الوعيد بأن يصيب هؤلاء مثل ما أصاب أولئك من العقاب)[٦] فإياكم أن تستهينوا بعقابه فيهون عليكم الإقامه على الكفر والتكذيب[٧] .

---

(١) سورة آل عمران الآية (١١) .

(٢) انظر تفسير الثعالبى ح١/٢٤٨ .

(٣) تفسير أبى حيان التوحيد البحر المحيط ح٢/٣٩٠ .

(٤) تفسير أبى السعود ح١/٣٣٢ .
وكذا تفسير روح المعانى ح١ : ٣ /٢٣٢ .

(٥) تفسير ابن عطية ح١ /٤٠٥ وكذاالدر المنثور ح٢/١٥٨
وكذا التفسير الكبير للرازى ح٧/١٨٥ وما بعدها .

(٦) انظر الرجع السابق ح١/٤٠٥ .

(٧) انظر تفسير السعدى ح١/٢٣٢ .

(٢) ومنه فى هذه السورة قول الله تعالى :

{ فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً فى الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين * وأما الذين ءامنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين }[١].

موضع الالتفات فى قوله تعالى : { **فيوفيهم** } بصيغة الغيبة بعد صيغة التكلم التى جاءت فى الآية الأولى فى قوله عز من قائل { **فأعذبهم** } ولو سار الأسلوب على نظام واحد لجاءت الآية - فأوفيهم أجورهم ولا أحب الظالمين - ولكن شتان بين هذا وذاك (للإيذان بما بين مصدرى التعذيب والإثابة من اختلاف من حيث الجلال والجمال)[٢] فالتكلم أولاً ناسب موضوع الآية التى قبلها فى قوله تعالى : { **ثم إلىّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون** }[٣] فأبان سبحانه أن هذا العذاب الشديد كان نتيجة حكمه العادل فيهم ولذا ناسب اتحاد الضميرين بين الفعلين[٤] (أحكم) (فأعذب) وإسنادهما له سبحانه مباشرة يعطى عمقاً أبعد للمعنى فى تصوير هذا العذاب الشديد فى الدنيا والآخرة قال أبو حيان : (بدأ أولاً بقسم الكفار لأن ما قبله من ذكر حكمه تعالى بينهم هو على سبيل التهديد والوعيد للكفار والإخبار بجزائهم فناسبت البداءة بهم ولأنهم أقرب فى الذكر بقوله (فوق الذين كفروا) ويكون الكلام مع اليهود الذين كفروا بعيسى وراموا قتله ثم أتى ثانياً بذكر المؤمنين وعلق هناك العذاب على مجرد الكفر وهنا علق توفية الأجر على الإيمان وعمل الصالحات تنبيهاً على درجة الكمال فى الإيمان ودعاء إليها)[٥] ثم ذكر هذا الالتفات بقوله : (قال - سبحانه - فيوفيهم بالياء ... وذلك على سبيل الالتفات والخروج من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة للتنوع فى الفصاحة)[٦] والتنبيه على ما بين المقامين من اختلاف .

---

(١) سورة آل عمران الآيتين (٥٦ ، ٥٧) .

(٢) انظر تفسير أبى السعود ج١/٣٧١ .

(٣) سورة آل عمران الآية (٥٥) .

(٤) انظر روح المعانى ج١ : ٣ ١٨٥ .

(٥) البحر المحيط ج٢/٤٧٥ وكذا تفسير ابن عطية ج١ /٤٤٥ .

(٦) البحر المحيط ج٢ /٤٧٥ .

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ **ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم * إن مثل عيسى عند الله كمثل ءادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** }[١] .

موضع الالتفات فى الآية الكريمة فى قوله تعالى : { **إن مثل عيسى عند الله** } بصيغة الغيبة فى لفظ الجلالة وذلك بعد قوله تعالى : { **ذلك نتلوه** } بصيغة التكلم وكان مقتضى الظاهر - إن مثل عيسى عندنا - بدل (**عند الله**) لتناسب الضمير السابق فعدل المولى عز وجل عن هذا إلى الغيبة لأن ذكر الاسم الأعظم (الله) جل جلاله مقترناً مع ذكر عيسى عليه السلام فيه تبكيت لأولئك المعترضين على النبى محمد بقوله إن عيسى عبد الله . ذكر ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنه قوله { **إن مثل عيسى عند الله** } الآية وذلك أن رهطاً من أهل نجران قدموا على محمد صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا لمحمد ما شأنك تذكر صاحبنا فقال من هو ؟ قالوا عيسى تزعم أنه عبد الله فقال محمد صلى الله عليه وسلم أجل إنه عبد الله قالوا له : فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل صلى الله عليه وسلم بأمر ربنا السميع العليم فقال قل لهم إذا أتوك إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم إلى أخر الآية)[٢] فاختلاف الصيغتين لاختلاف مقام الحكاية ومناسبه النزول فكأنه قال عز من قائل (أن المثل الذى تتصوره النفوس والعقول من عيسى هو كالمتصور من آدم إذ الناس كلهم مجمعون على أن الله تعالى خلقه من تراب من غير فحل)[٣] - ولا أم[٤] - أى إذا تصوروا أمر آدم قيس عليه جواز أمر عيسى عليه السلام . (عند الله) عبارة عن الحق فى نفسه أى هكذا هو الأمر فيما غاب عنكم[٥] .

---

(١) سورة آل عمران الآيتين (٥٨ ، ٥٩) . (٢) تفسير الطبرى ج٣/٢٠٧ وكذا تفسير أبى السعود ج١/٣٧٠ وكذا تفسير النسفى ج١/١٦٠ وكذا تفسير السعدى ج١ /٢٤٨ وكذا البحر المحيط ج٢/٤٧٦ وكذا البيضاوى ص (٧٥) وكذا روح المعانى ج١ : ٣ /١٨٧ .

(٣) انظر تفسير ابن عطية ج١/٤٤٦ .

(٤) انظر تفسير الرازى ج٨/٧٥ .

(٥) انظر المحرر الوجيز ج١/٤٤٦ .

(٤) ومنه قول الله تعالى :

{ **تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلماً للعالمين** }[١] .

في هذه الآية نوعان من الالتفات أحدهما من الغيبة إلى التكلم[٢] والثانى من التكلم فى قوله تعالى : { **نتلوها** } إلى الغيبة فى قوله تعالى : { **وما الله يريد ظلماً للعالمين** } فى لفظ الجلالة وهو موضوع بحثنا فى هذا الفصل ولو سار السياق على وتيرة واحدة لجاءت الآية - تلك آيات الله يتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلماً للعالمين - ولكن لحكمة اقتضتها مشئته سبحانه وتعالى جاءت الالتفاتات منبهة للذهن إلى وجوب التأمل فى هذه الأمور العظام من آيات الله وتلاوة كتابه وعدله المطلق فالالتفات للإشعار بإختلاف الأسلوب بين كرامة قوم وتعذيب آخرين وأنه تعالى لا يريد ظلماً فى حكمه فإذاً لا يوجد الظلم مطلقاً[٣] ولهذا التفت أولاً إلى نون العظمة ثم إلى (الاسم الجليل إشعاراً بعلة الحكم بياناً لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه أى ما يريد فرداً من أفراد الظلم لفرد من أفراد العالمين فى وقت من الاوقات فضلاً عن أن يظلمهم فإن المضارع كما يفيد الاستمرار فى الاثبات يفيده فى النفى بحسب المقام)[٤] .

وفى ذكر لفظ الجلالة - الله - فى موضع نفى الظلم عنه سبحانه اتجاه مباشر وواضح بما لا يتأتى لو عدل عنه إلى ضمير التكلم مجاراة للضمير السابق عليه فى (نتلوها) وقد تدخل فيها احتمالات كثيرة قطعها لفظ الجلالة وأتى الأمر ناصعاً جلياً علي معنى ما يريد شيئاً من الظلم لأحد من خلقه[٥] .

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٨) .

(٢) الالتفات هنا فى قوله تعالى تلك آيات الله بلفظ الغيبة ثم التحول عنه إلى صيغة التكلم : (نتلوها) درس فى فصله ص (٣٣١) .

(٣) انظر تفسير ابن عطية المحرر الوجيز ج١/٤٨٨ .

(٤) انظر تفسير أبى السعود ج١/٣٩٨ .

وكذا تفسير روح المعانى ج٢/٢٦ .

(٥) انظر الكشاف للزمخشرى ج١/٤٥٤ .

(٥) ومنه قول الله تعالى :

{ **سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين** }[١] .

الالتفات فى هذه الآية فى قوله تعالى : { **أشركوا بالله ما لم ينزل** } بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة التكلم فى قوله تعالى : { **نلقى** } وكان مقتضى السياق قول الحق تبارك وتعالى - بما أشركوا بنا - ولكنه سبحانه أتى بصيغة الغيبة لحاجة المعنى إلى ظهور لفظ الجلالة

قال فيه الفخر الرازى* : (بما أشركوا بالله) فاعلم أن (ما) مصدرية ، والمعنى : بسبب إشراكهم بالله . وأعلم أن تقرير هذا بالوجه المعقول هو أن الدعاء إنما يصير فى محل الإجابة عند الاضطرار كما قال (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) ومن اعتقد أن لله شريكاً لم يحصل له الاضطرار لأنه يقول : إن كان هذا المعبود لا ينصرنى ، فذاك الآخر ينصرنى ، وإن لم يحصل فى قلبه الاضطرارلم تحصل الإجابة ولا النصرة ، وإن لم يحصل ذلك وجب أن يحصل الرعب والخوف فى قلبه ، فثبت أن الإشراك بالله يوجب الرعب)[٢] وظهور لفظ الجلالة فى هذا المقام يعظم جريمة شركهم ويذكرهم بأنهم أشركوا مع ذى الالوهية والعبودية المتفرد بهما بما لا يزيدهم إلا خوفاً واضطراباً فلذا كان شركهم من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من دواعى الرعب[٣] الذى زاده رهبة ومهابة ظهور لفظ الجلالة بطريق الالتفات .

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٥١) .

(٢) انظر التفسير الكبير للرازى ج٩/٣٢ ، ٣٣ .

(٣) انظر تفسير أبى السعود ج١/٤٣٠ . وكذا تفسير روح المعانى للالوسى ج٢/٨٨ وكذا تفسير ابن عطية ج١/٥٢٣ رما بعدها . وكذا البحر المحيط ج٣/٧٧ .

* هو أبو عبدالله محمد بن عمر بن حسين الطبرستاني الرازي الملقب بفخر الدين ،، والمعروف بابن الخطيب الشافعي المولود سنة (٥٤٤)هـ كان فريد عصره ومتكلم زمانه ، جمع كثير من العلوم ونبغ فيها وخلف مجموعة كبيرة من تصانيفه ، من أهمها التفسير الكبير المسمى بمفاتح الغيب ، توفي سنة (٦٠٦) هـ بالري . انظر التفسير و المفسرون دكتور محمد حسين الذهبي ج ١/٢٩٠

(٦) ومنه قول الله تعالى :

{ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين * ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم }[(١)] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **ما كان الله ليذر** } بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة التكلم فى قوله تعالى : { **أنما نملى** } وكان مقتضى السياق - ما كنا لنذر المؤمنين - ولكن ظهور لفظ الجلالة للإشعار بعلة الحكم والمراد بما هم عليه[(٢)] أى تركهم مختلطين لا يعرفون من منهم المؤمن ومن المنافق فالخطاب (للمصدقين جميعاً من أهل الإخلاص والنفاق كأنه قيل : ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التى أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض ، وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعاً حتى يميزهم منكم بالوحى إلى نبيه وإخباره بأحوالكم)[(٣)] ويخلص ما بينكم بالابتلاء والامتحان إلى أن يميز الخبيث من الطيب فتعرفوا المنافقين بعد هذا البلاء وتتقوهم . ولهذا ظهر لفظ الجلالة لأن المقام يلح عليه بالظهور فلا يعلم ما تخفى الصدور إلا الله خالقها ومبدعها من عدم . وتأكيداً لهذا جاء قول الله تعالى : { **وما كان الله ليطلعكم على الغيب** } .

---

(١) سورة آل عمران الآيتين (١٧٨ ، ١٧٩) .

(٢) انظر تفسير أبى السعود ح١ ص (٤٥٣) .
وكذا تفسير الالوسى ح٢ : ٤ ص (١٣٦) .

(٣) انظر الكشاف ح١ ص (٤٨٣) . وكذا البحر المحيط ح٣ ص (١٢٦) .
وأورد ابن عطية عدة أقوال بعضها يرجح أن الخطاب للمؤمنين و البعض الآخر يرجح أن الخطاب للمنافقين أو الكفار وهو بعيد ح١ ص (٥٤٦) .

** سورة النساء **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومنه قول الله تعالى :

{ ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شىء شهيداً }[١] .

الالتفات فى هذه الآية المباركة من صيغة التكلم فى قوله تعالى : { **جعلنا** } إلى صيغة الغيبة فى قوله تعالى : { **إن الله كان على كل شىء شهيداً** } فى لفظ الجلالة . والداعى لهذا الالتفات إلى لفظ الجلالة ما تذكره كتب التفسير من أن هذا المقام من الغيبيات التى لا يعرف كنهها إلا الله وحده وهو المجازى عليه جزاء وفاقاً .

قال ابن جرير الطبرى : (يعنى بذلك جل ثناؤه فآتوا الذين عقدت أيمانهم نصيبهم من النصرة والنصيحة والرأى فإن الله شاهد على ما تفعلون من ذلك وعلى غيره من أفعالكم مراع لكل ذلك حافظ حتى يجازى جميعكم على جميع ذلك جزاءه أما المحسن منكم المتبع أمرى وطاعتى فبالحسنى وأما المسىء منكم المخالف أمرى ونهى فبالسوأى)[٢] فأوفوا بالعهد بحسب ذلك مراقبة ورهبة[٣] وفي هذا تهديد للعاص ووعد للمطيع وتنبيه على أنه شهيد على المعاقدة بينكم والصلة فأوفوا بالعهد[٤] لأنه سبحانه عالم بجميع الأشياء جليها وخفيها[٥] وكهذا نرى أن هذا المقام لا يصلح له إلا لفظ الجلالة الاسم الجامع لكل أسماء الله وصفاته ولهذا تغير الأسلوب للغيبة وكان هذا الالتفات البليغ .

---

(١) سورة النساء الآية (٣٣) .

(٢) انظر ج٤ : ٥ /٣٧ وكذا التفسير الرازى ج١٠/٨٦ .

(٣) انظر تفسير ابن عطية ج٢/٤٧ .

(٤) تفسير البحر المحيط ج٣/٢٣٨ وكذا تفسير أبى السعود ج١/٥١٧ .

(٥) انظر روح المعانى ج٢ : ٥ /٢٣ . وكذا تفسير الزمخشرى ج١/٥٢٣ .

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا. يومئذ يود الذين كفروا وعصواالرسول لوتسوى بهم الأرض ولايكتمون الله حديثاً** }[(١)]

الالتفات قوله تعالى : { **ولايكتمون الله حديثاً** } في لفظ الجلاله { **الله** }الذي هو من قبيل الغيبة وذلك بعد صيغة التكلم في قوله تعالى {**جئنا** } وكان مقتضى السياق - ولا يكتموننا - ولكن ليذكرهم سبحانه أنه (لايقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم)[(٢)] ومن يستطيع هذا إلا الله حين يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يعملون ، فهنالك يودون أنهم كانوا تراباً ولم يكتموا الله حديثاً[(٣)] و هذا موقف عظيم يخوفهم الله به ولكنهم لايعقلون ، ولفظ الجلاله يزيدهم تخويفاً ولهذا جاء الالتفات إليه.

(٣) ومنه قول الله تعالى :{ **يا أيها الذين أوتو الكتاب آمنوا بما أنزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا** }[(٤)]

يالالتفات في قوله تعالى:{**أمر الله** } بعد صيغة التكلم في قوله تعالى:{**أنزلنا** } إلى قوله تعالى :{**لعنا** } و لهذا كان مقتضى السياق -كان أمرنا - بدل:{**وكان أمر الله**} ولكنه سبحانه (وضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية مافي الاعتراض من الاستقلال) [(٥)] و ظهور لفظ الجلالة يؤكد للجميع أنه لاراد لحكمه ولا ناقض لأمره كما قال ابن عباس :على معنى أنه لا يتعذر عليه شيء يريد أن يفعله [(٦)] .

---

(١) سورة النساء الآية (٤١-٤٢) .

(٢) انظر ارشاد العقل السليم ح ٥٢٣/١

(٣) انظرالتفسير الكبير للرازي ح ١٠٦/١-١٠٧ ، في الآيتين التفات آخر انظر ص(١٦٠).

(٤) سورة النساء الآية (٤٧)

(٥) انظر ارشاد العقل السليم ح ٥٢٣/١

(٦) انظر تفسير الرازي ح ١٢٣/١٠ ، في الآية التفات آخر انظر ص(١٦١)

(٤) ومنه قول المولى عز وجل :

{ **إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً** }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **إن الله كان عزيزاً حكيماً** } بأسلوب الغائب عنه سبحانه وذلك بعد قوله تعالى فى أول الآية { **بآياتنا** } وكذا { **بدلناهم** } بنون العظمة وهى ضمير للمتكلم فكان الالتفات منها إلى لفظ الجلالة.

فمناسبه النون مع الآيات لأنه (يدخل فيها كل ما يدل على ذات الله وافعاله وصفاته وأسمائه والملائكة والكتب والرسل ، وكفرهم بالآيات ليس يكون بالجحد لكن بوجوه ، منها أن ينكروا كونها آيات ، ومنها أن يغفلوا عنها فلا ينظروا فيها . ومنها أن يلقوا الشكوك والشبهات فيها . ومنها : أن ينكروها مع العلم بها على سبيل العناد والحسد)[٢] ولهذا ناسب ظهور نون العظمة تجاه هذا الكفر ولهذا أيضاً ظهر لفظ الجلالة فى ذلك التنزيل العظيم فى موضع الانتقام منهم جزاء كفرهم واصرارهم عليه ليعلمهم هذا اللفظ العظيم (أن الله لا يغالبه مغالب إلا غلبه الله ولا يفعل شيئاً إلا بحكمة وإصابه لا إله إلا هو تبارك وتعالى)[٣] لا يمتنع عليه ما يريد[٤] ولا يمانعه أحد (حكيماً) يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته والجملة تعليل لما قبلها من الإصلاء والتبديل وإظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الأمر وتربية المهابة وتعليل الحكم فإن عنوان الالوهيه مناط لجميع صفات كماله تعالى[٥] .

---

(١) سورة النساء الآية (٥٦) .

(٢) انظر التفسير الكبير ج١٠/١٣٤ .

(٣) انظر تفسير ابن عطية ج٢ /٦٩ وكذا تفسير الطبرى ج٤ : ٩١/٥ .

(٤) انظر الكشاف ج١/٥٣٤ وكذا البحر المحيط ج٣/٢٧٥ .

(٥) انظر تفسير أبى السعود ج١/٥٣٩ .

وكذا تفسير روح المعانى ج٢ : ٦٠/٥ .

(٥) ومنه قول الحق تبارك وتعالى :

{ **وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً** }[١] .

موضع الالتفات فى هذه الآية المباركة فى قول الله تعالى : { **بإذن الله** } بصيغة الغيبة فى لفظ الجلالة وذلك بعد قول الحق جل وعز: { **وما أرسلناك** } بصيغة التكلم وكان مقتضى الظاهر - إلا ليطاع بإذننا - تمشياً مع الضمير السابق عليه .

والحكمة فى ظهور لفظ الجلالة في هذا المقام هى : تعليق طاعة الله بطاعة رسوله أى ما أرسلنا من رسول بشىء من الاشياء إلا لأجل الطاعة بإذن الله وأمره قال ابن عباس أو بعلمه وتوفيقه وإرشاده[٢] وإنما هذا من الله توبيخ للمحتكمين من المنافقين الذين كانوا يزعمون أنهم يؤمنون بما أنزل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فيما اختصموا فيه إلى الطاغوت صدوداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] وأمره المرسل إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤد عنه تعالى فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصيته تعالى[٤] وقد يسر الله أسباب طاعته[٥] لأنه يحمل من الدين ما يتفق مع الفطرة السليمة لخلقة الله سبحانه وتعالى فى ولد آدم .

ولا يخفى بعد هذا ما فى العدول عن الضمير إلى الاسم الجليل من أغراض بلاغية فى هذا الالتفات .[٦]

---

(١) سورة النساء الآية (٦٤) .

(٢) انظر البحر المحيط ج٣ /٢٨٢ .

(٣) انظر تفسير ابن جرير الطبرى ج٤: ٥/٩٩ .

(٤) انظر تفسير أبى السعود ج٥٤١ وكذا الكشاف للزمخشرى ج٥٣٧/١ .

(٥) انظر التفسير الكبير للرازى ج١٦١/١٠ .

(٦) انظر روح المعانى ج٢ : ٥ /٧٠ .

فى الآية التفات آخر من المخاطب إلى الغائب فى قوله تعالى (جاءوك) ثم العدول إلى قوله تعالى : (واستغفر لهم الرسول) درس فى فصله ص (١٦٢) .

(٦) ومنه فى هذه السورة المباركة قول الله تعالى :
{ **ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً** }[١] .

موضع الالتفات فى هذه الآية المباركة فى قوله تعالى : { **وكفى بالله شهيداً** } بصيغة الغيبة عنه سبحانه فى لفظ الجلالة وذلك بعد صيغة التكلم فى قوله تعالى : { **وأرسلناك** } ولو سار الأسلوب على نفس النمط لجاءت الآية - وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بنا شهداء ولكنه سبحانه وتعالى آثر ظهور لفظ الجلالة عوداً على ذى بدء لمناسبة المقام حيث أن الآية الكريمة جاءت رداً على مزاعم اليهود والمنافقين وتشاؤمهم من النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه الصلاة والسلام المدينة ودعاهم إلى الإيمان فكفروا أمسك عنهم بعض الامساك فقالوا ما زلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل وأصحابه[٢] فقال الله تعالى فى آية سابقة واصفاً مزاعمهم الباطلة { **وإن تصبهم حسنه يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك** }[٣] ففى هذه الآية مدارالبحث جلاء للحقيقة ورد لافتراءاتهم وتصحيح للمفاهيم الخاطئة فقال جل ثناؤه { **ما أصابك من حسنه فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك** } (قال قتادة : عقوبة يا ابن آدم بذنبك قال وذكر لنا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : لا يصيب رجلاً خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفوا الله عنه أكثر)[٤] وهذه الأمور ينكرها اليهود والمنافقون ولكن فلينكروا ما أرادوا ما دام الله شهيداً على صدقك وعلى رسالتك ينصب المعجزات التى من جملتها هذا النص والوحى الصادق والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة[٥] ولا ينبغى لمن كان الله شاهده إلا أن يطاع[٦] .

---

(١) سورة النساء الآية (٧٩) . (٢) انظر تفسير أبى السعود ج١ /٥٥٣ وانظر كذا تفسير ابن عطية ج٢/٨١ .
(٣) جزء من الآية (٧٨) . (٤) انظر تفسير الطبرى ج٤ : ٥/١١١ وكذا ذكره صاحب كنز العمال وعزاه إلى البيهقي في شعب الإيمان من حديث قتاده مرسلاً ج٣ ص(٢٤١) حديث رقم (٦٨٤٩).
(٥) انظر تفسير أبى السعود ج١/٥٥٥ وكذا روح المعانى ج٢ : ٥/٩١ . (٦) انظر تفسير البحر المحيط ج٣ /٣٠٢ .

(٧) ومنه قول الله تعالى :

{ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً** }[1] .

الالتفات فى هذه الآية المباركة فى قوله تعالى:{ **بما أراك الله** } فى لفظ الجلالة والغيبة التى يحملها وذلك بعد صيغة التكلم فى قوله تعالى : { **إنا أنزلنا** } ولو خرج الكلام على صيغة واحدة لجاء - بما أريناك - بدل { **أراك الله**} ولكنه سبحانه آثر صيغة الغيبة لحاجة المعنى الملحة فى طلب لفظ الجلالة المناسب بلاغياً للمقام ويتضح هذا بمعرفة سبب نزول الآية المباركة جاء فى كتاب الدر المنثور للسيوطى فيما رواه عن ابن عباس رضى الله عنه قال:(إن نفراً من الانصار غزوا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته ، فسرقت درع لأحدهم ، فأظن بها رجلاً من الأنصار ، فأتى صاحب الدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:ان طعمة بن ابيرق سرق درعي . فلما رأى السارق ذلك عمد إليها فألقاها فى بيت رجل برىء وقال لنفر من عشيرته : إنى غيبت الدرع وألقيتها فى بيت فلان وستوجد عنده ، فأنطلقوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا نبى الله ان صاحبنا برىء ، وان سارق الدرع فلان ، قد احطنا بذلك علماً، فاعذر صاحبنا على رؤس الناس ، وجادل عنه فإنه ان لا يعصمه الله بك يهلك، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرأه وعذره على رؤس الناس ، فأنزل الله {**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله** }[2].ومن هذا يتضح أن ظهور لفظ الجلالة فى هذا المقام جاء لعدة أغراض بلاغية منها : تعظيم الحكم الذى سيحكم به النبى لأنه من جهته سبحانه وتعالى ووجوب انتظار الوحى لأنه لا يخرج عن كونه بشراً قد تخفى عليه كثير من الحقائق فيقع منه الخطأ وقد عصمه الله عن هذا بقوله:{**بما أراك الله**} وهو عالم السر وأخفى .

---

(١) سورة النساء الآية (١٠٥) .

(٢) انظر ج٢/٦٧٢ وكذا البحر المحيط ج٣ /٣٤٣ ، وكذا روح المعانى ج٢ : ١٣٨/٥ وما بعدها . وكذا تفسير السعدى ج١/٤٠٠ وكذا تفسير أبى السعود ج١/٥٨١، وانظر ايضاً اسباب النزول لأبي الحسن علي بن النيسابوري ج ١/١٣٤-١٣٢

(٨) ومنه قوله تعالى :{ **ولله مافي المساوات ومافي الرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أناتّقوا الله وإن تكفروا فإن لله مافي السماوات ومافي الأرض وكان الله غنياً حميداً**}[١]. الالتفات فى قوله تعالى:{**أن تتقوا الله**} في لفظ الجلالة بعد قوله تعالى{**وصينا**}

(٩) ومنه فى هذه السورة المباركة قول الله تعالى :

{ **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً** }[٢] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **سبيل الله** } بصيغة الغيبة فى لفظ الجلالة وذلك بعد صيغة التكلم فى قوله تعالى : { **حرمنا** } وكان مقتضى السياق - وبصدهم عن سبيلنا - تمشياً مع الضمير السابق . لما شرح فضائح اليهود وقبائح الكافرين وأفعالهم ذكر عقيبه تشديده تعالى عليهم فى الدنيا وفى الآخرة ، أما تشديده عليهم فى الدنيا فهو إنه تعالى حرّم عليهم طيبات كانت محللة لهم قبل ذلك .. ،وذلك لظلمهم للخلق ، والإعراض عن الدين الحق[٣] وصدهم فى ذاتهم أو صدهم غيرهم[٤] عن السبيل التى هى موصلة إلى الحق تبارك وتعالى (ودينه وسبيله التى شرحها لعباده . وكان صدهم عن سبيل الله بقولهم على الله الباطل وادعائهم أن ذلك عن الله وتبديلهم كتاب الله وتحريف معانيه عن وجوهه وكان من عظيم ذلك جحودهم نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتركهم بيان ما قد علموا من أمره لمن جهل أمره من الناس)[٥].ولكنهم الذين هادوا(ولعل ذكرهم بهذا العنوان للإيذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد ما هادوا أى تابوا من عبادة العجل)[٦] وهيهات هيهات تصحو نفوسهم التى ران

---

(١) سورة النساء الآية : (١٣١) . انظر هذه الآية ص(٣٤٨).

(٢) سورة النساء الآية : (١٦٠) . انظر هذه الآية ص(٣٥١).

(٣) انظر التفسير الكبير للرازى ج١١/١٠٥ وانظر الدر المنثور للسيوطى ج٢ /٧٤٤ .

(٤) انظر تفسير ابن عطية ج٢/١٣٥ . (٥) انظر تفسير الطبرى ج٤ : ٦ /١٧ .

(٦) انظر تفسير أبى السعود ج١/٦٠٥ وكذا اضواء البيان للشنقيطى ج١ /٣٨٠ وكذا تفسير البحر المحيط ج٣ /٣٩٤ وكذا روح المعانى ج٢ : ١٣/٦ وكذا تفسير السعدى ج١/٤٣٨ .

عليها الكفر فشدد عليهم المولى عقوباتهم فى الدنيا والآخرة وظهور لفظ الجلالة فى مقام الشدة يزيد المعنى قوة ويعلل عظم ذنبهم الذى ارتكبوه مع الإله الحى القيوم .

(١٠) ومنه قول الله تعالى :

{ **ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً** }(١) .

الالتفات فى قوله تعالى : { **وكلم الله موسى تكليماً** } بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله تعالى:{ **قد قصصناهم** } بصيغة التكلم وكانت مسايرة السياق تقتضى - وكلمنا موسى - بدل قوله تعالى:{ **وكلم الله** } .

والالتفات إلى لفظ الجلالة (للإخبار بخاصة موسى ، وأن الله تعالى شرفه بكلامه)(٢) واورد الطبرى خبراً عن ابن وكيع : إن الله جل ثناؤه لما كلم موسى كلمه بالالسنة كلها قبل كلامه يعنى كلام موسى فجعل يقول يا رب لا أفهم حتى كلمه بلسانه آخر الالسنه فقال يا رب هكذا كلامك قال لا ولو سمعت كلامى على وجهه لم تك شيئاً قال ابن وكيع قال أبو أسامة وزادنى ابو بكر الصغانى فى هذا الحديث ان موسى قال يا رب هل فى خلقك شىء يشبه كلامك قال لا وأقرب خلقى شبهاً بكلامى أشد ما تسمع الناس من الصواعق(٣) ولعظم هذه الآية وعلو شأنها ظهر لفظ الجلالة إيذاناً بذلك وهى كما مر من الأمور المتناهية فى جلالها وعظمتها وتشريفاً لموسى عليه السلام جعل المولى العظيم المتعال هذه الحادثة الغريبة حكاية تروى للناس جيلاً بعد جيل بأسلوب القصة الذى يتناسب مع صيغة الغيبة الذى (ينبىء عنه تغير الأسلوب بالالتفات)(٤) .

---

(١) سورة النساء الآية (١٦٤) .

(٢) انظر تفسير ابن عطية ج٢ /١٣٧ وكذا البحر المحيط ج٣/(٣٩٨ .

(٣) انظر تفسير الطبرى ج٤ : ٦ ٢١ .

(٤) انظر تفسير أبى السعود ج١/٦٠٨. وانظر تفسير روح المعانى ج٢ : ١٨/٦. وانظر تفسير السعدى ج١/٤٤٠ .

سورة المائدة

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومما جاء فى سورة المائدة المباركة قوله تعالى:{**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير و ما أهل لغير الله به و المنخنقة والموقوذة والمتردية و النطيحة و ما أكل السبع إلا ما ذكيتم و ما ذبح على النصب و أن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم وانممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم**}[١] .الالتفات المقصود في قوله { **فإن الله غفور رحيم**} وذلك بعد ضمير التكلم في {**واخشون**} وحكمته حاجة المعنى لكلمة {**الله**}لأنهاالاسم الجامع لصفات الكمال.

(٢) ومنه قوله تعالى:{**ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم أثنى عشر نقيباً وقال الله انى معكم لئن أقمتم الصلاة وءاتيتم الزكاة وءامنتم برسلى وعزرتموهم واقرضتم الله قرضاً حسناً لاكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل**}[٢] .

موضع الالتفات الذى من التكلم إلى الغيبة فى قوله: {**وقال الله**} بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة التكلم فى قوله:{**وبعثنا**} وكان مقتضاه- وقلنا - تمشياً مع سابقه ولكن التفت الأسلوب إلى ذكر الاسم الأعظم ليضع (مقدمة معتبرة جداً فى الترغيب والترهيب)[٣] ويؤكد لهم أنه معهم (وفى هذه المعية دلالة على عظم الاعتناء والنصر وتحليل ما شرطه عليهم)[٤] يقول تعالى أني ناصركم على عدوكم وعدوى الذين أمرتكم بقتالهم إن قاتلتموهم ووفيتم بعهدي وميثاقي الذى أخذته عليكم[٥] . وجاء الأسلوب فى صيغة الحكاية لحاجة المقام إلى

---

(١) سورة المائدة الآية (٣). في الآية التفات آخر انظر ص (٣٤٩) .

(٢) سورة المائدة الآية (١٢). (٣) انظر التفسير الكبير للرازى ج١١/ ١٨٥ (٤) انظر البحر المحيط ج٣/٤٤٤ وكذا الكشاف ج١/٥٩٩ .

(٥) انظر الطبرى ج٤ : ٩٧/٦ وانظر معانى القرآن للاخفش ج٢ ص (٤٦٧) .

فى الآية المباركة التفات آخر من الغيبة فى قوله تعالى : { أخذ الله } إلى التكلم فى قوله تعالى { بعثنا } درس فى فصله ص(٣٥١)

ذكر لفظ الجلالة تأكيداً على ذلك الوعد الذى وعده بنى إسرائيل فى تلك الحادثة (إذ هم محتاجون إلى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبىء عنه الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة وتأكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد)[١] وقدأفادت هذه الحكاية عن بنى إسرائيل التأكيد على الوفاء بالعهود والمواثيق بطريق تربوى يحرك النفس البشرية ويهزها ويضع أمام البصير المتأمل درساً من أعظم الدروس التى تستقيم بها الأخلاق وأسلوب الحكاية أمر محبب إلى النفس البشرية ولذا فهو أسرع فى التأثير عليها من غيره .

(٣) ومنه فى نفس السورة المباركة قول الله تعالى :

{ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين }[٢] .

الالتفات فى قوله { **إن الله يحب** } بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله تعالى : { **لعناهم وجعلنا** } بصيغة التكلم وكان حق السياق استمرار هذه الصيغة فتكون-إننا-بدل(إن الله)ولكنه سبحانه آثر الغيبة فى لفظ الجلالة لحكمةعنده قال الطبرى:(وهذاأمرمن الله عزذكره نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالعفو عن هؤلاء القوم الذين هموا أن يبسطوا أيديهم إليه من اليهود يقول الله جل وعز له اعف يا محمد عن هؤلاء بترك التعرض لمكروههم فانى أحب من أحسن العفو والصفح إلى من أساء إليه)[٣]، وقال ابن كثير: وهذا موجب النصر والظفر[٤] (كماقال عمر رضى الله عنه ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه. وبهذا ، يحصل لهم تأليف وجمع على الحق. ولعل الله يهديهم)[٥] وكما قال ابن عباس: إذا عفوت فأنت محسن،وإذا كنت محسناً فقدأحبك الله[٦]. فقد جاء الالتفات إلى لفظ الجلالة تعليلاً للأمر وحثاً على الإمتثال وتنبيهاً على أن العفو على الإطلاق من باب الإحسان[٧]

---

(١) انظرتفسير أبى السعود ج٢/١٦ ، ١٧. (٢) سورة المائدة الآية (١٣). (٣) انظر ج٤ : ٦ /١٠١ وكذا البحر المحيط ج٣ /٤٤٦ . (٤) ج٢/٣٤ وكذا الكشافللزمخشري ج١/٥٩٩ .(٥) انظر محاسن التأويل ج٦/١٣٣(٦) انظر التفسير الكبير للرازى ج١١/١٨٨. (٧) انظر تفسير أبى السعود ج٢ /١٨ وكذا روح المعانى ج٢ : ٦ /٩٠ وكذا تفسير ابن عطية ج ٢/١٧٠ وكذا الثعالبى ج١/٤٥١ .

وهـذاما استدعى تغير الأسلوب من التكلم إلى الغيبة تطرية لأذن السامع وشداً لانتباهه حتى تتغلل تلك المعانى العظام الجليلة فى نفسه وتتمكن أيما تمكن ويعلم أن الله بأعظم اسمائه يعده بمحبته عند عفوه وإحسانه فيكون ذلك الخلق أمراً سائداً بين الناس ويتحقق للمجتمع المسلم الخير كله بإذن الله .

(٤) ومنه فى هذه السورة المباركة قول الله تعالى :

{ ومن الذين قالوا إن نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **وسوف ينبئهم الله** } بصيغة الغيبة فى {**ينبئهم الله** } وذلك بعد صيغة التكلم فى قوله تعالى { **أخذنا .... فأغرينا** } ولو سار الأسلوب على وتيرة واحدة لجاءت الآية- وسوف ننبئهم - ولكن الالتفات إلى الغيبة سوغ ظهور لفظ الجلالة الذى يناسب مقام الوعيد الشديد بالجزاء والعذاب ... ولتربية المهابة وإدخال الروعة[٢] فى قلوب النصارى الذين أخذ الله ميثاقهم على متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومناصرته وموازرته واقتفاء آثاره وعلى الإيمان بكل نبى يرسله الله إلى أهل الأرض ففعلوا كما فعل اليهود خالفوا المواثيق ونقضوا العهود ولهذا[٣] قال تعالى : { **فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة** } فسوف ينبئهم ذو القدرة والجبروت المطلع على كل شىء سينبئهم عند ورودهم فى معادهم بما كانوا فى الدنيا يصنعون من نقضهم ميثاقه ونكثهم عهده وتبديلهم كتابه وتحريفهم أمره ونهيه فيعاقبهم على ذلك حسب استحقاقهم[٤] ولهذا المقام العظيم أتى لفظ الجلالة العظيم ليناسبه تماماً ويزيد عليه .

---

(١) سورة المائدة الآية (١٤) .

(٢) انظر تفسير أبى السعود ح١٩/٢ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ح٢ /٢٤ .

(٤) انظر تفسير الطبرى ح٤ : ٦ /١٠٣ وكذا محاسن التأويل ح٣٥/٦ وكذا البحر المحيط ح٣ /٤٤٧ وكذا تفسير ابن عطية ح١٧٠/٢ .

(٥) ومنه قول الله تعالى :

{ ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **من الله** } فى لفظ الجلالة وذلك بعد صيغة التكلم فى قوله تعالى : { **رسولنا** } .

قال ابن كثير : أى يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه وافتروا على الله فيه ويسكت عن كثير مما غيروه ولا فائده فى بيانه[٢] وكان مما يخفونه من كتابهم فبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس رجم الزانيين المحصنين[٣] ثم التفت الأسلوب إلى الغيبة فى لفظ الجلالة لإظهار مزيد من العظمة لهذا الذى جاء به الحق عز وجل من النور الذى ربما يعنى به محمداً صلى الله عليه وسلم الذى أنار الله به الحق وأظهر به الاسلام ومحق به الشرك فهو نور لمن استنار به يبين الحق ومن انارته الحق تبينته لليهود كثيراً مما كانوا يخفون من الكتاب[٤] فهذا النور الذى من الله اتاكم ليبدد تلك الظلمات التى كدستموها حول كتابكم الذى كلفتم بتبيينه للناس فأرسل الله محمداً نوراً يفضح ما أخفيتم ويبدد تلك الظلمات ويبينه للملأ عامه .

وقال القاسمى فى محاسن التأويل : (يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ، ولإبانته ما كان خافياً على الناس من الحق . أو لأنه ظاهر الإعجاز . أو النور محمد صلى الله عليه وسلم لأنه يهتدى به كما سمى سراجا[٥]

ولعظمة محمد صلى الله عليه وسلم وكذا القران الكريم أتى هذا الالتفات للفظ الجلالة العظيم شاهد صدقٍ عليها .

---

(١) سورة المائدة الآيه (١٥) . (٢) ج٢/٣٥ .

(٣) انظر تفسير الطبرى ج٤ : ٦ /١٠٣ .

(٤) المرجع السابق ص (١٠٤) وكذا تفسير ابن عطية ج٢/١٧٠وانظر كذا تفسير أبى السعود ج٢/ ٢٠ وكذا روح المعانى ج٢ : ٦ /٩٧

(٥) ج٦/١٣٧ .

في الآية التفات آخر انظر ص(١١٠)

(٦) ومنه قول الله تعالى :

{ **يأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شىء قدير** }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **والله على كل شىء قدير** } بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله تعالى : { **رسولنا** } بصيغة التكلم .

وغرض الالتفات فى هذا التنزيل العجيب لهذه الآية التى تحمل المعجزات الكبرى فى إرسال الرسل ممن يختارهم سبحانه رحمة للعالمين من ضلالهم غرضه البلاغى بيان قدرته جل شأنه (على إرسال الرسل تترى كما فعله بين موسى وعيسى عليهما السلام..... وعلى الإرسال بعد فترة كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما السلام[٢] والمعنى أن حصول الفترة من دواعى احتياج الخلق إلى بعثة الرسل ، والله تعالى قادر على كل شىء ، فكان قادراً على البعثة ، ولما كان الخلق محتاجين إلى البعثة والرحيم الكريم قادراً على البعثة قدر بكرمه ورحمته أن يبعث الرسل إليهم ، فالمراد بقوله { **والله على كل شىء قدير** } الإشارة إلى الدلالة التى قررناها[٣] وقدرته سبحانه ليس فقط على ما ذكر وإنما قدرته عامة على كل شىء من الهداية والضلال[٤] وكل ذلك وغيره جاء ذلك فى تفسير الطبرى قال : يقول عز ذكره الله المعبود هو القادر على كل شىء والمالك كل شىء الذى لا يعجزه شىء أراده ولا يغلبه شىء طلبه[٥] .

---

(١) سورة المائدة الآية (١٩) .

(٢) انظرتفسير أبى السعود ج٢/٢٤ وكذا روح المعانى ج٢ : ٦ /١٠٤ .

(٣) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ج١١/١٩٥ .

(٤) انظر البحر المحيط ج٣ /٤٥٢ .

(٥) انظر ج٤ : ٦ /١٠٥ .

في الآية التفات أخر انظر ص(١١١)

(٧) ومنه قول الله تعالى ذكره :

{ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون }[1] .

فى هذه الآية المباركة التفاتات عدة ما يهمنا منها هنا موضعان : أولهما فى قوله تعالى : { **من كتاب الله** } بصيغة الغيبة وذلك بعد ورود صيغة التكلم فى قوله تعالى : { **أنزلنا** } .

والآخر فى قوله تعالى : { **أنزل الله** } بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله تعالى : { **واخشون** } بصيغة التكلم . وعدوله سبحانه فى الالتفات الأول إلى صيغة الغيبة سوغ لظهور لفظ الجلالة الذى أضفى على معنى (الكتاب) مزيداً من التفخيم والإجلال والتشريف والكتاب هو التوراة بإجماع من المفسرين[2] . قال ابن جرير الطبرى بعد أن ذكر عدة أقوال : (والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال أن الله تعالى ذكره أخبر أن التوراة يحكم بها مسلمو الانبياء لليهود والربانيون من خلقه والأحبار)[3] الزمهم حفظها وأخذ عهده عليهم فى العمل بها وهو يذكرهم سبحانه بما لهذا الكتاب من قدر عظيم وشأن جليل فأضافه عز وجل للفظ الجلالة الجامع لصفات الكمال والعظمة وقد أكد هذا بالالتفات الآخر فى قوله تعالى : { **بما أنزل الله** } وعمم الحكم فيه لكافه الناس كائناً من كان دون المخاطبين خاصه فإنهم مندرجون فيه اندراجاً أولياً أي من لم يحكم بذلك مستهيناً به منكراً له ...[4] (فأولئك هم الكافرون) واختلاف الصيغة فى (أنزلنا) و (أنزل الله) لإختلاف غرضيهماوبهذا أشار الالتفات .

---

(١) سورة المائدة الآية (٤٤) .

(٢) انظر الكشاف ح١/٦١٥ وكذا الدر المنثور للسيوطى ح٣ /٨٥ وابن عطية ح٢/١٩٦ وكذا ابن كثير ح٢/٦٢ وكذا الثعالبى جواهر الحسان ح١/٤٦٤ .

(٣) انظر ح٤ : ٦ /١٦٢

(٤) انظر تفسير ابي السعود ح ٢/٤٧ و روح المعانى ح٢ : ٦ /١٤٤ وكذا البحر المحيط ح٣ /٤٩٢

فى الآية موضع آخر من الغيبة إلى التكلم درس فى فصله ص (٣٥٢) .

(٨) ومنه قول الله تعالى :

{ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون }[١] .

(٩)ومنه قول الله تعالى :

{ وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وءاتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين * وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون }[٢] .

الالتفات فى الموضع الأول فى قوله تعالى : { **بما أنزل الله** } بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله تعالى : { **وكتبنا** } بصيغة التكلم أما الموضع الآخر فالالتفات فيه فى قوله تعالى : { **بما أنزل الله** } أيضاً بصيغة الغيبة بعد قوله تعالى : { **وقفينا** } وكذا { **ءاتيناه** } بصيغة التكلم .

وهذان الموضعان من الالتفات صورة مكررة لما ورد فى الآية السابقة عليهما مع اختلاف التنزيل فقط من (فأولئك هم الكافرون) إلى (فأولئك هم الظالمون) و (الفاسقون) .

وهذا التكرار يفيد التأكيد الشديد على التزام أحكام الله فى الأمور كافة والوعيد الشديد لمن جانب هذا ولم يتمسك به ولهذا وصفوا بثلاث صفات كل واحدة منهن فيها ما فيها من الهول الكبير وظهور لفظ الجلالة وإسناد التنزيل إليه تشريف وتعظيم للمنزل من عنده والله أعلم .

---

(١) سورة المائدة الآية (٤٥) .

(٢) سورة المائدة الآيتان (٤٦ ، ٤٧) . تاكيد لما قلناه انظر : الدر المنثور ح٣/٨٧ وكذا تفسير العلامه أبى السعود ح٢ /٤٧ ، ٤٩ وكذا تفسير ابن عطية ح٢/١٩٩ وكذا البحر المحيط ح٣ /٤٩٣ ، ٥٠٠ .

(١٠) ومنه قول الله تعالى :

{ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فأحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فى ما ءاتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون }[1] .

فى الآية التفات فى قوله تعالى : { **بما أنزل الله** } وهو بصيغة الغيبة بعد قوله تعالى : { **وأنزلنا** } .

هذه الآية المباركة جاءت على نمط تلك الآيات السابقات فى وجوب الحكم بما أنزل الله ولتشريف هذا المنزل اسند نزوله إليه سبحانه . ولكن يوجد فارق جوهرى بين تلك الآيات السابقات وهذه الآية حيث أن المقصود بما أنزله الله هنا هو القرآن الكريم والخطاب فيها للنبى صلى الله عليه وسلم قال الشوكانى : (أى بما أنزله إليك فى القرآن لإشتماله على جميع ماشرعه الله لعباده فى جميع الكتب السابقة عليه)[2] فأمره سبحانه أن يحكم بين المحتكمين إليه من أهل الكتاب وسائر أهل الملل بكتابه الذى أنزله إليه وهو القرآن الذى خصه بشريعته[3] .والالتفات بإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والإشعار

---

(١) سورة المائدة الآية (٤٨) .

(٢) انظر فتح القدير ج٢ ص (٤٨) .
وكذا الدر للسيوطى ج٣ ص (٩٥) .
وكذا تفسير ابن كثير ج٢ ص (٦٧) .

(٣) انظر الطبرى ج٤ : ٦ ص (١٧٣) .

بعلة الحكم[١] وقد أكد سبحانه هذا الالتفات وعززه بقوله تعالى: { **ولو شاء الله** } وكذا { **إلى الله مرجعكم** } زيادة تأكيد على المهابة والإجلال وترويض لنفس المؤمن عليهما كما أن أسلوب الغيبة غالباً يضفى على المقام شيئاً غير قليل منهما لأن النفس تتهيب الغائب وتحذر المجهول ؛ ولكن الله رءوف بالعباد .

(١١) ومنه قول الله تعالى :

{ **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين** }[٢] .

الالتفات المقصود هنا فى قوله تعالى : { **أطفأها الله** } بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة التكلم فى قوله تعالى : { **وألقينا** } ونكتة هذا الالتفات إظهار المقارنة الذهنية بين كيدهم الضعيف وما يقضون عمرهم عليه من المؤامرات والحيل وبين قدرة الله التى تكيدهم بإعادته إلى نحورهم : (كلما جمعوا أمرهم على شىء فاستقام واستوى فأرادوا مناهضة من ناوأهم شتته الله عليهم وأفسده لسوء فعالهم وخبث نياتهم)[٣] وفى هذا استعارة بليغة تنبىء عن فض جموعهم وتشتيت آرائهم وتفريق كلمتهم[٤] . وقال قوم هو على حقيقته وليس استعارة وهو أن العرب كانت تتواعد للقتال وعلامتهم ايقاد نار على جبل أو ربوة[٥] .

وأيا ما كان فهو تصريح بما أشير إليه من عدم وصول غائلة ما هم

---

(١) انظر تفسير أبى السعود ج٢/٥٠ وكذا تفسير روح المعانى ج٢ : ٦ /١٥٢.
وكذا انظر تفسير البيضاوى ج١٥٢/٦ .

(٢) سورة المائدة الآية (٦٤) .

(٣) انظر تفسير الطبرى ج٤ : ٦ /١٩٦ .

(٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ج٢ ٢١٦ .

(٥) انظر تفسير البحر المحيط ج٥٢٦/٢ .

فيــه إلى المسلمين[١] . قال قتادة : لا تلقى اليهود ببلدة إلا وجدتهم من أذل الناس[٢] وقد قذف الله فى قلوبهم الرعب[٣] . ومن هذ ا يتضح أن الالتفات إلى لفظ الجلالة هو الأنسب لمقام هذا الانتقام ليدل الحكم على العموم ويشعر بقبح الفساد والمفسدين .

(١٢) ومنه قول الله تعالى :

{ **ولو أن أهل الكتاب ءامنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم * ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون** }[٤] .

الالتفات فى هذه الآية المباركة فى قول الحق تبارك وتعالى : { **من ربهم** } بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله تعالى : { **لكفرنا** } وكذا { **لأدخلناهم** } بصيغة التكلم وفى هذا الالتفات إلى صيغة الغيبة بعنوان الربوبية (استدعاء لايمانهم وتنبيه لهم على إتباع ما فى كتبهم وترغيب لهم فى عاجل الدنيا وبسط الرزق عليهم فيها إذ أكثر ما فى التوراة من الموعود به على الطاعات هو الإحسان إليهم فى الدنيا ولما رغبهم فى الآية قبل فى موعود الآخرة من تكفير السيئات وادخالهم الجنة)[٥] .

---

(١) انظر روح المعانى ج٢ : ١٨٣/٦ .

(٢) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ج٤٥/١٢ .

(٣) انظر الدر المنثور للسيوطى ج١١٤/٣ . انظر تفسير البيضاوى ج١٥٥/٦ .
فى الآية التفات من الغيبة إلى التكلم درس فى فصله ص (٣٥٣) .

(٤) الآيتان (٦٥ ، ٦٦) من سورة المائدة .

(٥) انظر البحر المحيط ج٥٢٧/٢ .

وما أنزل إليهم من ربهم هو القرآن المجيد المصدق لكتبهم وايراده بهذا العنوان للإيذان بوجوب إقامته عليهم لنزوله إليهم من ربهم وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله إلى بنى إسرائيل(١)

ولهذا جاء الالتفات إلى كلمة (رب) ليذكروا فضله عليهم وربوبيته التى تناسوها حتى أنهم تجرأوا عليه بما لا يليق لجلاله تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً .

---

(١) انظر تفسير أبى السعود ح٢/٦٧
وكذا تفسير الطبرى ح٤ : ٦ /١٩٧
وكذا تفسير ابن كثير ح٢ /٧٧
وكذا التفسير الكبير للرازى ح١٢/٤٧ .

سورة الأنعام

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) أول مواضع الالتفات من التكلم إلى الغيبة فى سورة الأنعام المباركة فى

قوله الله تعالى :

{ **قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون** }(١) .

موضع الالتفات فى الآية المباركة في قوله تعالى : { **بآيات الله** } وذلك بعد قوله تعالى : { **قد نعلم** } بصيغة التكلم وكان مقتضى الظاهر - بآياتنا - تمشياً مع الضمير السابق عليه ولكن الالتفات إلى صيغة الغيبة واسناد هذه الآيات لاسم الله الأعظم تشريف لها وتقبيح لمن جحدها وهم يعلمون حق العلم أنه الحق من ربهم ولكنها الضغينة والحسد الذى أعمى ابصارهم واخرجهم عن عقولهم . روى ابن كثير عن أبى يزيد المدنى أن النبى صلى الله عليه وسلم لقى أبا جهل فصافحه فقال له رجل ألا أراك تصافح هذا الصابىء ؟ فقال: والله إنى اعلم إنه لنبى ولكن متى كنا لبنى عبد مناف تبعاً ؟ وتلا أبو يزيد الآية(٢) وهكذا نرى أن مجىء الالتفات إلى لفظ الجلالة بصيغة الغائب ليسجل عليهم هذه الكبيرة التى سوغت تسميتهم بالظالمين وكذا (لتربية المهابة واستعظام ما اقدموا عليه من جحود آياته تعالى وإيراد الجحود فى مورد التكذيب لإيذان بأن آياته تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل أحد وأن من ينكرها فإنما ينكرها بطريق الجحود الذى هو عبارة عن الانكار مع العلم بخلافه)(٣) .

---

(١) سورة الانعام الآية (٣٣) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج٢/١٣٠ وكذا الدر المنثور للسيوطى ج٣/٢٦٤ وقد أورد روايات عدة في هذا الشأن .

(٣) انظر تفسير أبى السعود ج٢/١٤٢ وكذا تفسير روح المعانى ج٣ : ١٣٥/٧ .

وانظر تفسير البحر المحيط ج٤/ ١١٠ .

وانظر كذا التفسير الكبير للفخر الرازى ج١٢ ٢٠٥ .

(٢) ومنه فى هذه السورة المباركة قول الله تعالى :

{ **ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين** }[١] .

موضع الالتفات فى هذه الآية فى قوله تعالى : { **لكلمات الله** } بصيغة الغيبة فى لفظ الجلالة وذلك بعد قوله تعالى : { **نصرنا** } بصيغة التكلم وكان مقتضى السياق - لا مبدل لكلماتنا - بدل (كلمات الله) ولكن مما لا شك فيه أن الالتفات إلى الغيبة فى لفظ الجلالة هو الأقوى لإظهار مكانة هذه الكلمات وعلو شأنها وهذا يظهر بمعرفة تفسير الآية الكريمة قال المفسرون : (هذه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتعزيه له فيمن كذبه من قومه ، وأمر له بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، ووعد له بالنصر كما نصروا وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والاذى البليغ ثم جاءهم النصر فى الدنيا كما لهم النصر فى الآخرة ولهذا قال : {**ولا مبدل لكلمات الله**} أى التى كتبها بالنصر فى الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين كما قال)[٢] سبحانه وتعالى : (**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون**)[٣] وقال تعالى : { **كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز**)[٤] وهذه المواعيد السابقة للرسل عليهم الصلاة والسلام الدالة على نصرة رسول الله أيضاً لا نفس الآيات المذكورة ونظائرها فان الإخبار بعدم تبدلها إنما يفيد عدم تبدل المواعيد الواردة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون المواعيد السابقة للرسل عليهم الصلاة والسلام ويجوز أن يراد بكلماته تعالى

---

(١) سورة الانعام الآية (٣٤) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج١٣١/٢ وكذا محاسن التأويل للقاسمى ج٥٠٩/٦ .

(٣) سورة الصافات الآيات (١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣) .

(٤) سورة المجادلة الآية (٢١) .

جميع كلماته التى من جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة فى حقه عليه الصلاة والسلام دخولاً أولياء[١] ولهذا عدل إلى صيغة الغيبة فى لفظ الجلالة لأن الالتفات إلى الاسم الجليل للإشعار بعلة الحكم فإن الألوهية من موجبات أن لا يغالبه أحد فى فعل من الافعال ولا يقع منه تعالى خلف فى قول من الاقوال[٢] .

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ وما من دابة فى الأرض ولا طير يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون }[٣] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **ثم إلى ربهم** } بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله تعالى : { **ما فرطنا** } بصيغة التكلم وكان مقتضى الظاهر - إلينا - ليتبع الضمير السابق عليه ولكن لأغراض بلاغية جاء الالتفات إلى الغيبة لحاجة المقام إلى ظهور كلمة (**رب**)ليذكرهم سبحانه أن هذه الأمم جميعها لا مالك لأمرها سوى من رباهم وتكفل بخلقهم ورزقهم ومحياهم ومماتهم فمآلهم إليه وهو القاضى بينهم يتصرف فيهم بعدله كيف يشاء ولهذه المعانى العظام ظهرت كلمة رب وكانت الجملة فى حاجه معنويه ماسه إلى الالتفات فهذا يوم الحشر الأكبر ومقامه مقام تهويل وتفظيع والغيبة تناسبه ثم كلمة رب تزيد فى معنى القدرة والتمكن منهم جميعاً والقضاء بينهم لآحاديث كثيرة وردت عن الصادق المصدوق منها ما رواه ابن كثير عن أبى ذر قال : بينا نحن عند رسول الله عليه السلام إذا انتطحت عنزان فقال عليه السلام (أتدرون فيم انتطحتا !) قالوا لا ندرى قال :(لكن الله يدرى وسيقض بينهما)[٤]

---

(١) انظر تفسير أبى السعود ج٢ /١٤٣ ، ١٤٤ . وكذا البحر المحيط ج٤ /١١٢ وكذا روح المعانى ج١٣٧/٣ . وكذا الدر المنثور للسيوطى ج٢٦٥/٣ . وكذا تفسير ابن عطية ج٢ /٢٨٧ وكذا الكشاف ج٢ /١٥ وكذا التفسير الكبير للرازى ج٢٠٦/١٢ .

(٢) انظر إرشاد العقل السليم ج ١٤٤/٢ . وكذا تفسير روح المعانى ج٣ : ٧ /١٣٧ . وكذا البحر المحيط ج١١٣/٤ .

(٣) سورة الانعام الآية (٣٨) .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ج٢/ ١٣٢ وكذا فتح القدير ج١١٤/٢ .

(٤) ومنه قول الله تعالى :

{ **والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم** }[١] .

موضع الالتفات فى هذه الآية فى قوله تعالى: { **من يشأ الله** } بظهور لفظ الجلالة بدل ضمير المتكلم الذى كان من حق السياق ظهوره تمشياً مع قوله تعالى : { **بآياتنا** } التى جاء بصيغة التكلم .

فما سر هذا العدول عن ضمير المتكلم إلى صيغة الغيبة فى لفظ الجلالة ؟ إن أمر المشيئه من أعظم أركان العقيدة ، وقد اختلفت فيه الفرق والمذاهب وقيل حوله ما كثر حمله وصعب إدراكه ووجد الشيطان مغرزاً سهلاً ليفرخ ويعشش فيه ونفذ منه اللعين إلى عقول بعض العلماء فضلاً عن العامة ولكن الذى عليه أهل السنه والجماعة أن لله جل جلاله مطلق الإرادة فى التصرف فى كافة الأمور دون قيد أو شرط بل بحكمته وعدله ولطفه وقدرته وسابق علمه يدبر أمور خلقه ويصرف قلوبهم كيفما شاء .

إذن الأمر خطير والخطب جليل ولا يحدد معالم الطريق المستقيم إلا لفظ الجلالة الجامع لصفات الالوهيه والعبودية على الخلق أجمعين فظهر هذا الاسم الجليل وكان الالتفات من أبلغ وأروع الأساليب البلاغية فى هذا المقام لأنه يخبر به سبحانه أنه (المضل من يشاء اضلاله من خلقه عن الإيمان إلى الكفر والهادى إلى الصراط المستقيم منهم من أحب هدايته فموفقه بفضله وطوله للإيمان به وترك الكفر به وبرسله وما جاءت به أنبياؤه وأنه لا يهتدى من خلقه أحد إلا من سبق له فى أم الكتاب السعادة ولا يضل منهم أحد إلا من سبق له فيها الشقاء وأن بيده الخير كله وإليه الفضل كله له الخلق والأمر)[٢] .

---

(١) سورة الانعام الآية (٣٩) .

(٢) انظر تفسير ابن جرير الطبرى ح٥/ ١٢١ وكذا تفسير الآية فى ابن كثير ح٢ /١٣٢

وكذا روح المعانى ح٣ : ١٤٧/٧

وكذا تفسير أبى السعود ح١٤٧/٢ وكذا البحر المحيط ح١٢٢/٤ وكذا تفسير الثعالبى جواهر الحسان ح٥١٩/١

(٥) ومنه قول الله تعالى :

{ **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون * فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين** }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **والحمد لله رب العالمين** } بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة التكلم التى فى قوله تعالى : { **فتحنا** } وكذا { **أخذنا** } . ولكنه القرآن بأسلوبه المعجز بما فيه من البيان .

قال ابن عطية : عبر - سبحانه - عن الترك بالنسيان إذا أبلغ وجوه الترك الذى يكون معه نسيان وزوال المتروك عن الذهن .... { **فتحنا عليهم ابواب كل شيء** } مما كان سد عليهم بالبأساء والضراء من النعم الدنيا وبه ...... (فرحوا) أى بطروا وأشروا واعجبوا وظنوا أن ذلك لا يبيد وأنه دال على رضى الله عنهم ، وهو استدراج من الله تعالى[٢] { **أخذناهم بغتة** } بلا تقديم مذكر ، إذ لم يفدهم فى المرة الأولى[٣] { **فإذا هم مبلسون** } متحسرون يئسون من كل خير[٤] حتى قطع دابرهم بحلول العذاب العظيم وساغ أسلوب الغيبة هنا المناسب لسرد الحكاية التى تشتمل على كثير من الدروس والمواعظ التى ترشد العقل إلى التدبر فى الأمور والنظر فى عواقبها[٥] .

(وحسن الحمد عقب هذه الآية لجمال الافعال المتقدمه فى أن ارسل سبحانه الرسل ولطف فى الأخذ بالبأساء والضراء ليتضرع إليه فيرحم وينعم وقطع فى أخر الأمر دابر الظلمة وذلك حسن فى نفسه ونعمه على المؤمنين فحسن الحمد عقب هذه الافعال وبحمده سبحانه ينبغى أن يختم كل فعل وكل مقال إذ هو المحمود على كل حال لا رب غيره ولا خير إلا خيره)[٦] .

---

(١) سورة الانعام الآيتان (٤٤ ، ٤٥) . (٢) انظر ح٢ /٢٩٢ .

(٣) انظر محاسن التأويل ح٦ /٥٢٩ . (٤) المرجع السابق الصفحه نفسها وانظر كذا روح المعانى ح٣ /١٥٢ .

(٥) انظر فتح القدير للشوكانى ح٢/١١٦ .

(٦) انظر تفسير الثعالبى الجواهر الحسان ح١/٥٢٠ وكذا أبى السعود ح٢ /١٥٠ .ذكر ابو حيان قراءة (فقطع) مبنى للمعلوم وقال هو التفات والالتفات كائن بالبناء للمعلوم أو المجهول انظر ح٤/١٣١ .

(٦) ومنه قول الله تعالى : { **وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين** }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى: { **إلى الله** } بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة التكلم فى قوله تعالى:{ **رسلنا** } وكان مقتضى السياق - ثم ردوا إلينا - ليناسب الضمير فى (رسلنا) ولكن لا يخفى على متأمل أن لفظ الجلالة يتناسب دائماً مع عظيمات الأمور وهى هنا رجوع خلق الله سبحانه إليه طائعين ردوا بعد الحشر إلى الله إلى حكمه وجزائه وهو مولاهم الذى يلى أمورهم[٢] وهذا مشعر بكون الروح موجودة قبل البدن لأن الرد من هذا العالم إلى حضرة الجلال ؛ إنما يكون لو أنها كانت موجودة قبل التعلق بالبدن ، ونظيره قوله تعالى { **إرجعى إلى ربك** }[٣] . وإذا كان هذا الرد رجوع الروح بالموت إلى باريها أو رجوع الأنفس جميعها إلى الله يوم البعث فناهيك به عظمة وإجلال ولهذا ظهر الاسم الجليل بصيغة الغيبة (لأنها تناسب الرد بلا شبهه)[٤] وظهور لفظ الجلالة بهذا الالتفات مهد لورود تلك الصفات العظيمة التى وصف بها المولى نفسه جل وعز فى قوله : { **مولاهم الحق** } فلو سار الأسلوب على ما يقتضيه سابقه لغابت تلك الصفات التى لا يستغنى عنها المقام .

---

(١) سورة الانعام الآيتين (٦١ ، ٦٢) .

(٢) انظر فتح القدير للشوكانى ج٢ /١٢٥ وكذا محاسن التأويل للقاسمى ج٦ /٥٦٦ .

(٣) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ج١٣/١٧ ، وهذا جزء من الآية (٢٨) من سورة الفجر .

(٤) انظر روح المعانى ج٣ /١٧٧ وكذا أبى السعود ج١٦٢/٢ وانظر البحر المحيط ج١٤٩/٤ وكذا الطبرى ج٥ : ١٤٠/٧ وكذا ابن عطية ج٣٠٠/٢ .

فى الآيتين نوعان من الالتفات غير السابق ذكره : الأول من الغيبة فى قوله تعالى وهو القاهر إلى التكلم فى قوله (رسلنا) والثانى من الخطاب فى قوله (عليكم) إلى الغيبة فى قوله (ردوا) درس كل واحد منهما فى فصله ص (٢٥٧) و (١٦٨) ، وأشار السمين إلى التفات أخر من الغيبة في (عباده) إلى الخطاب في (يرسل عليكم) إذ الأصل - ويرسل عليهم - وفائدة هذا الالتفات التنبيه والإيقاظ .

انظر ج٤/ ٦٦٨ .

(٧) ومنه قول الله تعالى :
{ **وتلك حجتنا ءاتيناها إبرهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم** }[1] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **إن ربك حكيم عليم** } بصيغة الغيبة عنه سبحانه وذلك بعد مجىء ضمير التكلم فى قوله تعالى : { **حجتنا** } وكذا {**آتيناها** } وكذا فى { **نرفع** } وكان مقتضى هذا استمرار هذا الضمير فتكون - إننى أنا الحكيم العليم - بدل قوله تعالى : { **إن ربك** } .

ولكن الحق عدل عن هذا إلى الغيبة لما فيها من أغراض بلاغية حققها هذا العدول أولها : أن السياق فى حاجة ملحة للكلمة التى تحمل فى طياتها معانى اللطف والود والرحمة والتقرب والفضل وأشياء لا يحصها عد تلكم هى كلمة (رب) وإضافتها إلى ضمير أحب خلق الله إليه يجعلنا نتلمس معناها برداً وسلاماً على أرواحنا ونشعر أننا داخلون ضمن هذا الخطاب القريب إلى نفوسنا هذا غيض من فيض مما تحمله تلك الكلمة من معانى ومجىء الالتفات إليها بصيغة الغيبة مهد لتلك الصفات التى لا غنى للآية عنها لأنها وإن كانت تذيل ولكنها تذيل بليغ يربط معنى الآية ويحكم نسجها فلو عدل عن الالتفات إلى مسايرة الأسلوب لما ساغ قوله تعالى : إن ربك حكيم عليم تشريفاً له صلى الله عليه وسلم .

قال الطبرى : (فإنه يعنى أن ربك يا محمد حكيم فى سياسته خلقه وتلقينه انبياءه الحجج على أممهم المكذبة لهم الجاحدة توحيد ربهم وفى غير ذلك من تدبيره عليم بما يؤل إليه أمر رسله والمرسل إليهم من ثبات الأمم على تكذيبهم اياهم وهلاكهم على ذلك أو إنابتهم وتوبتهم منه بتوحيد الله تعالى وتصديق رسله والرجوع إلى طاعته .... تأس يا محمد فى نفسك وقومك المكذبيك والمشركين بأبيك خليلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم واصبر على ما ينوبك

---

(١) سورة الانعام الآية (٨٣) .

منهم صبره فانى بالذى يؤل إليه أمرك وأمرهم عالم بالتدبير فيك وفيهم حكيم)[١].

(٨) ومنه قول الله تعالى :

{ **أولئك الذين ءاتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين * أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين** }[٢] .

لا يخفى أن الالتفات فى قوله تعالى : { **هدى الله** } بصيغة الغيبة فى لفظ الجلالة وذلك بعد قوله تعالى : { **أتيناهم** } وكذا { **وكلنا** } بصيغة التكلم وكان الظاهر - هدينا - باستمرار الضمير السابق بدل قوله تعالى {**هدى الله** } ولكن الحق عز وجل عدل عن التكلم إلى الغيبة فى لفظ الجلالة وما يخفى من ضمير الغيبة لإظهار هذا الاسم الجليل والإشعار بعلة الهداية[٣] فهم أهل الهدى لا غيرهم[٤] هداهم المولى إلى توحيده تعالى وتقديسه عن الشريك فبطريقتهم فى الإيمان بالله اقتده[٥] يا محمد أى فأعمل وخذ به واسلكه فإنه عمل لله فيه رضا ومنهاج من سلكه اهتدى[٦] وهذا التكليف يدخل فيه كل مؤمن ومؤمنه من أمة محمد صلى الله عليه وسلم . ولأن هذا الهدى عظيم الشأن استحق ظهور لفظ الجلالة وعدل بالأسلوب على طريق الالتفات من التكلم إلى الغيبة .

---

(١) انظر تفسير الطبرى ج٥ : ٧ /١٧٣ .
وقال ابو حيان يحتمل أن يكون الخطاب فى (ربك) المراد به إبراهيم من باب الالتفات والخروج من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب على سبيل التشريف ج١٧٢/٤ ولكن الأرجح أن يكون الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم فهو المخاطب بالقرآن وأمته كذلك انظر تفسير الآية فى ابن كثير ج١٥٥/٢ وكذا ابن عطية ج٣١٦/٢ وقال ابو السعود وضع الرب مضافاً إلى ضميره عليه السلام موضع نون العظمة بطريق الالتفات فى تضاعيف بيان احوال إبراهيم عليه السلام اظهار لمزيد لطف وعنايه به عليه السلام ج١٧٥/٢ .

(٢) سورة الانعام الأيتان (٨٩ ، ٩٠) .

(٣) انظر تفسير أبى السعود ج١٧٨/٢ وكذا روح المعانى ج٣ : ٢١٦/٧ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ج١٥٦/٢ وكذا تفسير ابن عطية ج٣١٨/٢ .

(٥) انظر تفسير البحر المحيط ج١٧٦/٤ .

(٦) انظر الطبرى ج٥ : ٧ /١٧٥.
وكذا انظر تفسير محاسن التأويل للقاسمى ج٦ /٦١٥ وكذا التفسير الكبير ج٦٩/١٣ .

(٩) ومنه قول الحق عز وجل :

{ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون }[١]

موضع الالتفات فى هذه الآية المباركة فى قوله عز من قائل : { **ثم إلى ربهم** } بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله تعالى:{ **كذلك زينا** } بصيغة التكلم وكان مقتضى السياق فى الآية - ثم إلينا - بدل{**إلى ربهم** }. وسر ظهور هذا الالتفات إلى الغيبة فى كلمة (رب) أنها تتضمن وعداً جميلاً للمحسنين ووعيداً ثقيلاً للمسيئين[٢] فمعاد العباد ومصيرهم إليه[٣] سبحانه فهو مالك امرهم وسيعودون إليه بالبعث بعد الموت[٤] لأنه ربهم فأمرهم مفوض إلى الله وهو عالم بأحوالهم ومطلع على ضمائرهم ومنقلبهم يوم القيامة إليه فيجازى كلاً بمقتضى عمله[٥] وفى ظهور هذه الكلمة تحريك للنفس البشرية وتنبيه لها على ما فيه أمرها لعل الجاحدين والعاصين يئوبون إلى رشدهم ويتفيئون ظلال رحمة ربهم الكريم المنان .

(١٠) ومنه قول الله تعالى :

{ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون }[٦] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **أن يشاء الله** } بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله تعالى : { **ولو أننا نزلنا** } وكذا { **وحشرنا** } بصيغة التكلم . وكان مقتضى السياق - إلا أن نشاء - ولكنه سبحانه جاء بالالتفات للغيبة لتعليق إيمانهم و عدمه وكل شىء بمشئة الله

---

(١) سورة الانعام الآية (١٠٨) . (٢) انظر تفسير ابن عطية ج٢ /٣٣٢ .

(٣) انظر ابن كثير ج٢ ١٦٥ وكذا الطبرى ج٥ : ٢٠٨/٧ .

(٤) انظر تفسير أبى السعود ج١٩١/٢ وكذا روح المعانى ج٢٥٢/٣ .

(٥) انظر البحر المحيط ج٢٠٠/٤ .

فى الآية التفات آخر من الغيبة إلى التكلم من قول الله (من دون الله) إلى قوله تعالى (زينا) درس ص (٣٦٠) .

(٦) سورة الانعام الآية (١١١) .

قبلا : أى قبيلاً أو جماعة ويقال قِبَلا أى : عيانا / انظر معانى القرآن للأخفش ج٢ /٥٠١ .

فهو يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (يا محمد يأس من فلاح هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والاصنام القائلين لك لئن جئتنا بآية لنؤمن لك فإننا لو نزلنا إليهم الملائكة حتى يروها عيانا وكلمهم الموتى بإحيائنا اياهم حجة ودلالة على نبوتك وأخبروهم أنك محق فيما تقول وأن ما جئتهم به الحق من عند الله وحشرنا عليهم كل شىء فجعلناهم لك قبلا ما آمنوا ولا صدقوك ولا اتبعوك إلا أن يشاء الله ذلك لمن شاء منهم ولكن أكثرهم يجهلون أن ذلك كذلك يحسبون أن الإيمان إليهم والكفر بأيديهم متى شاؤا آمنوا ومتى شاؤا كفروا وليس ذلك كذلك . ذلك بيدي لا يؤمن منهم إلا من هديته له فوفقته ولا يكفر إلا من خذلته عن الرشد فأضللته)[١] . ولله سبحانه ما يشاء وهو الحق والصدق والعدل .

إذن الالتفات (إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة أى ما كانوا ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر من الأمور الموجبه للإيمان فى حال من الأحوال إلا فى حال مشيئته تعالى لإيمانهم)[٢] .

(١١) ومنه قول الله تعالى :

{ **وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون** }[٣] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **ولو شاء ربك** } بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة التكلم فى قوله تعالى : { **وكذلك جعلنا** } بصيغة التكلم وكان مقتضى هذا السياق - ولو شئنا - وهذه الآية تتضمن المشيئة التى سبق القول فيها فى الموضع السابق ففيها (رجوع إلى بيان الشئون الجارية بينه صلى الله عليه وسلم وبين قومه المفهومه من حكاية ما جرى بين الأنبياء عليهم السلام وبين أممهم

---

(١) انظر تفسير الطبرى ح٥ : ٨ /٢ .

(٢) انظر تفسير أبى السعود ح٢ /١٩٤ . وكذا تفسير روح المعانى ح٣ : ٨ /٦ .

(٣) سورة الانعام الآية (١١٢) .

كما ينبىء عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره صلى الله عليه وسلم المعربه عن كمال اللطف فى التسلية)[1] فكأنه قال: فأتركهم ولا تبال بهم فإن لهم فى ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة[2]

(١٢) ومنه قوله تعالى ذكره :

{أفغير الله ابتغى حكماً وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين ءاتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين }[3] .

موضع الالتفات فى هذه الآية المباركة فى قوله تعالى : { **من ربك** } بصيغة الغيبة عنه جل شأنه ، وذلك بعد قوله تعالى : { **آتيناهم** } بصيغة التكلم وكان مقتضى الظاهر قوله - منا - باستمرار صيغة التكلم ولكن لعدوله عنها إلى صيغة الغيبة أغراض بلاغية لا تفى بها صيغة التكلم السابقة منها أن التعرض لعنوان الربوبية يضفى على المعنى أبعاداً بلاغية كثيرة من بينها اللطف بالنبى صلى الله عليه وسلم والموعظة الحسنة لكل واقف على الآية ثم إضافة هذه الكلمة (رب) إلى ضميره صلى الله عليه وسلم فى هذا الخطاب الرقيق لتشريفه عليه أفضل الصلاة والسلام وكذا كل تالٍ للقرآن يشعر أن هذا الخطاب له يتغلغل فى أعماق نفسه ليملأها ود ورحمة مع الإيذان بأن نزوله من أثار الربوبية[4] وأن نزوله عليك حجة لنبوتك وأن عندهم من البشارات[5] بك ما تؤيد ذلك وإن أظهروا الجحود والمكابرة فإنهم يعلمون[6] أنه الحق فلا تكن من الشاكين فيه أيها السامع

---

(١) انظر تفسير أبى السعود ح٢ / ١٩٥.

(٢) انظر روح المعانى ح٣ : ٨/٦ وكذا البحر المحيط ح٤/٢٠٧ . وكذا تفسير النسفى ح٢/٢٩ .

(٣) سورة الانعام الآية (١١٤) .

(٤) انظر تفسير أبى السعود ح٢ /١٩٧ وكذا روح المعانى ح٣ : ٨/٩ .

(٥) انظر تفسير ابن كثير ح١ /١٦٨ .

(٦) انظر فتح القديرللشوكانى ح٢/١٥٥ .

أو فلا تكونن من الممترين فى أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم به[١] وهذا ربك يفضح دخائلهم وينهاك عن أن تكون من الممترين فى أن أهل الكتاب يعلمون بأن القرآن منزل من عند الله بالحق أو نهاه عن مطلق الامتراء ويكون ذلك تعريضاً لأمته ..... فإن خطابه صلى الله عليه وسلم خطاب لأمته[٢] .

وهكذا يتضح أن للالتفات إلى الغيبة فى كلمة (رب) أغراض بلاغية جليلة .

(١٣) ومنه قول الله تعالى :

{ وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون * لهم دار السلم عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون }[٣] .

الالتفات فى قول الحق تبارك وتعالى : { **عند ربهم** } بصيغة الغيبة عنه سبحانه وذلك بعد قوله تعالى : { **قد فصلنا** } بصيغة التكلم ولو سار الأسلوب على صيغة واحدة لكان - عندنا - بدل { **عند ربهم** } ولكن شتان بين هذا وذاك .

قال الثعالبى* فى الجواهر الحسان : (وهذا صراط ربك مستقيماً) إشارة إلى القرآن و الشرع الذى جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس : وفصلنا معناه بينا واوضحنا

---

(١) انظر تفسير النسفى ح٢/٣٠ وكذا البحر المحيط ح٤ /٢٠٩ .

(٢) انظر فتح القدير ح٢/١٥٥ .

الامتراء : هو الشك جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا أشك ولا أسأل) / انظر تفسير ابن كثير ح٢/١٦٨

(٣) سورة الانعام الآيتين (١٢٦ ، ١٢٧) .

* الثعالبى هو : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد مخلوف الثعالبى الجزائرى الأمام الحجة فقد اتفق الناس على صلاحه وإمامته خلف للناس كتباً نافعة منها : الجواهر الحسان فى تفسير القرآن. كانت وفاته سنة ٨٧٦ ه عن نحو تسعين سنه ودفن بمدينة الجزائر / انظر التفسير والمفسرون ح١/٢٤٧.

وقوله سبحانه { **لقوم يذكرون** } أى المؤمنين والضمير فى قوله { **لهم دار السلام** } عائد عليهم والسلام يتجه أن يكون اسماً من اسماء الله عز وجل ويتجه أن يكون مصدراً بمعنى السلامة . وقوله تعالى : { **عند ربهم** } يريد فى الآخرة بعد الحشر)[١] .

من الملاحظ أن المولى جل جلاله أضاف كلمة (**رب**) مرة لضميره عليه الصلاة والسلام فى قوله {صراط ربك} ومرة أخرى إلى ضمير يعود على المؤمنين المتفضل عليهم بنعمة من أجل النعم آلا وهى دخولهم داره دار الرحمة والسلام . ووجود كلمة (**رب**)فى هذين الموضعين يوحى برضائه سبحانه وتعالى على نبيه و الداخلين دار السلام فهم (فى ضمانه أو ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى)[٢] فهو مربيهم على الصالحات التى اكسبتهم هذا المقام الذى عنده تنتهى الغايات .

(١٤) ومنه قول الله تعالى :{ **قل هلمّ شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون** }[٣] .

الالتفات فى قول الله عز وجل { **بربهم** } بطريق الغيبة عنه سبحانه وذلك بعد صيغة التكلم فى قوله تعالى : { **بآياتنا** } وكان مقتضى الظاهر - وهم بنا - بدل { **بربهم** } . قال فيها الفخر الرازى* : (اعلم أنه تعالى لما أبطل على الكفار جميع انواع حججهم بين أنه ليس لهم على قولهم شهود البته ... ثم بين تعالى أنه إن وقعت منهم تلك الشهادة فعن إتباع الهوى ، فأمر نبيه - عليه السلام -أن لايتبع أهواءهم ، ثم زاد فى تقبيح ذلك بأنهم لا يؤمنون بالآخرة ، وكانوا ممن

---

(١) انظر ح١/٥٥٨ وكذا تفسير ابن عطية ح٢/٢٤٤ وكذا تفسير ابن كثير ح٢/١٧٦ وكذا فتح القدير ح٢/١٦١ وكذا التفسير الكبير للرازى ح١٣/١٨٧ .

(٢) انظر تفسير أبى السعود ح٢ /٢٠٥ وكذا روح المعانى ح٣ : ٨ /٢٣ وكذا البحر المحيط ح٢/٢٠٤ وكذا تفسير النسفى ح٢/٢٣ .

(٣) سورة الانعام الآية (١٥٠) .

* سبق ترجمته ص (٢٢١) .

ينكرون البعث والنشور ، وزاد فى تقبيحهم بأنهم يعدلون بربهم فيجعلون له شركاء)[1] فأتضح من هذا التفسير أن مناسبة الالتفات إلى الغيبة بعد التكلم كانت فى طلب كلمة (رب) ليذكرهم المولى العليم الخبير بأن الذى عدلتم عنه إلى تلك الأرباب المختلقه[2] هو من أوجدكم من عدم ورباكم بالنعم ومنّ عليكم بالعطايا والكرم وهو من كانت عليكم عبادته شكراً وحمداً لما اسبغ عليكم من الخير الكثير وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

(١٥) ومنه فى هذه السورة المباركة قول الله تعالى :

{ **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذالكم وصاكم به لعلكم تذكرون** }[3] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **وبعهد الله** } بصيغة الغيبة بعد ورود صيغة التكلم فى قوله تعالى : { **لا نكلف** } وكانت مسايرة الأسلوب تقتضى - وبعهدنا - بدل قوله عز من قائل { **وبعهد الله** } .

قال الطبري - رحمه الله - { **وبعهد الله أوفوا** } يقول (وبوصية الله التى أوصاكم بها فأوفوا وايفاء ذلك أن يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم وأن يعملوا بكتابه وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك هو الوفاء بعهد الله)[4] وعهد الله يشتمل على ما عهده إلى الخلق وأوصاهم به وعلى ما أوجبه الانسان على نفسه من نذر وغيره قال ذلك ابن الجوزى[5] . فمناسبة الالتفات إلى لفظ الجلالة عظم حق الوفاء بالعهد وعلو شأنه والوفاء محله القلب ولا يطلع على القلوب إلا خالقها ومبدعها من عدم ذو الالوهيه على خلق اجمعين ولهذا ذكرهم الله بتألهه عليهم سبحانه فى هذا المقام وفى كل مقام وكفى بالله وكيلاً .

---

(١) التفسير الكبير ج١٢ /٢٣٠ وكذا تفسير ابن كثير ج١٨٨/٢ .

(٢) انظر تفسير ابن عطية ج٢ /٣٦١ وكذا تفسير الطبرى ج٥ : ٨ /٥٩ وكذا تفسير أبى السعود ج٢ /٢١٨.

(٣) سورة الانعام الآية (١٥٢) .

(٤) انظر تفسير جامع البيان ج٥ : ٦٣/٨ وكذا ابن كثير ج١٩١/٢ .

(٥) انظر البحر المحيط ج٢٥٣/٤ وكذا تفسير القاسمى محاسن التأويل ج٧٨٦/٦ وكذا تفسير النسفى ج٤٠/٢ .

** سورة الاعراف **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) مما جاء في سورة الاعراف من الالتفات من المتكلم الى الغيبه قوله تعالى :

{ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدو لأدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين * قال مامنعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين }(١) .

موضع الالتفات فى قوله تعالى : { **قال** } بصيغة الغيبة عنه سبحانه وذلك بعد صيغة التكلم في قوله تعالى { **خلقناكم** } وكذا {قلنا} قال فيه بعض المفسرين : {قال استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده كأنه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ؟ وبه يظهر وجه الالتفات الى الغيبة إذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة(٢). فالخطاب السابق في قوله تعالى { خلقناكم ثم صورناكم } كان خطاباً لذرية آدم ويعني به خلقهم من صلبه واستخراجهم من ظهره أمثال الذر في صورة البشر(٣) وفي مواجهة كافة عباده بهذا أمر موقظ للفطنة وموجب للتفكر والتدبر والوصول منها إلى التوحيد تحقيقاً لقوله تعالى : { **وجادلهم بالتي هي أحسن** } فالتفت سبحانه إلى الغيبة إشعاراً بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير(٤) ولهذا تحول الاسلوب ليخبر سبحانه عن قيله لابليس إذ عصاه فلم يسجد لآدم إذ أمره بالسجود له(٥) . فالحكاية تخص إبليس وحده دون غيره من الخلائق لأنه عصى ربه فغو ولهذا فهو مبعد عن رحمته سبحانه مبغض فى السموات والأرض فالأبلغ أن يحكى

---

(١) سورة الاعراف الأيتين (١١ ، ١٢) . (٢) انظر تفسير العلامه أبى السعود ج٢ /٢٣٩ وكذا تفسير الالوسى ج٣ : ٨ /٨٨ .

(٣) انظر تفسير ابن عطية ج٢/٣٧٨ .

ومن الملاحظ أن قوله تعالى : { خلقناكم } فيها نوعان من الضمائر أحدهما نون العظمة وهى ضمير التكلم وفاعل خلق والثانى كاف الخطاب وهو مفعول به .

(٤) انظر تفسير أبى السعود ج٢ /٢٣٩ وكذا روح المعانى ج٣ : ٨ /٨٨ .(٥) انظر جامع البيان للطبرى ج٥ : ٨ /٩٦ .

عنه بصيغة الغيبة زيادة فى جفائه ودليلاً على سخط الله عليه ولجعله عبرة تروى لمن يعتبر وهكذا أحدث هذا لالتفات أبعاداً بلاغية جديدة فسبحان الله أحسن القائلين .

(٢) ومنه فى هذه السورة المباركة قوله تعالى :

{ يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم وريشاً ، ولباس التقوى ذلك خير، ذلك من ءايات الله لعلهم يذكرون }[1] .

الالتفات فى هذه الآية فى قوله تعالى { **آيات الله** } بصيغة الغيبة وهذا بعد قوله تعالى : { **قد أنزلنا** } بصيغة التكلم وكان مقتضى السياق -آياتنا - فلماذا عدل عنها إلى الغيبة ؟!

يقول سبحانه : (ذلك الذى ذكرته لكم أنى أنزلته إليكم أيها الناس من اللباس والرياش من حجج الله وأدلته التى يعلم بها من كفر صحة توحيد الله وخطأ ماهم عليه مقيمون من الضلالة)[2] « لعلهم يذكرون » فيعرفوا عظيم النعمة فيه [3] . ولعظم هذه الآيات أسندها الله سبحانه للاسم الجليل تشريفاً لها وليوجب شكرها على عباده أجمعين فهى من الصق آياته سبحانه بهم ولهذا ناسب قوله تعالى : « لعلهم يذكرون » بصيغة الغيبة إيضاً بعد أن بدأت الآيه بمخاطبتهم[4] .وذلك إن الذى لا يذكر قد غايب الحق .

(٣) ومنه قول الله تعالى : { **أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون . أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون . أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون** }[5] .

موضع الإلتفات فى قوله تعالى {**مكرالله**} بصيغة الغيبة عنه سبحانه وذلك بعد أسلوب التكلم فى الأيتين السابقتين فى قوله تعالى : {**بأسنا**}.

---

(١) سورة الأعراف الآيه (٢٦). (٢) انظر جامع البيان للطبرى ج٥ : ٨ /١١٢ وكذا تفسير النيسابورى بهامش الطبرى ص (٨١) .

(٣) انظر تفسير النسفي ج٢ /٤٩ .

(٤) سورة الأعراف الآيات (٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩) .

لقد جاء الالتفات بصيغة الغيبة ليحقق أغراضاً جمة منها أن لفظ الجلالة الذى أسند إليه المكر يزيد المهابة والإجلال ويصور هذا المكر بأعظم ما يكون عليه حال من الأحوال فيزيد من الترهيب ليستجلب الخوف والورع فى قلوب العباد وبهذا يقلعوا عما يسببه إلى صراط الله المستقيم وهذا من أعظم مقاصد نزول القرآن ويحمل مع هذا وعيداً للكفار(١) فى كل زمان ، وأورد السيوطي* خبراً عن زيد بن أسلم أن الله تبارك وتعالى قال للملآئكة « ما هذا الخوف الذى قد بلغكم وقد أنزلتكم المنزلة التى لم أنزلها غيركم ؟ قالوا : ربنا لا نأمن مكرك » لا يأمن مكرك إلا القوم الخاسرون »(٢) .

ولهذا قال الحسن البصرى** رحمه الله المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصى وهو آمن(٣) ولهذا خسروأنفسهم فأضاعوا فطرة الله التى فطر الناس عليها والإستعداد الغريب المستفاد من النظر فى الآيات(٤) وهكذا كان الالتفات إلى صيغة الغيبة فى لفظ الجلالة هو أنسب الآساليب وأبلغها لتوضيح عظم قدرة ماتوعدهم به ربهم .

(٤) ومنه قول الله تعالى :

{ تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين }(٥).

---

(١) انظر تفسير إبن عطيه ج٢ / ٤٣٢ .
(٢) انظر الدرر المنثور ج٣ / ٥٠٦ .
(٣) انظر تفسير إبن كثير
(٤) انظر روح المعانى ج٣ : ٩ / ١٢ .
(٥) سورة الأعراف الآيه (١٠١) .

* هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى الشافعى ولد في رجب سنة ٨٤٩ هـ وتوفى والده وله من العمر خمس سنوات وسبعة أشهر ختم القرآن وله من العمر ثمان سنين كان أعلم أهل زمانه ولما بلغ الأربعين تجرد للعبادة وترك الإفتاء والتدريس وله مناقب وشعر كثير وتوفى ليلة الجمعة تاسع عشر جماد الأولى سنة ٩١١ انظر التفسير والمفسرون ج١ / ٢٥١ .

** هو الحسن بن أبي الحسن يسار ، أبوسعيد مولى زيد بن ثابت، وكانت أم الحسن مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية ، وكان سيد أهل زمانه علماً وعملاً ، مات في أول رجب سنة عشر ومئه، انظر تهذيب سير النبلاء ج١/١٦٦ ، وكذا التفسير والمفسرون للذهبي ج١/١٢٤.

الالتفات في قوله تعالى : { **كذلك يطبع الله** } بصيغة الغيبة وهذا بعد قوله تعالى : { **نقص** } بصيغة التكلم وكان مسار السياق يقتضي قول الله - نطبع - بدل يطبع لتستمر صيغة التكلم ولكن العدول إلى لفظ الجلالة هو الأبلغ في هذا المقام وذلك لأن الله سبحانه وتعالى طبع على قلوبهم لعلمه السابق بكفرهم ومن يعلم الغيب غير الله سبحانه تعالى ؟.

أخرج السيوطى رحمه الله عن مقاتل بن حيان فى قوله تعالى { **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم** }[١] قال : أخرجهم مثل الذر فركب فيهم العقول » ثم استنطقهم فقال لهم (ألست بربكم) قالوا جميعاً : بلى . فاقروا بألسنتهم وأسر بعضهم الكفر فى قلوبهم يوم الميثاق » فهو قوله { **ولقد جاءتهم رسلهم** } بعد البلاغ { **بالبينات فما كانوا ليؤمنوا** } بعد البلوغ { **بما كذبوا** } يعنى يوم الميثاق { **كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين** }[٢] ولهذا الأمر الجلل العظيم من أخذ الميثاق وعلم الله الواسع بكفرهم وجزائه الجزاء الحق فى الطبع على قلوبهم أتى الاسم الجليل ليدل على تلك المعانى الجليلة (فإظهار الاسم الجليل بطريقة الالتفات لتربية المهابة وإدخال الروعة)[٣] هذا ما قاله بعض المفسرين والله أعلم وأحكم .

(٥) ومنه قول الله تبارك وتعالى :

{ **ولقد أخذنا ءال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ، فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألآ إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون** }[٤] .

موضع الإلتفات فى قول الله تعالى : { **عند الله** } بأسلوب الغائب عنه سبحانه وتعالى وهذه الغيبة بعد أسلوب التكلم في قوله

---

(١) الأعراف الآية (١٧٢) . (٢) انظر الدرر المنثور ح٣ / ٥٠٨ : ذرياتهم : في قراءة حفص : ذريتهم وكذا ابن عطيه أورد فى هذا القول وجوهاً أربعة وجعل هذا أحدها انظر ح٢ / ٤٣٤، أماابن كثير فجعل الطبع على القلوب بسبب تكذيبهم بالحق أول ماورد عليهم وأسنده لإبن عطيه وهو وجه من تلك الوجوه الأربعة انظر ح٢ / ٢٣٦ .

(٣) انظر تفسير العلامة إبى السعود ح٢ / ٢٨٠ ، ٢٨١ . وكذا تفسير الألوسى ح٣ : ٩ / ١٦ .

(٤) الأعراف الآيتين (١٣٠، ١٣١) .

تعالى : { **أخذنا** } وكان مقتضى السياق - عندنا - بدل (إنما طائرهم عند الله) ليسير الأسلوب على وتيرة واحده ولوحدث هذا لغاب عن المعنى الكثير من الروائع البلاغية التى جلبتها معها كلمة (الله) ولاختفى ذلك الدوي المنذر بالخطر لترتجف له قلوب من يخش الله ويتقيه ويقدر الحق حق قدره هذا الدوي فى لفظ الجلالة حول سياطاً ملتهبة تهوى على من يكابر ويعاند ويسند قدرته جل جلاله لغيره من المخلوقات مهما عظمت أو ضعفت وليعلم الجميع أن (سبب خيرهم وشرهم بجميع ماينالهم من خصب وقحط هو من عند الله ليس بسبب موسى ومن معه . وكان هذا الجواب على نمط ما يعتقدونه بما يفهمونه . ولهذا عبر بالطائر عن الخير والشر الذى يجرى بقدر الله وحكمته ومشيئته)[(١)] كما روى عن ابن عباس رضي الله عنه:هو مأخوذ من زجر الطير فسمي ما عند الله من القدر للإنسان طائراً لما كان الإنسان يعتقد أن كل ما يصيبه إنما هو بحسب مايراه فى الطائرفهى لفظة مستعاره[(٢)] فهى مصائبهم[(٣)]ولكن شدتهم،وماطارإليهم من القضاء والقدر عند الله لا عند غيره[(٤)] وحدوث الالتفات بلفظ الجلالة فى هذا الموضع أحدث هزة شعورية فى نفس كل واقف على الآيه أستدعى شد الإنتباه وجلب الإصغاء ليقف العاقل وقفةً تأمليه يشعر معها بعظمة هذا الأسلوب وعلو شأنه ورفعة قدرته ويستهجن ما استهجنه القرآن من قبح صنيعهم وإسناد آيات الله فيهم لغيره وما جاءت إلا لعتبروا بها ولوسار الأسلوب على نمط سابقه ولم يحصل الالتفات إلى لفظ الجلالة لغابت عنه تلك المعانى الجميلة .

---

(١) انظر فتح القدير للشوكاني ح٢ / ٢٣٧ ، وكذا الكشاف ح٢ / ١٠٦ .
(٢) انظر تفسير ابن عطيه ح٢ / ٤٤٣ ، وكذا الدر للسيوطي ح٣ / ٥١٩ .
(٣) انظر تفسير جامع البيان للطبرى ح٦ : ٢٠/٩ ، وكذا تفسير ابن كثير ح٢/٢٤٠ .
(٤) انظر محاسن التأويل للقاسمي ح٧ / ٢٣٧ ، وكذا انظر روح المعانى ح٣ : ٩ /٣٢ .

(٦) ومنه قول الله تعالى :

{ **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون** }[١] .

الالتفات المقصود هنا فى قول الله تعالى : { **وتمت كلمت ربك الحسنى** } بصيغة الغيبة عنه سبحانه وذلك بعد صيغة التكلم فى قوله تعالى : { **وأورثنا** } وكان مقتضى السياق- وتمت كلمتنا - ولكنه سبحانه وتعالى عدل من التكلم إلى الغيبة لحاجة المقام إلى كلمة الرحمة(رب) وقد مر مثل هذا أكثر من مرة ووجودها يعطى معنى اللطف والعناية والرحمة وكذا ليظهر ضميره صلى الله عليه وسلم الذى يدل على الإعتناء بمخاطبته عليه الصلاة والسلام ثم مخاطبة كل فرد من أمته بخطابه وهذا مما فيه إيقاظ للنفوس وتحريك لمشاعرها لتتجاوب مع ما فى القرآن من منافع وعظات جمة . أورد ابن كثير[٢] في هذه الآيه : { **تمت كلمة ربك الحسنى** } قوله : قال مجاهد وابن جرير وهى قوله تعالى {**ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم فى الإرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون** } وهى ظهور قوم موسى على قوم فرعون وتمكين الله لهم في الإرض وما ورثهم منها[٣] . فأورد هذا النبأ عن طريق الغيبة ليطعى معنى الحكاية التى يتم بها تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم وإطلاعه على تلك الغيبات .

---

(١) الأعراف الآية (١٣٧) .

(٢) انظر تفسير إبن كثير ح٢ / ٢٤٣ وكذا انظر أبى السعود ح٢/ ٢٩١ .

(٣) انظر جامع البيان للطبرى ح٦ / : ٩ /٣٠

وكذا روح المعاني ح٣ / ٤٤

وكذا تفسير القاسمي محاسن التأويل ح٧ / ٢٤١ .

فى الآية المباركة التفات أخرى من الغيبة في قوله تعالى (تمت كلمة ربك) إلى التكلم فى قوله (دمرنا) انظر ص (٢٧٠) .

(٧) ومنه قول الله تعالى :

{ وإذ أنجيناكم من ءال فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم }[١] .

موضع الالتفات فى قوله تعالى : (من ربكم) بصيغة الغيبة عنه سبحانه وتعالى . وهذا بعد قوله عز من قائل : (وإذ أنجيناكم) وكان حق النظم يقضى - وفي ذلكم بلاء منا - بدل (من ربكم) .

وهذه الآية والتى تليها قد جاءتا على منوال سابقتهما واقتضت نفس النكته البلاغية وهى طلب المقام لكلمة (رب) لأنها تضفى عليه أبعاداً معنوية لا تستوفى بغيرها فانظر إلى قول الله تعالى :

(٨) {وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين }[٢] .

والالتفات في هذه الآية في قوله تعالى:(ميقات ربه) بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة التكلم التى بدأت بها الآيه الكريمة في قوله تعالى:(وواعدنا) .

(٩) ومنه ايضاً قوله الله تعالى :

{ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني انظر إليك قال لن تراني ولكن إنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين }[٣]

الالتفات في هذه الآية المباركة فى قوله تعالى : (وكلمة ربه) فى ضمير الغائب عن الله سبحانه بعد أن كان السياق للتكلم فى قوله تعالى : (لميقاتنا) وكان حق الظاهر - وكلمناه - تمشياً مع سابقه والعدول إلى صيغة الغيبة لحكمة مماثلة للآيات السابقات

---

(١) الأعراف الآيه (١٤١) .

(٢) الأعراف الآيه (١٤٢) .

(٣) الأعراف الآيه (١٤٣) .

من قوله تعالى:(**وتمت كلمة ربك**)[١]. وقوله تعالى: (**من ربكم**)[٢] و(**ميقات ربه**)[٣] وهنا (**كلمة ربه**) . وجميعها أمور وأحداث جليلة وجميعها حكاية فيها العظة والعبرة والترويح والعلم الكثير لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته وبقى بحقها أن هذه الكلمة فيها من آيات بينات وفضائل ومنجيات وناهيك عن هذا المقام الاخير حيث خص الله نبيه موسى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بمنة عظيمة لا تطاولها سماء وهى منه تكليمه ، أخرج السيوطي عن العلاء بن كثير قال : إن الله تعالى قال : يا موسى أتدرى لم كلمتك ؟ قال : لا يارب قال : لأني لم أخلق خلقاً تواضع لي تواضعك[٤] . فاستحق عليه السلام من الله الكريم المنان هذه الخاصة التى تفرد بها لهذا الخلق العظيم فتفضل عليه سبحانه بتكليمه . وأخرج أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود وابن مردويه عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تخيروني من بين الأنبياء فان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزى بصعقة الطور)[٥] . فكان هو ونبينا عليهما أفضل الصلاة وأتم التسليم كفرس رهان على التواضع ، وورد عنه عليه أفضل الصلاة والتسليم أنه أخبرفي حديث طويل عن المحاروة التى دارت بين موسى عليه الصلاة والسلام وبين رب العزة والجلال قال : قال الله سبحانه :ياموسى نبى بني إسرائيل أنه من لقينى وهو جاحد بمحمد صلى الله عليه وسلم أدخلته النار. فقال - موسى -: ومن أحمد؟ فقال : ياموسى وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً على أكرم

---

(١) ، (٢) ، (٣) سورة الاعراف الآيات (١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٢) .

(٤) انظر الدرر المنثور للسيوطي ج٣ /٥٤٢ .

(٥) المرجع السابق : ٥٤٧،

وكذا تفسير ابن كثيرج٢ / ٢٤٦، وانظر صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث,١٦

منه كتبت اسمه مع اسمي فى العرش قبل أن أخلق السموات والأرض والشمس والقمربألفى سنه وعزتي وجلالى أن الجنة محرمة على جميع خلقى حتى يدخلها محمد وأمته ..... إلخ [١] .

(١٠) ومنه قول الله تعالى :

{ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون } [١] .

الالتفات في الآية فى قوله تعالى : (**ورسوله**) بصيغة الغيبة بعد قوله تعالى : (**إني رسول**) بصيغة التكلم في ضمير ياء المتكلم وكان مقتضى السياق - فآمنوا بالله وبي - ولكن لهذا الالتفات لطائف بلاغية ذكر بعضها ضياء الدين ابن الإثير [٢] قال : (فإنه إنما قال .. فآمنوا بالله ورسوله ، ولم يقل : فآمنوا بالله وبي ، عطفاً على قوله : (**إني رسول الله إليكم**) لكى تجرى عليه الصفات التى أجريت عليه ، وليعلم أن الذى وجب الإيمان به والإتباع له هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبي الأمي الذى يؤمن بالله وبكلماته كائناً من كان أنا أو غيرى ، إظهاراً للنصفة ، وبعداً من التعصب لنفسه ، فقرر أولاً فى صدر الآية أنه رسوله الله إلى الناس ، ثم أخرج كلامه من الخطاب إلى معرض الغيبة لغرضين .

الأول منها : إجراء تلك الصفات عليه .

والثاني : الخروج من تهمة التعصب لنفسه .

لقد أجاد ابن الأثير ولا ريب فى تحليل هذه الآية وإظهار النكتة البلاغية فيها ولكن يؤخذ عليه أنه خلط بين ضمير الخطاب وضمير التكلم حيث جعل

---

(١) انظر الدر المنثور ج٣ / ٥٤٠ .

(٢) الأعراف (١٥٨) .

(٣) انظر المثل السارئر ج٢ /١٧٩.

الالتفات فى الآيه خروجاً من الخطاب إلى معرض الغيبة - ولعله سها - وحقيقته هو خروج من ضمير المتكلم في (إني) إلى الغيبة فى (رسول الله) أما الخطاب الذى بدأت به الآية فخارج عن دائره هذا الالتفات لأنه من شروط وقوع الالتفات أن يكون صاحب الضمير الخارج عنه والخارج إليه واحداً . والخطاب هنا للناس عامة وضمير الغيبة فى (رسول الله) للنبي عليه السلام وحده.إلا إن كان يعنى بدء الآية بفوله تعالى:(قل) ولكنه لم يذكرها عند التحليل وزاد على ما قاله ابن الأثير من نكات بلاغية أحد الباحثين المعاصرين بقوله:(والالتفات إلى الاسم الظاهرهيأإلى الأوصاف المذكوره بعده «النبي الأمي الذى يؤمن بالله وكلماته» وهى أوصاف مهمة في السياق لأنها تحث على الإيمان به وكأن الرسول عليه السلام يدعوهم إلي تصديقه لالذاته ولكن لهذه الأوصاف إلى كونه رسولاً أمياً. وهذه الأوصاف تتضمن نوعاً من البرهان على رسالته لأنه ما يخبرهم به من وحى السماء وليس من معارفه المحصلة بالقراءة [(١)]

وقال أبو السعود : وإيراد نفسه عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة على طريقه الالتفات إلى الغيبة للمبالغة فى إيجاب الامتثال بأمره ووصف الرسول بقوله (**النبي الأمي**) لمدحه عليه الصلاة والسلام بهما الزيادة تقرير أمره وتحقيق أنه المكتوب في الكتابين ووحيه بقوله تعالى { **الذى يؤمن بالله وكلماته** } أى ما أنزل إليه وإلى سائر الرسل عليهم السلام من كتبه ووصيه لحمل أهل الكتابين على الامتثال بما أمروا به والتصريح بايمانه بالله تعالى للتنبيه على أن الإيمان به تعالى لا ينفك عن الإيمان بكلماته ولا يتحقق إلا به[(٢)] ولهذا ولغيره يأتي الالتفات حاملاً معه لطائف بلاغيه عظية .

---

(١) انظر خصائص التراكيب د / محمد أبو موسى / ١٩٧ الطبعة الثانية

(٢) انظر ح٢ / ٣٠٦ .

وكذا روح المعاني ح٣ : ٩ / ٨٣ .

(١١) ومنه قول الله تعالى : { **وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ماءاتيناكم بقوة وأذكروا ما فيه لعلكم تتقون ، وإذ أخذ ربك من بنى ءادم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين** }[1] .

الالتفات في قوله تعالى : (**وإذ أخذ ربك**) بصيغة الغيبة عنه سبحانه وذلك بعد قوله تعالى : (**وإذ نتقنا**) وكذا (**ماءاتيناكم**) بصيغة للتكلم وكان مقتضى السياق - وإذ أخذنا - تمشياً مع سابقه ولكنه قال جل من قائل : (**وإذ أخذ ربك**) طلباً لهذه الصيغة التى هى من أسلوب الحكاية وما تبعها من ظهور كلمة (رب) وإضافتها إلى ضميره صلى الله عليه وسلم .

قال الرازي : (أعلم أنه تعالى لما شرح قصة موسى عليه السلام مع توابعها على أقصى الوجوه ذكر في هذه الآية ما يجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين)[2] من بنى ءادم - وذلك (إذ استخراج ولد آدم من أصلاب آبائهم فقررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك وإقرارهم به) [3] وروى عن ابن عباس قال: (مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذا الذى وراء عرفة وأخذ ميثاقهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا)[4] وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:سمعت رسول الله عليه السلام، سئل عنها فقال : « إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ! ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية : فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ...)[5] وإيثار الأخذ على الإخراج للإيذان بالاعتناء بشأن المأخوذ لما فيه من الانباء عن الاجتباء والإصتفاء وهو السبب فى أسناده إلى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام واضافته إلى ضميره للتشريف[6] .

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٧١ ، ١٧٢) . (٢) انظر ح١٥ / ٤٦ . (٣) انظر جامع البيان ح٦ : ٩ / ٧٥ .

(٤) المرجع السابق وكذا فتح القدير ح٢ / ٢٦٣ / وكذا تفسير إبن كثير ح٢ / ٢٦٢.

(٥) انظر الدر المنثور للسيوطي ح ٣ / ٦٠١، اخرجه مالك في الموطأ كتاب القدر ص(٨٩٩) .

(٦) انظر تفسير أبى السعود ح٢ / ٣١٥ وكذا روح المعاني ح٣ : ٩ /١٠٠،

(١٢) ومنه قول الله تعالى :

{ ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بئايتنا وانفسهم كانوا يظلمون . من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون }[١] .

الالتفات فى هذه الآية المباركة فى قول الله تعالى : (**من يهدى الله**) بصيغة الغيبة عنه سبحانه وذلك بعد قوله تعالى : (**بآياتنا**) وكان مقتضى السياق قوله - من نهديه - باستمرار صيغة التكلم تمشياً مع سابقة (بآياتنا) ولكن ظهور لفظ الجلالة في هذا المقام كان سراجاً منيراً يوضح معالم الطريق التى تاه فيها الكثيرون ويحدد مصدر الهداية والضلال الحقيقيين ويخبر بأن الله وحده هو المتصرف الوحيد فى قلوب عباده كما أخبر الهادى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله : (ما من قلب إلا وهو معلق بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء ازاغه والميزان بيد الرحمن يرفع اقواماً ويخفض اخرين إلى يوم القيامة) [٢]

وكذا الدعاء المأثور عنه : (يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك)[٣] فكيف لا يظهر لفظ الجلالة هنا بعد وصف الضالين بالوصف المذكور وتعريف حالهم ، بمثل السوء[٤] صرح سبحانه (بان الهدى والضلال من الله وأن هداية الله تختص ببعض دون بعض وأنها مستلزمة للاهتداء والأفراد فى الأول - من يهديه - والجمع فى الثاني - ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون - باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٧٧ ، ١٧٨) .

(٢) انظر مصنف ابن ابي شيبة ح ٢٥/٦ حديث رقم ٢٩١٩٧

وكذا أخرجه احمد في مسده وابن ماجه في سننه و الحاكم في المستدرك من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً. انظر صحيح الجامع الصغير للألباني ح ١٠٠٢/٢ حديث رقم ٥٧٤٧

(٣) المرجع السابق الصفحه نفسها حديث رقم ٢٩١٩٩

(٤) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ح١٥ / ٥٨.

على أن المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاختصار في الإخبار عمن هداه الله بالمهتدى تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على أنه فى نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لولم يحصل له غيره لكفاه وأنه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها)[١] ولعظم شأن الهداية أسندها المولى لاسمه العظيم فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم مثل قوله تعالى :

﴿ **وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله** ﴾[٢]

وكذا قوله تعالى : ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾[٣] .

---

(١) انظر تفسير البيضاوى أنوار التنزيل ج٩ : ٢٢٩
وكذا فى تفسير أبى السعود ج٢ / ٣٢١ .
وكذا روح المعاني للألوسى ج٣ : ٩ / ١٧٧ / ١٧٨ .

(٢) سورة البقره الآية (١٤٣) .

(٣) سورة الأنعام الآية (٩٠) .

** سورة الأنفال **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) قال الله تعالى :

{ إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهو فهو خيرلكم وإن تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : (**وأن الله**) بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله تعالى : (**نعد**) بصيغة التكلم وكان مقتضى السياق قوله - وأننا - بدل و (**وأن الله**) لتناسب ماقبله . ولاشك إن ظهور لفظ الجلالة هنا يدل على معاني بلاغية عظيمة لا تأتى بغيره وللوقف على بعضها نعود إلى كتب التفاسير لنقف على رأى أهل التأويل فيها : روى الطبرى رحمه الله : (عن الزهرى «أن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح» قال استفتح أبو جهل فقال اللهم يعنى محمداً ونفسه أينا كان أفجر لك اللهم واقطع للرحم فأحنه[٢] اليوم قال الله الآيه[٣] . وقال السدى : (كان المشركون حين خرجوا من مكه - إلى بدر أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم الفئتين وخير القبيلتين فقال الله الآيه)[٤] (**وان تنتهوا**) عن الكفر وقتال محمد صلى الله عليه وسلم (**فهو خير لكم**) لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين (وإن تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم ولن تغنى ولن تدفع عنكم فئتكم أو جماعتكم شيئاً من الاغناء ولوكثرت (**وأن الله مع المؤمنين**) بالنصر و المعونه[٥]

---

(١) سورة الأنفال الآية (١٩) .

(٢) الأحنه : الحقد فى الصدر / انظر السان مادة أحى

(٣) ح٦ : ٩ /١٣٨ وكذا تفسير ابن كثير ح٢/ ٢٩٧/ وكذا تفسير الرازى ح١٥/١٤١

(٤) انظر ابن كثير ح٢/٢٩٧ وكذا الدر المنثور للسيوطي ح٤ /٤٢ ، وكذا الكشاف ح٢ /١٥٠ .

(٥) انظر انوار التنزيل للبيضاوى : ٢٣٧ وكذا تفسير ابن عطية ح٢ / ٥١٢ .

وأى كلمه تؤكد هذا النصر وتلك المعونة أكثر من اسم الله العظيم الجامع لكل اسمائه وصفاته كلها تؤكد بأنها في نصر المؤمنين اليوم وكل يوم (وهم الحزب النبوى والجناب المصطفوى)[١] وفى هذا تأكيد على موالاة المؤمين وتبكيت للمشركين الذين ظنوا أنهم هم الغالبون وأنهم أهدى سبيلاً من حزب الله المنتصرين .

(٢) ومنه قول الله تعالى:

{واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى و اليتامى و المساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله و ما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان و الله على كل شيء قدير}[٢].

الالتفات في قوله تعالى:{ **و الله على كل شيء قدير**} بصيغة الغيبة وذلك بعد التكلم في {**أنزلنا على عبدنا**} وتذييل الآية بلفظ الجلالة يوافق ما بالآية من أحكام تشريعية ويدل دلالة قطعية على وجوب الرضى و الاستسلام التام وأن الله غني عن هذه الغنائم وغيرها ولكن ليطهر قلوب المؤمنين ويوثق عرى المحبة و الترابط بين افراد المجتمع المسلم و إلا فهو سبحانه {**على كل شيء قدير**}.

---

(١) انظر ابن كثير ج٢ /٢٩٨ .
قال ابن عطيه يحتمل أن يكون الخطاب ، للمؤمنين انظر ج٢/ ٥١٢ ،
وكذا روح المعاني ج٣ : ١٨٧/٩ .

(٢) الانفال الآية (٤١)، انظر تفسير الآية في كل من ابن كثير ج ٣١٤/٢ ، وكذا الطبري ٦/ ١٠/ ٧ ،
وكذا الكشاف ج ١٥٩/٢ ، وكذا فتح القدير ج ٣١٠/٢

في الآية التفات آخر انظر ص(٣٧٤).

** سـورة التـوبة **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) مما جاء في هذه السـورةمن هذا اللون من الالتـفـات قـول الله تعالى :

{ **وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم * و آخرون اعترفوا بذنبهم خلطوا عملاً صالحاً و آخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم** }(١) .

الالتـفـات فى قـوله تعـالى : (**عسى الله أن يتـوب**) وكـذا في تكملة الآية في قـوله تعالى : (**وإن الله غفور رحيم**) بصيـغة الغيـبة عنه عز وجل وذلك بعد قوله تعالى : (**نحن نعلمهم سنعذبهم**) بصيـغة التكلم وكـان مقـتضى السيـاق - عسى أن نتـوب عليهـم - تمشيـاً مع سابقه ولكن للعدول إلى صيغة الغيبة نكتة بلاغية تتضح بالوقوف على بعض اسرارالآية المباركة .

قال سيد قطب -رحمة الله - (لما ذكر الله سبحانه صفة هذه الجماعة من الناس المتخلفين المعتذرين التائبين ، عقب عليها بقوله : « عسى الله أن يتوب عليهم . وإن الله غفور رحيم » .

وكمـا قال ابن جرير : «عسى من الله واجب » .. فـهو رجاء من يملك إجابة الرجاء سبحانه ! والاعتراف بالذنب على هذا النحو ، والشعور بوطأته ، دليل حياة القلب وحساسيته ومن ثم فالتوبة مرجوة القبول ، والمغـفرة مرتقبـة من الغفـور الرحيم .... وقـد قبل الله توبتـهم وغفرلهم)(٢) .

(وحدث سمـرة بن جندب قـال : قـال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم لنا «أتانى الليـلة آتيان فابتعثانى فانتهيا بى إلـى مدينة مبنية

---

(١) سورة التوبة الآيتين (١٠١ ، ١٠٢) .

(٢) انظر ظلال القرآن تفسير ج٤ / ٣٠٠ ، وكذا جامع البيان للطبرى ج٧ : ١١ /١٢ .

بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ماأنت راء وشطر كاقبح ما أنت وراء قالا لهم اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صوره ، قالا لى هذه جنة عدن وهذا منزلك ، قالا وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم)(١) وهل يفى بهذه التوبة وذلك الغفران إلا لفظ الجلاله ولهذا كان الالتفات .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ح٢ / ٣٨٦ .
وانطر كذا تفسير السعدى ح٢ / ٢٨٢ .
وكذا روح المعاني ح٤ : ١١ / ٩ .

و الحديث اخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب قوله تعالى (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) ح ٥٨/٦

** ســورة يونــس **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

وهذه سورة يونس مليئة بهذا النوع من الالتفات :

(١) أولا قوله تعالى : { **أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين ءامنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين** }(١) .

الالتفات فى هذه الآية المباركة فى قوله تعالى :(**عند ربهم**) بصيغة الغيبة عنه سبحانه وذلك بعد قوله تعالى:(**أن أوحينا**)وكان حق السياق-عندنا- باستمرار صيغة التكلم ولكن مما لا شك فيه أن ظهور كلمة (رب) هى الأبلغ فى هذا المقام لما تحمل فى طياتها من معان جمه تدل على الأعتناء والرحمة والحنو والتبعيه وغيرها كثير ، ولا تظهر هذه الكلمة العظيمه إلا بالالتفات إلى الغيبة ولهذا تغير الأسلوب إليه ليوضح تلك المعاني العظام التى تحملها الجمله بكاملها « لهم قدم صدق عند ربهم » روى عن أنس وابن زيد رضى الله عنهما هى : الأعمال الصالحة من العبادات وعن ابن عباس رضى الله عنه وغيره هى السعادة السابقة لهم فى اللوح المحفوظ وقيل غير ذلك كثير(٢) ولكنها جميعا معاني تدل على الخير العظيم الذى ينتظرهم عند ربهم لسبب أو لآخر ولهذا ظهرت كلمة (رب) وكان الالتفات إلى الغيبة هو الأبلغ للمعنى . لتضمنه بيان التكاليف الواجبة الإتباع وبيان النواهى الواجبة الإجتناب . فهذا هو الإنذار والتبشير ومقتضياتهما على وجه الإجمال(٣) .

---

(١) سورة يونس الآية (٢) .

(٢) انظر البحر المحيط ج٥ / ١٢٢، وكذا تفسير ابن عطيه ج٣ / ١٠٣، وكذا تفسير السعدى ج٢ / ٣٠١ ، وكذا تفسير أبى السعود ج٢ / ٤٦٣ ، وكذا روح المعاني ج٤ : ١١ / ٥٩ - ٦٣ ، وكذا ابن كثير ج٢ / ٤٠٧ ، وكذا فتح القدير للشوكاني ج٢ : ٤٢٤ ، وكذا تفسير النسفى ج٢ / ٥٣ . والقدم : بمعنى السبق مجازاً لكونه سببه وآلته انظر محاسن التأويل للقاسمى ج٩ / ٦ .

(٣) انظر فى ظلال القرآن سيد قطب ج٤ / ٣٨٢ .

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن ءايتنا غافلون * أولئك مأوهم النار بما كانوا يكسبون * إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم }[١] .

موضع الالتفات فى هذه الآيات البينات فى قوله تعالى : (**ربهم**) بصيغة الغيبة عنه سبحانه وذلك بعد قوله تعالى (**لقاءنا**) بصيغة التكلم وكذا تكرر هذا الضمير - التكلم - في قوله تعالى : (آياتنا) وكان مقتضى السياق - نهديهم - باستمرار صيغة التكلم بدل قوله تعالى : (**يهديهم ربهم**) ولكن ورود صيغة الغيبة التى عطرت بكلمة (رب) يطلبها المقام حثيثاً لأنه مقام هداية وأى هداية إنها الطريق الموصلة إلى الجنة كما أخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن قال : بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنه وريح طيبه فيقول له : ما أنت . فو الله إنى لأراك عين امرئ صدق ، فيقول له : أنا عملك . فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة ، وأما الكافر فاذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة ، فيقول له : ما أنت فوالله أنى لأراك عين امرئ سوء ، فيقول : انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار »[٢] ولكن المؤمنين يهديهم ربهم إلى الصالحات فى الدنيا والآخرة بسبب هذا الإيمان الذى يصل ما بينهم وبين ربهم ، ويفتح بصائرهم علي استقامة الطريق ، ويهديهم إلى الخير بوحى من حساسية الضمير وتقواه .. هؤلاء يدخلون الجنة[٣] وذلك هو الفوز العظيم .

---

(١) سورة يونس الآيات (٧ ، ٨ ، ٩) .

(٢) انظر الدر المنثور ج٤ / ٣٤٤ ، انظر كذا البحر المحيط ج٥ /١٢٧ ،
وكذا روح المعاني ج٤ : ١١ ص (٧٢) ،
،كذاتفسير ابن جرير الطبري ج ٦٣/١١.

(٣) انظر فى ظلال القرآن لسيد قطب ج٤ / ٣٩٤ .

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون * والله يدعوا إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم }[١] .

الالتفات فى الآيه المباركة فى قول الله تعالى : { **والله يدعوا إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم** } بصيغة الغيبة عنه سبحانه في الآية كلها وذلك بعد قوله تعالى:(**أنزلناه**) وكذا(**أمرنا**) وكذا (**فجعلناها**) وكذا (**نفصل**) بصيغة التكلم في جميع تلك المواطن وكان مقتضى السياق - ونحن ندعوا إلى دار السلام ونهدى من نشاء - ولكنه سبحانه آثر صيغة الغيبة لحاجة المقام لظهور لفظ الجلالة : فقد نفّر سبحانه الغافلين عن الميل إلى الدنيا بالمثل السابق ، ورغبهم في الآخرة بهذه الآية[٢] . فيقول تعالى ذكره لعباده أيها الناس لا تطلبوا الدنيا وزينتها فان مصيرها إلى فناء وزوال كما مصير النبات الذى ضربه الله لها مثلاً إلى هلاك وبوار ولكن اطلبوا الآخره الباقيه ولها فاعملوا وما عند الله فالتمسوا بطاعته فان الله يدعوكم إلى داره وهى جناته التى أعدها لاوليائه تسلموا من الهموم والأحزان فيها وتأمنوا من فناء مافيها من النعم والكرامة التى أعدها لمن دخلها[٣] .

ووجه الترغيب فى الآخرة ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال « إنى رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه اضرب له مثلاً ، فقال : اسمع اسمع سمعت أذنك . واعقل عقل قلبك ، إنما مثلك ومثل أمتك

---

(١) سورة يونس الآيتين (٢٤ ، ٢٥) .

(٢) انظر التفسير الكبير ج ١٧ / ٧٤ .

(٣) انظر تفسير الطبرى ج٧ : ١١ / ٧٣ .

كمثل ملك أتخذا داراً ثم بنى فيها بيتاً ثم جعل فيها مأدبته ثم بعث رسولاً يدعوا الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه فالله الملك والدار الإسلام والبيت الجنة وأنت يامحمد الرسول فمن أجابك دخل الإسلام ومن دخل الإسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل منها)[١] وإضافه الدار إلى الإسلام وهو اسم من اسمائه سبحانه للتشريف[٢] وهكذا نرى أن شأن هذه الدعوة عظيم وأن نفعها على البشرية لا يحد بحد ولهذا لا يتناسب مع هذا المقام إلا الاسم الجليل .

(٤) ومنه قول الله تعالى : { **وإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون** }[٣] .

الالتفات فى قوله تعالى : (**الله شهيد**) بصيغة الغيبة فى لفظ الجلالة وذلك بعد قوله عز وجل { **وإما نرينك** } وكذا { **نتوفينك** } بصيغة التكلم . وقد بدأت الآيه بمخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (تعالى ذكره وإما نرينك يامحمد في حياتك بعض الذى نعد هؤلاء المشركين من قومك من العذاب ، أو نتوفينك ، قبل أن نريك ذلك فيهم فالينا مرجعهم ومصيرهم بكل حال إلينا ومنقلبهم ثم الله شهيد على ما يفعلون يقول جل ثناؤه ثم أنا شاهد على أفعالهم التى كانوا يفعلونها فى الدنيا وأنا أعلم بها لا يخفى علىّ شئ منها وأنا مجازيهم بها عند مصيرهم إلى ومرجعهم جزاءهم الذى يستحقونه)[٤] ولبيان هذه الحكمة الجليلة ظهر لفظ الجلالة ليعط بلمحة خاطفة تعليلاً كافياً على شهادته سبحانه عليهم لأنه-الله -ذوالألوهيه والعبودية على الخلق أجمعين فيكون ظهوره لإدخال الروعة وتربية المهابة وتأكيد التهديد[٥] لقوله مصيرهم ومنقلبهم إليه وهو شهيد على أفعالهم بعدك[٦]

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ح٤١٥/٢ . واخرجه البخاري في صحيحه باب الإقتداء بسنن الرسول ح ٣-٧٦/٩.

(٢) انظر روح المعاني ح٤ : ١١ / ١٠٢.

(٣) سورة يونس الآية (٤٦) . (٤) انظر تفسير الطبرى ح٧ : ١١ / ٨٤ .

(٥) انظر تفسير أبى السعود ح٢ / ٥٠١ ، وكذا روح المعاني ح٤ : ١١ / ١٢٩ .

(٦) تفسير ابن كثير ح٢ / ٤٢٠ ، وكذا تفسير ابن عطيه ح٣ / ١٢٣ .

وذكر ابن كثير عن الطبراني عـن حذيفة بن أسيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (عرضت عليّ أمتى البارحة لدى هذه الحجرة أولها وآخرها) فقال رجل يارسول الله عرض عليك من خلق فكيف من لم يخلق ؟ فقال (صوروا لي فى الطين حتى أنى لأعرف بالانسان منهم من أحدكم بصاحبه)[1] فالامور كلها مدبرة حسب تدبيره سبحانه لا تتغير بالطوارئ والظروف[2] وهو الشهيد على ما يفعلون ويطلع بعض عباده المصطفين على قدر من علمه حسبما تقتضيه حكمته سبحانه ولهذا ولمثله يأتى الالتفات لينبه الذهن على مواطن التأمل المرشدة إلى الصلاح .

(٥) ومنه قول الله تعالى :

{ وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرءانٍ ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرةٍ فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين }[3] .

الالتفات فى قوله تعالى : (**عن ربك**) بصيغة الغيبة عنه سبحانه وتعالى وذلك بعد صيغة التكلم فى قوله تعالى : (**إلا كنا عليكم شهوداً**) بنون العظمة وكان مقتضى السياق قوله - ومايعزب عنا - باستمرار الصيغة نفسها بدل قوله تعالى (**عن ربك**) ولكنه عز من قائل آثر صيغة الغيبة لتناسب معنى العزوب فقد أخرج الطبرى عن ابن عباس رضى الله عنه قوله : (**وما يعزب عن ربك**) قال ما يغيب عنه[4] .

فاختار سبحانه لمعنى الغياب صيغة الغيبة ليكون بينهما انسجام معنوى تام - نعم هذا هو القرآن بعظيم إعجازه - كما إن صيغة الغيبة أدخلت على الموقف رهبة وخشوعاً و الخوف من الغائب شئ يزيد

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج٢ / ٤٢٠ ،
و الحديث ذكره التيمي في المجمع و قال رواه الطبراني وفيه زياد بن المنذر وهو كذاب ا نظر ج ٦٩/١٠.

(٢) انظر ظلال القرآن ج٤ / ٤٣٩ . (٣) سورة يونس الآية (٦١) .

(٤) انظر ج٧ : ١١ / ٩١ ، وانظر المحرر الوجيز لابن عطيه ج٣ / ١٢٧ ، وانظر التفسير الكبير ج١٧ / ١٢٤ ، وكذا محاسن التأويل للقاسمى ج٩ / ٤٨ .

الوعيد الذى يلمح فى الآية - قوة إلى قوة . ولا يخفى أن العدول إلى الغيبة رشح لظهور هذا الخطاب الذى هولاحب خلقه إليه سبحانه وتعالى .

(٦) ومنه قوله تعالى :

{ **ولقد بوأنا بنى إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** }(١) .

الالتفات في قوله تعالى (**إن ربك يقضى**) بصيغة الغيبة عنه سبحانه وذلك بعد قوله تعالى : (**ولقد بوأنا**) وكذا (**ورزقناهم**) وكلاهما بصيغة التكلم وكان مقتضى السياق - إننا - بدل (**إن ربك**) . فلماذا تغير الأسلوب ؟ على الرغم من أن الصيغة للغيبة عنه سبحانه إلا أنها تحمل خطاباً لسيد المرسلين صلى اله عليه وسلم ، فأتت كملة (رب) ليضاف إليها ضميره صلى الله عليه وسلم وفيه معنى المواساة والتحنين للنبى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وليذكره بعنوان الربوبية وإنه راعيه والمتكفل به وصاحب الأمر فيه وفى خصومه . فيطلب الرب سبحانه من نبيه ترك أمره لحكمه (العدل الناشئ على علمه التام ، وقدرته الشاملة ، وهذا هو الداء الذى يعرض لأهل الدين الصحيح وهو : أن الشيطان إذا أعجزه أن يطيعوه فى ترك الدين بالكلية ، سعى فى التحريش بينهم ، وإلقاء العداوة والبغضاء ، فحصل من الاختلاف ما هو موجب ذلك . ثم حصل من تضليل بعضهم لبعض . ما هو قرة عين اللعين . وإلا فإذا كان ربهم واحداً ، ورسولهم واحداً ، ودينهم واحداً ، ومصالحهم العامة متفقه ، فلأى شئ يختلفون اختلافاً يفرق شملهم ، ويشتت أمرهم ، ويحل رابطتهم ونظامهم فيفوت من مصالحهم الدينيه والدنيويه ما يفوت ، ويموت من دينهم ، بسبب ذلك ما يموت)(٢)

---

(١) سورة يونس الآية (٩٣) . (٢) انظر تفسير السعدى ج٢ / ٣٤١ .

(٣) انظر البحر المحيط ج٥ /١٩٠ ، وكذا التفسير الكبير ج١٧ / ١٥٩ ، وكذا محاسن التأويل للقاسمى ج٩ / ٧٩ ، وكذا انظر ظلال القرآن ج٤ / ٤٧٣ .

وهذا اختلاف لايمكن زواله فى الدنيا وأنه تعالى يقضى فيه فى الآخرة فيميز الحق من المبطل[٣] وهذا القضاء العدل من الحق تبارك وتعالى لأمر لا يقدر عليه غيره كان هوالداعى لتغير الأسلوب إلى الغيبة فى كلمة ربك .

(٧) ومنه قول الله تعالى :

{ فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : (**الحق من ربك**) التى تحمل صيغة الغيبة عنه سبحانه وذلك بعد صيغة التكلم فى قول الله تعالى : (**مما أنزلنا**) وكان حق السياق استمرار هذه الصيغة فتكون -الحق منا- بدل (**من ربك**) ولكن للنكتة التى ذكرت آنفا أتى الالتفات إلى الغيبة ولا شك فى أن التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافه إلى ضميره عليه السلام من التشريف ما لا يخفى[٢] وكان عليه الصلاة والسلام لا يشك ولا يسأل كما جاء عن قتادة قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا أشك ولا أسأل) وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصرى وهذا فيه تثبيت للأمة وإعلام لهم أن صفة نبيهم صلى الله عليه وسلم موجودة فى الكتب المتقدمه التى بأيدى أهل الكتاب[٣] وصح لنا أن نقول (إن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد غيره كما ورد فى القرآن فى غير موضع)[٤] كأنه قال عز من قائل :(قل يا محمد للكافر فإن كنت في شك « فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك » يعنى مسلمى أهل الكتاب كعبدلله بن سلام وامثاله)[٥] ولهذ نقول أن الالتفات إلى الغيبة فى قوله { لقد جاءك الحق من ربك } يذكّر العبد بمصدر هذا الحق الذى لا مراء فيه .

---

(١) سورة يونس : ٩٤ .

(٢) انظر إرشاد العقل السليم لأبى السعود ج٢ / ٥٢٧.

(٣) انظر ابن كثير ج٢ / ٤٣٣ ، وكذا تفسير غرائب القرآن للنيسابورى بهامش الطبرى ج٧ : ١١ / ١٢٦ .

(٤) انظر فتح القدير للشوكانى ج٢ / ٤٧٣ وقال ايضاً قيل الخطاب للنبي لا غيره .

(٥) المرجع السابق الصفحة نفسها وكذا البحر المحيط ج٥ / ١٩٠ ، وكذا روح المعانى ج٤ : ١١ / ١٩٠ .

(٨) ومنه قول الله تعالى :

{ ولو جاءتهم كل ءاية حتى يروا العذاب الأليم ، فلولا كانت قرية ءامنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما ءامنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ولوشاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين } [١] .

الالتفات فى قوله تعالى (**ولو شاء ربك**) بصيغة الغيبة عنه عز وجل وذلك بعد ذكره بصيغة التكلم في قوله تعالى (**كشفنا**). وكان مقتضى الظاهر - ولو شئنا - وقد روى عن ابن عباس قوله ولو شاءربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً .. فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره الله أنه لا يؤمن من قومه إلا من قد سبق له من الله السعادة فى الذكر الأول ، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء فى الذكرالأول[٢] . فأخبره المولى عز وجل بأسلوب اللطف واللين هذا الخبر الذى قد يكون وقعه على قلبه صلى الله عليه وسلم مؤلماً ولكن ظهور كلمة (ربك) خففت ذلك الألم ورفعت مافيه من حرج وكانت له عزاءً بعدم تحقق آماله وهى أن تؤثر دعوته فى كل معاصريه وكل من فى الأرض فيما بعد ولهذا عدل بالأسلوب إلى الغيبة فى هذا الالتفات العجيب ليوضح له جانبا من الحكمة فى خلق الناس مختلفى الأديان فحكمته سبحانه قد ندرك بعض مراميها وقد لا ندرك ، دون أن ينفى عدم إدراكنا لها وجودها ، هذه الحكمة اقتضت خلقه هذا الكائن البشرى باستعداد للخير وللشر وللهدى والضلال . ومنحته القدرة على اختيار هذا الطريق أو ذاك[٣] .

---

(١) سورة يونس الآيتين (٩٨ ، ٩٩) .

(٢) انظر تفسير الطبرى ج٧ : ١١ / ١١٩ . انظر تفسير الآية فى إرشاد العقل السليم لأبى السعود ج٢ / ٥٢٩ وفي روح المعانى للألوسى ج٤ : ١١ / ١٩٢ - ١٩٣ وكذا انظر أنوار التنزيل للبيضاوى : ٢٨٨ ، وكذا المحرر الوجيز لابن عطيه ج٣ / ١٤٥، وكذا فتح القدير للشوكانى ج٢ / ٤٧٤ .

(٣) انظر فى ظلال القرآن لسيد قطب ج٤ / ٤٧٧ .

** سورة هود **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) وفي سورة هود جاء الالتفات الي الغيبه بعد التكلم في قوله تعالى: { **فلما جاء امرنا نجينا صالحاً و الذين آمنوا معه برحمة مناومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيزا** }[١] .

(٢) وكذا قوله تعالى { **فلما جاءامرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك و ماهي من الظلمين ببعيد** }[٢]

لايخفي ان الالتفات في قوله تعالي {**إن ربك**} وكذا {**عند ربك** } بصيغه الغيبة عنه سبحانه وذلك بعد مجئ التكلم في قوله{ **امرنا، جعلنا، امطرنا**}وكان مقتضاه - عندنا - ولكن الغيبة أبلغ لماروى ابن عطية ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائن قوم لوط واقتلعها ورفعها حتى سمع أهل السماء الدنيا صراخ الديكه ونباح الكلاب ثم أرسلها معكوسة، اتبعهم الحجارة من السماء، وري انه أخذهم بخوافي جناحه: وان مدينة منها نجيت كانت للوط عليه السلام يقال لها :زغر[٣]ولهذا ظهرت نون العظمة في معرض الانتقام من هؤلاءالكافرين وأكده المولى سبحانه بقوله {عند ربك} أي في خزائنه التي لايتصرف فيها غيره عزوجل...فإنهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفي هذا وعيد شديد لأهل الظلم كافة[٤] وجعله المولى بصيغه الغيبه ليزيد من الترهيب به لأن النفس كما قلنا سابقا تهاب الغائب وتترقبه بحذر وفي هذا مزيد من العذاب وكأنه خاص لقوم لوط وعام لكل من أعرض عن آيات الله ونسى ربه من معا صري الرسول وكفار كل زمان ومكان حتى اليوم الموعود .

---

(١) سورة هود : ٦٦ ، (٢) ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) انظر المحرر الوجيز ج٣ / ١٩٧، وكذا انوار النزيل للبيضاوي ص (٣٠٢) ، وكذا ارشاد العقل السليم ج٣ /٥٦

(٤) المرجع السباق الصفحه نفسها ، وكذا روح المعاني للألوسي ج٤ : ١٢ / ١١٢ وما بعدها . قال ابن عطيه : من سجيل معناه من جهنم لأنه يقال : سجيل وسجين حفظ فيها بدل النون لاما - كما قالو : اصيلال واصيلان /ج٢ / ١٩٧ ، وكذا انظر صناعه الاعراب لأبن جني تحقيق د /حسن هنداوي ج١ /٣٢١

(٢) ومنه في هذة السورة المباركة قوله تعالى :

{ **وماظلمناهم ولكن ظلموانفسهم فمااغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب** }[١] .

الالتفات في قوله تعالى {**من دون الله**} بصيغة العيبة وذلك بعد مجئ صيغة التكلم في قوله تعالى {**وما ظلمناهم**} وكان مقتضى السياق يدعو إلى استمرار صيغة التكلم فيكون المقطع - من دوننا - بدل قوله تعالى {**من دون الله**} ونكتته البلاغية تكمن في منا سبة ذكر لفظ الجلالة لإظهار عظمته وجلاله أمام تلك الالهة التى تركوا عبادة الله سبحانه وتعالى من اجلها او اشركوا بها عبادته سبحانه ليتضح مدى سفه عقولهم وخسة نفوسهم المريضة { فما أغنت عنهم } ولا نفعتهم ولا دفعت بأس الله تعالى عنهم {آلهتهم التي يدعون} ويعبدونها {من دون الله}[٢] .

فما نفعتهم ولا أنقذتهم بإهلاكهم { وما زادوهم غير تتبيب } قال مجاهد وقتادة وغيرهما أي غير تخسير وذلك أن سبب هلاكهم ودمارهم انما كان باتباعهم تلك الآلهة فلهذا خسروا في الدنيا والاخرة[٣] ولهذا أيضا ظهر لفظ الجلالة ليحقق معنى المقارنة التي تدل على سبب ذلك الخسران المبين أعاذنا الله منه .

---

(١) سورة هود الآية (١٠١) .

(٢) انظر ارشاد العقل السليم ج٣ /٦٦ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج٢ / ٤٦٠ ، وكذا أنوار التزيل للبيضاوي ص (٣٠٥)

{ومازادوهم غيرتتبيب } قال ابن عباس رضي الله عنهما : غير تخسير. يقال: تب إذاخسر وتببه غيره اذا اوقعه في الخسران / انظر التفسير الكبير للرازي ج١٨/٥٦ ، وكذا محاسن التأويل للقاسمي ج٩ /١٦٨.

(٣) ومنه قول الله جل جلاله :

{ ومانؤخره الا لأجل معدود* يوم يأت لاتكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد }[١] .

الالتفات في قول الله تعالى: **{لاتكلم نفس إلا باذنه}** بصيغية الغيبة عن الله عزوجل وذلك بعد ورود صيغة التكلم في قوله تعالى **{وما نؤخره}** وكان مقتضى الظاهر استمرار هذه الصيغة - التكلم - لتكون - إلا بإذننا -بدل قوله تعالى **{إلا باذنه}** ولكنه سبحانه عدل إلى الغيبة لحكمة جليلة نحاول الوقوف علي النذر اليسير منها بعد معرفة تفسير الاية المباركة :

قال ابن جرير: {يقول تعالى ذكره ومانؤخر يوم القيمة عنكم أن نجيئكم به إلا لأن يقضي فقضي له أجلا فعده واحصاه فلا ياتي إلا لأجله ذلك لايتقدم مجيئه قبل ذلك ولا يتأ خر...يوم يأ تي يوم القيامة أيها الناس وتقوم الساعة لا تكلم نفس إلا بإذن ربها...وقيل لاتكلم وإنما هي لا تتكلم فحذف إحدى التاءين اجتزاء بدلاله الباقية منهما عليها... فمن هذه النفوس التي لاتكلم يوم القيامة إلا بإذن ربها شقي وسعيد}[٢] فناسبت صيغة الغيبة هذا المقام الذي يدل على أهوال ذلك اليوم المشهود وزادته رهبة وهيبة وهم جميعا ينتظرون مصيرا مجهولاً كل شي فيه غائب عن دائرة معارفهم وما أصعب انتظار هذا الغائب المجهول الذي سيحدد المصير الأخير. وبالاستقراء وجدنا أن كثيراً من الآيا ت التي تعبر عن هذه المواقف العظيمة تأتي بالأسماء و الصفات الظاهرة من مثل ذلك قوله تعالى : **{لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواب}**[٣]وكذا قوله تعالى : **{وخشعت الاصوات للرحمن}**[٤] وكذا قوله عز من قائل **{ولايكلمهم الله يوم القيمه ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم}**[٥] .

---

(١) سورة هود الآيتين (١٠٤، ١٠٥) . (٢) ح ٧ : ١٢ / ٦٩ ، وكذا فتح القدير ح٢ / ٥٢٤.

(٣) سورة النبأ : ٣٨ . (٤) جزء من الآية (١٠٨) من سورة طه .

(٥) سورة البقرة : (١٧٤) . انظر تفسيرالايتين في التفسير الكبير للرازي ح ١٨ / ٥٩
وكذا روح المعاني ح٤ : ١٢ /١٣٩.

(٤) ومنه قول الله تعالي :

{ ولقد أتينا موسي الكتب فا ختلف فيه ولو لا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفى شك منه مريب }[(١)] .

الالتفات في قوله تعالى {من ربك} بصيغة الغيبة عن الحق سبحانه وتعالى و هذا التغير إلي الغيبة جاء بعد صيغة التكلم في قوله : { **ولقد اتينا**} ولو سار الأسلوب علي نفس هذه الصيغة لجاء المقطع - ولو لا كلمة سبقت منا - بدل قوله سبحانه {من ربك} ولكن تعظيماً لشأن تلك الكلمه وشأن صاحبها غير الأ سلوب الي الا لتفات بظهور كلمه { رب} التى أضفت على الموقف مزيداً من اللطف بالمخاطب وهو محمد صلى الله عليه وسلم وأولئك العباد (لأن رحمته سبقت غضبه وان إحسانه راجح على قهره وإلا لقضى بينهم)[(٢)] وفصل بين المؤمن والكافر بنعيم هذا وعذاب هذا[(٣)] وفي هذا الإخبار تسلية للرسول صلي الله عليه وسلم عن بعض مالاقاه من قومه بسبب إعراضهم وتجافيهم له[(٤)] .

فكان هذا التغير في الأسلوب وظهور كلمة {رب} (تسريه وتثبيتا - له صلى الله عليه وسلم - وإلى المكذبين من قومه بيانا وتحذيرا . وليس هناك شك في أن القوم يعبدون ماكان أباؤهم يعبدون - شأنهم شأن اصحاب ذلك القصص وأصحاب تلك المصائر - ونصيبهم الذي يستحقونه سيوفونه)[(٥)] .

---

(١) سورة هود الآية (١١٠) .

(٢) انظر التفسير الكبير للرازى ح١٨/٦٩ .

(٣) انظر المحرر الوجير لابن عطيه ح٣ /٢١٠ وكذا ارشاد العقل السليم لا بي السعود ح٣ / ٧٠ ، وكذا تفسيرالطبري ح٧ : ١٢ /٧٣ وكذا ابن كثير ح٢ / ٤٦٢ .

(٤) انظر البحر المحيط ح٥ / ٢٦٦ .

(٥) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب ح٤ / ٦٢٧ .

(٥) ومنه قول العزيز الحكيم :

{ فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض إلاقليلاممن انجينامنهم واتبع الذين ظلمواما اترفوا فيه وكانوا مجرمين * وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأ هلها مصلحون }[١] .

الالتفات في قوله تعالى : {**وما كان ربك ليهلك**} جاء بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله تعالى : { **انجينا**} بضمير المتكلم وكانت مسايرة الأسلوب تقتضي - وما كنا نهلك - بدل {**وما كان ربك**} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره فهل كان من القرون الذين قصصت عليك نبأهم في هذه السورة الذين اهلكتهم بمعصيتهم إياي وكفرهم برسلي من قبلكم و {أولو بقية} أي ذو بقية من الفهم والعقل يعتبرون مواعظ الله ويتدبرن حججه فيعرفون مالهم في الإيمان بالله وعليهم في الكفر به ينهون عن الفساد في الارض ...... الا قليلا ممن انجينا ...وهم اتباع الانبياء والرسل ...... وما كان ربك يا محمد ليهلك القرى التي أهلكها وأهلها مصلحون في أعمالهم غير مسيئين فيكون إهلاكه إياهم مع إصلاحهم في أعمالهم وطاعتهم ربهم ظلما ولكنه اهلكها بكفر اهلها بالله)[٢] وهذه الإشارة تكشف عن سنة من سنن الله في الأمم فالأمة التي يقع فيها الفساد بتعبيد الناس لغير الله فيجد من ينهض لدفعه هي أمه ناجيه .. فأما الأمم التي يظهر فيها الظالمون ... ولا يكون فيها من يستنكر فإن سنة الله تحق عليها[٣] . إذا حكمة توجيه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم و كذلك لكل واقف على الآيه بعنوان الربوبية العظيم يبين تلك الصلة الوثيقة التي يحب المولى العزيز الحكيم أن تكون بين العبد وربه وهذا الخطاب يبرز قيمة كفاح المكافحين لإقرار الربوبية لله وحده[٤]

---

(١) سورة هود الآية (١١٦، ١١٧) .

(٢) انظر ج ٧ : ١٢ /٨٣ - ٨٤ ،
وكذا تفسير ابن عطيه المحرر الوجيز ج٣ / ٢١٤ ،وكذا انظر تفسير ابن كثير ج٢ / ٤٦٥ .

(٣) انظر في ظلال القران لسيد قطب ج٤ / ٦٣٢ .

(٤) المرجع السا بق .

** سورة يوسف **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) وجاء في سورة يوسف قول الله تعالى :

{ وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون }[١] .

الالتفات في قوله تعالى: {**والله غالب على أمره**} بصيغة الغيبة عن الله عز وجل وهذه الغيبة بعد أسلوب التكلم في قوله تعالى : {**وكذلك مكنا ليوسف في الأرض**} وكان حق الصياغة مسايرة الأسلوب نفسه بقوله - وإنا غالبون - أو نحو ذلك ولكن أين هذا من قوله تعالى: {**والله غالب على أمره**} فهو سبحانه مستول على أمر يوسف يسوسه ويدبره ويحوطه[٢] لايمنع عما يشاء ولا ينازع فيما يريد بل إنما أمره لشيء إذا أراد أن يقول له كن فيكون[٣] فعّال لما يريد[٤] لا دافع لقضائه ولا مانع عن حكمه في أرضه وسمائه[٥] فانتظام أمر يوسف عليه السلام كان إلهياً ، وماكان بسعيه وإخوته أرادوا به كل سوء ومكروه والله أراد به الخير فكان كما أراد الله تعالى ودبر[٦] . وأي ضمير يفي هذه المعاني حقها غير لفظ الجلالة الجامع لأسمائه تعالى وصفاته ولهذا كان الالتفات إلى الغيبة لظهور هذا الاسم الجليل ليعظم ماعظم ويوضح ماوضح ويزيد المقام مهابة وتقدير لما في هذا اللفظ الشريف من قوة في اللفظ بجانب قوة المعنى .

---

(١) سورة يوسف الآية (٢١) .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ج٧ : ١٢/١٠٥ .

(٣) انظر روح المعاني للألوسي ج٤ : ١٢ / ٢٠٨ ، وكذا ارشاد العقل السليم ج٣ / ٩٢ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ج٢ / ٤٧٤ .

(٥) انظر التفسير الكبير ج١٨ / ١١٠ .

(٦) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٢) ومما جاء منه قول الله تعالى :

{ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ماكان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم }[١] .

الالتفات في قوله تعالى : {**إلا ان يشاء الله**} بصيغة الغيبة عنه جل جلاله بعد صيغة التكلم في قوله عز من قائل : {**كذلك كدنا**} وكان حق السياق - إلا أن نشاء - بدل قوله تعالى : {**إلا ان يشاء الله**} (أي إلا حال مشيئته وإذنه بذلك وإرادته له وهي تعليل لما صنعه الله من الكيد ليوسف أو تفسير له)[٢] يعني: أن ذلك الأمر كان بمشيئة الله وتدبيره، لأن ذلك كله كان إلهاما من الله ليوسف واخوته، حتى جرى الأمر وفق المراد[٣] . حدث ابن جرير عن مجاهد : إلا بعلة كادها الله فعتل بها يوسف[٤].

والالتفات إلى صيغة الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز وعلا وجلالة مقدار علمه المحيط مالايخفى[٥] . فحق لهذه المشيئة مالا يحصى عدا من المهابة والإجلال وهكذا أعطى هذا الالتفات إلى الغيبة المعنى قدراً رفيعا من بلاغة القول ودقته وتناسبه للمقام .

---

(١) سورة يوسف : ٧٦ .

(٢) انظر فتح القدير ج٣ / ٤٣

(٣) انظر تفسير القاسمي ؛ محاسن التأويل ج٩ / ٢٦٠ .

(٤) انظر جامع البيان ج٧ : ١٨/١٣ ،

وكذا الدر المنثور للسيوطي ج٤/٥٦١ .

(٥) انظر ارشاد العقل السليم لأبي السعود ج٣ / ١٣٠ .

** سورة الرعد **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) وجاء الالتفات من التكلم إلى الغيبة في سورة الرعد قوله تعالى : {**كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب**}[1] .

الالتفات في قوله تعالى : {**وهم يكفرون بالرحمن**} في قوله تعالى : (**الرحمن**) بصيغة الغيبة عنه عز وجل وذلك بعد قوله تعالى: { **أرسلناك**} بصيغة التكلم وكان مقتضى السياق - وهم يكفرون بنا - باستمرار صيغة التكلم السابقة عليه. لكن العدول إلى الغيبة سوغ ظهور كلمة - الرحمن - تلك الصفة التي تضم معاني جمة لا حصر لها منها حلمه العظيم على من عصاه وعطفه على عياله حتى ولو ضلوا الطريق وصبره وأناته وسعة كرمه رغم كفر بعضهم به وتجاهلهم بعض أسمائه وصفاته. أورد السيوطي سببا لنزول هذه الآية مرويا عن قتادة - رضي الله عنه - في قوله تعالى: {وهم يكفرون بالرحمن} قال: ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - زمن الحديبية - حين صالح قريشا، كتب في الكتاب : "بسم الله الرحمن الرحيم". فقالت قريش: أما الرحمن فلا نعرفه، وكان أهل الجاهلية يكتبون: باسمك اللهم. فقال أصحابه: دعنا نقاتلهم . قال : لا، ولكن اكتبوا كما يريدون[2]. لأن الله سبحانه وتعالى كتب على نفسه الرحمة وأرشدنبيه صلى الله عليه وسلم بأن يجادلهم بالتي هي أحسن رحمة منه سبحانه ولهذا جاء الالتفات إلى الغيبة في كلمة - الرحمن - دليلا صريحا على سعة رحمته. وهذا القرآن الكريم يظهر شناعة كفرهم لأنهم يكفرون بمن شأنه الرحمة بهم، وهو سبحانه لهذه الرحمة حقيق بأن يعبد وحده، وبألا يشرك مع أحد ويؤيد ذلك قوله تعالى: {قل هو ربي لا إله إلا هو عليه وتوكلت وإليه متاب}

---

(١) سورة الرعد الآية (٣٠) .(٢) انظر الدر المنثور ج٤ /٦٥٠. وكذا تفسير الطبري ج٧ : ١٠١/١٣ .
وانظر تفسير الآية في ارشاد العقل السليم ج٣ /١٦٥ وكذا ابن عطية ج٣ /٣١٢ .

(٢) ومنه قوله تعالى :

{ **ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب * أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد** }[(١)] .

الالتفات في الآية الكريمة في قوله تعالى : {**أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء**} بصيغة الغيبة عنه سبحانه وتعالى وذلك بعد صيغة التكلم في الآية السابقة في قوله تعالى : { **فأمليت**} وكذا { **أخذتهم**}. وقد جاء الالتفات ليوضح أموراً كثيرة منها : (أنه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات من الجزئيات والكليات وإذا كان كذلك كان عالما بجميع أحوال النفوس، وقادرا على تحصيل مطالبها من تحصيل المنافع ودفع المضار ومن إيصال الثواب إليها على كل الطاعات، وإيصال العقاب إليها على كل المعاصي. وهذا هو المراد من قوله - تعالى - {**قائم على كل نفس بما كسبت**} وماذاك إلا الحق سبحانه")[(٢)] . وهذا أيضا هو المراد من تغير الصيغة إلى الغيبة ليسوغ ورود قوله تعالى { **أفمن هو قائم**) بما فيه من استفهام إنكاري وكذا ذكر لفظ الجلالة في قوله تعالى: {**وجعلوا لله شركاء**} للتنصيص على وحدانيته تعالى ذاتا واسما وللتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع مافيه من بيان بعد الابهام[(٣)] واختصاصه سبحانه بهذه الصفات قال قتادة - رضي الله عنه - : ذلكم ربكم تبارك وتعالى قائم على بني آدم بأرزاقهم وأحوالهم[(٤)] فجاءت الغيبة لزيادة المهابة والإجلال وللتشنيع عليهم بشركهم مع الله معبودات أخرى لا حول لها ولا قوة وماهذا إلا لسفه عقولهم .

---

(١) سورة الرعد الآيتين (٣٢ ، ٣٣) .

(٢) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٩ / ٥٥ .

(٣) انظر روح المعاني للألوسي ج٥ : ١٣/ ١٦٠ .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ج٧ : ١٠٧/١١،

وكذا الدر المنثور للسيوطي ج٤ /٦٥٦ ، وانظر البحر المحيط لأبي حيان ج٥ /٣٩٤ .

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ **وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ماجاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق** }[١] .

الالتفات في قوله تعالى: {**مالك من الله من ولي ولا واق**} في صيغة الغيبة التي يحملها لفظ الجلالة، وذلك بعد قوله تعالى : { **انزلناه**} بصيغة التكلم وكان مقتضى السياق - مالك منا - تمشيا مع سابقه ولكن مخالة الأسلوب إلى الغيبة أعطت أبعادا معنوية جليلة قال الزمخشري فيها: (كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أمور يوافقهم عليها: منها أن يصلي إلى قبلتهم بعد ماحوله الله عنها، فقيل له لئن تابعتهم على دين ماهو إلا أهواء وشبة بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة، فذلك الله فلا ينصرك ناصر وأهلكك فلايقيك منه واق. وهذا من باب الإلهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه، وأن لايزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة، وإلا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان)[٢] والالتفات من التكلم إلى الغيبة وإيراد الاسم الجليل لتربية المهابة[٣] في نفوس المؤمنين للحث على زيادة الحرص على عدم إتباع أهواء أعداء الاسلام والا فإن الله خصيم لهم بكل ماتحويه اللفظة الشريفة - الله - من أسماء له سبحانه وصفات وهنا يكون الزجر أبلغ لكافة المؤمنين. قال ابن كثير فيه - رحمه الله - وهذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبل أهل الضلالة بعد ماصاروا إليه من سلوك السنة النبوية والمحجة المحمدية على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام[٤] .

---

(١) سورة الرعد الآية (٣٧) .

(٢) انظر الكشاف ح١/ ٣٦٣ ، وكذا البحر المحيط ح٥ ص (٣٩٧) وكذا فتح القدير ح٣ / ٨٨ ، وكذا أنوار التنزيل للبيضاوي ص (٣٣٤) .

(٣) انظر ارشاد العقل السليم لأبي السعود ح٣ / ١٧١، وكذا روح المعاني للألوسي ح٥ : ١٣ /١٦٨ .

(٤) ح٢ / ٥١٩ .

(٤) ومنه في سورة الرعد المباركة قول الله تعالى :

{ **ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وماكان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب** }[١] .

الالتفات في قوله تعالى: {**إلا بإذن الله**} بصيغة الغيبة وهذا بعد قوله تعالى: {**ولقد أرسلنا**} بصيغة التكلم. وكان مقتضى السياق أن ترد الآية هكذا - إلا بإذننا - بدل قوله تعالى: {**إلا بإذن الله**} ولكن ظهور لفظ الجلالة هنا حقق أغراضا بلاغية منها الايماء إلى العلة[٢] في تعظيم شأن الآيات وإحالة حدوثها أو عدمه على من هو الله جلت قدرته وعظمت مكانته وتقدس سره وإبداعه ولم يكن لأي رسول أن (يأتي قومه بخارق إلا إذا أذن له فيه ليس ذلك إليه بل إلى الله عز وجل يفعل مايشاء ويحكم مايريد)[٣] وماكان له أن يأتي بخارقة إلا بإذن الله. ثم هو عبد الله، الله ربه، وإليه متابه ومآبه، وهو بشر من البشر يتزوج وينسل؛ ويزاول بشريته كاملة بكل مقتضيات البشرية؛ كما يزاول بعوديته لله كاملة بكل مقتضيات العبودية[٤] وظهور لفظ الجلالة مع كل هذه المعاني يزيد الموقف مهابة وإجلالا[٥] ويحقق الكثير الكثير مما يقصر عنه ضمير التكلم والله أعلم وأحكم .

---

(١) سورة الرعد : ٣٨ .

(٢) انظر ارشاد العقل السليم لأبي السعود ج٣ /١٧١.

وكذا تفسير روح المعاني للألوسي ج٥ : ١٣ /١٦٩.

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج٢ /٥٢٠ .

(٤) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب ج٥ /١١١ .

(٥) انظر البحر المحيط لأبي حيان ج٥ ص (٣٩٧) .

(٥) ومنه قول الله تعالى :

{ أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب }[١] .

الالتفات في قول الله تعالى : {**والله يحكم لامعقب لحكمه وهو سريع الحساب**} بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله تعالى: {**أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها**} بصيغة التكلم. وكان مقتضى السياق - ونحن نحكم - ولكنه آثر سبحانه صيغة الغيبة لحاجة المقام لظهور كلمة الله التي تدل على العظمة التي تتضاءل أمامها كل عظمة وهو يحكم على الأمور بحكمه (ليس أحد يتعقب حكمه فيرده، كما يتعقب أهل ادنيا بعضهم حكم بعض فيرده)[٢] وأنى له ذلك والله أحكم الحاكمين يحكم مايشاء كما يشاء وقد حكم لك ولأتباعك بالعز والإقبال وعلى أعدائك ومخالفيك بالقهر والإذلال حسبما يشاهده ذووا الأبصار[٣] .

وفي الالتفات من التكلم إلى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة إلى العلة مالا يخفى وهي جملة اعتراضية جيء بها لتأكيد فحوى ماتقدمها[٤] ولهذا ساغ تحول الضمير إلى الغيبة بعد أن كان مسار الآية التكلم .

---

(١) سورة الرعد : ٤١ .

(٢) انظر الدر المنثور للسيوطي ج٤/٦٦٧ .

وكذا البحر المحيط ج٥ / ٤٠٠ .

(٣) انظر روح المعاني للألوسي ج٥ : ١٧٤/١٣.

وكذا انظر فتح القدير للشوكاني ج٩٠/٣.

وكذا انظر أنوار التنزيل للبيضاوي ص (٣٣٤) .

(٤) انظر ارشاد العقل السليم لأبي السعود ج٣ / ١٧٣ .

وكذا تفسير الطبري جامع البيان ج٧ : ١١٦/١٣.

** سورة إبراهيم **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومما جاء من التكلم إلى الغيبة في هذه السورة المباركة قول الله تعالى :

{ **الر كتب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد** }[١] .

الالتفات في قوله تعالى: {**بإذن ربهم** } بصيغة الغيبة عنه سبحانه وذلك بعد قوله تعالى: {**كتاب أنزلناه**} بصيغة التكلم وكان مقتضى السياق - بإذننا - بدل (**بإذن الله**). (ولكن ناسب ذكر الرب هنا تنبيها على منة المالك وكونه ناظرا في حال عبيده)[٢] فهو الهادي لمن قدر له الهداية على يدي رسوله المبعوث عن أمره يهديهم[٣] { إلى صراط العزيز الحميد } بتيسيره وتوفيقه وللانباء عن كون ذلك منوطا بإقبالهم على الحق كما يفصح عنه قوله تعالى {**ويهدي إليه من أناب**} استعير له الاذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود وأضيف إلى ضميرهم اسم "الرب" المفصح عن التربية التي هي عبارة عن تبليغ الشيء إلى كماله المتوجه إليه وشمول الإذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه يدوركون الإنزال لإخراجهم جميعا وعدم تحقق الإذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند إلى سوء اختيارهم غير مخل بذلك[٤]. وقيل : (ربهم) للإشعار بالتربية واللطف والفضل وبأن الهداية لطف محض ، وفيه أن الكتاب والرسول والدعوة لاتجدي دون اذن الله تعالى[٥]. وهكذا ناسب الالتفات إلى الغيبة هذا المقام أشد مناسبة لحاجة المعنى كما وضحنا لكلمة (رب) .

---

(١) سورة ابراهيم الآية (١) ، (٢) انظر البحر المحيط ج٥ / ٤٠٣ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج٢ / ٥٢٣ ، (٤) انظر ارشاد العقل السليم ج٣ / ١٧٤ .

(٥) انظر روح المعاني ج٥ : ١٣ / ١٨٠ .

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم** }[١] .

الالتفات في قول الله تعالى : {**فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم**} بصيغة الغيبة عن الله عز وجل وهذا بعد قوله تعالى: { **وماأرسلنا** } بصيغة التكلم ولوسار الأسلوب على سياق سابقه لجاءت الآية - فنضلل من نشاء ونهدي من نشاء وأنا العزيز الحكيم ، ولكنه سبحانه وتعالى جاء بصيغة الغيبة لحاجة المقام إلى ظهور كلمة (**الله**) الاسم الجليل المنطوي على صفات الكمال لتفخيم شأن[٢] ذلك الضلال وتلك الهداية اللذين يتصدى الله سبحانه وتعالى لهما بأعظم أسمائه فالتوفيق والخذلان بيد الله فيخذل عن قبول ماأتاه به رسوله من عنده من شاء منهم ويوفق لقبوله من شاء[٣]. والبيان لايوجب حصول الهداية إلا إذا جعله الله سبحانه واسطة وسبباً وتقديم الإضلال على الهداية لأنه متقدم عليها، إذ هو إبقاء على الأصل والهداية إنشاء مالم يكن[٤]. ولهذا جاء الالتفات إلى الغيبة ليوضح عظم شأن الضلال فهو نقمة من الله - أعاذنا الله منها - وكذا عظم شأن الهداية فهي نعمة منه سبحانه توجب شكر واهبها والتذلل له سبحانه والدعاء الحثيث بدوامها فقد كان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من أكثر دعائه قوله: "يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"[٥] وهو من هو فما بالنا نحن وأين نحن منه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة ابراهيم الآية (٤) .

(٢) انظر ارشاد العقل السليم ج٣/ ١٧٧. وكذا روح المعاني ج٥ : ١٨٦/١٣ .

(٣) انظر جامع البيان للطبري ج٧ : ١٣ / ١٢١ . وكذا الدر المنثور للسيوطي ج٥/٥ .

(٤) انظر فتح القدير للشوكاني ج٣ /٩٤ .

(٥) انظرروح المعاني للالوسي ج ٥ : ٢٥٠/١٣

قد سبق ذكر هذا الحديث ص (٢٧٢)

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ ولقد أرسلنا موسى بآيتنا أن أخرج قومك من الظلمت إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيت لكل صبار شكور }[١] .

الالتفات في قول الله تعالى : {**بأيام الله**} بصيغة الغيبة وهذا بعد قوله تعالى : {**ولقد ارسلنا**} وكذا { بآياتنا } بصيغة التكلم وكان حق السياق مسايرة سابقه فتأتي الآية - بأيامنا- بدل {**أيام الله**} .

والالتفات من التكلم إلى الغيبة بإضافة الأيام إلى الاسم الجليل للإيذان بفخامة شأنها والإشعار بعدم اختصاص مافيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما توهمه الإضافة إلى ضمير المتكلم أي عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد[٢] وبذكر (ماسلف من نعمي عليهم في الأيام التي خلت.. لأنها أيام كانت معلومة عندهم أنعم الله عليهم فيها نعما جليلة كما جاء عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم {وذكرهم بأيام الله} قال نعم الله)[٣] عليهم في اخراجه إياهم من أسر فرعون وقهره وظلمه وغشمه وإنجائه إياهم من عدوهم وفلقه لهم البحر وتظليله إياهم الغمام وإنزاله عليهم المن والسلوى إلى غير ذلك من النعم[٤] فهل يناسب عظم هذه النعم التي هي منة منه - سبحانه وتعالى- عظيمة الشأن إلا لفظ الجلالة جل جلاله لهذا جاء الالتفات إلى الغيبة لحاجة المقام الماسة لهذا الاسم الجليل .

---

(١) سورة إبراهيم الآية (٥) .

(٢) انظر ارشاد العقل السليم لأبي السعود ج٣ / ١٧٨ .

(٣) انظر جامع البيان لابن جرير الطبري ج٧ : ١٣ / ١٢٢ - ١٢٣ .

وكذا روح المعاني للألوسي ج٥ : ١٣ / ١٨٧ .

وكذا البحر المحيط لأبي حيان التوحيدي ج٥ / ٤٠٦ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ج٢ / ٥٢٤ .

(٤) ومنه في نفس السورة المباركة قول الله تعالى:
{ **وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال * وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال** }[١] .

الالتفات في قول الله تعالى: {**وعند الله**} بصيغة الغيبة التي يحملها لفظ الجلالة وذلك بعد صيغة التكلم في قوله تعالى: { **كيف فعلنا**} وكذا في { **وضربنا**} . وكان مقتضى السياق - وعندنا - بدل قوله تعالى {**وعند الله**} ولكن صيغة الغيبة سوغت ظهور لفظ الجلالة الذي يدل على شدة التهديد والوعيد فمكرهم هذا مكتوب عند الله فهو يجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه[٢] فقد رأيتم وبلغكم ما أحللنا بالأمم المكذبة قبلكم ومع هذا لم يكن لكم فيهم معتبر ولم يكن فيما أوقعنا بهم لكم مزدجر[٣] ولذا فمكرهم هذا مكتوب عنده سبحانه فهو مجازيهم عليه أو عنده مايمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له[٤] وتسميته مكراً لكونه بمقابلة مكرهم وجوداً وذكراً أو لكونه في صورة المكر في الأتيان من حيث لايشعرون[٥] .

والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا فعلا مع تحقق مايوجب تركه[٦] وقد ظهر جرمهم هذا في أفظع صوره بظهور لفظ الجلالة في مقام مجازاتهم بجنس عملهم والرد عليهم بما يفوق مكرهم أضعافاً لا تقدر بقدر، وكيف لا وهو من عند الله. ولهذا جاء الالتفات ليدل على تلك المعاني وغيرها كثير والله أعلم وأحكم .

---

(١) سورة ابراهيم الآيتين (٤٥ ، ٤٦) .
(٢) انظر التفسير الكبير للرازي ج ١٩ / ١٤٤ .
(٣) انظر تفسير ابن كثير ج٢ / ٥٤٣ .
(٤) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ص (٣٤٣) .
(٥) انظر ارشاد العقل السليم لأبي السعود ج٣ / ٢٠٥ .
(٦) انظر روح المعاني للآلوسي ج٥ : ١٣ / ٢٥٠ .

سورة الحجر

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) قال الله تعالى:

{ **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين * وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم** }[١] .

الالتفات في قول الله تعالى: { **وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم**} لقد تكررت فيه صيغة الغيبة عنه سبحانه وذلك بعد صيغة التكلم في قوله تعالى: {**ولقد علمنا**}. وكان مقتضى السياق - وإنا - بدل قوله تعالى: {**وإن ربك**} ولكنه سبحانه جاء بصيغة الغيبة لأغراض بلاغية عظيمة لايتضح المعنى إلا بها أقربها ليكون الخطاب فيها لأول المخاطبين بالقرآن وسيد الأولين والآخرين محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم مناجاة له وتلطفا معه (يعني بذلك جل ثناؤه وإن ربك يامحمد هو يجمع جميع الأولين والآخرين عنده يوم القيامة أهل الطاعة منهم والمعصية وكل أحد من خلقه المستقدمين منهم والمستأخرين)[٢] وهو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع إفراط كثرتهم وتباعد أطراف عددهم[٣] . ومن تلك النكات البلاغية لخروج الأسلوب إلى صيغة الغيبة شدة تهويل ذلك المشهد المجموع له الأولون والآخرون، أخرج السيوطي عن ابن أبي حاتم عن السدي قوله: يحشر المستقدمين والمستأخرين[٤] . كما أن في الخروج إلى الغيبة تمهيدا مليحا لورود تلك الصفات الجليلة التي ذيلت بها الآية المباركة فهو {الحكيم} بالغ الحكمة متقن في أفعاله فانها عبارة عن العلم بحقائق الأشياء على ماهي عليه و الاتيان بالأفعال على ماينبغي

---

(١) سورة الحجر الآيتين (٢٤، ٢٥) .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ج٧: ١٤ / ١٩ .

(٣) انظر الكشاف للزمخشري ج٢ / ٣٩٠ .

(٤) انظر الدر المنثور ج٥ : ٥ / ٧٦ ، وكذا انظر البحر المحيط لأبى حيان ج٥ /٤٥١ .

{عليم} وسع علمه كل شيء. ولعل تقديم صفة الحكمة للإيذان باقتضائها للحشر والجزاء[1].

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{ وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل * إن ربك هو الخلاق العليم }[2].

الالتفات في قوله تعالى: **{إن ربك هو الخلاق العليم}** بصيغة الغيبة منه سبحانه وتعالى وذلك كما هو واضح بعد صيغة التكلم التي في قوله تعالى: **{ وماخلقنا }** وفي قوله جل ذكره: **{إن ربك هو الخلاق العليم}** تقرير للمعاد وأنه تعالى قادر على إقامة الساعة فإنه الخلاق الذي لايعجزه خلق شيء العليم بما تمزق من الأجساد وتفرق في سائر أقطار الأرض[3]. ولايفي بالمعنى هنا إلا كلمة "رب" فهو الخالق المبدع وأنت يامحمد أجل مخلوق والدليل عليه إضافة هذه الكلمة إلى ضميره صلى الله عليه وسلم بما فيها من شرف الخطاب مالايخفى أي **{إن ربك}** (الذي يبلغك إلى غاية الكمال {هو الخلاق} لك ولهم ولسائر الموجودات على الإطلاق {العليم} بأحوالك وأحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بأن تكل جميع الأمور إليه ليحكم بينكم أو هو الذى خلقكم وعلم تفاصيل أحوالكم)[4] لأنه ربكم جميعا لهذا تغير أسلوب الكلام إلى الغيبة حتى تظهر كلمة (رب) التي لاغنى لهذه المعاني عنها وكان الالتفات هو الأبلغ من مسايرة السياق السابق .

---

(١) انظر ارشاد العقل السليم لأبي السعود ح٣/٢٢٢ .وكذا روح المعاني ح٥ : ١٤ /٣٣ ..

وكذا انظر في ظلال القرآن لسيد قطب ح٥ : ٩٩١/١٤ .

(٢) سورة الحجر الآيتين (٨٥ ، ٨٦) .

(٣) لنظر تفسير ابن كثير ح٢ / ٥٥٧ .

(٤) انظر ارشاد العقل السليم ح٣ / ٢٣٧ .

وكذا روح المعاني للألوسي ح٥ : ١٤ / ٧٨ .وكذا الكشاف ح٢ / ٣٩٧ .

وكذا البحر المحيط ح٥ / ٤٦٥ . وكذا جامع البيان ح٧ : ١٤ / ٣٥ .

(٣) ومنه في نفس السورة المباركة قول الله تعالى :

{ إنا كفيناك المستهزئين * الذين يجعلون مع الله إلها ءاخر فسوف يعلمون }[١] .

الالتفات في قوله تعالى : {مع الله} بصيغة الغيبة وهذا بعد قوله تعالى: { كفيناك} بصيغة التكلم، وكان حق النظم استمرار هذه الصيغة لتأتي الآية - معنا - بدل قوله تعالى {مع الله} ولكن شتان بين هذا وذاك فظهور الاسم الجليل زاد الموقف مهابة وإعظاما واوضح فداحة جرمهم حيث أنهم اتخذوا مع {الله} بكل مايحمل هذا الاسم العظيم من معان اتخذوا مع الله آلهة أخرى افتراء منهم فجاءت هذه الآية وفيها (وعيد من الله تعالى ذكره وتهديد للمستهزئين الذين أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قد كفاه أمرهم بقوله تعالى ذكره إنا كفيناك يامحمد الساخرين منك الجاعلين مع الله شريكا في عبادته فسوف يعلمون مايلقون من عذاب الله عند مصيرهم إليه في القيامة ومايحل بهم من البلاء)[٢] وقد وصفهم سبحانه بذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهوينا للخطب عليه بإعلام أنهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام بل اجترءوا على العظيمة التي هي الإشراك بالله سبحانه {فسوف يعلمون} عاقبة مايأتون ويذرون[٣] وهكذا يأتي الالتفات إلى الغيبة ليظهر لفظ الجلالة لتلك الأغراض البلاغية سالفة الذكر .

---

(١) سورة الحجر الآيتين (٩٥، ٩٦) .

(٢) جامع البيان للطبري ج٧ : ١٤ / ٥١ .

(٣) انظر ارشاد العقل السليم لأبي السعود ج٣ / ٢٤٢ .

وكذا تفسير روح المعاني للألوسي ج٥: ١٤ / ٨٧ .

(٤) ومنه قول الله تعالى :

{ **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين** }[١] .

الالتفات في قول الله تعالى: {**بحمد ربك**} بصيغة الغيبة عنه سبحانه وتعالى وذلك بعد صيغة التكلم في قوله تعالى: {**ولقد نعلم**}. وكان مقتضى السياق وتمشيا مع سابقه - بحمدنا - ولكن حاجة المعنى لكلمة (رب) اقتضت هذا العدول إلى الغيبة وإسنادها إلى ضميره صلى الله عليه وسلم فيه مزيد لطف به ورأفة لتغسل مافي صدره من ضيق وحرج بموقف أولئك المشركين لأنه (لما ذكر تعالى أن قومه يهزأون ويسفهون ، أعلمه بما يعلمه سبحانه منه ، من ضيق صدره وانقباضه بما يقولون، لأن الجبلة البشرية والمزاج الإنساني يقتضي ذلك. ثم أعلمه بما يزيل ضيق الصدر والحزن. وذلك بما أمره من التسبيح والتحميد والصلاة)[٢] والثناء على ماأسدى اليه من نعمة النبوة والرسالة والتوحيد وغيرها من النعم فهذا في المعتقد والفعل القلبي وأمره بكونه من الساجدين والمراد والله أعلم من المصلين.... وهي أشرف أفعال الجسد وأقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد[٣] ولأن المقام فيه أمر بالعبادة ظهرت كلمة (رب) لتعليل طلب تلك العبادة وهذا ماسوغ الالتفات إلى الغيبة .

---

(١) سورة الحجر الآيتين (٩٧، ٩٨) .

(٢) انظر تفسير القاسمي محاسن التأويل ج١٠ / ٧٣ .

وانظر الدر المنثور ج٥ / ١٠٥ .

وكذا روح المعاني ج٥ : ١٤ / ٨٧ .

(٣) انظر البحر المحيط لأبي حيان ج٥ / ٤٧٠ .

** سورة النحل **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) وجاء في سورة النحل المباركة مواضع عدة من هذا اللون من الالتفات أولها قوله تعالى:

{ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين }[١] .

الالتفات في قوله تعالى : {الله} بصيغة الغيبة وكذا قوله: {**من هدى الله**} بنفس الصيغة وهذا بعد قوله تعالى:{ **بعثنا**} بصيغة التكلم فبعد أن أخبر سبحانه (أنه ما من أمة إلا وقد بعث فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذي هو الإيمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت)[٢] وذلك كله بنون العظمة عزز هذه النون بذكر الاسم الجليل في مجال العبادة فقال عز من قائل {أن اعبدوا الله} حجة دامغة على من صرف شيئاً منها لغير الله. وقد بلغ الرسل (مابعثوا به من الأمر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا - الامم - فمنهم {من هدى الله إلى الحق الذي هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي إلى تحصيله {ومنهم من حقت عليه الضلالة} أي وجبت وثبتت إلى حين الموت لعناده وإصراره عليها وعدم صرف قدرته إلى تحصيل الحق وتغيير الأسلوب - إلى الغيبة - للإشعار بأن ذلك لسوء اختيارهم)[٣] .

---

(١) سورة النحل الآية (٣٦) .

(٢) انظر الكشاف ج٢ / ٤٠٩ .

(٣) انظر ارشاد العقل السليم ج٣ / ٢٦٣ .

والالتفات الذي نوه به أبو السعود هو التفات من الخطاب في قوله تعالى: {أن اعبدوا} وكذا "اجتنبوا" الى الغيبة في قوله : (فمنهم)

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{ **وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون * وله مافي السموات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون** }[١] .

الالتفات في قوله تعالى: {**وله مافي السموات والأرض**} الى آخر الآية جاءت كلها بصيغة الغيبة عنه سبحانه، وذلك بعد ورود صيغة التكلم في قوله تعالى : { **فاياي**} وكان مقتضى السياق - ولي - بدل قوله تعالى: {**وله ...الخ**} .

قال فيه أبو حيان : (ثم التفت من التكلم إلى ضمير الغيبة فأخبر تعالى أن له مافي السموات والأرض لأنه لما كان هو الإله الواحد الواجب لذاته كان ماسواه موجودا بايجاده وخلقه)[٢] فكل ماسوى الحق محتاج في انقلابه من العدم إلى الوجود أو من الوجود إلى العدم إلى مرجح ومخصص[٣] وهذه الجملة مقررة لما تقدم في قوله {**ولله يسجد مافي السموات ومافي الأرض**} إلى آخره[٤] . فهذا العدول إلى الغيبة جاء ليحقق غرضا بلاغيا مهما وهو تخصيص الرهبة به تعالى وتقديم الظرف - له - لتقوية مافي اللام من معنى الاختصاص وكذا في قوله تعالى: {**وله الدين واصبا**}[٥] .

---

(١) سورة النحل الآيتين (٥١، ٥٢) .

(٢) انظر البحر المحيط ج٥ / ٥٠١ .

(٣) انظر التفسير الكبير ج٢٠ / ٥٠ .

وكذا انظر تفسير ابن كثير ج٢ / ٥٧٣ .

(٤) انظر فتح القدير للشوكاني ج٣ / ١٦٨ .

(٥) انظر ارشاد العقل السليم ج٣ / ٢٧١ .

في الآية الأولى التفات من الغيبة إلى التكلم درس في فصله ص (٢٩٧) .

* وقوله {لله يسجد مافي السموات ومافي الأرض} جزء من الآية (٤٩) في نفس السورة .

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ **ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون** }[١] .

الالتفات في قول الله تعالى : { **تالله** } بصيغة الغيبة عنه سبحانه وهذا بعد قوله تعالى: { **مما رزقناهم** }بصيغة التكلم. وهذا السؤال سؤال تقريع وتوبيخ[٢] من أنها آلهة حقيقة بالتقرب إليها وهو وعيد لهم عليه[٣] لأنه أقسم سبحانه بنفسه أنه يسألهم ، وهو تهديد منا شديد[٤] وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من التكلم إلى الغيبة في الغضب والوعيد الشديد ولهذا جاء الالتفات .

(٤) ومنه قوله الله تعالى :

{ **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون * والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون** }[٥] .

الالتفات في قوله تعالى : { **والله أنزل** } بصيغة الغيبة وهذه الغيبة بعد صيغة التكلم في قوله تعالى: { **وماأنزلنا** } وكان مقتضى الظاهر - وأنزلنا من السماء - بدل قوله تعالى: { **والله أنزل من السماء** } قال فيه ابن جرير - رحمه الله - (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزلنا يامحمد عليك كتابنا وبعثناك رسولا إلى خلقنا إلا لتبين لهم ما اختلفوا فيه من دين الله فتعرفهم الصواب منه والحق من الباطل وتقيم عليهم بالصواب منه حجة الله الذي بعثك بها)[٦] ثم قال ابن جرير الطبري : (فنبه خلقه على حججه عليهم في توحيده وأنه لاتنبغي الألوهية إلا له) ولا تصلح العبادة لشيء سواه

---

(١) سورة النحل الآية (٥٦) .

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني ج٣ / ١٧٠ .

(٣) انظر أنوار التنزيل للبيضاوي ص (٣٥٨) .

(٤) انظر التفسير الكبير ج٢٠ / ٥٤ .

(٥) سورة النحل الآيتين (٦٤، ٦٥) .

(٦) انظر جامع البيان ج٧ : ١٤ / ٨٨ ..

(أيها الناس معبودكم الذي له العبادة دون كل شيءأنزل من السماء ماء... فأنبت بما أنزل الارض التي لازرع بها ولاعشب... ولم تنبت بعدما هي ميتة إلا لشيء فيها)[١] وهو دليل واضح وحجة قاطعة على ألوهيته سبحانه. فظهور لفظ الجلالة هنا يناسب تلك الآيات العظيمات من إنزال الماء من السماء ومايتبعه من عظيم صنع الله كما أنه يرمي إلى نزع تلك العقائد الفاسدة التي أسندت هذا الفضل العظيم من الله إلى غيره تعالى الله علوا كبيرا عما يشركون من أنواء وأرواح وغيرها ولهذا كان الالتفات إلى الغيبة ليظهر به لفظ الجلالة هو الأنسب في هذا المقام .

(٥) ومنه قول الله تعالى :

{ ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبينا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين * إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاءى ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون }[٢] .

الالتفات في قول الله تعالى : {**إن الله يأمر**} بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة التكلم في قوله تعالى : {**ويوم نبعث**} وكذا في { **وجئنا**} وأيضا: { **ونزلنا**} جميعها بصيغة التكلم ثم خولفت هذه الصيغة عند الالتفات إلى الغيبة في {إن الله يأمر} وكان مقتضى السياق - إنا نأمر - ولكنه سبحانه أثر ظهور لفظ الجلالة في هذا المقام ولما ذكر سبحانه إن القرآن تبيان كل شيء ذكر عقبه آية جامعة لأصول التكليف كلها تصديقا لذلك فقال : {**إن الله يأمر بالعدل والاحسان**} فيقول تعالى ذكره إن الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله إليك

---

(١) انظر جامع البيان لابن جرير الطبري ح٧ : ١٤ / ٨٨ .

انظر تفسير الآيتين في روح المعاني ح٥ : ١٤ / ١٧٤ .

(٢) النحل الآيتين (٨٩ ، ٩٠) .

يامحمد بالعدل وهو الإنصاف. ومن الإنصاف الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته والشكر له على أفضاله وتولى الحمد أهله وإذا كان ذلك هو العدل ولم يكن للأوثان والأصنام عندنا يد تستحق الحمد عليها كان جهلا بنا حمدها وعبادتها وهي لا تنعم فتشكر ولاتنفع فتعبد فلزمنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له[٢] ولذلك قال من قال العدل في هذا الموضع شهادة أن لا إله إلا الله[٣]. وخير مايمثل هذه الشهادة اسم الله الأعظم الجامع لأسمائه وصفاته (الله) ولهذا جاء الالتفات من التكلم إلى الغيبة .

(٦) ومنه قول الله تعالى :

{ وإذا بدلنا ءاية مكان ءاية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون }[٤].

الالتفات في قوله تعالى : **{والله اعلم بما ينزل}** بصيغة الغيبة وذلك بعد صيغة التكلم في قوله تعالى: **{وإذا بدلنا}** وكان حق ظاهر السياق - ونحن أعلم - أو : وأنا أعلم ، أو نحو ذلك ولكنه سبحانه أظهر لفظ الجلالة لتتحقق به أغراض بلاغية كثيرة منها تذكيرهم بأنه الله الإله الحق الذي لامعقب لحكمه خصوصا وأن مشركي قريش كانوا يقرون بتوحيد الألوهية لله سبحانه فا(الله أعلم بالذي هو أصلح لخلقه فيما يبدل ويغير من أحكام)[٥] أولا وآخرا وبأن كلا من

---

(١) انظر فتح القدير للشوكاني ج٣ / ١٨٧ .

(٢) انظر جامع البيان ج٧ : ١٤ / ١٠٨ - ١٠٩ .

(٣) انظر الدر المنثور ج٥ / ١٦٠ .

وكذا المحرر الوجيز لابن عطية ج٣ / ٤١٦ .

(٤) سورة النحل الآية (١٠١) .

(٥) انظر جامع البيان للطبري ج٧ : ١٤ / ١١٨ ، وكذا ابن كثير ٢ /٥٨٧ .

ذلك مانزلت حيثما نزلت إلا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فإن كل وقت له مقتضى غير مقتضى الآخر فكم من مصلحة في وقت تنقلب في وقت آخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الأمور الداعية إلى ذلك وما الشرائع الا مصالح للعباد في المعاش والمعاد تدور حسبما تدور المصالح. والجملة إما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رأيهم، وفي الالتفات إلى الغيبة مع إسناد الخبر الى الاسم الجليل المستجمع للصفات مالا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض[١] .

---

(١) انظر ارشاد العقل السليم لأبي السعود ج٣ / ٢٩٢ /٢٩٣ .
وكذا روح المعاني للألوسي ج٥ : ١٤ / ٢٣١ .

سورة الاسراء

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومما جاء من هذا اللون من الالتفات قول الله تعالى :
{ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من ءايتنا إنه هو السميع البصير }[١].

الالتفات في قوله تعالى : {**إنه هو السميع البصير**} بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله تعالى: {**باركنا حوله لنريه من آياتنا**} ولكنه أتى سبحانه بصيغة الغيبة لمناسبتها للمقام وخروجها بأغراض بلاغية جميلة. قال سبحانه: {**إنه هو السميع البصير**} أي إن الذي أسرى بعبده هو السميع لأقوال محمد - صلى الله عليه وسلم - البصير بأفعاله، العالم بكونها مهذبة خالصة عن شوائب الرياء، مقرونة بالصدق والصفاء، فلهذا السبب خصه الله تعالى بهذه الكرامات، وقيل: المراد سميع لما يقولون للرسول في هذا الأمر، بصير بما يعملون في هذه الواقعة[٢] . ولقد تصرف الكلام - في الآية المباركة - على لفظ الغائب والمتكلم، فقيل: أسرى به ، ثم باركنا ليريه على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم إنه هو، وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة[٣] وهي هنا لتربية المهابة[٤] وإدخال الروع في قلوب المخاطبين بالقرآن الكريم فقال سبحانه: {إنه هو} عطفا على {أسرى} وذلك موضع متوسط الصفة، لأن السمع والبصر صفتان يشاركه فيهما غيره ؛ وتلك حال متوسطة ؛ فخرج بهما عن خطاب العظيم في نفسه إلى خطاب غائب[٥] فدل ماسبق على أن الالتفات إلى الغيبة

---

(١) سورة الاسراء الآية (١) .
(٢) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٠ /١٤٧ ، وكذا تفسير المحرر الوجيز لابن عطية ج٣ / ٤٣٦ .
(٣) انظر الكشاف ج٢ / ٤٣٧ .
(٤) انظر ارشاد العقل السليم ج٣ / ٣٠٩ .
(٥) انظر المثل السائر لابن الأثير ج٢ / ١٧٢ .
في الآية المباركة التفات أخر من الغيبة إلى التكلم درس في فصله ص (٤٠٥).

هنا هو الأبلغ لجريان تلك الصفات التي لاغنى عنها في هذا المقام والله أعلم وأحكم .

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{ وجعلنا اليل والنهار ءايتين فمحونا ءاية اليل وجعلنا ءاية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا }[1] .

الالتفات المقصود هنا في قوله تعالى : {**من ربكم**} بصيغة الغيبة عن الله سبحانه وتعالى وذلك بعد قوله تعالى: { **وجعلنا**} وكذا { **فمحونا**}، وأيضا { **وجعلنا** } بصيغة التكلم ، وكان مقتضى السياق - لتبتغوا فضلا منا - بدل قوله تعالى {**من ربكم**} فما هي القيمة البلاغية التي اقتضت هذا العدول؟ .

عندما ذكر سبحانه تعليل وجود هذه الآيات التي تدل دلالة قاطعة على وجوده سبحانه وتعالى ذكرهم بأنه ربهم الذي تفضل عليهم بكل هذا الوجود ومافيه {لتبتغوا فضلا من ربكم} أي في معايشكم وأسفاركم[2] ولتتوصلوا ببياض النهار إلى استبانة أعمالكم والتصرف فيها[3] لتكون تلك الآيات علامات مبصرة تدل العباد إلى الواحد المعبود وترشدهم إلى الطريق الحق المستقيم وهو توحيده سبحانه دون سواه ليسير الركب إلى بر الأمان جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وذرياتهم فضلا من ربكم ولمثل هذا يأتي الالتفات ليحقق في الذهن أبعادا جديدة من تلك المعاني العظام .

---

(١) سورة الاسراء الآيتين (١٢) .

(٢) انظر ابن كثير ج٣ / ٢٧ وكذا النهر الماد من البحر لأبي حيان بهامش البحر ج١٢/٦ .

(٣) انظر الكشاف ج٢ / ٤٤٠ .

انظر تفسير الآية في الدر النثير ج٢٤٧/٥ .

وكذا فتح القدير للشوكاني ج٢١٢/٣ .

في الآية التفات آخر من الغيبة إلى التكلم درس في فصله ص (٤٠٨).

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ **وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيراً** }[١] .

الالتفات في قول الله تعالى : {**وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا**} بصيغة الغيبة وهذه الغيبة أتت بعد صيغة التكلم في قوله تعالى: {**وكم اهلكنا**} ولو ساير الأسلوب سابقه لجاء هذا المقطع - وكفى بنا - بدل {**وكفى بربك**} ولكنه الالتفات ذلك الأسلوب البلاغي الجميل الذي يعمد إلى إظهار بعض الكلمات ليؤصل في النفس معاني لاتتأتى إلا بها. قال ابن عطية: (وهذه الباء إنما تجيء في الأغلب في مدح أو ذم وكأنها تعطي معنى اكتف بربك أي ماأكفاه في هذا)[٢] . ولإظهار صفة المدح تغير الأسلوب كعادته إلى الغيبة حيث لايساغ مدح المتكلم نفسه - ولله المثل الأعلى - وإنما إذا مدح الغائب كان مدحه أقوى أثرا في النفس وأدعى للقبول عند السامعين . ثم لنلمس لطيفة أخرى لهذا الالتفات وهي حاجة المعنى لظهور كلمة - رب - إشارة منه سبحانه للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته بأن من هذه صفاته هو ربكم الذي سبقت رحمته غضبه وهو المتلطف بكم في كل حين. وإحدى حاجات هذا الالتفات البلاغية ظهور كاف الخطاب التي وجهت للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن بعده كل فرد في أمته لتثير فيهم بواعث دفينة تحرك سواكن النفوس وتبعث فيها لحنا شجيا يجذبها إلى هذا الأسلوب العظيم ومافيه من معاني لاتنقطع فوائدها، ومن تلك الفوائد بأن الله سبحانه يحيط بظواهر ذنوبهم وبواطنها فيعاقب عليها[٣] إن أراد سبحانه ويعفو عن كثير .

---

(١) سورة الاسراء الآية (١٧) .

(٢) انظر المحرر الوجيز ج٣ / ٤٤٥ .

وكذا انظر البحر المحيط لأبي حيان ج٦ / ٢٠ .

(٣) انظر ارشاد العقل السليم لأبي السعود ج٣ / ٢١٧ .

وكذا روح المعاني للألوسي م٥ : ١٥ / ٤٥ .

(٤) ومن هذا القبيل قول الله تعالى :

{ كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وماكان عطاء ربك محظورا }[١] .

الالتفات في قوله تعالى: {**من عطاء ربك وماكان عطاء ربك محظورا**}[١] بصيغة الغيبة التي أتت بعد ظهور ضمير المتكلم في قوله تعالى : {**نمد**} وكان حق هذا استمرار صيغة التكلم لتظهر الآية بهذا الشكل - من عطائنا - بدل قوله تعالى {**من عطاء ربك**} ولكنه يقول سبحانه: (يمد ربك يامحمد كلا الفريقين من مريدي العاجلة ومريدي الآخرة الساعي لها سعيها وهو مؤمن في هذه الدنيا من عطائه فيرزقهما جميعا من رزقه إلى بلوغهما الأمد واستيفائهما الأجل ماكتب لهما، ثم تختلف بهما الأحوال بعد الممات، وتفترق بهما بعد الورود المصادر، ففريق مريدي العاجلة إلى جهنم مصدرهم، وفريق مريدي الآخرة إلى الجنة مآبهم، وماكان عطاء ربك محظورا)[٢] .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر، عن ابن عباس رضي الله عنهما {**كلا نمد**} الآية قال: نرزق من أراد الدنيا، ونرزق من أراد الآخرة. وعن ابن زيد رضي الله عنه قال: هؤلاء أصحاب الدنيا، وهؤلاء أصحاب الآخرة[٣] . أي هو المتصرف الحاكم الذي لايجور فيعطي كلا مايستحقه من السعادة والشقاوة فلا راد لحكمه ولا مانع لما أعطى ولا مغير لما أراد[٤] فرزقه في الدنيا لايضيق عن مؤمن ولا كافر[٥] ولهذا ظهر ضمير الخطاب في صيغة الغيبة هذه ليتسع المقام ويضم كل تلك المعاني المتولدة عنهما ومن أبرزها أن ذلك العطاء بمحض التفضل[٦] منه جل جلاله .

---

(١) سورة الاسراء الآية (٢٠) .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ج٨ : ١٥ / ٤٥ .

(٣) انظر الدر المنثور ج٥ / ٢٥٦ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ج٣ / ٣٤ .

(٥) انظر المحرر الوجيز ج٣ / ٤٤٦ .

(٦) انظر فتح القدير ج٣ / ٢١٧ .

(٥) ومنه قول الله تعالى :

{ وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وماجعلنا الرءيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا }[١].

الالتفات في قوله تعالى : {**إن ربك أحاط بالناس**} بصيغة الغيبة التي جاءت خلاف سابقها في قوله تعالى: {**وإذ قلنا**} بصيغة التكلم ولو سارت الآية على صيغة التكلم جميعها لكانت - إننا أحطنا - أو نحو ذلك ونكتته البلاغية مماثلة للموضع السابق عند قوله تعالى: {**من عطاء ربك**} وقد تكرر هذا كثيرا في القرآن الكريم لنفس الأغراض السابقة الذكر أو قريبة منها، أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد في الآية قال: فهم في قبضته[٢] لايقدرون على الخروج من مشيئته ونحن مانعوك منهم فلا تتهيب[٣] .

(٦) ومنه قول الله تعالى :

{ وإذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال ءأسجد لمن خلقت طينا قال أرءيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيمة لأحتنكن ذريته إلا قليلا*قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءا موفورا }[٤].

الالتفات في قوله تعالى : {**قال اذهب**} بصيغة الغيبة عنه سبحانه وكان حق السياق - قلنا اذهب -بدل قوله تعالى { **قال اذهب**} ونكتته البلاغية في أن الغيبة هنا تتناسب مع الاقلاء والطرد والابعاد عن رحمة الله لأنه (يقول تعالى ذكره قال الله لابليس إذ قال له لئن أخرتن إلى يوم القيامة لاحتنكن ذريته إلا قليلا اذهب فقد أخرتك

---

(١) سورة الاسراء الآية (٦٠) .
انظر تفسير الآية في المحرر الوجيز لابن عطية ج٣/٤٦٧/٤٦٨ . وكذا في ابن كثير ج٣ / ٤٩ .

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني ج٣/٢٣٩ .
وانظر روح المعاني ج٥: ١٥/١٠٥ ومابعدها .

(٣) انظر جامع البيان للطبري ج٨ : ١٥/٧٥ .

(٤) سورة الاسراء الآيات (٦١ ، ٦٢ ، ٦٣) .

فمن تبعك منهم - يعني من ذرية آدم عليه السلام - فأطاعك فان جهنم جزاؤك وجزاؤهم.. على معصيتى وثوابهم على اتباعهم إياك وخلافهم أمري.. ثوابا مكثورا مكملا)[١].

اضف إلى معنى الابعاد والطرد الذي دل عليهما أسلوب الغائب ان هذا الاسلوب يفيد الحكاية وقصة اللعين أكبر عظة تروى للعباد ليعلموا عاقبة من لحقته الأنفة، والكبر، وكان أصل ذلك الحسد، ولذلك قيل: إن أول ماعصى الله بالحسد، وظهر ذلك من إبليس من قوله[٢] {أرأيتك هذا الذي كرمت علي} إذن الحسد الداء الأزلي الذي ضرب على إبليس اللغنة وأخرج أبانا آدم من الجنة وحدا بالعاصين بألا يتبعوا المرسلين وهي حكاية لانهاية لها قد أبرز مراميها هذا الالتفات العجيب .

(٧) ومنه قول الحق تبارك وتعالى :

{ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا }[٣] .

الالتفات في قوله تعالى : {وكفى بربك} بصيغة الغيبة التي أتت بعد صيغة التكلم في قوله تعالى: {إن عبادي} . وقد مر مثل هذا سابقا[٤] ولذا لايحسن تكراره هنا ولكن لنقف وقفة قصيرة مع بعض المفسرين : يقول أحدهم : (والخطاب في هذه الجملة قيل للشيطان كما في الجملة السابقة)[٥] . وقال آخر : (والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي مع الاضافة إلى ضمير إبليس للإشعار بكيفية كفايته تعالى لهم أعني سلب قدرته على إغوائهم)[٦] .

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ج٨ : ٨٠/١٥ .

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ج٤٦٩/٣ .وانظر البحر المحيط ج٦ / ٥٨ . وكذا ارشاد العقل السليم لأبي السعود ج٢٤٠/٣ .وكذا روح المعاني ج٥ : ١١٠/١٥ .

(٣) سورة الاسراء الآية (٦٥) .

(٤) الآية (١٧) من السورة نفسها ص (٣١٤).

(٥) انظر روح المعاني للألوسي ج٥: ١٥ / ١١٣ .

(٦) انظر ارشاد العقل السليم ج٣ / ٣٤١ .

وكذا البحر المحيط ج٥٩/٦.

(٨) ومنه قول الله تعالى :

{ **ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا نجد لك به علينا وكيلا * إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا** }[١] .

الالتفات في قوله تعالى : {**إلا رحمة من ربك إن فضله**} بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله تعالى : {**ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا**} بصيغة التكلم وكان مقتضى السياق - إلا رحمة منا - بدل قوله تعالى: {**إلا رحمة من ربك**} وهو امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنه العظيمة في تنزيله وتحفيظه، فعلى كل ذي علم أن لايغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما، وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في الصدور، ومنته عليه في بقاء المحفوظ[٢] وتفضلا منه عليك أن فضله كان عليك كبيرا باصطفائه إياك لرسالته وإنزاله عليك كتابه وسائر نعمه التي لا تحصى[٣] . وهذه الرحمة والتمن واللطف مع النبي صلى الله عليه وسلم لتخفف من شدة الآية التي قبلها في قوله تعالى : {**ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا نجد لك به علينا وكيلا**} وقد روى السيوطي في الدر عن النبي صلى الله عليه وسلم عندما تلا على وفد اليمن سورة الصافات حتى انتهى إلى قوله {**فأتبعه شهاب ثاقب**}[٤] فانه لساكن ماينبض منه عرق، وإن دموعه لتسبقه إلى لحيته، فقالوا له: إنا نراك تبكي..! أمن خوف الذي بعثك تبكي!؟ قال: بل من خوف الذي بعثني أبكي، إنه بعثني على طريق مثل حد السيف، إن زغت عنه هلكت. ثم قرأ[٥] {**ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا نجدلك به عليناوكيلا**}الآية،وتخفيفامن عبء هذا العتاب الرباني جاء هذا الاستثناء ولفظة الرب مضافة إلى ضميره عليه السلام فكان الالتفات إلى الغيبة لعلة ظهورهذه الكلمة وهذا الضمير هو الأولى

---

(١) سورة الاسراء الآيتين (٨٦ ، ٨٧) (٢) انظر الكشاف ج٢ / ٤٦٤ ، ٤٦٥ .وكذا انظر تفسير القاسمي ج٢٩٦/١٠ .

(٣) انظر جامع البيان ج٨ : ١٥ / ١٠٦ . (٤) سورة الصافات الآية (١٠) .

(٥) انظر الدر المنثور ج ٣٢٤/٥. وفي قوله عله السلام :بل من خوف ... ، استعمال شاذ للفظة (بل) حيث انها تستعمل عادة للإضراب و هنا استعملت للتوكيد.

سورة الكهف

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومما جاء في هذه السورة المباركة من الالتفات من التكلم إلى الغيبة قول الله تعالى :

{ وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا }[1] .

الالتفات في الآية الكريمة في قوله تعالى: **{أن وعد الله حق}** بصيغة الغيبة في لفظ الجلالة وهذه الغيبة جاءت بعد صيغة التكلم في قول الحق تعالى ذكره: { أعثرنا} وكان مقتضى الظاهر - وعدنا - باستمرار صيغة التكلم ولكن لظهور لفظ الجلالة مغزى بلاغي مهم وهو توثيق الوعد وبيان مكانته وعظم شأنه فإنه وعد الله ولفظ الجلالة العلم على أسمائه وصفاته معروف لدى خلقه أجمعين الموحدين منهم والمشركين لذلك ظهر الالتفات إلى الغيبة لحاجة المقام إلى لفظ الجلالة (فيعلموا أن وعد الله حق ويوقنوا أن الساعة آتية لاريب فيها)[2] فإن من شاهد أنه جل وعلا توفى نفوسهم وأمسكها ثلثمائة سنة وأكثر حافظا أبدانها من التحلل والتفتت ثم أرسلها إليها لايبقى له شائبة شك في أن وعده تعالى حق وأنه يبعث من في القبور فيرد إليهم أرواحهم فيحاسبهم ويجزيهم بحسب أعمالهم[3] وهذه المعاني العظام لايظهرها إلا الاسم الجليل ولهذا جاء الالتفات إلى الغيبة بعد التكلم السابق .

---

(١) سورة الكهف الآية (٢١) .

(٢) انظر جامع البيان ح٨ : ١٤٩/١٥ ،
وكذا التفسير الكبير للرازي ح١٠٤/٢١ / ١٠٥ .

(٣) انظر ارشاد العقل السليم لأبي السعود ح٣ / ٣٧٢ .

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الريح وكان الله على كل شيء مقتدرا }[١] .

الالتفات في قوله تعالى { **وكان الله على كل شيء مقتدرا**} بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله تعالى: {**كماء أنزلناه من السماء**} بصيغة التكلم وكان حق السياق استمرار صيغة التكلم فيأتي هذا المقطع - وكنا - بدل قوله تعالى {**وكان الله** } ولو وقفنا مع تفسير هذه الآية المباركة برهة لاستشعرنا حلاوة هذا الالتفات البليغ (يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، أصلا، ولمن قام بوراثته بعده تبعا: اضرب للناس مثل الحياة الدنيا، ليتصوروها حق التصور، ويعرفوا ظاهرها وباطنها، فيقيسوا بينها وبين الدار الباقية، ويؤثروا أيهما أولى بالإيثار)[٢] . هذه الحياة (كمطر أنزلناه من السماء إلى الأرض فاختلط به نبات الأرض... فأصبح نبات الأرض يابسا متفتتا تذروه الرياح تطيره وتفرقه)[٣] (هذا المشهد يعرض قصيرا خاطفا ليلقى في النفس ظل الفناء والزوال. فالماء ينزل من السماء فلايجري ولايسيل ولكن يختلط به نبات الأرض. والنبات لاينمو ولاينضج، ولكنه يصبح هشيما تذروه الرياح. ومابين ثلاث جمل قصار، ينتهي شريط الحياة... فما أقصرها حياة! وما أهونها حياة!)[٤] . مقابل هذا المشهد يظهر لفظ الجلالة مع صفة كمال الاقتدار لزيادة المهابة والإجلال وإدخال الورع في النفوس بالمقارنة مابين تلك الدنيا الفانية والعودة إلى الله القادر وماعنده من نعم لا تغيب ولا تتلاشى ولا تمل. فما من شيء من الأشياء إلا والله قادرسبحانه عليه(ومن جملتها الانشاء والافناء)[٥] ولهذا جاء الالتفات حتى يظهر الاسم الجليل الذي ليس للمقام غنى عنه .

---

(١) سورة الكهف الآية (٤٥) . (٢) انظر تفسير السعدي ج٣ / ١٦١.

(٣) انظر جامع البيان للطبري ج٨ : ١٥ / ١٦٤ . (٤) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب ج٥ /٧ ٣٨ ، ٣٨٨ .

(٥) انظر ارشاد العقل السليم ج٣ /٣٨٣ وكذا روح المعاني ج٥ : ١٥ / ٢٨٥ ومابعدها .

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ويوم نسيّر الجبال وترى الأرض بارزة وحشرنهم فلم نغادر منهم أحدا * وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألّن نجعل لكم موعدا }[١] .

الالتفات في قوله تعالى : {**على ربك**} بصيغة الغيبة عنه سبحانه وتعالى وهذا بعد قوله تعالى : {**ويوم نسير الجبال**} وكذا قوله عز من قائل {**وحشرناهم فلم نغادر**} بصيغة التكلم وكان حق مسايرة النظم - وعرضوا علينا - بدل قوله جل ذكره : {**وعرضوا على ربك**} يقول الحق عز ذكره (وعرض الخلق على ربك يامحمد صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة... يقال لهم إذ عرضوا على الله لقد جئتمونا أيها الناس أحياء كهيئتكم حين خلقناكم أول مرة "بل زعمتم أن لن نجعل لكم البعث بعد الممات... وإن ذلك إنما يقال لمن كان في الدنيا مكذبا بالبعث وقيام الساعة)[٢] . فشبه المولى القدير (حالهم بحال جند عرضوا على السلطان ليأمر فيهم بما يأمر وفي الالتفات إلى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة إلى ضميره عليه السلام من تربية المهامة والجري على سنن الكبرياء وإظهار اللطف به عليه السلام مالا يخفى)[٣] . وقيل في قوله تعالى : {عرضوا على ربك} إشارة إلى غضب الله تعالى عليهم وطردهم عن ديوان القبول بعد جريهم على معرفتهم لربوبيته عز وجل[٤] وهكذا يأتي الالتفات ليدل على معاني جمة أبعد مرمى في نفس المتلقي ليمثل أحد وجوه الإعجاز القرآني .

---

(١) سورة الكهف الآيتين (٤٧ ، ٤٨) .

(٢) انظر جامع البيان للبري ح٨ : ١٥ / ١٦٨ .

(٣) انظر ارشاد العقل السليم لأبي السعود ح٣ / ٣٨٥ .

(٤) انظر روح المعاني ح٥ : ١٥ / ٢٨٩ .

(٤) ومنه في هذه السورة المباركة قول الله تعالى :
{ **وإذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظلمين بدلا** }[١]

في الآية الكريمة لونان من الالتفات. مايعنينا هنا في قوله تعالى: {**ففسق عن أمر ربه**} في كلمة {**ربه**} وذلك بعد صيغة التكلم تمشيا مع قوله تعالى : {**قلنا**} ولكنه سبحانه أتى بصيغة الغيبة لحاجة المقام لكلمة {**رب**} التي تعطي للمتأمل أبشع صورة لفسق هذا الفاسق اللعين الذي خرج عن طاعة الله[٢] بترك السجود[٣] وعدل عنه ومال[٤] إلى الكبر بدافع الحسد لآدم وذريته ولهذا الفعل الشنيع من ابليس قلاه الله عن رحمته بطرده من الجنة وجعل قصته حكاية تروى ليتعظ منها الخلق أجميعن ولهذا عدل بالأسلوب من التكلم إلى الغيبة والله أعلم وأحكم .

(5) ومنه قوله الله تعالى :(**ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شئ جدلاً. وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلاً**)[٥]

(٦) ومنه قوله تعالي:(**ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذنهم وقراً وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً . وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً**)[٦]

---

(١) سورة الكهف الآية (٥٠) .
(٢) تفسير ابن كثير ج٣ /٩٠ .وكذا المحرر الوجيز لابن عطية ج٣ / ٥٢٢ .وكذا فتح القدير للشوكاني ج٣ / ٢٩٢ .
(٣) انظر أنوار التنزيل للبيضاوي ص (٣٩٤) . وكذا الكشاف ج٢ / ٤٨٨ ، وكذا البحر المحيط ج٦ / ١٣٦ .
(٤) انظر جامع البيان للطبري ج٨ : ١٥ / ١٧٠ ، وكذا تفسير السعدي ج٣ / ١٦٤ .
في الآية المباركة التفات أخرى ، انظر ص ١٩٩ و ص ٤١٦
(٥) سورة الكهف الآية (٥٤-٥٥) .
(٦) سورة الكهف الآية (٥٧-٥٨) .

و مما جاء من هذا اللون في سورة الكهف الآية ٩٦ و كذا (١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥).

الفصل الرابع

الالتفات من الغيبة إلى التكلم

** سورة البقرة **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) أول مواضع الالتفات من الغيبة إلى التكلم فى القرآن الكريم جاء فى سورة البقرة فى قول الله تعالى :

{ يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون * وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين }[1] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **مما نزلنا على عبدنا** } بصيغة التكلم { لأنه انتقال من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم لأن قبله (اعبدوا ربكم)و(فلا تجعلوا لله أنداداً) فلو جرى الكلام على هذا السياق لكان مما نزل على عبده لكن فى هذا الالتفات من التفخيم للمنزل والمنزل عليه ما لا يؤديه ضمير غائب لا سيما كونه أتى (بنا) المشعرة بالتعظيم التام وتفخيم الأمر[2] (كأنه قيل إن ارتبتم فى شأن ما نزلناه على مهلٍ وتدريج فهاتوا أنتم مثل نوبه[3] فذة من نوبة ونجم فرد من نجومه فإنه أيسر عليكم من أن ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون فى التبكيت وإزاحة العلل)[4] ولهذا عدل بالأسلوب من الغيبة إلى التكلم علواً لشأن بلاغة الكلام وتحقيقاً لتلك المقاصد العظام .

---

(١) سورة البقرة الآيات (٢١ ، ٢٢ ، ٢٣) .

(٢) انظر البحر المحيط لأبى حيان ح١ ص (١٠٣) .

(٣) نوبة : من نوب : ناب الأمر نوباً : نزل انظر اللسان مادة نوب .

(٤) انظر تفسير أبى السعود ح١ ص (٧٨) .

(٢) ومما جاء من الالتفات من الغيبة إلى التكلم فى سورة البقرة الآية الرابعة والثلاثون ، حيث جرت الآيات السابقات بصيغة الغيبة عنه سبحانه وتعالى إبتداء من قوله تعالى :

{ **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ...** } إلى قوله تعالى : { **وعلم آدم الأسماء كلها ..** } أربع آيات[1] محكمات كلهن بصيغة الغيبة ثم تغيّر الأسلوب إلى صيغة التكلم فى قوله تعالى : { **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** } .

وتغير الأسلوب بهذا الالتفات فيه مغزي بلاغي دقيق ففي قوله تعالى : { **وإذ قال ربك** } حيث خلق آدم عليه السلام وإستخلافه فى الأرض مدعاة لذكر الربوبيه مضافه إلى ضمير أحب خلفاء فى الارض (محمد صلى الله عليه وسلم) ومع السجود أتى ضمير العظمة فى قوله تعالى : { **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ...** } لأن السجود أمر فيه تعظيم للمسجود له فلما أمر سبحانه بفعله لغيره جل شأنه أشار إلى كبريائه الغنية عن التعظيم[2] فأتى الالتفات إلى التكلم لغرض إظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تأكيد الإستقلال بهذا الأمر لآدم عليه السلام ليس غير بعد الله سبحانه وتعالى

---

(١) سورة البقرة الآيات من (٣١ إلى ٣٤) .

(٢) روح المعانى ج١ ص (٢٢٩) .

وكذا تفسير أبى السعود ح١ ص (١٠٧) .

وكذا تفسير النسفي ح١ ص (٤١) وما بعدها .

وكذا صفوة التفاسير القسم الأول ص (٣٧) .

وجاء فى تفسير ابن عطية ح١ ص (١٢٤) : والسجود فى كلام العرب الخضوع والتذلل ومنه قول الشاعر (زيد الخيل) : (ترى الاكم فيه سجداً للحوافر) وغايتة وضع الوجه بالأرض ، والجمهور على ان سجود الملائكة لآدم إيماء وخضوع ، ذكره النقاش وغيره ، ولاتدفع الآية ان يكونوا بلغوا غاية السجود .

وقد أتى هذا الأمر بخلاف الاصل الذي عليه مخلوقات الله سبحانه وتعالى فالمتعارف بينهم أن السجود هو تعظيم لله وحده فكونه سبحانه أمرهم به لغيره جل شأنه دل على تكريم هذا المخلوق على سائر خلقه هبة منه جل شأنه لهذا العبد - عليه السلام - لعلمه السابق أنه يستحق هذه المنزلة الرفيعة الشأن .

(٣) ومنه قول الحق تبارك وتعالى :

{ **قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** }[١] وهذا بعد قوله تعالى : { **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم** }[٢] .

موضع الالتفات فى قوله تعالى : { **قلنا** } بأسلوب التكلم بعد أسلوب الغيبة فى قوله تعالى : { **فتلقى آدم من ربه** } . وعظمته تكمن فى التعبير بقرب هذا العبد الآيب إلى جوار ربه فخاطبه سبحانه خطاباً مباشراً تأكيداً على قبول توبته وإسباغ نعمة المغفرة والرحمة عليه وعلو شأنه بهما قال فى ذلك أحد المفسرين : ({ قلنا } استئناف مبني على سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا وقع بعد قبول توبته فقيل : { قلنا اهبطوا منها جميعاً } كرر الأمر بالهبوط إيذاناً بتحتم مقتضاه وتحقيقه لا محاله ودفعاً لما عسى أن يقع فى أمنيته عليه السلام من استتباع قبول التويه للعفو عن ذلك اظهاراً للنوع ، رأفة به عليه السلام لما بين الأمرين من الفرق النير كيف لا والأول مشوب بضرب سخطٍ مذيّل ببيان أن مهبطهم دار بلية وتعاد لا يخلدون فيها ، والثاني مقرون بوعد إيتاء الهدي المؤدي إلى النجاة و النجاح)[٣] .

---

(١) الآية (٣٨) من سورة البقرة .

(٢) الآية (٣٧) من سورة البقرة .

(٣) انظر تفسير العلامة ابى السعود ج١ ص (١٤٢) . وكذا تفسير ابن عطية ح١ ص (١٣١) .

(٤) ومنه قول الله تعالى :

{ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هد ى الله هو الهد ى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذ ي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير * الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون** }[١] .

الالتفات في قوله تعالى : { **آتيناهم** }[٢] بصيغة التكلم بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى : { **مالك من الله من ولي ولا نصير** } في لفظ الجلالة (الله) .

والسر فيه كامن في ورود لفظ الجلالة مقترناً أولاً بالهداية في قوله تعالى : { **إن هد ى الله هو الهد ى** } لتوضح أن هذا الدين المكنى عنه بلفظ الهدى هو الحق وإضافته للاسم الأعظم اسم الله الجامع لكل أسمائه وصفاته تجعله في درجة من العلو والرفعة توجب على العباد اتباعه وتحتم عليهم الالتزام به وعدم تبديله بآخر وأول الملزمين بهذا الحكم (محمد صلى الله عليه وسلم) وإلا استحق أن يقال له :{ **مالك من الله من ولي ولا نصير** }. لم يقل الحق تبارك وتعالى - مالك منا - بل عاد الاسم الأعظم مرة أخرى للظهور ليناسب عظمة الموقف رهبة وإجلالاً لانه ما يكون لأي نبي أن يفعل ذلك ومن يفعله فليس له ولاية ولا نصرة من الله تعالى وحاشا للأنبياء اقتراف ذلك ولكنه من باب الترهيب للعباد كافة . ثم بعد أن وثق الأسلوب صلة الهدى والولاية والنصرة بالله سبحانه وتعالى أتى بضمير التكلم

---

(١) سورة البقرة الآيتين (١٢٠ - ١٢١) .

(٢) { الذين أتيناهم الكتاب } قال قتادة : هم أصحاب النبى محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب هو: (القرآن) . وقال ابن زيد : هم من أسلم من بنى اسرائيل والكتاب على هذا التأويل : التوراة والآية تعم . انظر الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج٢ ص (٩٥) .

وكذا المحرر الوجيز لابن عطية ج١ ص (٢٠٤) .

وفى تفسير ابى السعود : (أتيناهم الكتاب) هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه ج١ ص (١٨٣) .

فى قوله تعالى : { **والذين آتيناهم الكتاب** } إعتماداً على ما سبق ومراوحة فى الأسلوب وتقرباً من السامع لما فيه من صلة وثيقة بين المنشيء والمتلقي وكأنهما فى حضور تام - تعالى الله سبحانه علواً كبيراً - وفي هذا لفتة لطيفة منه سبحانه إلى تلك المنزلة العالية التي ينالها تالي القرآن فهو يرتفع به عن الدنيا وما فيها حتى يكون فى حضرة المولى العلي القدير بروحه الصافية وعقله المضيء ونفسه المطمئنه الهادئة يعب من ضياء الحق فينزل على قلبه برداً وسلاماً .

ثم لنقف مع كلمة آتيناهم مرة أخرى نتلمس بعض ما فيها من معانى دقيقة فهي تحمل فى طياتها معنى الإهداء وهذا الكتاب الكريم هو الهدية من الخالق الباريء المصور إلى عباده الصالحين ومن كمال الود فى التهادي حضور واهبها وقربه بخطاب مباشر وهذا المعنى يغيب لو إستمر الأسلوب بصيغة الغيبة تمشياً مع السياق السابق وسارت الآية كالتالى :- الذين أتاهم الله - بدل قوله تعالى : { **آتيناهم** } ولكنه الالتفات الذي يحمل دائماً الكثير من المعاني العظام .

(٥) ومنه قول الله تعالى :

{ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهد ى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم** }[1].

الالتفات من الغائب فى قوله تعالى :{ **يلعنهم الله** } بضمير الغيبة فى لفظ الجلالة إلى التكلم فى قوله تعالى :{ **أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم** } والسر فيه إسناد هذا العمل العظيم (التوبة) إليه سبحانه

---

(١) سورة البقرة الآيات (١٥٩، ١٦٠) .

مباشرة لما فى التوبة من رحمة ونعمة ومنة منه سبحانه على عباده لهذا عظم شأن التوبة والتائبين وأسند أمرها إليه سبحانه مباشرة وأكدها بقوله عز من قائل { **وأنا التواب الرحيم** } قال فيه بعض المفسرين : (الالتفات إلى التكلم للافتنان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز إلى مامر من اختلاف المبدأ في فعليه تعالى السابق واللاحق)[١] .

(٦) وجاء من هذا اللون من الالتفات فى سورة البقرة المباركة قول الله تعالى : { **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقونِ ياأولي الألباب** }[٢] .

موضع الالتفات فى قوله تعالى : { **واتقون** }[٣] بضمير المتكلم وذلك بعد صيغة الغيبة فى قوله تعالى : { **يعلمه الله** } .

---

(١) انظر تفسير ابى السعود ح١ ص (١٢٧) ، وكذا روح المعانى للالوسى ج٢ ص (٢٨) .

وانظر تفسير الآيتين فى تفسير ابن عطية ح١ ص (٢٣١) .

(٢) سورة البقرة الآية (١٩٧) .

(٣) جاء فى روح المعانى : (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) بتأويل الأمر معطوف على (فلا رفث) اى لا ترفثوا وافعلوا الخيرات - وفيه التفات - وحث على الخير عقيب النهى عن الشر .

انظر ج١ : ٨٦/٢ .

وجاء فى تفسير ابن عطية : (وتزودوا) الآية نزلت فى طائفة من العرب كانت تجيء إلى الحج بلا زاد ويقول بعضهم : نحن المتوكلون . وقال بعض الناس المعنى تزودوا الرفيق الصالح أو تزودوا لمعادكم من الأعمال الصالحة ج١ ص (٢٧٣) وكذا تفسير ابن جرير الطبري ج٢ ص (١٦٣) .

وبعض أسرار هذا الالتفات تكمن فى أن التقوى التي يطلبها الحق تبارك وتعالى هي قمة العبادة وهي الدّفة التي توجه المؤمن إلى الاستقامة والصلاح وكلما انحرف به التيار تعيده إلى شط الأمان . والله سبحانه يحب المتقين لذا أتى هذا الضمير دليلاً منه سبحانه على عظم منزلة التقوى والمتقين كيف لا وقد جعلها الله سبحانه خير الزاد وأسندها إلى ضميره مباشرة . وجعل ذنب من لا يأخذ بنصيب منها عظيما يدل على ذلك فعل الأمر ونفس الضمير فى قوله تعالى : { **واتقون** } (وخص جل ذكره بالخطاب بذلك أولي الألباب لأنهم هم أهل التمييز بين الحق والباطل وأهل الفكر الصحيح والمعرفة بحقائق الأشياء التي بالعقول تدرك وبالألباب تفهم ولم يجعل لغيرهم من أهل الجهل فى الخطاب بذلك حظاً إذ كانوا أشباحاً كالأنعام وصوراً كالبهائم بل هم منها أضل سبيلاً)[1].

---

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري ج٢ ص (١٦٤) .

(٧) ومنه قوله تعالى : {**فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وأتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين* تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين**} [١].

الالتفات فى قوله تعالى : (نتلوها) بصيغة التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة التى كانت فى السياق عند قوله تعالى : (**تلك آيات الله**) وكذا الآيةالتى قبلها وكان مقتضى الظاهر تلك آيات الله يتلوها عليك بالحق - ولكن القرآن بأسلوبه المعجز أظهر ضمير التكلم لغرض بلاغى عظيم ذكر أبو حيان هذا الالتفات بقوله : (والالتفات فى نتلوها وفى فضلنا لأنه خروج إلى متكلم من غائب اذ قبله ذكر لفظ الله وهو لفظ غائب)[٢] وغرضه هو تعظيم شأن تلك الآيات وإن كانت التلاوة بواسطة جبريل[٣] عليه السلام لكن فى اسناد هذا الفعل له سبحانه تعظيم لما جاء به جبريل عليه السلام وتأكيد بالإلزام على تدبرها وتلاوتها لما لها من أثر كبير على صلاح القلوب وعلو شأنها فى خيرى الدنيا والآخرة وقد كانت هذه العظة التى أشار إليها المولى مثلاً عظيماً للمؤمنيين ومعتبر لهم وقد كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم معدين لحرب الكفار فلهم فى هذه النازلة معتبر يقتضي تقوية النفوس والثقة بالله وغير ذلك من وجوه العبرة [٤].

---

(١) سورة البقرة الآيتين : (٢٥١ ، ٢٥٢).

(٢) انظر تفسير البحر المحيط ح٢/٧٢.

(٣) انظر تفسير أبى السعود ح١/٢٨٥.

(٤) انظر تفسير ابن عطيه ح١/٢٣٨.

(٨) ومنه قول الله تعالى : {**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات و آتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من قبلهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولوشاء ما اقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد**} [١].

هذه الآية المباركة من عجائب اسلوب القرآن لقد جمعت التفاتات عدة وما يعنينا هنا قول الله تعالي : {**وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه**} فى (**آتينا**) و (**أيدنا**) بصيغة التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى : (من كلم الله) في لفظ الجلالة وقد كان مقتضى السياق - وآتى الله عيسى ابن مريم البينات وأيده بروح القدس - ولكنه سبحانه آثر صيغة التكلم علي ذلك لأن شأن هذه الآيات عظيم عنده لذا ظهر معها نون العظمة فهى (الحجج والآدلة على نبوته من ابراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى وما أنسبه ذلك على الأنجيل الذى أنزلته إليه فبينت فيه ما فرضت عليه)[٢] (وأيدناه) أى قويناه بالروح المقدسه[٣].

فتغير الأسلوب بالالتفات إلى التكلم لبيان ما بين تلك الأساليب من التفاوت واستحقاقها بمزيد العنايه والتأمل مع ما فيها من مناسبة خاصة وهى الإشعار بعظمة هذه الآيات بإسنادها إليه سبحانه بنون العظمة.

---

(١) سورة البقرة الآية : (٢ ٢٥٣).

(٢) انظر تفسير الطبري ح ٣/٢ ، وكذا تفسير غرائب القرآن للنيسابوري بهامش الطبري ح ٨/٣.

(٣) انظر تفسير أبى السعود ح ٢٨٦/١

** سورة آل عمران **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومنه قول الله تعالى : { **إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار* كداب آل فرعون والذي من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب** } [١].

الالتفات فى قوله تعالى : {بآياتنا} بصيغة التكلم بعد قوله تعالى {**من الله شيئاً**} فى لفظ الجلالة بصيغة الغيبة لتناسب ماقبلها وما بعدها فتكون -كذبوا بآيات الله - ولكنه سبحانه آثر صيغة التكلم لاسناد هذه الآيات العظيمه له مباشرة فيعلى من شأنها ويشير الى عظم عقاب مكذبيها فقد أنكرها الكفار افتراء منهم عليه جل جلاله فقد كان شأنهم وصنيعهم هذا فى تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم كشأن آل فرعون فى التكذيب بموسى[٢] عليه السلام فقد فسرت هذه الجمله لماذا كان دأبهم كدأب آل فرعون[٣].

قال ابو السعود هى : (بيان وتفسير لدأبهم الذى فعلوا على طريق الاستئناف المبنى على السؤال ....والالتفات الي التكلم أولاً للجرى على سنن الكبرياء) لما فى هذه النون فى (أبآياتنا) من معانى العظمه ويكفيهابذلك عظمة وهى ضمير عنه سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة آل عمران الآيتين : (١٠ ، ١١).

(٢) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ح١٨٤/٧.

(٣) انظر البحر المحيط ح٣٨٩/٢.

(٤) انظر تفسير أبى السعود ح٣٣٢/١.

وكذا تفسير روح المعانى ح١ : ٩٤/٣.

(٢) ومنه قول الله سبحانه وتعالى :

{ **ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل** } ثم قال تعالى : { **ورسولاً الى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين** }[1] .

الالتفات فى الآية المباركة من صيغة الغائب فى قوله تعالى : { **ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً ...** } إلى صيغة التكلم فى قوله تعالى : { **أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم ....** } وفي هذا التحول مناسبة كبيرة بين الجملتين لأن الجملة الثانية من قوله تعالى : { **وأني قد جئتكم ...** } معمول لرسول أي ناطقاً بأني قد جئتكم[2] وقد اكتسب الأسلوب من هذا التحول زيادة قوة تتطلبها مواجهة بني إسرائيل بالحق الذي جاء به عيسى عليه السلام كما أن هذا التحول فى الأسلوب أفاد نقل المشهد الماضي وبعثه صورة حية حاضرة على الدوام لإثارة مشاعر كل واقف على الآية من لدن نزول القرآن الكريم إلى أوان رفعه إلى السماء وقد مهد هذا التحول أيضاً إلى نقل الأفعال من حكاية الماضي إلى الحاضر فى : أخلق - وأنفخ - وأبرئ - وأحي - وأنبئكم - وسوغ اتصالها بضمير الخطاب . ولو استمرت الصيغة السابقة - الغيبة - لما حسن

---

(١) سورة آل عمران الآية (٤٩) .

(٢) انظر البحر المحيط ج٢ ص (٤٦٥) . وكذا روح المعانى المجلد الأول ج٣ ص (١٦٧) . وكذا انظر تفسير الآية فى تفسير السعدى ج١ ص (٣٨٣) . وجاء فى تفسير الطبرى : (وقوله أنى قد جئتكم بآية من ربكم بمعنى ونجعله رسولاًإلى بنى اسرائيل بأنه نبى وبشير ونذير وحجتى على صدقى على ذلك أنى قد جئتكم بآية من ربكم يعنى علامة من ربكم تحقق قولى وتصدق خبرى أنى رسول من ربكم إليكم / انظر الطبرى ج٣ ص (١٩٠) . وكذا تفسير ابن عطية ج١ ص (٤٣٨) .

استحضار تلك المشاهد المتتابعة وبالتالي يضيع على المعنى رونقه وروحه فالالتفات إلى ضمير التكلم هو الأولى والأنسب لهذا المقام .

(٣) ومن هذا قول الله تعالى :

{ وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم }[1] .

موضع الالتفات فى قوله جل ثناؤه : { **ذلك نتلوه** } بصيغة التكلم وذلك بعد قوله تعالى : { **وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين** }بصيغة الغيبة عنه سبحانه وتعالى . أضاف سبحانه التلاوة إلى نفسه وإن كان الملك هو التالي تشريفاً له صلى الله عليه وسلم وكذلك رفعاً لشأن ما يتلى عليه من القرآن[2] الكريم ولذا التفت الأسلوب إلى التكلم فى (**نتلوه**) بعد صيغة الغيبة التى كانت قبل .

---

(١) سورة آل عمران الآية (٥٨) .

(٢) انظر البحر المحيط ج٢ ص (٤٧٦) .

وكذا تفسير الطبرى ج٣ ص (٢٠٦) وما بعدها .

وكذا تفسير البيضاوى ص (٧٥) .

وكذا روح المعانى ج١ : ٣ ص (١٨٧) .

وكذا تفسير ابن عطية ج١ ص (٤٤٦) .

(٤) ومنه قول الله تعالى

{تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلماً للعالمين} [١].

الالتفات المراد هنا فى قوله تعالى {نتلوها} بصيغة التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة التى بدأت بها الآية في قوله تعالى { تلك آيات الله} وكان مقتضى الظاهر - يتلوها - باستمرار صيغة الغيبة ولكنه سبحانه آثر ظهور صيغة التكلم في هذا الالتفات بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل عليه السلام لإبراز كمال العناية بالتلاوة[٢] والمتلو عليه[٣] بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسىء بما يستوجبانه[٤] ولهذا جاء الالتفات إلى نون العظمة لتذيد التلاوة تشريفاً وتحببها فى نفوس المؤمنين لاشعارهم بعلو شأنها ومكانتها عنده سبحانه.

---

(١) سورة آل عمران الآية : (١٠٨).

(٢) انظر ارشاد العقل السليم ح١/٣٩٨.

(٣) انظر روح المعانى ح٢ : ٤ /٢٦.

(٤) انظر الكشاف ح١/٤٥٤.

في الآية التفات آخر من التكلم إلى الغيبة انظر ص (٢٢٠)

(٥) ومنه قوله تعالى :

{ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخره نؤته منها وسنجزى الشاكرين }[1] .

موضع الالتفات فى قوله تعالى : { **نؤته** } بصيغة التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة التي جاءت فى الآية عند ذكر لفظ الجلالة فى قوله تعالى : { **وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله** } .

قال ابن عطيه : (وقرأ جمهور الناس {نؤته ، ونؤته ، وسنجزي} كلها بنون العظمة)[2] وقال الألوسي :(- نؤته - بنون العظمة على طريق الالتفات)[3] فذكر أن حاجة المعنى إلى التعظيم سوغت هذا الالتفات بصيغة الغيبه إلى التكلم ليدل على علو شأن هذا المؤتى المنسوب إليه - جل جلالة مباشرة . بتلك النون المشعرة بالعظمة وبحضوره جل شأنه بنفسه فى تقديم هذا الكرم لطفاً منه ورحمة بعباده وقد زاد المعنى تأكيداً تذييل الآية المباركة بقوله تعالى : {**وسنجزي الشاكرين**} قال الطبري : (**وسنجزي الشاكرين**)يقول وسأثيب من شكر لي ما أوليته من إحساني إليه بطاعته إياي وإنتهائه إلى أمري وتجنبه محارمي فى الآخرة مثل الذي وعدت أوليائي من الكرامة على شكرهم إياي[4]. وجعل سبحانه هذا الضمير المسمى نون العظمة حبال ود بينه جل ذكره وبين عباده المجاهدين فيه حق الجهاد الشاكرين لنعمائه ولهذا فإن ضمير المتكلم هو الأنسب والأظهر من غيره فى هذا المقام .

---

(١) سورة أل عمران الآية (١٤٥) .

(٢) تفسير ابن عطيه (المحرر الوجيز) ج١ ص (٥١٨) .

(٣) انظر روح المعانى ج٢ ص (٧٨) . وكذا ارشاد العقل السليم لأبى السعود ج١ / ٤٢٦ .

(٤) انظر جامع البيان ج٤ / ٧٦ .

(٦) ومن ذلك قول الحق تبارك وتعالى :
{ بل الله مولاكم وهو خير الناصرين * سنلقي فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين }[1] .

الالتفات من صيغة الغيبه فى قوله تعالى : { **بل الله مولاكم وهوخير الناصرين** } إلى صيغه التكلم فى قوله تعالى : { **سنلقي** } ولوسار الأسلوب كسابقه لجاءت الآية : (سيلقي الله أيها المؤمنون فى قلوب الذين كفروا بربهم وجحدوا نبوة
- محمد صلى الله عليه - الرعب بماأشركوا بالله)[2] ولكنه سبحانه عدل عن هذا و (عبر فيه بنون العظمة على طريق الالتفات جرياً على سنن الكبرياء لتربيةالمهابة)[3] والمقام يتطلب هذه العظمة وكذا الكبرياء والتخويف والترهيب لأنه مقام حرب وفي ميدان الحرب تستخدم الأسلحة جميعها ماديها ومعنويها طلباً للغلبة والنصر المؤزر بتأييد من الله . وفي المقابل نجد أن هذا الضمير نفسه قد بعث الطمأنينة فى قلب النبي - صلى الله عليه وسلم وجنده لأنه يعبر عن وعد حق من المولى الكريم المتعال وهو من قبيل موالاتهم لأنه من ينصر الله ينصره ويثبت أقدامه ولذا عاد ضمير الغيبة مرة أخرى ممثلاً فى لفظ الجلالة فى قوله تعالى : { **بما اشركوا بالله** } ليذكرهم بعظيم جرمهم لما فى لفظ الجلالة - الله - من مهابة وإجلال وجميع صفات الكمال .

---

(١) الآيتين (١٥٠، ١٥١) من سورة آل عمران .

(٢) انظر تفسير ابن جرير الطبرى ج٣ : ٤ / ٨١ .

(٣) انظر ارشاد العقل السليم ج١ ص (٤٣٠) وكذا روح المعانى للالوسي ج٢ ص (٨٧) .

وكذا المحرر الوجيز تفسير ابن عطيه الجزء الأول ص (٥٢٣) ذكر هذه النون المسماه نون العظمة وجعل قوله تعالى : { سنلقى } استعارة لأن حقيقة الالقاء تكون فى الأجرام .

(٧) ومنه قول الله تعالى :

{ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوابنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضلٍ عظيم * إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين }[1] .

الالتفات عند ضمير المتكلم فى قوله تعالى : { **وخافونِ** } وذلك بعد صيغة الغيبة فى مواضع كثيرة فى الآيات السابقات عليه من مثل قوله تعالى : { **بنعمة من الله** } وكذا { **واتبعوا رضوان الله والله ذو فضلٍ عظيم** } وتكرارلفظ الجلالة فى هذه الآيات بطريق الغيبة يناسب أسلوب الحكاية عن المؤمنين الذين (قالوا ثقة بالله وتوكلاً عليه إذ خوفهم من خوفهم : حسبنا الله ونعم الوكيل)[2] فجازاهم سبحانه جزاءً حسناً مناسباً لهذا اليقين الثابت والتوكل المطلق ممثلاً بنعمة نسبها سبحانه له مباشرة مقترنه بأعظم أسمائه وكذا فى قوله تعالى : { **واتبعوا رضوان الله والله ذو فضلٍ عظيم** } حتى أتى مقام الحزم والثبات أتى ضمير المواجهه فى قوله تعالى : { **فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين** } فأنتم أحقاء بتلك النعمة وذلك الرضوان لأنكم لم تخافوا سواي ولم تصرفوا هذه العبادة لغيرى ولذلك ساغ تغيير الأسلوب من صيغة الغيبة إلى صيغة التكلم فى { **خافونِ** } وكذا ساغ تغيره من الغيبة عن المؤمنين إلى خطابهم المباشر فى قوله تعالى : { **فلا تخافوهم** } حيث المواجهة الحقيقيه وهى أسمى مقاصد الالتفات .

---

(١) الآيات (١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥) من سورة آل عمران .

(٢) انظر الطبرى ج٣ : ٤ ص (١١٨) .

وكذا انظر تفسير الآيات فى المحرر الوجيز لابن عطيه ج١ ص (٥٤٣) وما بعدها .

وكذا روح المعانى ح٢ ص (١٢٥) وما بعدها .

وكذا تفسير البيضاوى أنوار التنزيل ص (٩٧) .

وكذا تفسير السعدى ج١ ص (٢٩٤) .

(٨) ومنه قول الله تعالى :

{ إن الذين إشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئاً ولهم عذاب اليم * ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين }[١] .

موضع الالتفات كما لا يخفى قوله تعالى : { **إنما نملى** } بضمير المتكلم بعد صيغة الغيبة فى قوله تعالى { **لن يضروا الله شيئاً** } فى لفظ الجلالة { **الله** } وفي هذه الجملة تقدير محذوف(لن يضروا أولياء الله وعلة الحذف واقتران نفي الضرر بالله مباشرة تشريف للمؤمنين وإيذان بأن مضارتهم بمنزلة مضارته سبحانه وتعالى)[٢] لذا ذكر اسم الله الأعظم فى هذا المقام ليتضح صغر حجم ضررهم وعدم مقدرتهم عليه فلا موجب للخوف منهم بل سيزيدهم الله عذاباً أليما أما (نملي) ففيها زيادة توعد وتهديد تفسرهما هذه المواجهة الشديدة الدالة على شدة غضبه سبحانه على هؤلاء الأشقياءوتأكيده على التنكيل بهم كما يقول الحاكم سأقتلك بنفسي أو أنا معذبك بنفسي - ولله سبحانه وتعالى المثل الأعلى - فالله سبحانه يملى لهم بنفسه الشريفة ليزدادوا إثماً مع إثمهم وهلاكاً مع هلاكهم جزاءً لما اقترفت أيديهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ولهذا ناسب الانتقال إلى ضمير التكلم فى قوله تعالى { **نملي** } .

(٩) ومنه قوله تعالى :

{ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق }[٣] .

---

(١) سورة آل عمران الآيتان (١٧٧-١٧٨) .

(٢) انظر روح المعانى للالوسي ج٢ ص (١٣٣) .

وكذا انظر تفسير الآيات فى الطبرى المجلد ح٣ : ١٢٣/٤ وما بعدها .

وكذا المحرر الوجيز لابن عطيه ج١/ ٥٤٦ وما بعدها .

(٣) سورة آل عمران الآية (١٨١) .

لقد بدأت الآية المباركة بذكر الله جل جلاله بصيغة الغيبة فى قوله تعالى : { **لقد سمع الله ....** } وهو الأبلغ فى مقام الحكاية لأنه سبحانه قد جعل معاصيهم قصة تروى على الأشهاد زيادة فى التنكيل بهم ونشراً لقبائحهم بين العباد وغضب الله عليهم أقلاهم عن رحمته وجعلهم غيب وزاد هذا الموقف رهبة وتبكيتاً لهم اقتران لفظ الجلال بكلمة (سمع) الفاضحة لما ينكرون ليذكرهم سبحانه هم وكل من تصلهم حكايتهم لانه هو الله المطلع على خفايا النفوس . أما فى تحول الأسلوب إلى صيغة التكلم وهو موضع الالتفات فى قوله جل من قائل : { سنكتب } ففيه إشعار بعظيم إثمهم الذي اقترفوه لأن إسناد الفعل له سبحانه مباشرة دليل قوي على شدة غضبه سبحانه منهم وإن قال أحد المفسرين[(١)] (إن إسناد الكتابة له فيه شيء من المجاز لأن الملائكة هي التي تكتب ولكنها تتلقى أمر الكتابة من الله تعالى شأنه) وهذا كلام لا غبار عليه وإن كان مجازاً فالمجاز لا يأتي إلا لغرض بلاغي مقصود وهو هنا إظهار شدة غضب الله على هذه الفئة النابية ولذا نراه سبحانه وهو يذكرهم بعظائم جرمهم فى قوله تعالى : { **وقتلهم الأنبياء** } وكأنه يقول جل شأنه إن ما سمعه من قولهم السابق عظمية من العظائم التى تضاف إلى مثيلاتها ومنها قتلهم الأنبياء بغير حق فهم المستحقون لا ريب قوله تعالى : { **ذوقوا عذاب الحريق** } .

---

(١) انظر تفسير النسفى ج١ ص (١٩٨) .
وانظر روح المعانى للالوسي ج٢ ص (١٤٠) .
وكذا تفسير السعدى ج١ ص (١٩٨) .
وكذا البحر المحيط ج٣ ص (١٣٠) وما بعدها .
وكذا تفسير ابن جرير الطبرى المجلد ج٣ : ٤ / ١٢٩ وما بعدها .
وكذا تفسير ابن عطيه ج١ ص (٥٤٩) .

(١٠) ومنه قول الله تعالى :

{ **فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكرٍ أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب** }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **أنى لا أضيع** } بصيغة التكلم بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى : { **فاستجاب لهم ربهم** } .

ونكتته تظهر فى هذا التأكيد الكبير من الله سبحانه وتعالى { **أني لا أضيع** } لضمان حق هؤلاء العباد الذين آمنوا واتبعوا إيمانهم عملاً باراً جليلاً ودعاءً خالصاً ذليلاً يرجون رحمة ربهم ويخشون عذابه قال الألوسي فيه : (والنكته الخاصة فيه إظهار كمال الإعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب والتعرض لبيان السبب لتأكيد الاستجابة ، والإشعار بأن مدارها أعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء)[٢] وهذا دليل قوي على أن العمل والدعاء يتضافران لجلب رضى الله حتى يصل العبد إلى هذه المنزلة العظيمة وما فيها من جزاء مؤكد .

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٩٥) .

(٢) انظر ارشاد العقل السليم لأبى السعود ح١ / ٤٧١ وكذا روح المعانى ح٢ / ١٦٨.

وانظر كذا البحر المحيط ج٣ ص (١٤٣) .

وكذا تفسير النسفى ح١ ص (٢٠٢) وما بعدها .

وفى قوله تعالى : { قاتلوا وقتلوا } قراءتان إحداهما بتقديم الفاعل والأخرى بتقديم المفعول وعلى تقديم المفعول زيادة مدح للمؤمنين الذين رأوا بعضهم يقتل أمامهم ولكنهم ثبتوا على الحق ولم يهنوا ولم يضعفوا } .

انظر الكشف لأبى محمد مكى القيسي ج١ ص (٣٧٣) تحقيق محيى الدين رمضان .

وكذا المحرر الوجيز لابن عطيه ح١/ ٥٥٧ .

وكذا تفسير الطبرى ح٣ : ١٤٥/٤ .

فى الآية التفات آخر من الغيبة إلى الخطاب ورد ذكره فى فصله ص (١٠٣) .

** سورة النساء **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومما جاء من الالتفات من الغيبة إلى التكلم فى سورة النساء المباركة قول الله تعالى : { **الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ماءاتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً** }(١) .

الالتفات في هذه الآية المباركة من الغيبة في قوله تعالى : {**ماءاتاهم الله**} فى لفظ الجلالة إلى ضمير التكلم فى { **أعتدنا** } ولو سار السياق كسابقه لجاءت الآية - وأعد الله للكافرين - ولكن القرآن التفت إلى ضمير التكلم بغرض (التهويل والتعظيم لأن عذاب العظيم عظيم وغضب الحليم وخيم والجملة اعتراض تذييل مقرر لما قبلها)(٢) لأنها (نزلت فى شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم)(٣) وكانوا يأمرون الأنصار بالبخل بقولهم (لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون)(٤) فقد استحقوا من الله هذا العذاب المهين المعد من قبله سبحانه (وقد عابهم الله بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى والتفاخر إلى الناس)(٥) . وعن النبي صلى الله عليه وسلم (إذاأنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته على عبده)(٦) . ولهذا تغير الأسلوب إلى صيغة التكلم إشعاراً لعظم هذا العذاب المعد لعظم ذنب هؤلاء الطغاة .

---

(١) سورة النساء الآية (٣٧) .

(٢) روح المعانى ج٥ : ٥ / ٣٠ .

(٣) الكشاف ج١ ص (٥٢٦) وكذا ارشاد العقل السليم ج١ / ٥٢٠ .

(٤) الكشاف والصفحه نفسها وكذا تفسير ابن عطيه ج٢ / ٥٢ .

(٥) انظر الكشاف ج١ / ٥٢٦ وكذا انظر تفسير السعدى ج١ ص (٣٤٨) . وانظر تفسير ابن عطيه جاء فيه { واعتدنا } معناه : يسرنا واعددنا واحضرنا. والعتيد : الحاضر ، والمهين : الذى يقترن به خزى وذل ، وهو أنكى وأشد على المعذب . ج٢ / ٥٢ .

(٦) ذكره صاحب كنز العمال في الشعب من حديث أبي هريرة مرفوعاً ج ٦/ ٦٤١

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد ءاتينا ءال إبراهيم الكتاب والحكمة وءاتيناهم ملكاً عظيماً }[١] .

موضع الالتفات فى قوله تعالى : { **ءاتينا** } بصيغة التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة فى قوله تعالى : { **ما آتاهم الله** } . قال الزمخشري : { (فقد آتينا إلزام لهم بما عرفوه من إيتاء الله الكتاب والحكمة (آل إبراهيم) الذي هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأنه ليس ببدع أن يؤتيه الله مثل ما آتى أسلافه)[٢] وفيه (تعليل للإنكار والاستقباح وإلزام لهم بما هو مسلّم عندهم وحسم لمادة حسدهم واستبعادهم المبنيين على توهم عدم استحقاق المحسود لما أوتي من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابراً عن كابر وإجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لإظهار كمال العناية بالأمر)[٣] وأنه سبحانه وحده يؤتى فضله لمن يشاء من عباده فقد آتى إبراهيم الخليل وذريته من بعده فضلاً عظيماً واليهود يعرفون ذلك جيداً وكذا ألزمهم الله بهذا الالتفات فى قوله تعالى : { **فقد ءاتينا** } ليجعله فى مقام التوبيخ الشديد على استنكارهم فضل الله على محمد صلى الله عليه وسلم وحسدهم له عليه أفضل الصلاة والتسليم الذي لا مبرر له إلا ما انطوت عليه نفوسهم البغيضة من خبيث الطباع وإلا (فلم يخصونه بالحسد ولا يحسدون آل إبراهيم ؟ صلى الله عليه وسلم يعني سليمان وداود عليهما السلام فى أنهما أعطيا النبوة والكتاب وأعطيا مع ذلك ملكاً عظيماً)[٤] .

---

(١) سورة النساء الآية (٥٤) .

(٢) انظر الكشاف للزمخشرى ج١ ص (٥٢٤) .

(٣) انظر تفسير أبى السعود ح١ ص (٥٣٦ - ٥٣٧) . وكذا انظر روح المعانى للالوسي ح٢ : ٥ / ٥٧ .

(٤) انظر تفسير ابن عطيه ج٢ ص (٦٨) .

قال الطبرى : (أم يحسدون الناس) الناس فى هذا المقام هو النبى محمد صلى الله عليه وسلم وقد أورد رحمه الله أحاديث عدة تؤيد هذا من بينها روايه عن ابن عباس . انظر تفسير الطبرى ح٤ : ٥ / ٨٧ وما بعدها

(٣) ومن هذا اللون من الالتفات قول الله تعالى :
{ **فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً** }[١] .

موضع الالتفات فى قوله تعالى : { **نؤتيه** } بضمير التكلم وذلك بعد قوله تعالى : { **فليقاتل فى سبيل الله** } بصيغة الغيبة عن الله فى لفظ الجلاله وحكمته (لإظهار مزيد عنايته سبحانه بهذا الأجر المؤتى من قبله جل جلاله لذا أسنده إلى نفسه الشريفة فلا يكاد يُعلم كماً لتناهي سعته فهو سبحانه صاحبه والقائم عليه بنفسه الشريفه وعطاء العظيم عظيم مثله وتعالى الله سبحانه عن كل مثل)[٢] وإسناد الفعل لضمير التكلم فيه (حض من الله المؤمنين على جهاد عدوه من أهل الكفر به على أحايينهم غالبين كانوا أو مغلوبين والتهاون بأحوال المنافقين فى جهاد من جاهدوا من المشركين وقع جهادهم إياهم مغلوبين كانوا أو غالبين منزلة من الله رفيعة)[٣] يهبهم إياها سبحانه مؤكداً ذلك بنون العظمة فى (نؤتيه) .

(٤) ومنه قوله تعالى :

{ **ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً** }[٤] .

فى هذه الآية المباركة التفاتات عدة يهمني هنا الالتفات من الغيبة فى قولـــه تعالى: { **ما أصابك من حسنة فمن الله** } فى لفظ

---

(١) سورة النساء الآية (٧٤) .

(٢) انظر روح المعانى ج٢ : ٥ / ٨١ ،وكذا إرشاد العقل السليم لأبي السعود ج٢/ ٥٨٤، وكذا البحرالمحيط ج٣ / ٢٩٥ ، وكذا انظر تفسير الآية في تفسير السعدي ج١/ ٣٦٧ وما بعدها .

(٣) تفسير ابن جرير الطبرى ج٤ : ٥ / ١٠٦ .

(٤) سورة النساء الآية (٧٩) .

الجلاله - الله - إلى ضمير التكلم فى قوله تعالى : { **وأرسلناك** } بنون العظمة وكان مقتضى الظاهر وتمشياً مع السياق السابق استمرار صيغة الغيبة لتكون الآية - وأرسلك الله - بدل قوله تعالى : { **وأرسلناك** } فلماذا عدل عن الغيبة إلى التكلم ؟! قال الطبري : (يعنى بقوله جل ثناؤه وأرسلناك للناس رسولاً إنما جعلناك يا محمد رسولاً بيننا وبين الخلق تبلغهم ما أرسلناك به من رسالة وليس عليك غير البلاغ وأداء الرسالة إلى من أرسلت فإن قبلوا ما أرسلت به فلأنفسهم وإن ردوا فعليها)[١] إذن المهمة عظيمة فلا يناسبها إلا هذا الضمير المسمى نون العظمة وقد عدل إليه الحق تبارك وتعالى تشريفاً للمرسل وتوضيحاً لمهمته الأصلية - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - ولتكون هذه الكلمة حجة دامغة ضد المُفرِّطين والمُفْرطين فى منزلته صلى الله عليه وسلم وأتبعها المولى بما يؤكدها فى قوله تعالى : { **رسولاً** } التي هي (حال تتضمن معنى التأكيد)[٢] على مهمته صلى الله عليه وسلم (أي رسولا للناس جميعاً لست برسول العرب وحدهم أنت رسول العرب والعجم)[٣] وتظهر روعة الالتفات فى بيان مدى العناية الإلهية بشأن هذا الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - وإن من حقه أن يطاع ولا ينسب إليه السوء فهو المبلغ عن الله تبارك وتعالى والتعبير بضمير التكلم يشعر بعظمة الموقف ويربي المهابة فى النفوس هذا ما قاله بعض المفسرين[٤] لإيضاح مكانته عند ربه سبحانه وتعالى : { **وكفى بالله شهيداً** } على رسالتك أو على صدقك فى جميع ما تدعيه (توعد للكفرة وتهديد تقتضيه قوة الكلام)[٥] .

---

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبرى ج٤ : ٥ / ١١٢ .

(٢) انظر تفسير ابن عطيه ج٢ / ٨٢ .

(٣) انظر الكشاف للزمخشري ج١ / ٥٤٦ .

(٤) انظر تفسير أبى السعود ج١ ص (٥٥٤) . وكذا روح المعانى ج٢ : ٥ / ٨٩ فيه كلام يشعر بهذا . انظر ص (٩٠) من المرجع السابق . وكذا ص (٩١) المرجع نفسه .

(٥) تفسير ابن عطيه ج٢ / ٨٢ .

(٥) ومنه قول الله تعالى :

{ **ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً** }[١] .

موضع الالتفات فى هذه الآية من صيغة الغيبة فى قوله تعالى : { **فقد أطاع الله** } في لفظ الجلالة إلى ضمير التكلم فى قوله تعالى : { **أرسلناك** } وفي الآية التفات آخ ر من الغائب أيضاً فى قوله تعالى : { **الرسول** } إلى الخطاب فى قوله تعالى : { **أرسلناك** } فى - كاف الخطاب - والذي يعنينا هنا هو الالتفات الأول من الغائب إلى التكلم والسر فيه[٢] هو زيادة توثيق مصدر الرسالة التي كلف بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكأنها ترديد لمعنى قوله تعالى : { **وما ينطق عن الهوى * إن هوى إلا وحي يوحى** }[٣] فكل ما جاء به عليه الصلاة والسلام يوجب طاعته لأنها السبيل الوحيد لطاعة الله سبحانه وتعالى ولهذا جاء ضمير العظمة في : { **أرسلناك** } ليدحض كيد الكافرين ويرد سيوفهم إلى نحورهم مدحورين فهي (بيان لأحكام رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم إثر بيان تحققها ، وإنما كان كذلك لأن الآمر والناهي فى الحقيقة الحق سبحانه والرسول إنما هو مبلغ للأمر والنهي فليست الطاعة له بالذات وإنما هي لمن بلغ عنه)[٤]

---

(١) سورة النساء الآية (٨٠) .

(٢) سبق ذكر سبب نزول هذه الآية المباركة ص (١٠٨) .

انظر ذلك فى تفسير أبى السعود ج١ ص (٥٥٥) .

وكذا البحر المحيط ج٣ ص (٣٠٤) .

وكذا تفسير ابن عطيه ج٢ ص (٨٢) .

(٣) النجم الآيتان (٣ ، ٤) .

(٤) روح المعانى ج٢ : ٥ /٩١ .

وهـذا مـا أوجـب الالتـفات إلى التكلم بنون العظمـة فكأنها (أعذار من الله إلى خلقه فى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم يقول الله أذكره لهم من يطع منكم أيها الناس محمداً فقد أطاعني)[١] .

(٦) ومن هذا اللون من الالتفات قول الحق تبارك وتعالى :

{ لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقه أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً }[٢] .

الالتفات فى قوله تعالى : {نؤتيه} بضمير التكلم بعد صيغة الغيبة فى قوله تعالى : { مرضات الله } . يقول الله سبحانه و تعالى { لا خير فى كثير من نجوى الناس جميعا إلا من أمر بصدقة أو معروف ..... ثم أخبر جل ثناؤه بما وعد من فعل ذلك فقال ومن يفعل ذلك إبتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً .... ولا حد لمبلغ ما سمى الله عظيما يعلمه سواه }[٣] فنكتته إذن زيادة التأكيد على أهمية هذا العطاء ومنزلته عنده سبحانه وقد مر معنا مثل هذا كثير فيكون الالتفات فى هذا المقام وأمثاله لمزيد اللطف والاعتناء من المولى العلي القدير بعباده المؤمنين .

(٧) ومنه قول الله تعالى :

{ولله ما فى السموات وما فى الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله غنياً حميداً }[٤] .

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ج٤ : ٥ / ١١٢ .

(٢) سورة النساء الآية (١١٤) .

(٣) انظر تفسير البحر المحيط ج٣ ص (٣٤٨) وما بعدها . وكذا تفسير الطبرى ج٤ : ٥ / ٧٧ .
وكذا روح المعانى ج٢ : ٥ / ١٤٤ .
وكذا تفسير ابن عطيه ج٢ / ١١٢ .

(٤) سورة النساء آية (١٣١).

فى هذه الآية المباركة نوعان من الالتفات : -

الأول من الغيبة فى قوله تعالى : { **ولله ما فى السموات** .... } إلى التكلم فى قوله تعالى : { **ولقد وصينا** } وهو مدار بحثنا هنا والثاني[١] ؛ فى عودة الضمير من صيغة التكلم إلى صيغة الغيبة.

إن لفظ الجلالة الذي بدأت به الآية يناسب تماماً (عموم ملكه العظيم الجامع المستلزم تدبيره بجميع أنواع التدبير ، وتصرفه بأنواع التصريف قدراً ، وشرعاً)[٢] ومن أنواع تصرفه سبحانه شدة الاعتناء بالتقوى التي هي ملاك الإيمان ولذا (يقول - سبحانه - ولقد أمرنا أهل الكتاب ..... وإياكم ..... وقلنا لكم ولهم اتقوا الله - يقول احذروا الله أن تعصوه وتخالفوا أمره ونهيه وإن تكفروا ..... فإن لله ما فى السموات وما فى الأرض .... فإنكم لا تضرون بخلافكم وصيته غير أنفسكم ولا تعدون فى كفركم ذلك أن تكونوا أمثال اليهود والنصارى فى نزول عقوبته بكم وحلول غضبه عليكم كما حل بهم إذ بدلوا عهده ونقضوا ميثاقه فغير بهم ما كانوا فيه من خفض العيش وأمن الشرب وجعل منهم القردة والخنازير وذلك أن له ملك جميع ما حوته السموات والأرض لا يمتنع عليه شيء اراده)[٣] فظهور ضمير التكلم فى {**وصينا**} يدل على عظم جانب الأمر الموصي به حتى يباشره المولى عز وجل بنفسه الشريفة إشارة منه سبحانه على وجوب امتثاله وكذا على شدة قربه سبحانه من عباده المتقين برحمته وبره ولا تفاضل بين العباد إلا بالتقوى التي أوصى بها وبنفسه سبحانه وفي هذا مجاز حكمى يصور المعنى أيما تصوير ويعطيه مزيداً من العناية والتقدير .

---

(١) انظر هذا الالتفات ص (٢٣٤) .

(٢) انظر تفسير السعدى ج١ ص (٤٢١) .

(٣) انظر تفسير الطبرى ج٤ ، ٥ ص (٢٠٤) . وانظر تفسير الآية فى البحر المحيط ج٣ ص (٣٦٦) . وكذا روح المعانى المجلد الثانى ج٥ ص (١٦٣) وما بعدها .

(٨) وقال تعالى :

{ **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهيناً** }[١] .

الالتفات بين الآيتين السابقتين فى قوله تعالى : { **أعتدنا** } بضمير التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة فى لفظ الجلاله - الله - فى قوله تعالى : { **إن الذين يكفرون بالله** } وكذا فى قوله تعالى : { **ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله**} فلماذا ظهر ضمير التكلم بعد هذه الغيبة ؟!

إن فى قوله تعالى : { **وأعتدنا للكافرين عذابا مهيناً** } وعيداً شديد اللهجة لهم بالإهانة فى العذاب[٢] وقد زاده تأكيداً ظهور هذا الضمير الذي يدل على شدة غضبه سبحانه وتعالى على الكافرين لهذا أعد لهم جل جلاله عذاباً مهيناً مسنداً إليه سبحانه ليدل على عظم هذا العذاب المهين وقد رأينا أنه عند كل أمر عظيم يظهر هذا الضمير - وإن كانت أمور الله كلها عظيمة - ليمدنا هذا الضمير بعمق أبعد فى شدة الاهتمام بها .

(٩) ومنه قول الله تعالى :

{ **وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليما** }[٣] .

---

(١) سورة النساء الآيتين (١٥٠ ، ١٥١) .

(٢) انظر تفسير البحر المحيط ج٣ ص (٣٨٦) .

وانظر تفسير الآيات فى روح المعانى ج٢ : ٦ /٤ وما بعدها .

وكذا تفسير السعدى ج١ ص (٤٣٥) .

والكشاف ج١ ص (٥٧٦) .

(٣) سورة النساء الآية (١٦١) .

وذلك بعد قوله جل من قائل :

{ **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً** }[١] .

فالالتفات من الغائب فى قوله تعالى : { **وبصدهم عن سبيل الله** } فى لفظ الجلالة - الله - إلى ضمير التكلم فى قوله تعالى : { **واعتدنا** } وكان مقتضى السياق استمرار صيغة الغيبة فيكون الأسلوب - اعتدّ الله - لكنه سبحانه آثر ظهور ضمير التكلم والسر فيه - والله أعلم وأحكم - زيادة التأكيد على التهديد والوعيد (لأن من يؤمن بالله أي بأن للعالم خالقاً ولا يؤمن بوحيه إلى رسله لا يكون إيمانه بصفاته صحيحاً ولا يهتدي إلى ما يجب له من الشكر سبيلا ...... ولذا نرى هؤلاء الكافرين بالرسل ماديين لا تهمهم إلا شهواتهم)[٢] وهم لا ريب بعيدون عن رحمة ربي ولذا لم يظهر لفظ الجلالة في قوله تعالى: { **أعتدنا** } أي لم يأت اعتد الله لأن لفظ الجلالة اسم جامع لمعاني كثيرة منها الرحمة واللين والمغفرة وهؤلاء العاصون لا يستحقون شيئاً منها ولهذا أيضاً أتى ضمير التكلم فى قوله تعالى : { **حرمنا** } فى الآية التي سبقت هذا الموضع وحكمته مماثلة لما ذكرناه فى هذه الآية موضع الدراسة - والله أعلم -ولكن نوعه مخالف حيث أنه التفات من التكلم في حرمنا إلى الغائب في قوله تعالى :

{ **عن سبيل الله** }[٣] وقد درس بفصله[٤] .

---

(١) سورة النساء الآية (١٦٠) .

(٢) تفسير المنار ج٦ ص (٨) . ، انظر تفسير الآية فى تفسير السعدى ج١ ص (٤٣٨) .
وكذا فى البحر المحيط ج٣ ص (٣٩٥) .
وكذا روح المعانى ٦/٢ ص (١٤) .

(٣) الآية (١٦٠) من سورة النساء .

(٤) انظر ص (٢٣٤) .

(١٠) ومنه قول الله تعالى :

{ لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم اجراً عظيماً }[١] .

موضع الالتفات فى هذه الآية الكريمة فى قوله تعالى:{ سنؤتيهم } بضمير التكلم وذلك بعد قوله تعالى : { والمؤمنون بالله } بصيغة الغيبة فى لفظ الجلالة . وحكمته تكمن فى تكريم هؤلاء المؤمنين الذين استحقوا من الله جل جلاله ذلك الأجر العظيم (جزاء على ما كان منهم من طاعة الله واتباع أمره وثواباً عظيماً وذلك الجنة)[٢] (لأنهم وقد صح إيمانهم بالله ورسله وكانوا على بصيرة فيه { يهديهم ربهم بإيمانهم } الصحيح إلى العمل الصالح الذى هو أثره ولازمه)[٣] ينالونه منه سبحانه دون وسائط إجلالاً وتكريماً لما هم عليه من الإيمان والإستقامه عليه في أمورهم كافة وفيه مناسبة لقوله تعالى فيما سبق :

{ وأعتدنا }[٤] كما قال صاحب البحر المحيط .

(١١) ومنه قول الله تعالى :

{ ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً }[٥] .

---

(١) سورة النساء الآية (١٦٢) .

(٢) انظر تفسير الطبرى ج٤ : ٦ / ٢٠ .

(٣) تفسير المنار ج٦ / ١٠ .

(٤) انظر البحر المحيط ج٣ / ٣٩٧ .

وكذا تفسير السعدى ج١ / ٤٢٨ .

وجاء فى روح المعانى : قرأ حمزة سيؤتيهم بالياء مراعاة لظاهر قوله تعالى : { المؤمنون بالله } على طريق الغيبة انظر ٢ : ٦ / ١٦ .

(٥) سورة النساء الآية (١٧٤) .

الالتفات فى قوله تعالى : { وأنزلنا } بضمير التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة فى قوله تعالى : { من ربكم } عنه سبحانه وتعالى .
إن المتأمل لهذه الآية الكريمة (يظهر له به على إختصاره أن محمداً النبي الأمي صلى الله عليه وسلم كان نفسه برهاناً من الله تعالى أى حجة قطعية على حقية دينه ، وأن كتابه القرآن العربي أنزل من العلم الإلهي عليه ، ولم يكن لعلمه الكسبي أن يأتي بمثله ، وإنما أنزل نوراً مبيناً إلى جميع الناس ، ليروا بتدبيره حقيقة دين الله الذي يسعدون به فى حياتهم الدنيا وينالون به فى الآخرة ما هو خير وأبقى)[1] وكان (التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار اللطف بهم والإيذان بأن مجيء ذلك لتربيتهم وتكميلهم ..... وإسناد إنزاله إليه تعالى بطريق الالتفات لكمال تشريفه)[2] ووجوب إتباعه على العباد كافة .

---

(١) انظر تفسير المنار ج٦ / ١٠٢ .

(٢) انظر تفسير روح المعانى المجلد الثانى ج٢ : ٦ /٤٢ وما بعدها ،
وكذا إرشاد العقل السليم ح١/٦١٦.
وكذا البحر المحيط ج٣ ص (٤٠٥) .

** سورة المائده **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) أما ما جاء فى سورة المائدة من هذا اللون من الالتفات قول الله تعالى :

{ حرمت عليكم الميته والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشونِ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم }(١) .

الالتفات الأول (٢) فى هذه الآية المباركة فى قوله تعالى : { **فلا تخشوهم واخشونِ** } بضمير التكلم فى : {**اخشون** } وذلك بعد صيغة الغيبة فى قوله تعالى : { وما أهل لغير الله به } فذكر نفسه سبحانه بالغيبة أولاً ثم التفت إلى التكلم فما سره ؟! المتأمل فى الآية الكريمة يجد أن المقام يتطلب هذا الالتفات فمدار الحديث خشية العظيم المتعال وهو بلا ريب جدير بها ومن صرف شيئاً منها لغيره - سبحانه - فقد استحق تنبيهاً يعيده إلى رشده ويصحح له المسار وخير أسلوب التنبيه المواجهة التي يمثلها ادق تمثيل ضمير التكلم في (اخشوني) فهي مناسبة تماماً لهذا الأمر الواجب الامتثال ولو عدل إلى الغيبة لما تأتت هذه المواجهة وذلك الأمر فالمقام فى أمس الحاجة إليهما قال ابن عطية : (فإنما نهي المؤمنين عن

---

(١) سورة المائدة الآية (٣) .

(٢) فى الآية التفات آخر من التكلم فى : { اخشوني } إلى الغيبة فى : { فإن الله غفور رحيم } . انظر ص(٢٣١).

الموقوذة : التى ترمى أو تضرب بعصا أو بحجر أو نحوه . الأزلام : هى سهام واحدها زلم بضم الزاى وبفتحها كانت لعرب الجاهلية تضربه لكل أمر عظيم ليمضوا فيه أو يعدلوا عنه : وهى فسق .

انظر تفسير ابن عطيه ج٢ / ١٥٣ .

خشية جميع أنواع الكفار وأمر بخشيته تعالى التى هي رأس كل عبادة كما قال صلى الله عليه وسلم ومفتاح كل خير)[١] ثم إننا نجد أن المواجهة بهذا الضمير مهدت لتلك المعاني العظام فى قوله تعالى : { **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** } مسندة جميعها إليه سبحانه بضمير التكلم لتحدث تأثيراً قوياً فى نفوس العباد فيبادروا دون أدنى تردد فى خشيته وشكره على منته الجليلة وهم طائعون مختارون فسبحان الله ما أعظم هذا الأسلوب وما أدق معانيه .

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{ **وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم** }[٢] .

الالتفات فى هذا الموضع بين الآيتين السابقتين من الغائب فى قوله تعالى { وعد الله } إلى صيغة التكلم فى قوله تعالى { بآياتنا } . وبلاغته تكمن فى نسبه هذه الآيات صراحة إلى الله سبحانه وتعالى وهذا دليل ساطع لوجوب الإيمان بها وعظم جرم من كفرها وهي حجة دامغة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم واستحقاق المكذبين بها للجحيم الذي وعدوا به .

---

(١) انظر تفسير ابن عطيه ج٢ / ١٥٤ وقال الزمخشري معناها : واخلصوا إليّ الخشية . انظر ج١ / ٥٩٣
وكذا تفسير روح المعانى ج٢ : ٦ / ٥٧ وما بعدها .
وكذا البحر المحيط ج٣ / ٤٢٣ وما بعدها .

(٢) سورة المائدة الآيتين (٩ ، ١٠) .
انظر تفسير الآيتين فى تفسير الزمخشري الكشاف ج١ ص (٥٩٨) .
وتفسير روح المعانى ج٢ : ٦ ص (٨٤) .
وتفسير ابن عطيه ج٢ ص (١٦٦) .

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ **ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وءاتيتم الزكاة وءامنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل** }(١) .

الالتفات فى لفظ الجلالة فى قوله تعالى : { **ولقد أخذ الله** } بصيغة الغيبة إلى التكلم فى قوله تعالى : { **وبعثنا** } .

هؤلاء النقباء(٢) الذين اختارهم موسى عليه الصلاة والسلام أمراء أو شهداء على أقوامهم بأمر من الله عز وجل وكل ما يؤخذ عليهم من عهود ومواثيق تكون بينهم وبينه سبحانه وإنما موسى عليه السلام وسيط فقط ولهذا فلنقضهم ما عاهدوا الله عليه استحقوا غضباً شديداً من الله سبحانه على فعلتهم الشنعاء وهذا المعنى يؤكده ضمير التكلم فى : { **وبعثنا** } هذا الضمير المسمى نون العظمة ليؤكد عظم ما نقضوه وبالتالي عظم ذنبهم عليه .

---

(١) سورة المائدة (١٢).

(٢) النقيب - قيل فعيل بمعنى فاعل مشتقاً من النقب بمعنى التفتيش ، ومنه (فنقبوا فى البلاد) وسمي بذلك لتفتيشة عن أحوال القوم واسرارهم وقيل بمعنى مفعول فإن القوم اختاروه على علم منهم - وقال الزجاج أصله من النقب وهو الثقب الواسع والطريق فى الجبل . انظر روح المعانى ج٢ : ٦ / ٨٥ .

وكذا البحر المحيط ج٣ / ٤٤٢ .

وكذا الكشاف ج١ / ٥٩٩ .

وجاء فى تفسير ابن عطية : (النقيب كبير القوم القائم بأمورهم الذى ينقب عنها وعن مصالحهم فيها .

انظر المحرر الوجيز ج٢ ص (١٦٧) وكذاتفسير الطبرى ج٤ ص (٩٥).

ملحوظة : فى الآية التفات آخر من التكلم فى :{ بعثنا } إلى الغيبة فى : { وقال الله } انظر ص (٢٣١).

(٤) ومنه قول الله تعالى :

{ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** }(١) .

فى الآية المباركة نوعان من الالتفات :

الأول من التكلم في قوله تعالى : { **أنزلنا** } إلى الغيبة في قوله تعالى : { **من كتاب الله** } فى لفظ الجلالة الله(٢) .

والثاني : فى قوله تعالى : { **واخشون** } بضمير التكلم بعد صيغة الغيبة فى قوله تعالى : { **بما استحفظوا من كتاب الله** } وهو عكس الأول وغايته التأكيد على صرف هذه العبادة - الخشية - للواحد القهار دون سواه لأن النفع والضر بيده سبحانه وفيه تمهيد لقوله تعالى : { **ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً** } فى إسنادآيات الكتب السماوية له سبحانه وتعالى لتقام الحجة على من لم يحكم بها ورضي بأن يستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير خشية لغير الحق تبارك وتعالى علواً كبيراً .

وفي سبب نزول هذه الآية المباركة قال الطبري : (عن أبي هريرة : قال زني رجل من اليهود بإمرأة فقال بعضهم لبعض إذهبوا بنا إلى هذا النبي فإنه نبي بعث بتخفيف .... قال فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم .... فقال أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدون فى التوراة على من زنى إذا أحصن قالوا يحمم ويجبه ويجلد فقال شاب منهم : إنا نجد

---

(١) سورة المائدة آية (٤٤) .

(٢) انظر البحر المحيط ج٣ / ٤٩٢ .

وكذا روح المعانى ج٢ : ٦ ص (١٤٥)، فى الآية التفات آخر انظر ص (٢٣٦)

فى التوراة الرجم فقال النبي صلى الله عليه وسلم .... فإني أحكم بما فى التوراة فأمر بهما فرجما)[١].

(٥) ومما جاء فى هذا اللون من الالتفات قول الله تعالى :

{ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب اطفأها الله ويسعون فى الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين }[٢].

الالتفات فى هذه الآية الجليلة فى قوله تعالى : **{وألقينا}** بصيغة التكلم وذلك بعد قوله تعالى:**{من ربك }**[٣] جل جلاله وكان مقتضى السياق استمرارصيغة الغيبة فتكون الآية - وألقى ربك - بدل قوله تعالى : { وألقينا } عدل سبحانه إلى ضمير التكلم زيادة فى الاعتناء بالمعنى فظهرت نون العظمة لتدل على معاني جمة من بينها القوة والاقتدار والكبرياء والبغض لهذه الفئة الضالة حدث مجاهد رضي الله عنه قال : (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) بين اليهود والنصارى[٤]. والقاء هذه العداوة بينهم إلى أن تقوم الساعة من أعظم مقومات نصر المؤمنين إذا تمسكوا بحبل الله الوثيق

---

(١) انظر تفسير الطبرى ج٤ ص (١٦١).

(٢) سورة المائدة الآية (٦٤).

(٣) ان ظاهر الكلمة يدل على المخاطبة لوجود كاف الخطاب إلا أن الحديث فى معرض حكاية عنه سبحانه ووجود الكاف فيه مزيد لطف بالمخاطب وهو الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم .

(٤) انظر تفسير الطبرى ج٤ : ٦ ص (١٩٥).

انظر تفسير الآية فى البحر المحيط ج٣ ص (٥٢٢) وما بعدها .

فى الآية التفات آخر من ضمير التكلم فى : { القينا } إلى صيغة الغيبة فى : { أطفأها الله } درس ص (٢٣٩) .

وصححوا مسارهم على الصراط المستقيم . وهذا فيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته ولهذا جاء الالتفات يحمل تلك المعاني العظام وأمثالها كثير مما لا يخفي على متأمل للقرآن الكريم .

(٦) ومنه قول الله تعالى :

{ فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **بآياتنا** } بصيغة التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة فى قوله تعالى : { **فأثابهم الله** } . وحكمته فى إسناد هذه الآيات البينات له سبحانه تشريفاً وتعظيماً لها منه سبحانه - وقد مر هذا المعنى فى أكثر من آية - وبهذا الإسناد يحبب الحق تبارك وتعالى التمسك بها بعد تدبرها والتفكر فى عظيم حكمتها ومعانيها وما قصدت إليه وأن التكذيب بها وجحودها أوجب عليهم دخول الجحيم بل أصبحوا يعرفون بها لعظم تلبثهم بها ومكوثهم فيها قال ابن عطية : (ثم ذكر - سبحانه وتعالى - حال الكافرين المكذبين وأنهم قرناء الجحيم ، والمعنى قد علم من غير ما آية من كتاب الله أنه اقتران لازم وإثم أبدى)[٢] .

(٧)

ومنه قول الله تعالى :

{ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين }[٣] .

---

(١) سورة المائدة الآيتين (٨٥ - ٨٦) .

(٢) انظر المحرر الوجيز ج٢ / ٢٢٨ وانظر تفسير الآيات فى روح المعانى ج٣ : ٧ ص (٦) .
وكذا فى البحر المحيط ج٤ / ٨ .
وكذا تفسير أبى السعود ج٢ ص (٨٢) .

(٣) سورة المائدة (٩٢) .

الالتفات من الغيبة فى قوله تعالى : { **وأطيعوا الله** } إلى التكلم فى قوله سبحانه { **أنما على رسولنا** } وفائدة ظهور ضمير التكلم فى : { **رسولنا** } هي التشريف والتعظيم لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم وهى حجة على من عصاه ولم يمتثل لما أمره ونهاه (يقول - سبحانه - فاعلموا أنه ليس على من أرسلناه إليكم بالنذارة غير إبلاغكم الرسالة التي أرسل بها إليكم مبينة لكم بياناً يوضح لكم سبيل الحق والطريق الذى أمرتم أن تسلكوه وأما العقاب على التولية والانتقام بالمعصية فعلى المرسل إليه دون الرسل وهذا من الله تعالى وعيد لمن تولى عن أمره ونهيه يقول لهم تعالى ذكره فإن توليتم عن أمري ونهي فتوقعوا عقابي وأحذروا سخطي)[1] ثم إننا نجد أن ضمير التكلم في : { رسولنا } يحمل لرسول الهدى مزيداً من التشريف والاطمئنان ويريح نفسه الشريفة لأنه يسقط عنه كلفة متابعة نواياهم بعد أن قام بمهمته الأصلية التي هي إبلاغهم بالحق . والله أعلم وأحكم .

---

(١) انظر تفسير الطبرى ج٥ : ٧ ص (٢٤) .

وانظر تفسير روح المعانى ج٣ : ٧ ص (١٧٠) .

وكذا البحر المحيط ج٤ ص (١٥) .

** سورة الأنعام **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومما حوته سورة الأنعام من الالتفات من الغيبة إلى التكلم قوله تعالى : { **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون * ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون** }[1].

الالتفات فى هذا الموضع بين الآيتين السابقتين فى قوله تعالى : { **ويوم نحشرهم** } بضمير التكلم وذلك بعد ذكره نفسه سبحانه وتعالى بصيغة الغيبة فى قوله تعالى : { **ومن أظلم ممن افترى على الله** } فى لفظ الجلالة - الله - وكان مقتضى السياق استمرار الغيبة فتكون الآية - ويوم يحشرهم - قال ابن عطية : (وقرأت طائفة { نحشرهم } و { نقول } بالنون وقرأ حميد ويعقوب فيهما بالياء)[٢] وعلى قراءة (النون) عدل سبحانه إلى هذا الضمير لإيضاح شدة الاعتناء بأمر الحشر ولتأكيد حدوثه (يقول تعالى ذكره أن هؤلاء المفترين على الله كذباً والمكذبين بآياته لا يفلحون اليوم فى الدنيا ولا يوم نحشرهم جميعاً)[٣] والحشركماهو معلوم من أبرز الأمور التى جحدها الكفار واستبعدوا حدوثها وقد مر معنا أن تلك الأمور المنكرة من قبل الكفار يأتى معها هذا الضمير ليؤكد حدوثها ويقوى حجج الأنبياء بها ولهذا عدل بالأسلوب عن مساره السابق بالالتفات إلى ضمير التكلم .

---

(١) سورة الانعام الآيتين (٢١ - ٢٢) . (٢) انظر تفسير ابن عطية ح٢ ص (٢٧٧) .

(٣) انظر تفسير الطبرى ح٥ : ٧ ص (١٠٥) . وكذا تفسير روح المعانى ح٣ : ص (١٢١) . وكذا تفسير أبى السعود ح٢ ص (١٣٣) وكذا البحر المحيط ح٤ ص (٩٢) وما بعدها . وكذا تفسير ابن كثير ح٢ ص (١٢٧) وما بعدها .

لم يشر المفسرون إلى هذا الالتفات صراحة باعتباره فى أيتين منفصلتين واعتبروا الآية الثانية كلام مستأنف ولكن ابن جرير الطبرى ربط بين الآيتين على نحو ما مر معنا وكذا بالاستقراء فى كتب التفاسير وجد انهم اعتبروا أمثاله التفاتاً فى كثير من المواضع والحق أنه التفات لان موضوع الآيتين واحد والضميرين - الغائب والمتكلم - يعودان عليه سبحانه ولكن يبدو أن ازدحام القضايا التى يناقشها المفسرون تجعلهم يغضون الطرف عن ذكرهم للالتفات بعض الأحيا ن .

(٢) وقال جل من قائل :

{ **وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون** }(١) .

الالتفات فى قوله تعالى : {**رسلنا**} بضمير التكلم وهى نون العظمة وذلك بعد الغيبة التى بدأت بها الآية فى قوله تعالى : { **وهو القاهر فوق عباده ويرسل** } وكان مقتضى سياق الآية - توفته رسله أورسل ربه أو رسل الله - ولكنه سبحانه عدل عن هذا كله إلى ضمير التكلم فى : { رسلنا } لحاجة المعنى لنون العظمة ويبشر سبحانه بهذه النون بأنه قريب - مع عظمته - من عبده المحتضر فى هذه اللحظة الفاصلة لحظة فراق الدنيا والأحبة إلى مصير محتوم لا يعلمه إلا الله وحده فهو بيده سبحانه إن شاء عذب وإن شاء رحم وهو الرحمن الرحيم . ويدل على هذا القرب الشديد قوله تعالى : { **ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون** }(٢) { **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** }(٣) . وكما أن اضافه الرسل إليه سبحانه بهذه النون فيها تبكيت للمشركين الجاحدين المكذبين الذين قالوا (ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحى وما يهلكنا إلا الدهر)(٤) ومع هذا تحمل هذه الاضافة زيادة تشريف لهؤلاء الرسل (يعقب الله سبحانه بينها يرسلهم إليكم بحفظكم وبحفظ أعمالكم إلى أن يحضركم الموت .... توفاه أملاكنا الموكلون بقبض الارواح ورسلنا المرسلون به وهم لا يفرطون)(٥) .

---

(١) سورة الانعام الآية (٦١) . (٢) سورة الواقعة الآية (٨٥) .

(٣) جزء من الآية (١٦) من سورة (ق) .

(٤) جزء من الآية (٢٤) من سورة الجاثية .

(٥) انظر تفسير الطبرى ج٥ : ٧ ص (١٣٩) . وكذا تفسير ابن كثير ج٢ ص (١٣٩) . وكذا البحر المحيط ج٤ ص (١٤٧) وما بعدها .

وكذا تفسير روح المعانى ج٣ ص (١٧٥) . وكذا تفسير ابن عطية ج٢ ص (٣٠١) .

{ وهم لا يفرطون } قال ابو الفتح : يقال أفرط فى الأمر إذ زاد فيه وفرّط فيه إذا قصّر

(٣) وقال تعالى :

{ **وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون** }[١] وكذا فى قوله تعالى : { **وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون** }[٢] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **قد فصلنا الآيات** } بضمير التكلم وذلك بعد ذكر الله لنفسه جل جلاله بصيغة الغيبة فى قوله تعالى : { **وهو الذى جعل** } وكان مقتضى السياق : - قد فصل - أو قد فصل الله - باستمرار صيغة الغيبة ولكنه القرآن بأسلوبه المتميز الذى يعجز البيان عن حصره أتى بالالتفات إلى التكلم فى قوله تعالى : { **فصلنا الآيات** } بنون العظمة دليلاً قطعياً على عظم هذه الآيات وعظم تفصيلها سواء كان المقصود بها آيات القرآن الحكيم أو العلامات الدالة على وجود الله ووحدانيته فهى أمر عظيم يحمل أنصع برهان على وجوده وقدرته واستحقاقه للعبادة وحده ولكن لمن ألقى السمع وهو شهيد . قال ابن جرير الطبرى (قد ميزنا الأدلة وفرقنا الحجج فيكم أيها الناس ليتدبرها أولو العلم بالله منكم)[٣] .

(٤) ومنه قوله تعالى :

{ **وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون** }[٤] .

---

(١) سورة الانعام الآية (٩٧) . (٢) سورة الانعام الآية (٩٨) .

(٣) تفسير الطبرى ج٥ : ٧ ص (١٩٠) . انظر تفسير الآيتين فى فتح القدير ج٢ ص (١٤٢) . وكذا فى تفسير ابن كثير ج٢ ص (١٥٩) . وكذا البحر المحيط ج٤ ص (١٨٧) وما بعدها . وكذا روح المعانى ج٣ ص (١٨٧) . وكذا تفسير أبى السعود ج٢ ص (١٨٣) .

(٤) سورة الانعام الآية (٩٩) .

موضع الالتفات فى قوله تعالى : { **فأخرجنا** } بضمير التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة الموجودة فى أول الآية فى قوله تعالى : { **وهو الذى أنزل من السماء ماء** } وكان مقتضى الظاهر - أخرج - باستمرار صيغة الغيبة ولكن الحق (التفت إلى التكلم اظهاراً لكمال العنايه بشأن ما أنزل الماء لأجله أى {فأخرجنا } بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته ! { نبات كل شىء } من الأشياء التى من شأنها النمو من أصناف النجم والشجر وانواعها المختلفة فى الكم والكيف والخواص والاثار واختلاف فى مراتب الزيادة والنقصان حسبما يفصح عنه قوله تعالى : (يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل)[1] . وذكر بعضهم نكته أخرى لهذا الالتفات غير ما تقدم قال : (لما ذكر فيما معنى ما ينبهك على أنه الخالق اقتضى ذلك التوجه إليه حتى يخاطب واختيار ضمير العظمة دون ضمير التكلم - أى تاء الفاعل - وحده لإظهار كمال العناية أى فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته { نبات كل شىء }: أى كل صنف)[2] .

(٥) ومنه قول الله تعالى :

{ **ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً وما أنت عليهم بوكيل** }[3] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **وما جعلناك** } بضمير التكلم - نون العظمة - وذلك بعد صيغة الغيبة التى بدأت بها الآية فى قوله تعالى : { **ولو شاء الله** } وكان مقتضى السياق استمرار الغيبة - وماجعلك الله - ولكن ظهور ضميرالتكلم جاء تشريفاً وتعظيماً للنبى صلى الله عليه وسلم (أى حافظاً

---

(١) تفسير أبى السعود ج٢ ص (١٨٤) .

(٢) انظر تفسير روح المعانى للالوسي ج٣ ص (٢٣٨) .
وانظر كذا تفسير الآية فى الطبرى ج٥ : ٧ ص (١٩٤) .
وكذا تفسير فتح القدير للشوكانى ج٢ ص (١٤٦) .

(٣) سورة الانعام آية (١٠٧) .

تحفظ اقوالهم واعمالهم)[١] فلأن الآية تشعر بالحد من مهمته صلى الله عليه وسلم قربه الله إليه بهذا الضمير تلطفاً معه صلى الله عليه وسلم .

(٦) ومنه قول الله تعالى :

{ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوايعملون }[٢].

موضع الالتفات فى هذه الآية المباركة فى قوله تعالى : { **كذلك زينا** } بضمير التكلم فى { **زينا** } وذلك بعد قوله تعالى : {**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم** } فى لفظ الجلاله . وكان مقتضى الظاهر - كذلك زينه الله - بدل قوله تعالى : { **زينا** } قال ابن كثير (أى وكما زينا لهؤلاء القوم حب أصنامهم والمحاماة لها والانتصار كذلك زينا لكل أمة من الأمم الخالية على الضلالة عملهم الذى كانوا فيه ولله الحجة البالغة الحكمة التامه فيما يشاؤه ويختاره)[٣] وهم بكفرهم هذا ليسوا بخارجين عن مشيئته سبحانه وحكمه وهذا ما دعا ظهور نون العظمة فى هذا المقام .

(٧) ومنه قول الله تعالى :

{ وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون }[٤] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **قد فصلنا** } فى هذه النون وكذلك بعد صيغة الغيبة فى قوله تعالى : { **وهذا صراط ربكم** } وكانت مسايره الصياغ تقتضى - قد فصل ربك - ولكنه سبحانه عدل إلى

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج٢ ص (١٦٤) . وكذا روح المعانى ج٣ ص (٢٥٠) . وكذا البحر المحيط ج٤ ص (١٩٨) .
(٢) سورة الانعام آية (١٠٨) .
(٣) ج٤ ص (١٦٥) .
وانظر تفسير أبى السعود ج٢ ص (١٩١) وكذا روح المعانى ج٣ ص (٢٥٢) . وكذا البحر المحيط ج٤ ص (٢٠٠) وكذا تفسير ابن عطية ج٢ ص (٣٣٢) . فى الآية التفات اخر عكس الأول (٢٥٠) .
(٤) سورة الانعام الآية (١٢٦) .

ضمير التكلم شأنه فى ذلك شأن كل عمل تتجلى فيه عظمته المتناهيه عن كل مثل ، ففصلنا الآيات أى وضحناها وبيناها وفسرناها[1] فى كتاب الله المعجز فى كل آية فى السموات وفى الأرض تنطق بعظمته سبحانه وقدرته وأولوهيته فصلناها (للمؤنمنين الذين يعدون انفسهم للنظر ويسلكون طريق الاهتداء)[2] فيعلمون أن كل الحوادث بقضائه سبحانه وقدره وأنه جل شأنه حكيم عادل فى جميع أفعاله[3] ولهذا ولمثله يعدل الأسلوب من حالة فى الخطاب إلى حالة أخرى لينبه العقول الغافلة ويعطى المعنى أعماقاً بعيدة المدى .

(٨) ومنه قال الله تعالى :

{ ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النارمثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم * وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون }[5] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **وكذلك نولى** } بضمير التكلم بعد صيغة الغيبة وفى قوله تعالى : { **إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم** } عدل الحق تبارك وتعالى إلى صيغة التكلم التفاتاً منه سبحانه إلى مباشرته الفعليه لهذا الفعل الذى من أبرز معانيه المتابعة بين الشىء والشىء قال ذلك ابن جرير ثم قال : وأولى هذه الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب قول من قال معناه وكذلك نجعل بعض الظالمين

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ح٢ ص (١٧٦) ، وكذا البحر المحيط ح٤ ص (٢١٩) .
وكذا تفسير ابن جرير الطبرى ج٥ : ٨ ص (٢٤) .

(٢) انظر تفسير ابن عطية ح٢ ص (٣٤٤).

(٣) انظر روح المعانى ح٣ : ٨ ص (٢٢) . وكذا تفسير أبى السعود ح٢ ص (٢٠٤) .

(٤) سورة الانعام الأيتين (١٢٨ - ١٢٩) .

لبعض أولياء[1] فهؤلاء الضالون يستحقون من الله سبحانه العقاب الاليم وهذا العقاب عندما يصدر من المعاقب نفسه لابد أن يكون أشد وطأه على النفس واكثر تأكيداً لفعله وقد سبق الكلام فى مثل هذا[2] والله اعلم واحكم .

(٩) وقال عز من قائل : { **قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالأخرة وهم بربهم يعدلون** }[3] .

فى الآية المباركة موضوعان للالتفات :

أولهما : فى قوله تعالى: {**الذين كذبوا بآياتنا** } فى ضمير التكلم وذلك بعد ذكر الله لنفسه سبحانه بطريق الغيبة فى قوله تعالى: { **الذين يشهدون أن الله حرم هذا** } وكان حق السياق أن تسير الآية كالتالى- ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآيات الله-ولكنهم عدل سبحانه إلى التكلم وسره كما سبق ذكره تعظيم شأن الآيات وعظم ذنب من كذب بها و لقدأتى هذا الضمير ليحدث هزة قوية فى نفوس

---

(١) انظر تفسير الطبرى ح٥ : ٨ ص (٢٦) ، وكذا تفسير ابن كثير ح٢ ص (١٧٧) .

وكذا روح المعانى ج٣ : ٨ ص (٨٧ ، ٨٨) .

وكذا البحر المحيط ح٤ ص (٢١٩) .

وكذا تفسير أبى السعود ح٢ ص (٢٠٥) .

(٢) انظر ص (٣٤٠) .

(٣) سورة الانعام الآية (١٥٠) .

انظر تفسير ابن كثير ح٢ ص (١٨٧) .

وكذا ابن جرير الطبرى ح٥ : ٨ ص (٥٩) .

وكذا تفسير روح المعانى ح٣ : ٨ ص (٥٢) .

وكذا فى تفسير أبى السعود ح٢ ص (١١٨) .

هؤلاء المكذبين وكذا كل واقف على الآية ويعيدهم إلى رشدهم حتى يقفوا منها الموقف الملائم لعظمتها .

(١٠) ثم قال تعالى فى هذه السورة المباركة : { **قل تعالوا أتلوا ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون** }[١] .

موضع الالتفات فى قوله تعالى : { **نحن نرزقكم** } وذلك بعد قوله تعالى : { **ما حرم ربكم** } فى صيغة الغيبة وكان حق السياق أن تسير الآية على هذا النحو - هو يرزقكم أو الله يرزقكم أو ربكم يرزقكم - بصيغة الغيبة تمشياً مع السياق السابق . والعدول إلى ضمير التكلم لغرض مباشرة هذا الفعل بنفسه الشريفة فهو الرزّاق (ولا تئدوا أولادكم فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم فإن الله هو رازقكم وإياهم ليس عليكم رزقهم فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجز عن أرزاقهم وأقواتهم)[٢] الله تكفل برزقكم وإياهم فلا سبب يضطركم لارتكاب هذا الجرم الشنيع فى فلذات أكبادكم إذن هذه بشارة من الرحمن الرحيم لعباده فأراد المولى أن يزفها إليهم بنفسه الجليلة فقال عز من قائل : { **نحن نرزقكم وإياهم** } تطميناً لقلوبكم وتأكيداً لوعده جل شأنه .

---

(١) سورة الانعام الآية (١٥١) .

(٢) انظر تفسير الطبرى ج٥ : ٨ ص (٦٠) .

وانظر كذا تفسير البحر المحيط ج٤ ص (٢٥١) . وكذا روح المعانى ج٣ ص (٥٤) .

وجاء فى تفسير ابن كثير : { ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم } لما وصى تعالى بالوالدين والاجداد عطف على ذلك الاحسان إلى الأبناء والأحفاد . انظر تفسير ابن كثير ج٢ ص (١٨٩) .

(١١) ومنه قول الله تعالى :

{ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذالكم وصاكم به لعلكم تتقون * ثم ءاتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون * وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون }[1] .

موضع الالتفات في قوله تعالى : { **ثم ءاتينا** } بصيغة التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى : { **ذالكم وصاكم به** } حكاية عنه سبحانه وكان مقتضى الظاهر - ثم آتى موسى الكتاب - باستمرار صيغة الغيبة بدل : (آتينا) وهو كلام مسوق من جهته تعالى تقريراً للوصية وتحقيقاً لها وتمهيداً لما يعقبه من ذكر إنزال القرآن المجيد كما ينبىء عنه تغيير الأسلوب بالالتفات إلى التكلم[2] وعن مجاهد تماماً على الذي أحسن المؤمنين والمحسنين وكان مجاهداً وجه تأويل الكلام ومعناه إلى أن الله جل ثناؤه أخبر عن موسى أنه أتاه الكتاب فضيلة على ما أتى المحسنين من عباده[3] ولهذا ساغ الالتفات إلى التكلم ليزيد هذه الفضيلة درجة عالية من الإعظام قال ابن كثير : (وكثيراً ما يقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة كقوله تعالى[4] : { **ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة وهذا كتاباً مصدق لساناً عربياً** }.

قد أورد ابن كثير الآيات ليبرهن عن صحة ما يقول وتعليله في هذا : إن كتاب موسى شرعة كاملة لو لم يفرط فيها .

---

(١) سورة الانعام الآيات (١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤) .

(٢) انظر تفسير أبي السعود ج٢ ص (٢٢٢)
وكذا تفسير روح المعاني ج٣ : ٨ ص (٥٩) .

(٣) انظر تفسير الطبري ج٥ : ٨ ص (٦٦) .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ج٢ ص (١٩٢) .

(١٢) ومنه قول الله تعالى :

{ **أو تقول لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن ءاياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون** }[١] .

الالتفات فى قول الحق تبارك وتعالى : { **سنجزى** } وكذا فى : { **آياتنا** } حيث ضمير التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة فى قوله تعالى : { **فمن أظلم ممن كذب بآيات الله** } فى لفظ الجلاله - الله - وكان ما يناسب هذا السياق أن يكون - سيجزى الله - بدل (سنجزى) . عدل سبحانه إليه لمزيد التأكيد على الوعيد الشديد حتى يكون هذا الجزاء جزاء مقتدر جبار لأنه كما قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : وصدف عنها أعرض عنها..... لا آمن بها ولا عمل بها[٢] فاستحق من الله : { **سوء العذاب بما كانوا يصدفون** }[٣] جزاء أضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم أيضاً[٤] .

---

(١) سورة الانعام الآية (١٥٧) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ح٢ ص (١٩٣) وما بعدها .

وكذا تفسير الطبرى ح٥ : ٧ ص (٧٠) .

(٣) جزء من الآية السابقة .

(٤) انظر تفسير أبى السعود ج٢ ص (٢٢٤).

فى الآية المباركة التفات آخر فى قوله تعالى : { فمن أظلم ممن كذب } بصيغة الغيبة عن الكافرين بعد مواجهتهم بالخطاب المباشر فى قوله تعالى : { أو تقولون } ذكره أبو السعود ج٢ ص (٢٤٤) وكذا الالوسي فى روح المعانى ج٣ : ٨ ص ( ) وفوه به الطبرى بقوله : يقول جل ثناؤه فمن أخطأ فعلاً وأشد عدواناً منكم أيها المشركون ....) انظر ج٥ : ٨ ص (٧٠) .

في الآية التفات آخر درس ص(١٦٩).

** سورة الاعراف **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) و مما فيه الالتفات من الغيبة إلى التكلم في سورة الأعراف قوله تعالى :

{فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أوكذب بئاياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدواعلى أنفسهم أنهم كانوا كافرين }[١]

لا يخفى أن الالتفات في قوله تعالى :{**رسلنا** } بصيغة التكلم بعد صيغة الغيبة في قوله عز من قائل :{ **فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أوكذب بئاياته** } في لفظ الجلالة والضمير العائد عليه . وسر ظهور ضمير التكلم في {**رسلنا**} والله أعلم هو قدر عظيم من التحنن والتحبب لأولئك الرسل وفي نفس الوقت فيه هزة شعورية قوية لأولئك الجاحدين الذين أمد لهم المولى في حياتهم حتى ظنوا أنهم مخلدون ثم جاءت الرسل في ذلك اليوم الموعود لتعيدهم إلى الحق قال أبو حيان : (والمعنى أنهم ينالهم حظهم مما كتب لهم إلى أن يأتيهم رسل الموت يقبضون أرواحهم فيسألونهم سؤال توبيخ وتقرير أين معبوداتكم من دون الله فيجيبون بأنهم حادوا عنا وأخذوا طريقاً غير طريقنا .. أو هلكوا وأضمحلوا)[٢].

وهذا الموقف المليء بالرهبة والخضوع يحتاج إلى عظيم يقظة وعميق تأمل من العبد كل عبد لأننا جميعاً إلى ذلك المصير فتغير الأسلوب بهذا الالتفات أحدث اللفتة المنبهه المطلوبة لهذا الموقف .

---

(١) سورة الاعراف الآ ية (٣٧) .

(٢) انظر البحر المحيط ج٤ /٢٩٤ . و كذا تفسير ابي السعود ج٢ /٢٥٠ . و كذاالمحرر الوجيز ج٢ /٢٩٧.

(٢) وهكذا يأتي الالتفات دائماً وأبداً ليخدم أغراضاً بلاغيةً شريفة المعاني وقد جاء على منواله قول الله تعالى : { **وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون** }[١]. فالالتفات كما هو واضح في قول تعالى: { **سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج** }. بضمير التكلم الذي تكرر في هذا الجزء من الآية وذلك بعد صيغة الغيبة في أول الآية في قوله تعالى: {**وهو الذي يرسل الرياح بشراًبين يد ي رحمته**} .

وتغير الضمير إلى صيغة التكلم يحقق أمراً من أهم الأمور العقائدية فمعظم الجاحدين ينسبون هذه الأمور إلى مسببات كثيرة غافلين أو متغافلين عن عظمة الله المبدع لكل شيء وظهور ضمير العظمة في هذا المقام لتبكيتهم وإظهار أن مثل هذه الأمور العظام لا يقدر على تصريفها إلا الواحد القهار كما أنه سبحانه يقرب لعقول العباد مسألة من أهم المسائل المحيرة وهي مسألة بعثهم بعد الموت قال الطبري : {يقول تعالى ذكره للمشركين به من عبدة الأصنام المكذبين بالبعث بعد الممات المنكرين للثواب والعقاب ضربت لكم أيها القوم هذا المثل الذي ذكرت لكم من إحياء البلد الميت بقطر الغيث الذي يأتي به السحاب الذي تنشره الرياح التي وصفت صفتها لتعتبروا فتذكروا وتعلموا أن من كان ذلك من قدرته فيسير في قدرته أحياء الموتى بعد فنائها وإعادتها خلقاً سوياًبعد دروسها}[٢].

قال أبو هريرة::(إن الناس إذا ماتوا فى النفخة الأولى أمطر عليهم من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان أربعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء حتى إذا أستكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم نومة

---

(١) سورة اللأعراف ألآية (٥٧). ، (٢) ج٥ : ٨ /١٤٩ ، وكذا تفسير النسفي ج ٥/٥٧ ٢وكذا تفسير ابن كثير ج٢/ ٢٢٣

فينامون في قبورهم فإذا نفخ في الصور الثانية عاشوا وهم يجدون طعم النوم في رؤسهم وأعينهم كما يجدالنائم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فناداهم المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)[١] ،

(٣) وقال الله تعالى :

{ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون }[٢].

في قوله تعالى : { **نصرف الآيات** } بضمير التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى : { **بإذن ربه** } قال ابن كثير:(أي والأرض الطيبة يخرج نباتها سريعاً حسناً كقوله تعالى{ **وأنبتها نباتاً حسناً** }[٣] فسر هذا التغير في الضمير لمناسبته للمقام فعند إخراج النبات ظهرت كلمة (رب) لتناسب التربية والإعتنا اللذين يحتاجهما النبات لنموه فإنما ينبت بلطف من الله وتدبيره أما عند تدبير أيات الكون الذي إنبات النبات جزءمنه ظهر ضمير الشأن لنفس النكتة البلاغية التي سبق ذكرها في كثير من الآيات السابقات ومنها إظهار القدرة ونسبة هذه الآيات إليه سبحانه ليحدث هذا الضمير هزة شعورية قوية توقظ الغافل وتنبه السامع لأهمية هذه الآيات وإتصالها بخالقها وبرهنتها على وجوده سبحانه ووحدانيته والآية ضربها الله تعالى مثلاً للكافر والمؤمن قال الطبري:(قال السدى* بعد ذكر الآية :فكذلك القلوب لما نزل القرآن فقلب المؤمن لما دخله القرآن آمن به وثبت الإيمان فيه وقلب الكافر لما دخله القرآن لم يتعلق منه شيء ينفعه ولم يثبت فيه من الإيمان شيء إلا ما لا ينفع كما لم يخرج هذا البلد لا ما لا ينفع من النبات)[٤].

---

(١) انظر تفسير الطبري ح٥ : ٨ /١٤٩، وكذا تفسير ابن عطية ح٢ / ٤١٤، وانظر تفسيرابن كثير فيه كلام قريب من هذا القول ح٢/٢٢٣. (٢) سورة اللأعراف آلآية (٥٨) . (٣) انظر تفسر ابن كثير ج٢ /٢٢٣.

(٤) انظر تفسير الطبري ح ٥ : ٨ /١٥٠. و انظر تفسير الآيات في تفسير النسفي ح٢/٥٧. و كذا تفسير ابي السعود ح٢/٢٥٧. و كذا تفسير الالوسي ح٣ : ١٤٧/٨ و مابعده

* وهو إسماعيل ين عبدالرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسر أبو محمد الحجازي ثم الكوفي أحد موالي قريش ، حدث عن أنس وابن العباس ، مات سنة سبعة عشر ومئه للهجرة ، انظر تهذيب سير اعلام النبلاء ح١/١٩٢.

(٤) ومن هذا اللون من الالتفات قول المولى عز وجل :

{ تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاء تهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين * وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين }[(١)] .

الالتفات في قوله تعالى : { **وما وجدنا** } في ضمير التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى : { **كذلك يطبع الله** } .

قال ابن كثير : (أي ولقد وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والامتثال والعهد الذي أخذه هو ما جلبهم عليه وفطرهم عليه وأخذ عليهم في الأصلاب أنه ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو وأقروا بذلك وشهدوا على أنفسهم به وخالفوه وتركوه وراء ظهورهم وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة لا من عقل ولا شرع وفي الفطرة السليمة خلاف ذلك وجاءت الرسل الكرام من أولهم إلى آخرهم بالنهي عن ذلك كما جاء في صحيح مسلم يقول الله تعالى (إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم)[(٢)] . وقد ناسب ضمير التكلم فى (وجدنا) مقام العظمة والكبرياء تجاه كفرهم به سبحانه وتعالى كما ناسب أول الآية فى قوله { **نقص** } ، فالحكاية تقتضي ظهور هذا الضمير إذ للمتكلم دور في إحداثها ولهذا عاد ضمير التكلم للظهور مرة أخرى استكمالاً لما بدأت به الآية .

---

(١) سورة الأعراف الآيتين (١٠١، ١٠٢) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج٢/ ٢٣٦ ، وانظر تفسير ابن عطية ج٢/ ٤٣٤ ، وكذا روح المعاني ج٣ : ٩/ ١٦ وما بعدها .

فى الآية التفات آخر من التكلم في قوله تعالى:{ نقص} إلى الغيبة في لفظ الجلالة درس في فصله ص (٢٥٨) .

(٥) ومنه قول الله تعالى : { **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرئيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون** }[١] .

الالتفات الثاني[٢] في هذه الآية المباركة في قوله تعالى : {**ودمرنا**} بضمير التكلم وذلك بعد صيغةالغيبة في قوله تعالى : { **وتمت كلمت ربك الحسنى** } وكان مقتضى السياق - ودمر ربك- باستمرارصيغة الغيبة ولكنه عدل عن هذا إلى صيغة التكلم لمناسبة المعنى فما هو سر العدول؟ عندما قال سبحانه لنبيه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم : (ربك) ، أراد بها سبحانه التحنن واللطف للنبي صلى الله عليه وسلم ولما فعله بني إسرائيل من صبر واحتمال عظيمين حتى استحقوا من الله إنجاز وعده الحسن فيهم واسمع ابن كثير يقول:[٣] (قال مجاهد* وابن جرير وهي قوله تعالى : { **نريد أن نمن على الذين أستضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون**}[٤] ، وذلك (بسبب صبرهم وحسبك به حاثاً على الصبر ودالاً على أن من قابل البلاء بالجزع وكله الله إليه ، ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج)[٥] ، ولهذا الرضى على النبى وعلى بني إسرائيل أتت كلمة (ربك) منسابة كانسياب الماء البارد الزلال في جوف العطشان هذا في

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٣٧) .

(٢) في الآية التفات أول من التكلم في قوله تعالى : {وأورثنا } إلى صيغة الغيبة في قوله تعالى:{وتمت كلمة ربك } ذكر ص (٢٦١).

(٣) ج٢/٢٤ (٤) سورة القصص الآية (٥) .(٥) تفسير إبن كثير ج٢/١٠٩، ١١٠ ، وكذا تفسير النسفي ج٢/٧٣ .

* وهو مجاهد بن جبرالإمام. شيخ القراء والمفسرين مولى السائب المخزومي ، روى عن ابن العباس فاكثر وأطاب وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه وروى عن أبي هريرة وعائشة وسعدوابن عمر رضي الله عنهم ، وكان ثقة . مات وهو ساجد سنة اثنتين ومئة.

انظر تهذيب سيراعلام النبلاء ج١/١٥٨، وكذا التفسير والمفسرون للذهبي ج١/١٠٤ .

مقام الرضى والتكريم والحب أما عندما تغير المقام تغير معه الأسلوب وأتت تلك النون مع قوله تعالى : { **ودمرنا** } ، نون الشأن والعظمة لتناسب مقام الغضب والانتقام لتوضح صورة جبروته جل ثناؤه أي أهلكنا بالخراب ما كانوا يصنعونه من العمارات [١] والمزارع وما كانوا يعرشون يقول وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور [٢] ولهذا عدل بالأسلوب من حالة إلى أخرى لأن هذا غير ذاك.

(٦) وقال تعالى :

{إن الذين إتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين } [٣] .

الالتفات فى قوله تعالى : {**نجزى**} ، بعد قوله تعالى : {**غضب من ربهم**} ، بصيغة الغيبة عنه سبحانه وتعالى وكان مقتضى السياق - كذلك يجزي - بدل قوله تعالى : { **نجزى** } ، لقد أتى ضمير الغائب في مجال الغضب ليشعرهم ربهم ببعدهم عن رحمته والغضب الذي نالهم هو (ما أمروا به من قتل أنفسهم والذلة وخروجهم من ديارهم لأن ذل الغربة مثل مضروب) [٤] ، واختياره عز وجل صيغة التكلم في { **نجزى** } ، لتعم قوة اللفظ كل مفتر إلى يوم القيامة ، وقد قال سفيان بن عيينة وأبو قلابة وغيرهما : كل صاحب بدعة أو فرية ذليل واستدلوا بالآية [٥] وهذا مقام تأكيد لهذا الوعيد الحاصل لأولئك المفترين على الله باتخاذهم العجل وكذا كل مفتر إلى يوم الدين .

---

(١) انظر فتح القدير للشوكاني ج٢ / ٢٤٠ .

(٢) انظر إبن جرير الطبري ج٦ : ٩ / ٣٠ .

(٣) سورة الأعراف الآية : (١٥٢) .

(٤) انظرالكشاف ج٢ /١١٩ - ١٢٠، وكذا تفسير ابن كثير ج ٢/ ٢٤٩ ،، وكذا فتح القدير ج٢ /٢٥٠.

(٥) انظر تفسير ابن عطية ج٢/ ٤٥٨) وكذا المراجع السابقة ،، وكذا تفسير روح المعاني ج٣ :٩ / ٦٩ . وكذا أبي السعود ج٣ : ٩ /٥ ٩

(٧) ومنه قوله تعالى :

{وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم* وقطعناهم في الأرض أمماً منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون}[١].

الالتفات في قوله تعالى : { **وقطعناهم** } ، وكذا في { **بلوناهم** } بصيغة التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى : { **إذ تأذن ربك ليبعثن** } وكان حق السياق استمرار الغيبة :- وقطعهم ربك - بدل : { **وقطعناهم** } فصيغة الغيبة في أول الآية ناسبت الحكاية التي وجهت إلى محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذا قدر من الإقلاء عن رحمته للمغضوب عليهم والتلطف مع حبيبه صلى الله عليه وسلم أما في قوله { **وقطعناهم** } مع استمرار صيغة الغيبة عنهم وظهور ضمير العظمة زيادة في قهرهم وتعذيبهم لأنه سبحانه يدل به على تأكيد الفعل في تعذيبهم بشتات أمرهم وتفرقهم في أقطار الأرض بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم[٢] فلا تقوى شوكتهم أبداً وهذامن مغيبات القرآن كالذي تضمنته الآية قبل [٣].

---

(١) سورة الأعراف الآيتين (١٦٧، ١٦٨) .

تأذن ربك : عزم ربك وهو فعل من الإيذان وهو الإعلام لأن العازم على الأمر يحدث نفسه به ويؤذنها بفعله - ولله المثل الأعلى - انظر تفسير الزمخشري ح٢/ ١٢٧.

وكذا البحر المحيط ج٤/ ٤١٤.

(٢) انظر المرجع السابق الصفحة نفسها .

وكذا تفسير ابن كثير ح ٢/ ٢٦٠.

وكذا تفسير الطبري ج٦ : ٩ / ٧١.

وكذا فتح القدير للشوكاني ح٢ / ٢٦٠

وكذا تفسير النسفي ج٢ / ٨٣ .

(٣) وانظر روح المعاني ح٣ : ٩ / ٩٥.

(٨) ومنه قول الله تعالى :

{ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحد ون في أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون * وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعد لون** }[(١)] .

الالتفات في قوله تعالى : { **خلقنا** } ، بضمير التكلم وذلك بعد قوله تعالى : { **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** } ، بصيغة الغيبة وكان حق السياق- من خلق الله - تمشياً مع سابقه ، لقد جرى السياق بالغيبة أولاً لحاجة المعنى لظهور لفظ الجلالة - الله - الجامع لأسمائه الحسنى وصفاته العليا وفي مجال خلق بني آدم ناسب ظهور نون العظمة وإسناد الفعل إشارة منه سبحانه إلى أنه خلق أباهم بيده الشريفة وقد زادهم الله شرفاً على شرف لأنه سبحانه خص بالذكر أمة محمد الذين { **يهدون بالحق وبه يعدلون** } ، قال ذلك جماعة من المفسرين[(٢)] وقال ابن عطية : (هذه الآيةتتضمن الخبر عن قوم مخالفين لمن تقدم ذكرهم في أنهم أهل إيمان واستقامة وهداية وظاهر لفظ هذه الآية يقتضي كل مؤمن كان من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة)[(٣)] ولهذا شرفهم الله بضمير العظمة دليلاً قوياً على تكريمه سبحانه لهم .

---

(١) سورة الأعراف الآيتين (١٨٠، ١٨١) .

(٢) قال الزمخشري : عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه كان يقول إذا قرأها (هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ، ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق) وعنه صلى الله عليه وسلم (إن من أمتي قوماً على الحق حتى ينزل عيسى عليه السلام) .الكشاف ج٢/ ١٣٣.،

وكذا تفسير الطبري ج٦ : ٩ / ٩٢. وكذا تفسير ابن كثير ج٢ / ٢٧٠. ،

وكذا البحر المحيط لأبي حيان ج٤/ ٤٣٠.

وكذا روح المعاني ج٣ : ٩ / ١٢٥.

(٣) انظر تفسبر ابن عطية ج٢/٤٨٢ .

** سورة الأنفال **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومنه قول الله تعالى :

{ واعلموا أ نما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذ ي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم ءامنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قد ير }[(١)].

الالتفات في قوله تعالى : { **وما أنزلنا على عبدنا** } ، بصيغة التكلم وذلك بعد ذكره سبحانه وتعالى بصيغة الغيبة في قوله تعالى : { **إن كنتم ءامنتم بالله** } ، في لفظ الجلالة - الله - آثر سبحانه صيغة التكلم لحكمة جليلة عنده ظاهرها يدل على أن نسبة إنزال الكتاب إليه سبحانه مباشرة تقوية لحجة الرسول صلى الله عليه وسلم وتلزيد ما أنزل عليه تشريفاً وتعظيماً فهو من لدن حكيم خبير وقال بعضهم المقصود به حكم تقسيم الغنائم قال ذلك جمهور من المفسرين[(٢)] أما ابن عطية فله رأي خاص لنسمعه يقول:(وما أنزلنا عطف على قوله [بالله] والمشار إليه ب [ما] هو النصر والظهور الذي أنزله الله يوم بدر على نبيه وأصحابه)[(٣)] أي إن كنتم مؤمنين بالله وبهذه الآيات والعظائم الباهرة التي أنزلت يوم بدر، (وفي التعبير عنه بذلك مالا يخفي من التشريف والتعظيم)[(٤)].

---

(١) سورة الأنفال آية (٤١).

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج٢/٣١٤ ، وكذا تفسير الطبري ٦ : ٧/١٠ وكذا تفسير فتح القدير ج٢/ ٣١٠.

(٣) تفسير ابن عطية ج٢/٥٣١ . وكذا تفسير الزمخشري الكشاف ج٢/ ١٥٩.

(٤) روح المعاني للالوس ج٤: ١٠ ص (٥).

في الآية التفات آخر في قوله تعالى:{ أنزلنا على عبدنا}، بصيغة التكلم إلى صيغة الغيبة في قوله تعالى : { والله على كل شيء قدير}، درس في فصله ص (٢٧٠).

(٢) ومنه قول ا لله تعالى :

{ **كدأب ءال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بئآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا ءال فرعون وكل كانوا ظالمين** }[١].

الالتفات في قوله تعالى : { **فأهلكناهم** } ، وكذا { **وأغرقنا** } ، بصيغة التكلم وذلك بعد الغيبة في قوله تعالى : {**بآيات ربهم** } ، يقول جل من قائل :(غير هؤلاء المشركون بالله المقتولون ببدر نعمة ربهم التي أنعم بها عليهم بابتعاثه محمداً منهم وبين أظهرهم داعياً إلى الهدى بتكذيبهم إياه وحربهم له كدأب آل فرعون وعادتهم وفعلهم بموسى نبي الله في تكذيبهم أياه وتصديهم لحربه وعادة من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها وصنيعهم فأهلكناهم بذنوبهم .... فكذلك أهلكنا هؤلاء الذين أهلكناهم ببدر)، تشفياً منهم وانتقاماً فدلت نون العظمة على رهبة الموقف والتأكيد[٢] الصارم على هذا الانتقام { **وكل كانوا ظالمين** } .

---

(١) سورة الأنفال الآية (٥٤).

(٢) انظر تفسير إبن جرير الطبري ج٩: ١٠ /١٨.

وانظر تفسير الكشاف ج٢ ص (١٦٤) .

وتفسير ابن كثير ج٢/ ٣٢١.

وكذا في فتح القدير للشوكاني ج٢/٣١٨.

وكذا تفسير ابن عطية ج٢/ ٥٤١.

وانظر روح المعاني ج٤/٢١.

وانظر البحر المحيط ج٤/٥٠٧.

** سورة يونس **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) قال الله تعالى :

{ إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون * إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن ءايا تنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون }[١].

الالتفات في قوله تعالى : { **لقاءنا** } التي تحمل ضمير التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى : { **ما خلق الله** } ، وكان حق السياق - لقاء الله - بدل قوله تعالى : { **لقاءنا** } ، وظهور نون العظمة هنا لأن هذا اللقاء المذكور أمره عظيم ولكنهم نسوه ولم يعدواْ نفسهم له (فهم لا يتوقعونه أصلاً ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق ، أو لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء ، أولا يخافون سوء لقائنا الذي يجب أن يخاف)[٢] هو (إما الرجوع إليه تعالى بالبعث أولقاء الحساب كما في قوله عز وعلا :(إني ظننت أني ملاق حسابيه) وأياً ما كان ففيه مع الالتفات إلى ضمير الجلالة من تهويل الأمر ما لا يخفى)، على متدبر واستشعاراً لهذه العظمة جاء الالتفات إلى نون العظمة ليشد انتباه المؤمن المتدبر وينقر قلب غيره ليتفكر في أمره .

---

(١) سورة يونس الآيات (٦ ، ٧ ، ٨) .

(٢) الكشاف للزمخشري ج٢/ ٢٢٦ ، وانظر تفسير ابن كثير ج٢ / ٤٠٨.

وكذا فتح القدير للشوكاني ج٢ /٤٢٦.

وكذا البحر المحيط ج٥ / ١٢٦.

وكذا تفسير السعدي ج٢/ ٣٠٤.

(٣) انظر روح المعاني ج٤ : ١٠/ ٧٢ ، وكذا في تفسير أبي السعود ج٢ /٤٦٨.

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{**ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضيي إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون**}[١] .

الالتفات في قوله تعالى : { **فنذر الذين لا يرجون لقاءنا** } ، بصيغة التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى : { **ولو يعجل الله للناس الشر** } ، وكان مقتضى السياق - فيذر- باستمرار صيغة الغيبة بدل قوله تعالى: {**فنذر**} وتتبعها في الضمير نفسه - الذين لا يرجون لقاء الله بدل قوله تعالى : {**لقاءنا** } ، ولكنه سبحانه وتعالى التفت إلى التكلم لحكمة عنده نتلمس بعضاً منها بإذن الله تعالى قال الزمخشري : (قوله {**ولو يعجل الله**} متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل : ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم أجلهم فنذرهم [في طغيانهم] أي فنمهلهم ونقيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاماً للحجة عليهم)[٢]، من الملاحظ على كلام الزمخشرى أنه عندما شرح الآية المباركة استخدم صيغة التكلم فقط ولكن القرآن بأسلوبه المعجز التفت من الغيبة الى التكلم تحقيقاً لأغراض بلاغية تخدم المعنى عمقاً ووضوحاً فقوله جل ثناؤه : { **ولو يعجل الله** } ناسب ظهور لفظ الجلالة هذا المقام لما فيه من دلالة عظمى على صفات الكمال والأقتدار ، وصيغة الغيبة الكامنة في لفظ الجلاله تناسب أسلوب الحكاية وما يستفاد منها من الوعظ ، والإرشاد ثم التفت سبحانه وتعالى إلى التكلم (بنون العظمة الدالة على التشديد في الوعيد)[٣] ليجعل طلبهم العذاب حسرة في نفوسهم وليذكرهم سبحانه بأنه تاركهم إمهالاً واستدراجاً حتي يأتي العذاب المضاعف وهذه معان تستحق وقفة تأمل أوجدها هذا الالتفات .

---

(١) سورة يونس آية (١١) .

(٢) انظر الكشاف ح٢/٢٢٧ وانظر كذا التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى ح١٧/٤٩ ، وانظر البحر المحيط ح٥/١٢٨.

(٣) انظر تفسير ابي السعود ح٢/ ٤٧٣ وكذا روح المعاني ح٤ : ١١/ ٧٨.

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ **وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في ءا يا تنا قل الله أسرع مكراً إن رسلنا يكتبون ما تمكرون** }[١] .

الالتفات في هذه الآية المباركة في قوله تعالى : { **إن رسلنا** } ، بصيغة التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى : { **قل الله أسرع مكرا** }،ونكتة البلاغية في إعلامهم(بأن ما تظنونه خافياً مطوياً لا يخفى على الله وهو منتقم منكم)[٢] ، وقد سجل عليكم مكركم بالرسل الذين يحفظون أعمالكم وتعرض عليهم ما في بواطنهم الخبيثة يوم القيامة ويكون ذلك سبباً للفضيحة التامة والخزي والنكال[٣] ، وأضافة الرسل إليه سبحانه بنون العظمة فيه مالا يخفي من التشريف لهم[٤] ، وهو (التفات إذ لم يأت أن رسله) [٥].

وقال أحد الباحثين المعاصرين :(إن رسلنا يكتبون ما تمكرون على أنه سبحانه نزل نفسه منزلة المخاطب ، فالضمير في (قل) للمخاطب وفي رسلنا للمتكلم)[٦]، فجعله التفاتاً من المخاطب إلى المتكلم وفيه نظر حيث أن كلمة (قل) تكررت في القرآن الكريم كثيراً وأجمع المفسرون على أنها خطاب لمن نزل عليه القرآن محمد صلى الله عليه وسلم وكذا يتعداه إلى كل مؤمن فهو مخاطب بما خوطب به نبيه ومكلف بمثل ما كلف به.

وأجد لطيفة أخرى في هذا الالتفات وهي تعظيم شأن الرسل ووجوب الحذر والخوف الشديدين لما يسجلون على العبد لأنه واجده، كاملاً إذا الصحف نشرت.

---

(١) سورة يونس الآية (٢١). (٢) انظر الكشاف ج٢/ ٢٣١.

(٣) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ج١٧ /١٦. (٤) انظر تفسير أبي السعود ج٢/ ٤٨١.

(٥) انظر البحر المحيط ج٥ / ١٣٧ وكذا روح المعاني ج٤ : ١١/ ٩٥. (٦) انظر فن البلاغة د/ عبدالقادر حسين ص (٢٨١).

في الآية لون من الالتفات من الغيبة إلى الخطاب درس ص (١٢٦)

(٤) ومنه قوله تعالى :

{ **فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق ياأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون** }(١) .

فى الآية المباركة نوعان من الالتفات أحدهما(٢) ، قوله تعالى : { **ثم إلينا مرجعكم فننبئكم** } ، بصيغة التكلم وذلك بعد ذكره نفسه عز وجل بصيغة الغيبة في قوله تعالى : { **فلما أنجاهم** } ، وكان مقتضى السياق - ثم إليه مرجعكم فينبئكم - باستمرار صيغة الغيبة ولكنه سبحانه عدل إلى التكلم لمناسبة الخطاب الموجود في قوله تعالى : { **ياأيها الناس** } ، وتوجيهه (إلى أولئك الباغين للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد)(٣) لأنهم أقدموا في الحال على البغي في الأرض بغير الحق يريدون به الفساد والتكذيب والجراءة على الله تعالى وقصد الاستعلاء بالظلم والترقي في الفساد(٤) ، { **ثم إلينا مرجعكم فننبئكم** } ، بجميع أعمالكم ونوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه(٥) وهذه أمور تحتاج إلى المواجهة ولذا عدل بالضمير إلى التكلم .

---

(١) سورة يونس آية (٢٣) .

(٢) في الآية التفات آخر من الغيبة في :(أنجاهم) إلى المخاطب في قوله تعالى : (بغيكم) انظر ص(١٢٦)..

(٣) انظر روح المعاني ج٤ :١١/٩٩. وانظر كذا تفسير أبي السعود ج ٢ / ٤٨٣

(٤) انظر التفسير الكبير للإمام الفخري الرازي ج١٧ /٧١. وكذا انظر البحر المحيط ج٥ / ١٤٠.

وانظر الكشاف ج٢/ ٢٣٢.

(٥) انظر تفسير ابن كثير ج٢/ ٤١٤.

وجاء في تفسير ابن عطية : إنما بغيكم وإفسادكم مضر لكم وهو في حالة الدنيا ثم تلقون عقابه في الآخرة قال سفيان بن عيينة أي تعجل لكم عقوبته في الحياة الدنيا وعلى هذا قالوا : البغى يصرع أهله / ج٣ /١١٣.

(٥) ومن قول الله تعالى :

{ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون }[١].

الالتفات في قوله تعالى : { **ويوم نحشرهم** } بصيغة التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى : {**مالهم من الله من عاصم** } في لفظ الجلالة وكان حق السياق أن تكون الآية - ويوم يحشرهم الله - بدل:{ **نحشرهم** } .

وبلاغة هذا الالتفات في التعبير عن هذا المشهد العظيم الذي تقصر عن عظمته الأقلام والعقول عبر عنه المولى بضمير التكلم ليزيده إجلالاً ومهابة واحتراماً يوم يحشر المولى القدير أهل الأرض كلهم من جن وإنس وبر وفاجر كقوله سبحانه {**وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً** }[٢] { **ثم نقول للذين أشركوا** } الزموا أنتم وهم مكاناً معيناً امتازوا فيه عن مقام المؤمنين كقوله {**وامتازوا اليوم أيها المجرمون** }[٣]، وقوله {**ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون**}[٤] ،وفي الآية الآخرى { **يومئذ يصدعون** }[٥]، أي يصيرون أي يصدون صدعين وهذا يكون إذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء ولهذا قيل ذلك[٦]، بضمير التكلم الذي

---

(١) سورة يونس الآيتين (٢٧، ٢٨).

(٢) سورة الكهف جزء من الآية (٤٧).

(٣) يس آية (٥٩).

(٤) سورة الروم آية (١٤).

(٥) سورة الروم (٤٣).

(٦) تفسير ابن كثير ج٢/ ٤١٦ وكذا انظر تفسير روح المعاني ح٤ : ١١ / ١٠٦.

ليس للمقام غنى عنه وقد أكده الحق بقوله: (فزيلنا لزيادة التوبيخ والتحسر)[١] .

(٦) ومنه قول الله تعالى :

{ **قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون، متاع في الد نيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذ يقهم العذاب الشد يد بما كانوا يكفرون** }[٢] .

الالتفات في قوله تعالى : { **ثم إلينا مرجعهم ثم نذ يقهم**} ، بصيغة التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة في قوله عز من قائل : { **يفترون على الله الكذب** } ، في لفظ الجلالة - الله - وكان مقتضى السياق ، ثم إلى الله مرجعهم ثم يذيقهم ـ باستمرار ضمير الغائب فورود ضمير التكلم بدل الغيبة لحكمة عنده سبحانه منها : (لما بين ـ سبحانه ـ بالدليل القاهر أن إثبات الولد لله تعالى قول باطل ، ثم بين أنه ليس لهذا القائل دليل على صحة قوله، فقد ظهر أن ذلك المذهب افتراء على الله ونسبة لما لا يليق به إليه فبين أن من هذا حاله فإنه لا يفلح البته - - - بل كل من قال في ذات الله تعالى وفي صفاته قولاً بغير علم - - - متاع قليل في الدنيا ، ثم لا بد من الموت ، وعند الموت لا بد من الرجوع إلى الله وعند هذا الرجوع لا بد أن يذيقه العذاب الشديد بسبب ذلك الكفر المتقدم)[٣] ، وليفاجئهم بضميره حتى يستشعروا معه مدى ضعفهم أمام عظمته فلعلهم يئوبون إلى رشدهم أو يكون ذلك الوعيد الشديد حاصل لا محالة والله أعلم وأحكم .

---

(١) انظر تفسير أبي السعود ج٢/ ٤٨٨.
قال الزمخشري : فزيلنا: فرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا الكشاف ج٢/ ٢٣٥ وانظر كذا البحر المحيط ج٥ / ١٥٢ ، وانظر كذا التفسير الكبير للإمام الفخرالرازى ج١٧/ ٨٣.

(٢) سورة يونس الآيتين (٦٩، ٧٠) .

(٣) انظر التفسير الكبير ج١٧/ ١٣٤ وكذا البحر المحيط ج٥ / ١٧٧
وانظر تفسير الآيتين في الكشاف ج٢ / ٢٤٥
وكذا فتح القدير ج٢/ ٤٦١ وكذا ابن كثير ج٢/ ٤٢٥ وما بعدها وكذا روح المعاني ج٤ : ١١/ ١٥٦.
وكذا تفسير أبي السعود ج٢/ ٥١٥.

(٧) ومنه قول الله تعالى :

{ قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون * وجاوزنا ببني إسرآئيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال ءامنت أنه لا إله إلا الذي ءآمنت به بنوا إسرآئيل وأنا من المسلمين }[1] .

الالتفات في قوله تعالى : { **وجاوزنا** } بصيغة التكلم وذلك بعد قوله تعالى : { **قال قد أجيبت دعوتكما** } في الضمير المستتر عنه سبحانه وتعالى في { **قال** } وكان مقتضى السياق أن تكون بقية الآية مشاكلة نسق الغيبة مثل : وجاوز بدل : { **وجاوزنا** } ولكن صيغة التكلم أضافت عمقاً جديداً للمعنى وغرضاً بلاغياً مناسباً درجة الإعجاز فالمقام مقام معجزة خارقة تفوق كل خيال وعمل جبار لا يقدر عليه غيره سبحانه وتعالى ، قال فيه ابن كثير رحمه الله (إسرائيل لما خرجوا من مصر صحبة موسى عليه السلام ... فاشتد حنق فرعون عليهم فأرسل في المدائن حاشرين لما يريد الله تعالى بهم فلحقوهم فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون ... فعندما ضاق الأمر اتسع فأمره الله تعالى أن يضرب البحر .. فانفلق البحر فكان كل فرق كالطود العظيم فلما خرج اخرهم منه انتهى فرعون وجنوده فنفذ القدر واستجيبت الدعوة)[2] ، وهكذا كانت المعجزة العظيمة التي يلفت إليها هذا الالتفات لأنها تستحق الإجلال والتعظيم .

---

(١) سورة يونس الآيتان (٨٩ ، ٩٠) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج٢/ ٤٣١. ، وكذا انظر تفسير ابن عطية ج٣ / ١٤١.

وانظر تفسير الفخر الرازي ج١٧/ ١٥٢.

وانظر البحر المحيط ج٥ / ١٨٨ وكذا الكشاف ج٢/ ٢٥١. وانظر تفسير الآية في روح المعاني ج٤ : ١١/ ١٨١ وكذا تفسير أبي السعود ج٢/ ٥٢٤ . وكذا تفسير فتح القدير ج٢/ ٤٦٩.

** سورة هود **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومما جاء في هذه السورة المباركة قول الله تعالى :

{ فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً إن ربي على كل شيء حفيظ* ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين ءامنو معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ }[(١)] .

الالتفات في قوله تعالى : { **ولما جاء أمرنا نجينا** } ،بصيغة التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة التي كانت في حكاية قوم هود وكان مقتضى السيلق - ولما جاء أمر الله - ولكن هذا التغيير في الصياغة يشعر بالفصل في الحكاية وتوجيه الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين تنبيهاً لهم وتنشيطاً لخيلاتهم (وفي التعبير عنه بذلك مضاف إلى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالمجيء مالا يخفي من التفخيم والتهويل)[(٢)] . فدل هذا الالتفات إلى نون العظمة على هذا الأمر المهول الذي لا تقف في وجهه العوارض .

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{ ويا قوم هذه ناقة الله لكم ءاية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب*فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب*فلما جاء أمرنا نجينا صا لحاً والذين ءامنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز }[(٣)] .

---

(١) سورة هود الآيتين ٥٧-٥٨ و(أمرنا) : الريح العقيم انظر ابن كثير ج٢/ ٤٥١ .

(٢) انظر روح المعاني ج٤ : ١٢/ ٨٥ وكذا تفسير ابن عطية ج٣/ ١٨٢

(عذاب غليظ) : إن الله بعث عليهم السموم فكانت تدخل من أنوافهم وتخرج من أدبارهم جاء ذلك في الكشاف ج٢/ ٢٧٧وكذا البحر المحيط ج٥/٢٣٥.

(٣) سورة هود الآيات (٦٤-٦٥-٦٦) .

وفي الآية التفات آخر من التكلم (نجينا) إلى الغيبة في : (إن ربك) درس ص (٢٨١)

الالتفات في قوله تعالى : { **فلما جاء أمرنا نجينا** } ، بصيغة التكلم بعد الغيبة في قوله تعالى : { **ناقة الله** } وكذا { **أرض الله** } وكان مقتضى الظاهر - أمر الله - وسره كسابقه وهو إظهار الأمور المعجزة منسوبة له سبحانه زيادة في التهويل .

(٣) قال الله تعالى :

{ **يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم ءاتيهم عذاب غير مردود * ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب** }[١].

موضع الالتفات كما لا يخفى في قول الله عز وجل : { **رسلنا** } بصيغة التكلم بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى : { **قد جاء أمر ربك** } ولو سار السياق على صيغة واحدة لجاءت الآية - ولما جاءت رسل ربك - ولكنه سبحانه آثر صيغة التكلم لأن مسار الحديث في هذا الجزء توجه به الحق سبحانه إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما قوله تعالى:{ **قد جاء أمر ربك** } ، فقد كان نقلاً لحديث دار بين الملائكة وسيدنا إبراهيم عليه السلام إذن نظراً لاختلاف المقام اختلف الأسلوب ليشعر الغافل أن هذا غير ذاك فيتنبه بالإضافة إلى أن إضافة الرسل إلى نون العظمة يكسبهم قدراً عظيماً من التشريف وكانوا عليهم السلام (في أجمل صورة تكون على هيئة شبان حسان الوجوه ابتلاء من الله وله الحكمة والحجة البالغة)[٢] ، وقد كان فيهم جبريل عليه السلام وهو الذي طمس أعينهم بجناحه فرجعوا وهم لا يهتدون[٣].

---

(١) (٧٦ ، ٧٧) من سورة هود .

(٢) انظر ابن كثير ح ٢/ ٤٥٤ ، وكذا روح المعاني ح ٤ : ١٢/ ١٠٤ ، وما بعدها . وكذا انظر فتح القدير ح ٢/ ٥١٣ ، وكذا تفسير الكبير ح ١٨ / ٣١. قال صاحب الكشاف : (هؤلاء بناتى) أراد أن يقي أ ضيافه بيناته وذلك غاية الكرم ح ٢/ ٢٨٣.

وقال ابن كثير : يرشدهم إلى نسائهم فإن النبي للأمة بمنزلة الوالد .

(٣) ابن كثير ح٢/ ٤٥٤ ، وكذا المراجع السابقة .

(٤) ومنه قوله تعالى :

{ **ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين * وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين** }[١] .

الالتفات في قوله تعالى : { **وكلاً نقص** } بصيغة التكلم وذلك بعد الغيبة في قوله عز وجل : { **وتمت كلمة ربك** } .

والتفت سبحانه إلى ضمير التكلم مناجاةً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لأن الحضور أنسب مقام مع المناجاة تثبيتاً لفؤاده عليه الصلاة والسلام على أداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الأذى ، وذلك لأن الإنسان إذا ابتلي بمحنة وبلية فإذا رأى له فيه مشاركاً خف ذلك على قلبه كما يقال: المصيبة إذا عمت خفت[٢] ، (أي نجعل به فؤادك مثبتاً بزيادةً يقينه بما قصصناه عليك ووفور طمأنينته ، لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب وأرسخ في النفس وأقوى للعلم)[٣] وضمير التكلم أنسب في الود والقرب من صيغة الغيبة ولهذا ظهر .

---

(١) سورة هود الآيات (١١٨ ـ ١١٩ ـ ١٢٠) .

(٢) انظر تفسير الفخر الرازي ج ١٨/٧٩.

(٣) انظر فتح القدير ج ٢/ ٥٣٥ ، وكذا الكشاف ج ٢/ ٢٩٩.

وانظر تفسير الآيات في روح المعاني ج٤ : ١٢ / ١١٧.

وكذا تفسير ابن عطية ج٣/ ٢١٦.

** سورة يوسف **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومن الالتفات من الغيبة إلى التكلم فى سورة يوسف قوله تعالى :{ **ولما بلغ أشده اتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزى المحسنين** }[١]

وذلك بعد قوله تعالى : { **والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون** }[٢].

موضع الالتفات فى قوله تعالى : { **اتيناه** } وكذا فى قوله تعالى : { **نجزى** } بصيغة التكلم وذلك بعد الغيبة فى الآية التى سبقت هذا وهى قوله تعالى : { **الله غالب على أمره** } وكان مقتضى السياق - ولما بلغ أشده آتاه الله حكماً وعلماً - بدل : { **اتيناه** } ولكن من الملاحظ على كثير من مواضع العطاء والهبة يظهر ضمير التكلم أو كما يسمى نون العظمة ليعبر عن تعظيم شأن المعطى والمعطى له وكذلك نوع العطاء قال الزمخشري وعن الحسن:(من أحسن عبادة ربه فى شبيبته آتاه الله الحكمة فى اكتهاله)[٣] جزاء على صلاحه وتقواه وزيادة تفضل من الكريم المنان وقد وهب يوسف عليه الصلاه والسلام أعظم هبة يهبها عباده الاخيار ألا وهى (النبوة أنه حباه بها بين أولئك الأقوام)[٤] وقال ابن عطية : (يحتمل أن يريد الحكمة والنبوءة وهذا على الأشد الأعلى ، ويحتمل الحكمة والعلم دون النبوءه ..... { وعلماً } يريد تأويل الأحاديث وغير ذلك . ويحتمل أن يريد بقوله : {حكماً} أى سلطاناً فى الدنيا وحكماً بين الناس بالحق. وتدخل النبوءه وتأويل الأحاديث وغير ذلك)[٥] وأياما كان ذلك فهو عطاء جزيل من لدن وهاب كريم يستحق تلك الوقفه بذلك الالتفات الجميل .

---

(١) الآية (٢٢) من سورة يوسف .
(٢) الآية (٢١) من سورة يوسف .
(٣) انظر الكشاف ج٢/ ٣١٠.
(٤) انظر تفسير ابن كثير ج٢/ ٤٧٤ .
(٥) انظر تفسير ابن عطية ج٣ / ٢٣١ .

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شىء إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **لما علمناه** } فى ضمير التكلم وذلك بعد قوله تعالى : { **ما كان يغنى عنهم من الله من شىء**} بضمير الغيبة فى لفظ الجلالة . وكان مقتضى السياق أن تأتى الآية كالتالى - لما علمه الله - جرياً على منهاج سابقه ولكنه آثر سبحانه وتعالى ضمير التكلم فى : { **علمناه** } لحكمة قال فيها الثعالبى* : (مدح الله تعالى يعقوب عليه الصلاة والسلام فى كتابه فقال { **وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون** } لأنه عمل الأسباب واجتهد فى توفيتها وهو مقتضى الحكمة ثم رد الأمر كله لله تعالى واستسلم إليه وهو حقيقة التوحيد فقال { وما أغنى عنكم من الله من شىء إن الحكم إلا لله} الآية فأثنى الله تعالى عليه من أجل جمعه بين هاتين الحالتين العظيمتين)[٢] وكان ثناؤه بتلك النون التى تدل على العظمة إن الله وهب إلى نبيه يعقوب علماً عظيم الشأن وقد حفظه عليه الصلاة والسلام وعمل به[٣] على أكمل وجه ويكفى أن يكون المقام مقام تعظيم وقد أسند هذا العلم لله سبحانه وتعالى بهذا الضمير الذى يدل على التعظيم فهو (علم جليل لتعليمنا إياه بالوحى)[٤] .

---

(١) سورة يوسف الآية (٦٨) .

(٢) انظر تفسير الثعالبى الموسوم بجواهر الحسان فى تفسير القرآن ج٢/٢٤٧ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج٢/٤٨٥ ، وكذا انظر التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى ج١٨/١٧٦ ، وانظر روح المعانى ج٥ : ٢١/١٣.

(٤) انظر تفسير القاسمى محاسن التأويل ج٩ /٢٥١.

* سبقت ترجمته ص (٢٥٨).

سورة الرعد

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومما جاء في سورة الرعد المباركة قول الله تعالى :

{ وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون* وفي الأرض قطع متجاورت وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون }[١].

الالتفات في قوله تعالى : { **ونفضل بعضها على بعض في الأكل** }، بصيغة التكلم في قوله عز وجل [نفضل] وذلك بعد ذكره سبحانه بصيغة الغيبة في قوله تعالى : { **وهو الذي مد الأرض وجعل** } ، وكان مقتضى السياق أن يأتي اللفظ بصيغة الغيبة أيضاً مثل - ويفضل -[٢]، والعدول إلى التكلم تنبيهاً منه سبحانه على قدرته وحكمته وأنه المدبرللأشياءكلها[٣] ، جاء الالتفات ليدل على عظم هذه الآيات وقوة حجتهاعلى وجوده سبحانه تعالى وأحقيته جل ثناؤه بالإفراد في العبادة وهذا بين واضح لأنها مع اتفاقها في التربة والماء ، تفضل القدرة والإرادة بعض أكلها على بعض[٤] ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم حين سئل عن هذه الآية فقال :

---

(١) سورة الرعد الأيتين (٣ ، ٤) .

(٢) قرأ حمزة والكسائي (يفضل بالياء عطفاً على قوله ،يدبر ويفضل ويغش، التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٩/ ٨ ، وقال الزمخشري (ونفضل)بالنون وبالياء على البناء للفاعل والمفعول جميعاً

انظر الكشاف ج٢ ص(٣٤٩) .

(٣) انظر تفسير البحر المحيط ج٥ ص (٣٦٣) .

(٤) انظر تفسير الثعالبى ج٢ / ٢٦٤ .

(الدقل والفارسي والحلو والحامض) قال الحسن : هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم)[١] ، ففي ذلك آيات لمن كان داعياً وهو من أعظم الدلالات على الفاعل المختار الذي بقدرته فاوت بين الأشياء وخلقها على ما يريد[٢] ولهذا قال تعالى :

{ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون } .

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار }[٣] .

الالتفات في قوله تعالى : { **مما رزقناهم** }، في صيغة التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: { **ربهم** } ، وكان من حق النظم أن يسير على النحو التالي : - وأنفقوا مما رزقهم ربهم - بضمير الغيبة عنه سبحانه وتعالى كسابقه ولكن العدول إلى التكلم جاء تشريفاً لهذا الرزق وتأكيداً للعباد أنه الله الرّزاق يهبه لمن يشاء ليجعلهم وسائط له فقط[٤] يوصلونه(للذين يجب عليهم الانفاق لهم من زوجات وقرابات وأجانب من فقراء ومحاويج ومساكين)[٥] وإسناد هذا الرزق لضميره جل جلاله بنون العظمة إخبار منه سبحانه مؤكد بوجوب ترك التعالي والكبرياء بسبب معاونتهم لأنه يؤكد سبحانه فى

---

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ج٣ / ٢٩٥،
وكذا أخرجه ابن جرير من حديث عبدالله بن عباس موقوفاً ج ١٣ / ٦٨.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج٢ ص (٥١١)، وكذا تفسير القاسمي ج٩ ص (٣٢٨) .

(٣) سورة الرعد الآية (٢٢) .

(٤) انظر البحر المحيط ج٥ ص(٣٨٦) .

(٥) انظر تفسيرابن كثير ج٢ ص (٥١١) .
وكذا التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٩ ص (٤٣) .
وكذا تفسير ابن عطية ج٣ ص(٣٠٩) . وكذا تفسير روح المعاني ج٥ ص(١٤١) .

هذه الآية ومثيلاتها كثير في القرآن الكريم ، بأن الرزق شيء مقنن من لدن حكيم خبير وما هم إلا وسائط له فمن اعترف بهذا فله عقبى الدار(والذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الألباب)[١] .

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ **يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب* وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب** }[٢] .

الالتفات في قوله تعالى : { **وإن ما نرينك** } ، بضمير التكلم ، وذلك بعد قوله تعالى :{ **يمحوا الله** } بصيغة الغيبة ولو سار الأسلوب كسابقه لكانت الآية - وإن ما يريك الله - بدل قوله تعالى : { **نرينك** } ، وقد تتبعها (يتوفينك) ولكنه سبحانه أتى بصيغة التكلم تقرباً من رسوله وتشريفاً لمقامه الكريم صلى الله عليه وسلم ومناجاة له لأن المقام يتطلب هذا حيث يخبره سبحانه وتعالى بقوله: { **إن ما نرينك** } يا محمد بعض الذى نوعدهم من الخزي والنكال في الدنيا { **أو نتوفينك** }أي قبل ذلك { **فإنما عليك البلاغ** } أي إنما أرسلناك لتبلغهم رسالة الله وقد فعلت ما أمرت به { **وعلينا الحساب** }[٣] ، فكان ضمير التكلم هو الأنسب في الإيضاح لهذه الأمور والأقرب فى التلطف مع الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر تفسير الثعالبي ج٢ : ٤ / ٢٧٠ .

(٢) سورة الرعد الآيتين (٣٩ ، ٤٠) .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج٢ ص (٥٢١) .
وكذا تفسير الثعالبي ج٢ ص(٢٧٣) .
وكذا تفسير ابن عطية ج٣ ص(٣١٨) وكذا التفسر الكبير للفخر الرازي ج١٩ ص (١٩) وما بعدها .
وكذا انظر البحر المحيط ج٥ ص(٢٩٨) وما بعدها .

سورة إبراهيم

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

مما جاء من الالتفات من الغيبة إلى التكلم فى هذه السورة المباركة قول الله تعالى :

{ وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار* قل لعبادي الذين ءامنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال }[١] .

الالتفات في قوله تعالى : { **قل لعبادي** } في ضمير التكلم وذلك بعد قوله سبحانه وتعالى : { **وجعلوا لله أندادا** } في لفظ الجلالة الذي هو من قبيل الغيبة وكان مقتضى السياق ـ قل لعباد الله ـ مسايرة لما قبله ولكنه سبحانه (خصهم بالإضافة إليه تعالى رفعاً لهم وتشريفاً وتنبيهاً على أنهم المقيمون لوظائف العبودية الموفون بحقوقها)[٢] (فلما أمر الكافرين على سبيل التهديد والوعيد بالتمتع بنعم الدنيا أمر المؤمنين فى هذه الآية بترك التمتع بالدنيا والمبالغة في المجاهدة بالنفس والمال)[٣] { **من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال** } وهو يوم القيامة[٤] لا يتدارك به التقصيرأو يفتدي به[٥] من عذاب السعير إلا من أتى الله بقلب سليم وقد جاء هذا الضمير ليشعر عباد الله المؤمنون أنهم مضافون لجلال الله ورحمته وأنهم مبشرون بالخير كله طالما هم قريبون من مولاهم الحق .

---

(١) سورة إبراهيم الآيتين : (٣٠ ، ٣١) .

(٢) انظر ارشاد العقل السليم ج٣ / ١٩١ وكذا روح المعانى للآلوسي ج٥ : ١٣ / ٢٢٠ .

(٣) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٩ / ١٢٤ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ج٢ / ٥٤٠ .

(٥) انظر تفسير القاسمي ج ١٠ / ٣٠ . وانظر أضواء البيان للشنقيطي ج٣ ص (٩٩) .

سورة الحجر

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) قال الله سبحانه وتعالى :

{ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين * إلا ءال لوط إنا لمنجوهم أجمعين * إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغا برين }[١].

الالتفات في قوله تعالى : { **قدرنا** } ، بضمير التكلم لله سبحانه وتعالى وذلك بعد أن كان الكلام للملائكة حكاية عن الله في قوله تعالى : { **أرسلنا** } ، في صيغة الغيبة لفاعل { **أرسلنا** } ، وهو المولى عز وجل ثم جاء كلام الله مباشرةً في قوله تعالى: { **قدرنا** }[٢] ، وحكمته والله أعلم وأحكم في مناسبة هذا الضمر - نون العظمة - لمقام الانتقام فيزيد الموقف رهبةً وهيبةً ويصور هذا الانتقام بأعظم ما تكون عليه الشدة والجبروت ليدل على مقدار غضب الله جل ذكره من هذه المرأة التي هى زوج نبى الله ولكنها لم ترع ذلك فجعلها الله من الباقين ا لمهلكين[٣] في عذاب الله تعالى مع الكفرةلتهلك معهم[٤] ، فاستحقت ذلك الانتقام بتقدير من العزيز الحكيم .

---

(١) سورة الحجر الآيات (٥٨-٥٩-٦٠) .

(٢) قال القاسمي : ومن الناس من يحمل (قدرنا) من كلام الله تعالى غير محكي عن الملائكة قال في الانتصاف وهو الظاهر لاستغنائه عن التأويل ، انظر تفسير القاسمي ج١٠ / ٦٠ . وكذا انظر الانتصاف في هامش الكشاف ح٢ / ٣٩٤ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ح٢ / ٥٥٥ .

(٤) انظر روح المعاني ح٥ /٦٧ . وكذا تفسير الثعالبي ج٢ / ٢٩٧ .

وكذا انظر تفسير الفخر الرازي ح ١٩ ص (١٩٩) وما بعدها وكذا تفسير ابن عطية ح٣ / ٣٦٧ .

لقد إعتبر ابن الأثير البناء للمجهول من قبيل الغيبة قال هذ ا عند تفسيره لسورة الفاتحة في قوله تعالى: { غير المغضوب عليهم } فاعتبره التفاتاً لأنه بعد قوله تعالى {أنعمت } التي بني فيه الفعل للمعلوم ثم انتقل بعده إلى البناء للمجهول في ({المغضوب} انظر المثل السائر ح٢ / ١٧٠، ١٧١ .

(٢) ومنه قوله تعالى :

{ فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون * وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين}[1] .

الالتفات في قوله تعالى : { **وقضينا إليه** } بصيغة التكلم في(قضينا) وذلك بعد صيغة الغيبة التي جاءت في قوله تعالى : { حيث تؤمرون }بالبناء للمجهول وقد فسره بعض المفسرين[2] بأوحينا وهو خاص به جل ذكره أما حكمته فهي إشعار الله تبارك وتعالى نبيه لوطاً بقربه منه في هذه الشدة يوحي إليه في نفسه ويديره بأمره لطفاً به وتكرماً ومواساةً لحاله فقد ترك الوطن والأهل والعشيرة وفر إلى رحمة ربه القريب المتعال كما إن هذه النون تظهر عظمة هذا الموقف وشدته على القلوب ولكنه من لدن حكيم خبير فقد كان هؤلاءالأقوام أ خبث خلق الله بشهادة نبيهم عليهم - عليه - أ فضل الصلاة والسلام - قال الزمخشري : (وعدى امضوا إلى (حيث) تعديته إلى الظرف المبهم لأن (حيث) مبهم في لأمكنة وكذلك الضميرفي "تؤمرون")[3] فهويذكر أن هنالك ضميراً للغائب مستتراً في هذا الفعل المبني للمجهول .

---

(١) سورة الحجر الأيتان (٦٥-٦٦) .

(٢) انظر تفسير روح المعاني ج٥: ١٤ ص (٧٠) . وكذا الكشاف ج٢/ ٣٩٥ وكذا التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٩/ ٢٠١، وقال ابن كثير (وقضينا) ، أي تقدمنا إليه في هذا ج٢ / ٥٥٥ .
وانظر تفسير الثعالبي ج٢ / ٢٩٧ وكذا تفسير البحر المحيط ج٥ / ٤٦١ .
وانظر محاسن التأويل للقاسمي ج١٠ /٦١ .

(٣) انظر الكشاف ج٢ / ٣٩٥ .

(٣) وانظر عظمة الالتفات في قوله تعالى :

{ إن ربك هو الخلاق العليم* ولقد ءاتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم }[١] .

لا يخفى أن الالتفات في قوله تعالى : { **ءاتيناك** } بضمير التكلم وذلك بعد قوله تعالى : { **إن ربك** } بصيغة الغيبة وكان مقتضى السياق أن تكون الآية ـ ولقد أتاك ربك ـ بدل : { **آتيناك** } ولكنه عز من قائل أثرصيغة التكلم في : (أتيناك) وهذا كثير جداً عند ذكر العطاء يسنده الحق مباشرة له سبحانه بهذه النون وذلك ليكون الكلام أبلغ في الحجة وأضحد للخصوم الذين نسبوا القرآن إفتراءً منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم في لمحة موجزةٍ بليغةٍ يسند المولى الخلاق العليم هذا القرآن له سبحانه ويعظم شأنه ويبرىء حبيبه الصادق المصدوق من تهمة وضع القرآن ويؤكد على أن هذا العطاء لا يضاهيه عطاء في الدنيا لأنه كما قال تعالى : { **سبعاً من المثاني والقرآن العظيم** } قال الرازي في هذه الآية : (اعلم أنه تعالى لما صبّره على أذى قومه وأمره بأن يصفح الصفح الجميل أتبع ذلك بذكر النعم العظيمة التي خص الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بها ، لأن الإنسان إذا تذكر كثرة نعم الله عليه سهل عليه الصفح والتجاوز)[٢] ويا لها من نعمة على الدنيا ؛ سعادة الدارين فكيف لا يأتي ضمير الغظمة معها ليبرهن على علو شأنها وقد اختلف المفسرون في هذه الآية وكثير منهم [٣] رجح أن السبع المثاني هي أم الكتاب - سورة الفاتحة - وقد أوردوا احاديث كثيرة تدل على ذلك .

---

(١) سورة الحجر الآيتين (٨٦-٨٧) .

(٢) انظر التفسير الكبير ج ١٩ / ٢٠٧ وكذا محاسن التأويل للقاسمي ج١٠ / ٦٨ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج٢ ص (٥٥٨) وكذا البحر المحيط ج٥ ص (٤٦٥) وكذا تفسير ابن عطية ج٣ ص (٣٧٣) . وكذا روح المعاني ج٥ : ١٤ / ٨٧ .

سورة النحل

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومن هذا اللون من الالتفات ماجاء في سورة النحل من قوله تعالى :

{ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشآء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون }[1] .

الالتفات في قوله تعاى : **{ أنه لا إله إلا أنا }** بضمير التكلم وذلك بعد صيغة الغية في كثير من المواضع أولها قوله تعالى:

{ ينزل } ، (وجاءت الحكاية على المعنى في قوله **{ إلاأنا }** ولوجاءت على اللفظ لكان لا إله إلا الله وكلاهما سائغ وحكاية المعنى هنا أبلغ إذ فيها نسبة الحكم إلى ضمير المتكلم المنزل للملائكة ثم دل على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السماوات والأرض وهم مقرون بأنه تعالى هو خالقها وبالحق أي بالواجب اللائق)[2] ، وقد ناسب الالتفات إلى ضمير التكلم مقام الأمر في الخطاب الذى ذيلت به الآية في قوله تعالى: { فاتقون} ، فكانت مواجهة العباد بهذا الأمرهي الأبلغ وقد مهد لهذا ضميرالتكلم (أنا) والمقصود بالروح التي ينزّل بها المولى الملائكة هو الوحي (الذي أنزلت به الملآئكة مفسر بإنذار الناس بلا إله إلا الله وأمرهم بتقواه)[3] ، وكذا (فاتقون خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات)[4] أيضاً .

---

(١) سورة النحل الآية (٢) .

(٢) انظر البحر المحيط ج٥ / ٤٧٤ ، وكذا انظر تفسير ابن عطية ج٣ / ٣٧٩ .

(٣) انظر أضواء البيان للشنقيطي ج٣ / ٩٢ .
وكذا روح المعاني ج٥ ص (٩٤) وما بعدها . وكذ ا تفسير ابن كثير ج٢ ص (٥٦٢) .

(٤) انظر تفسير العلامة أبي السعود ج٣ ص (٢٤٥) .

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{ **الذين تتوفاهم الملا ئكة ظالمي أنفسهم فألقوا السَّلَم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون** }[١] .

الالتفات في قوله تعالى : { **ما كنا نعمل** } بصيغة التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى : { **الذين تتوفاهم** } وكان مقتضى السياق أن تأتي قائلين[٢] ، أو قالوا. ولكن أتى الالتفات المباشر دون تمهيد ليفاجيء الواقف على الآية بتلك الصورة التي استحضرها هذا الأسلوب عياناً في الذهن محدثاً تلك الهزة الشعورية وما يصحبها من تعجب لافتراء هؤلآء على ربهم وهو السميع العليم فقد جحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم أولو العلم { **إن الله عليم بما كنتم تعملون** }[٣] ، فهو يجازيكم عليه وهذا أوانه[٤] فادخلوا أبواب جهنم خالدين ، وقد سجل عليهم هذا الضمير ما أنكروه في الآخرة لعل هذا المشهد يحي بعض القلوب التي مازال فيها رمق الحياة وأثر الفطرة السليمة .

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ **والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبو ئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون** }[٥] .

الالتفات في هذه الآية الكريمة في قوله تعالى : { **لنبو ئنهم** } بصيغةالتكلم وذلك بعد أسلوب الغيبة في قوله تعالى: { **والذين هاجروا في الله** } في لفظ الجلالة (الله) وكان

---

(١) سورة النحل الآية (٢٨) . (٢) انظر روح المعاني للآلوسي ج٥: ١٤ ص (١٢٩) .

(٣) انظر الكشاف ج٢ / ٤٠٧ وانظر أضواء البيان للشنقيطي ج٣/ ٢٣٧ وما بعدها .

(٤) انظر تفسير العلاّمة أبي السعود ج٣ / ٢٦٠ وفي الآية (٢٨)

في الآية التفاتٌ آخر من الغيبة إلى الخطاب وذلك في قوله تعالى {تتوفاهم الملآئكة } بصيغة الغيبة ثم نقل الأسلوب إلى الخطاب فى قوله تعالى : { بما كنتم تعملون} درس في فصله ص (١٢٣) . (٥) سورة النحل الآية (٤١) .

مقتضى السياق -ليبوئنهم - باستمرار صيغة الغيبة عنه سبحانه تمشياً مع سابقه ولكنه عز وجل أراد أن يحمّل الكلام زيادة تأكيد على المعنى وينقل إلى المهاجرين هذا الوعد العظيم بنفسه عز وجل فاختفى ضمير الغيبة وظهر مكانه ضمير التكلم في أعظم بشرى يزفها الله سبحانه وتعالى للمهاجرين وهى : (يبوأهم الله مباءة حسنة أو تبوئه حسنة[١] ، وهذاأجرالدنيا كما ورد في الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ أنه كان يعطي المال وقت القسمة للرجل من المهاجرين ويقول له : خذ ما وعدك الله في الدنيا { **ولأجر الآخرة أكبر** } ، ثم يتلو هذه الآية[٢] ، وذلك ترغيب لغيرهم في طاعة الله تعالى[٣].

(٤) ومنه قول الله تعالى :

{ **وقال الله لا تتخذوا إلهين إثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون** }[٤].

الالتفات في قوله تعالى : {**فإياي**} ، التفات من الغيبة في قوله تعالى: {**وقال الله** } إلى التكلم (والنكتة فيه بعد النكتة العامة أعني الإيقاظ وتطرية الإصغاء: المبالغة في التخويف والترهيب فإن تخويف الحاضر مواجهة أبلغ من تخويف الغائب سيما بعد وصفه بالوحدة والألوهية المقتضية للعظمة والقدرة التامة على الانتقام)[٥]،وقال الرازي : وهذا رجوع من الغيبة إلى الحضور ،

---

(١) انظر تفسير أبي السعود ج٣ / ٢٦٦ .
وكذا تفسير البحر المحيط ح٥ / ٤٩٢ .

(٢) انظر تفسير ابن عطية ح٣ / ٣٩٥ . وكذا تفسير ابن كثير ح٢/٥٧١.
وكذا تفسير القاسمي محاسن التأويل ح١٠ / ١١١ .

(٣) انظر التفسير الكبير للفخري الرازي ح٢٠ / ٣٤ .

(٤) سورة النحل الآية (٥١) .

(٥) انظر روح المعاني للألوسي ح٥ : ١٤ / ١٦٣. وكذا انظر فن البلاغة د/ عبدالقادر حسين / ٢٨٤ -٢٨٥

والتقدير : أنه لما ثبت أنه الإله الواحد وثبت أن المتكلم بهذا الكلام إله ، فحينئذٍ ثبت أنه لاإله إلا المتكلم بهذا الكلام فحينئذٍ يحسن منه أن يعدل من الغيبة إلى الحضور ، ويقول { **فإياي فارهبون** } وفيه دقيقة أخرى وهى أن قوله {**فإياى فارهبون**} يفيد الحصر وهو أن لايرهب الخلق إلا منه وأن لا يرغبوا إلا في فضله وإحسانه[1].
وقال أبو السعود الالتفات من الغيبة إلى التكلم لتربية المهابة وإلقاء الرهبة فى القلوب[2]

(٥) وانظر إلى قوله تعالى في سورة النحل أيضاً :

{ **ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون * ليكفروا بما ءاتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون** }[3].

الالتفات في قوله تعالى : { **بما ءاتيناهم** } بصيغة التكلم وذلك بعد أن كان السياق للغيبة عنه سبحانه في قوله تعالى : { **بربهم** } ولو لم يعدل بالأسلوب إلى الالتفات لكان سياق الآية - بما أتاهم ربهم - تمشياً مع سابقه ولكن العدول إلى التكلم في قوله تعالى : { **ءاتيناهم** } يرمي إلى تسجيل هذه المنة العظمى على أولئك الذين (أشركوا بالله غيره في كشف ذلك الضر عنهم ، وغرضهم من ذلك الإشراك أن ينكروا كون ذلك الإنعام من الله تعالى ، ألا ترى أن العليل إذ ا ا شتد وجعه تضرع إلى الله تعالى في إزالة ذلك الوجع ، فإذا زال أحال زواله على الدواء الفلانى والعلاج الفلانى ، وهذا أكثر أحوال الخلق ---- وكأن هذه الحالة التي شرحها الله تعالى في هذه الآية تجري مجرى الصفة

---

(١) انظر التفسير الكبير ح٢٠/ ٤٨-٤٩ وكذا تفسير أبي السعود ح٣ / ٢٧٠.
(٢) انظر ارشاد العقل السليم ح٣/٢٧٠ وكذا فتح القدير ح٣/١٦٨ وكذا تفسير البيضاوى /٣٥٨.
(٣) سورة النحل الآيتين (٥٤.٥٥) .
في الآيتين التفات آخر من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى:{ ليكفروا} إلى قوله تعالى : { فتمتعوا فسوف تعلمون} درس في فصله ص (١٣٤) .

اللازمة لجوهر نفس الإنسان)[١] ، إلا من رحم ربي من عباد الله المخلصين وأولئك الجاحدون (توعدهم قائلاً فتمتعوا) أى اعملوا ما شئتم وتمتعوا بما أنتم فيه قليلاً {**فسوف تعلمون**} أي عاقبة ذلك[٢] وما ينزل بكم من العذاب[٣].

(٦) ومنه في نفس السورة المباركة قول الله تعالى :

{**تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم**}[٤] .

الالتفات في قول الله تعالى : {**لقد أرسلنا**} بصيغة التكلم وذلك بعد أسلوب غيبة في قوله تعالى: {**تالله**} وكان مقتضى السياق - لقد أرسل الله - تمشياً مع نفس الصيغة ولكن العدول إلى التكلم يفي بغرض بلاغي عظيم قال ابن كثير : (يذكر تعالى أنه أرسل إلى الأمم الخالية رسلاً فكذبت الرسل فلك يا محمد في إخوانك من المرسلين أسوة فلا يهيدنك تكذيب قومك لك ، وأما المشركون الذين كذبوا الرسل فإنما حملهم على ذلك تزيين الشيطان لهم ما فعلوه)[٥]، وهذاالقسم المقسوم عليه من إرساله جل جلاله للرسل أتى (تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يناله من جهالات قومه الكفرة ووعيدهم لهم على ذلك ، ولا يخفى ما في ذلك من عظيم التأكيد أي أرسلنا رسلاً إلى أمم من قبل أمتك أومن قبل إرسالك إلى هؤلآء فدعوهم إلى

---

(١) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٠/ ٥١ -٥٢.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج٢/ ٥٧٣.

(٣) انظر تفسير الرازي ج٢٠/ ٥٢.
وكذا في تفسير المجرر الوجيز لابن عطية ج٣/ ٤٠١. وكذا البحر المحيط ج٥/ ٥٠١.

(٤) سورة النحل الآية (٦٣) .

(٥) ج٢/ ٥٧٥.
وانظر تفسير ابن عطية ج٣/ ٤٠٤ ، وكذا تفسير القاسمي ج١٠/ ١٢٣.

الحق { فزين لهم الشيطان أعمالهم } القبيحة فلم يتركوها ولم يمتثلوا دعوة الرسل عليهم السلام)[1]. ونخرج من هذا أن هذا الالتفات لنون العظمة أفاد زيادة التأكيد على الفعل والتلطف مع النبي صلى الله عليه وسلم والتشريف للمرسلين وما أرسلوا به أما صيغة الغيبة فلمناسبة القسم الذي أكد به المولى إرساله للرسل عليهم السلام[2].

(٧) ومنه قول الله تعالى :

{ والله أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقومٍ يسمعون * وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين }[3] .

الالتفات في قوله تعالى : { **نسقيكم** } بصيغة التكلم وذلك بعد الغيبة في قوله تعالى : { **والله أنزل** } وكان مقتضى الظاهر - يسقيكم - بدل قوله تعالى: { **نسقيكم** } مما شاةً لما سبقه ولكن ورود صيغة التكلم سجلت هذا العمل العظيم منةً جليلة منه سبحانه على عباده وهذا الضمير يشعر هنا بتحننه سبحانه على عياله يسقيهم هذا اللبن كما تفعل الأم الرءوم الحريصة على ولد ها ولله المثل الأعلى وهو أحن من الوالدة على ولدها كما جاء في السنة المطهرة ثم (يبين تعالى آيته في الأنعام بما ذكر ليستدل به على وحدانيته وانفراده بالألوهية ، وليستدل به أيضاً على الحشر ، فإن العشب الذي يأكله الحيوان إنما يتولد من الماء والتراب ، فقلب الطين نباتاً وعشباً ثم تبديله دماً

---

(١) انظر تفسير روح المعاني ج٥ : ١٤/ ١٧٣ وكذا تفسير أبي السعود ج٣ / ٢٧٤ انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٠/٦١.

(٢) انظر تفسير البحر المحيط ج٥/ ٥٠٧.

(٣) سورة النحل الآيتين (٦٥ -٦٦) .

وجاء في روح المعاني ، وقرأ أبو رجاء يسقيكم بالياء مضمومة والضمير عائد على الله تعالى ج٥ :١٤/ ١٧٧ ، وكذا فتح القدير للشوكاني ج٣/ ١٧٤ وكذا في البحر المحيط ج ٥ / ٥٠٨.

وكذا تفسير ابن عطية ج٣/ ٤٠٤ وما بعدها .

في جوف الحيوان ثم تحويله إلى لبن ، أعظم عبرة على قدرته تعالى على قلب هذه الأجسام الميتة من صفة إلى صفة)[١] ،

فهي (عبرة د الة على تفرد من خلقها)[٢].

(٨) ومنه قول الله تعالى :

{ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لايقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمدلله بل أكثرهم لا يعلمون }[٣] .

الالتفات في قوله عز من قائل : { **رزقناه منا** } بصيغة التكلم وذلك بعد قوله تعالى : { **ضرب الله مثلاً** } ، التي أتت بصيغة الغيبة (والالتفات إلى التكلم للإشعار باختلا ف حال ضرب المثل والرزق)[٤] وفي اختيار ضمير العظمة تعظيم لأمر الرزق ويزيد ذلك تعظيماً قوله سبحانه : {**منا**} أي من جانب الكبير المتعال)[٥]. قال ابن عباس رضي الله عنه : قوله {**ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لايقدر على شيء**} يعني الكافر أنه لا يستطيع أن ينفق نفقةً في سبيل الله { **ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً** } يعني المؤمن وهذا المثل في النفقة[٦] ومما أفاده هذا الضمير - نون العظمة - التنبيه على أن ما بيده هو من فضل الله ورزقه ، وعلى تذكيره الإنفاق منه في السر والجهر ، ليكون عاملاً بأمر الله فيه[٧] .

---

(١) انظر محاسن التأويل للقاسمي ج ١٠/ ١٢٤.

(٢) انظر أضواء البيان ج٣/ ٢٦٩. ، وكذا فتح القدير للشوكاني ج٣ / ١٧٤. وكذا تفسير أبي السعود ج٣/ ٢٧٥ . وكذا التفسير الكبير للرازي ج ٢٠ / ٦٣.

(٣) سورة النحل الآية (٧٥) .

(٤) انظر ارشاد العقل السليم لأبى السعود ج٣ /٢٨١ (٥) انظر روح المعانى ج٥ : ١٤/ ١٩٥.

(٦) انظر تفسير الطبري ج ٧ : ١٤ / ١٠٠ ، وكذا التفسير الكبير للرازي ج٢٠/ ٨٣ ، وكذا البحر المحيط ج٥ : ١٤/ ٥١٩.

(٧) انظر محاسن التأويل للقاسمي ١٠/ ١٣٤.

(٩) ومنه قوله تعالى :

{ **يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون * ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لا يؤذن للذين كفروا ولاهم يستعتبون** }[١] .

الالتفات في قوله عز وجل : { **يوم نبعث من كل أمة** } في صيغة التكلم الوارد بعد الغيبة في قوله تعالى : { **نعمة الله** } ولو سار الأسلوب كالسابق لكانت - يوم يبعث الله - ولكنه جل ذكره أثر صيغة التكلم دلالة منه سبحانه على عظم هذا العمل - البعث - الذي ينفرد به عز وجل جاء به على صيغة الوعيد لؤلئك الكفرة وكيف يشهد عليهم أولئك الشهداء على إنكارهم للبعث وكفرهم بربهم[٢] ، قال قتاده قوله ويوم نبعث من كل أمة شهيداً وشاهدها نبيها على أنه قد بلغ رسالات ربه[٣] ، ولكنهم قوم مجرمون يعرفون نعمة الله ثم

ينكرونها وأكثرهم الكافرون .

(١٠) ومنه أيضاً قوله تعالى : { **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون** }[٤] .

الالتفات عند قوله تعالى: { **زدناهم** } بصيعة التكلم وهذا بعد أسلوب الغيبة في لفظ الجلالة في قوله عز وجل : { **سبيل الله**} وكان مقتضى السياق - زادهم الله - بدل { **زدناهم** } وهذا الالتفات العجيب يدل على شدة الغضب وتأكيد التذكير بهم فقد ضاعف لهم الله عذاباً على كفرهم وعذاباً على صدهم الناس عن إتباع الحق[٥] فاستحقوا بكفرهم حيات أمثال البخت وعقارب

---

(١) سورة النحل (٨٣ -٨٤) .

(٢) التفسير الكبير للرازي ج٢٠/٩٥ ، وكذاابن كثير ج٢/٥٨٢ وكذا البحر المحيط ج ٥ : ١٤/ ٥٢٥ ، وانظر كذا محاسن التؤيل للقاسمي ج ١٠ / ١٤٦ ، وكذا تفسير أبي السعود ج ٣/ ٢٨٦.

(٣) انظر تفسير الطبري ج١٤/ ١٠٦ وكذا فتح القدير ج٣/ ١٨٦.

(٤) سورة النحل الآية (٨٨) . (٥) انظر تفسير ابن كثير ج٢/ ٥٨٢ ، وكذا انظر فتح القدير للشوكاني ج ٣/ ١٨٧.

أمثال البغال تلسع إحداهن فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفاً، وقيل يخرجون من النار إلى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد إلى النار[١] ، وهذا يتناسب مع حال كفرهم وصدهم عن سبيل الله ومن الملاحظ أنه عند مقام الانتقام يظهر ضمير العظمة ويختفي لفظ الجلالة لأنه الاسم الجامع لكل أسماء الله وصفاته ومن أعظمها الرحمة التي لا تتناسب مع هذا المقام والله أعلم .

(١١) ومنه قول الله تعالى :

{ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ ولنجزينّ الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون }[٢] .

الالتفات في قوله تعالى : { **ولنجزينّ** } بصيغة التكلم بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى : { **وما عند الله** } (أى وثوابه لكم في الجنة لا انقطاع ولا نفاذ له فإنه دائم لا يحول ولا يزول : **{لنجزينّ الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون}** ، قسم من الرب تعالى مؤكد بالام أنه يجازى الصابرين بأحسن أعمالهم أي ويتجاوز عن سيئها)[٣]، وزاد هذا القسم تأكيداً ظهور (نون العظمة على طريقة الالتفات تكريرٌ للوعد المستفاد من قوله تعالى: إنما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد القسمي مبالغة في الحمل على الثبات في الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال من أن يقال ولنجزينكم أجركم بأحسن ما كنتم تعملون للتوسل إلى التعرض لأعمالهم والإشعار بعليتها للجزاء أى والله لنجزين (الذين صبروا على أذية المشركين ومشاق الإسلام التي من جملتها الوفاء بالعهود والفقر)[٤].

---

(١) انظر تفسير أبي السعود ج٣/ ٢٨٧ وكذا تفسير الطبري ج ٧ : ١٤/ ١٠٧.

(٢) سورة النحل الآية (٩٦) ، [إنما عندالله هو خير لكم] جزء من الآية (٩٥) من سورة النحل .

(٣) تفسير ابن كثير ج٢/ ٥٨٦.

(٤) انظر تفسير أبي السعود ج٣/ ٢٩٠ وكذا روح المعاني ج ٥ : ١٤/ ٢٢٥. وانظر تفسير ابن عطية ج٣/ ٤١٩ .

(١٢) ومنه قول الله تعالى :

{ إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين * شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراطٍ مستقيم * وءاتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين }[١] .

الالتفات في قوله تعالى : { **وءاتيناه** } بصيغة التكلم وذلك بعد الغيبة في قوله تعالى: { **لله** } أتى الالتفات إلى التكلم لإظهار كمال الاعتناء بشأنه وتفخيم مكانه عليه السلام[٢] ، وكذا ما آتاه الله الذي قال فيه المفسرون { **وءاتيناه في الدنيا حسنة** }أي خصلة حسنة أو حالة حسنة ، وقيل هي الولد الصالح ، وقيل الثناء الحسن ، وقيل النبوة، وقيل الصلاة منا عليه في التشهد ، وقيل هي أنه يتولاه جميع أهل الأديان ، ولا مانع أن يكون ما آتاه الله شاملاً لذلك كله ولما عداه من خصال الخير[٣] ، فقد جمع له سبحانه خير الدنيا من جميع ما يحتاج المؤمن إليه في إكمال حياته الطيبة ---- وقال مجاهد : أى لسان صدق[٤] وقال قتادة إن الله حببه إلى كل الخلق فكل أهل الأديان يقرون به[٥] ولما سبق ظهرت نون العظمة لتدل كما أسلفنا على عظمة هذه الهبة ومن وهب ومن وهب له والله أعلم .

---

(١) سورة النحل الآيات (١٢٠-١٢١-١٢٢) .

(٢) انظر روح المعاني ج٥ : ١٤/٢٥١. وكذا تفسير أبي السعود ج٣/ ٢٠٢

(٣) انظر فتح القدير للشوكاني ج٣/ ٢٠٢ وانظر كذا محاسن التأويل ج١٠/ ١٧٥.

(٤) انظر ابن كثير ج٢/ ٥٩٢.

(٥) انظر التفسير الكبير ج٢٠/ ١٣٥.

** سورة الإسراء**

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) مما جاءمن الالتفات من الغيبة إلى التكلم فى هذه السورة المباركة قول الله تعالى :

{سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير }[١] .

الالتفات كما لا يخفى فى قوله تعالى : {**باركنا حوله لنريه من أياتنا**} بصيغة التكلم لله سبحانه وتعالى بعد ذكره جل وعلا بصيغة الغيبة فى قوله تعالى : {**سبحان الذى أسرى بعبده**} وكان حق السياق استمرار صيغة الغيبة فتأتى الآية - بارك - بدل {**باركنا**} وليريه - بدل {**لنريه**} ومن آياته بدل {**من آياتنا**} خصوصاً وأن الآية ختمت بصيغة الغيبة فى قوله تعالى : {**إنه هو السميع البصير**} ولكنه سبحانه عدل إلى التكلم على طريقة الالتفات ليزيد تلك البركة تشريفاً وتعظيماً[٢] وقال سبحانه أى أن هذه البركه التى باشر فعلها الرب المعبود لا تقتصر على المسجد الأقصى فقط وإنما تفيض منه لعظم قدرها إلى ما حوله . قال المفسرون: قيل بالثمار والازهار وقيل بسبب أنه مقر الانبياء ومهبط الملائكة[٣] وليدل سبحانه على قدرته وتمكنه من فعل هذه المعجزة الباهرة فى الإسراء بالحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم إلى هذا المكان المبارك بعد أن

---

(١) سورة الإسراء آية (١) .

(٢) انظر الكشاف ح٢/٤٣٧ وكذا انظر روح المعانى ح٥ : ٣/١٥ وكذا أبو السعود ح٣ /٣٠٩ ، وكذا محاسن التأويل للقاسمي ح١٠/١٨٦ .

(٣) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ح٢٠ /١٤٦ وكذا فتح القدير للشوكانى ح٣ /٢٠٦ وكذا تفسير ابن عطية ح٣/٤٣٦ وكذا اضواء البيان للشنقيطى ح٣/٣٦٥ .

فارق أيضاً مكاناً مباركاً واطلاعه صلى الله عليه وسلم على تلك الآيات التى تعد من الغيبيات بالنسبه لكافة البشر ولكنه اصطفى حبيبه محمداً بها فأراه تلك الآيات العظام التى زادها إجلالاً وتفخيماً نسبتها بهذه الإضافة إلى ضميره جل ذكره عوداً إلى التعظيم ودليلاً على الاقتدار . وقد أورد هذه الآية دليلاً على هذا النوع من الالتفات بعض المفسرون والبلاغيون نختارمنهم ابن الأثير الذى قال : (ومما جاء من الالتفات مراراً على قصر متنه ، وتقارب طرفيه ، قوله تعالى أول سورة بنى إسرائيل)(١) وأورد الآية المباركة ثم قال (فقال أولاً : {**سبحان الذى أسرى**} بلفظ الواحد ، ثم قال { **الذى باركنا** } بلفظ الجمع ، ثم قال : {**إنه هو السميع البصير**} وهو خطاب غائب ولو جاء الكلام على مساق الأول لكان : {**سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى**} بارك حوله ليريه من آياته {**إنه هو السميع البصير**} . وهذا جميعه يكون معطوفاً على {**أسرى**} فلما خولف بين المعطوف والمعطوف عليه فى الانتقال من صيغة إلى صيغة كان ذلك اتساعاً وتفنناً فى أساليب الكلام ، ولمقصد آخر معنوى هو أعلى وأبلغ وسأذكر ما سنح لى فيه ، فأقول)(٢) .

من الملاحظ على كلام ابن الأثير أنه أشار إلى أنواع عدة من الالتفات واكتفى بقوله عن قوله تعالى { **باركنا** } بلفظ الجمع ولم يذكر أنه تغيير فى وجه الصيغة من الغيبة إلى التلكم ولكنه استدرك هذا عندما حول الضمير من التكلم إليها وقد ذكر المقصد العام من الالتفات ثم لنسمعه يقول المقصد الخاص بهذا الموضع قال : (لما بدأ الكلام بسبحان ردفه بقوله : { **الذى أسرى** } إذ لا يجوز أن يقال الذى أسرينا فلما جاء بلفظ الواحد ، والله تعالى أعظم العظماء وهو

فى الآية التفات آخر من التكلم إلى الغيبة سنجده فى فصله (٣٠٧) .

(١) كتاب المثل السائر ح١٧١/٢ ، ١٧٢.

(٢) المرجع نفسه ص (١٧٢) .

أولى بخطاب العظيم فى نفسه الذى هو بلفظ الجمع استدرك الأول بالثانى ، فقال : { **باركنا** } ثم قال : { **لنريه من آياتنا** } فجاء بذلك على نسق { **باركنا** } ثم قال : { **إنه هو** } عطفاً على { **أسرى** } وذلك موضع متوسط الصفةلأن السمع والبصر صفتان يشاركه فيهما غيره، وتلك حال متوسطة ؛ فخرج بهما عن خطاب العظيم فى نفسه إلى خطاب غائب . فانظر إلى هذه الالتفاتات المترادفة فى هذه الآية الواحدة التى جاءت لمعانٍ اختصت بها ، يعرفها من يعرفها ؛ ويجهلها من يجهلها)(١) .

(٢) ومنه فى هذه السورة المباركه قول الله تعالى :

{ **عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً** }(٢) .

الالتفات فى قول الحق تبارك وتعالى : { **وإن عدتم عدنا** } فى ضمير التكلم { **عدنا** } وذلك بعد ذكره سبحانه وتعالى لنفسه الشريفة بطريق الغيبة فى قوله تعالى : { **عسى ربكم** } . وكان حق السياق سير الأسلوب على نفس النمط ويكون - إن عدتم عاد - بصيغة الغيبة ولكنه عز وجل التفت إلى التكلم لإشعارهم بحضوره سبحانه وتعالى فى كل زمان ومكان وقدرته سبحانه على مبادرتهم بالعقاب قال ابن كثير - رحمه الله-:({ وإن عدتم عدنا} أى متى عدتم إلى الفساد {عدنا} إلى الإدالة عليكم فى الدنيا مع ما ندخره لكم فى الآخرة من العذاب والنكال ، ولهذا قال :{ وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً } أى مستقراً ومحصراً وسجناً لا محيد لهم عنه)(٣) وقد نزلت هذه الآية فى بنى اسرائيل بدليل ما قبلها قال الطبرى : (يقول تعالى ذكره لعل ربكم

---

(١) المرجع نفسه ص (١٧٢) .

وانظر دراسات فى البلاغة د / محمد بركات /١٤٨ وكذا الفوائد ؟؟؟ لابن القيم /١٤٤

وكذا اساليب بلاغية د / أحمد مطلوب ص (٢٨١) وكذا المعانى فى ضوء اساليب القرآن ص (٢٦١) .

(٢) سورة الاسراء الآية (٨) .

(٣) تفسير ابن كثير ج٣ /٢٧ وكذا تفسير الدر المنثور فى التفسير المأثور للسيوطي ج٥/٢٤٥ .

يا بنى اسرائيل أن يرحمكم بعد انتقامه منكم بالقوم الذين يبعثهم الله عليكم ليسوء مبعثه عليكم وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة فيستنقذكم من أديهم وينتشلكم من الذل يحله بكم ويرفعكم من الخمولة التى تصيرون إليها فيعزكم بعد ذلك) ثم قال : قال ابن عباس فى قوله { **عسى ربكم أن يرحمكم** .... إلخ } عادوا فعاد ثم عادوا فعاد ثم عادوا فعاد قال فسلط الله عليهم ثلاثة ملوك.....)[١] فكان هذا الالتفات لزيادة ترهيبهم والتضييق عليهم عسى أن يرتدعوا ويقلعوا عما هم فيه .

(٣) ومنه قوله تعالى :

{ **وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شىء فصلناه تفصيلاً** }[٢] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **فصلناه** } بصيغة التلكم وكانت مسايرة الاسلوب تقتضى قوله - فصله - باستمرار صيغة الغيبة السابقة عليه فى قوله تعالى :{ **ربكم** } ولكنه أراد سبحانه نسبة هذه الآية العظمى من تفصيل الأمور عامة له سبحانه فقال : (بياناً غير ملتبس فأزحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا)[٣] فلا بد أن يكون هذا أكبر دليل على وجوده سبحانه ووحدانيته

---

(١) تفسير الطبرى ح١٥/(٣٤ ، ٣٥) وكذا الكشاف ح٢/٤٣٩ .
وانظر تفسير الثعالبي ح٢/٣٣٢ وكذا محاسن التأويل للقاسمي ح١٠/٢٠٤.
وكذا تفسير روح المعانى ح٥ : ١٥/ ٢١.

(٢) سورة الاسراء الآية (١٢) .

(٣) انظر الكشاف للزمخشري ح٢/٤٤٠ . ، وكذا تفسير الدر المنثور للسيوطي ح٥/٢٤٨.
وانظر كذا لتفسير الكبير للرازى ح٢٠/١٦٦. ، وكذا تفسير ابن عطية ح٣ /٤٤٢ .

وفيه أيضاً منة جليلة منه سبحانه على عباده عامة لا يستطيعون تجاهلها البته فهى وحدها (برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل من ينتحيه فإن الجعل المذكور وما عطف عليه وإن كانا من الهدايات التكوينية لكن الإخبار بذلك من الهدايات القرآنية المنبهة على تلك الهدايات)[١] لذلك أردف سبحانه ذكر هذه الهدايات بقوله : { **فصلناه** } بنون العظمة لتكون قبساً منه يرشد عباده إلى وجوب طاعته وحده دون سواه وهذا من عظيم مقاصد القرآن الكريم .

(٤) ومنه فى نفس السورة المباركه قوله تعالى :

{ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف فى القتل إنه كان منصور }[٢] .

لا يخفى ان الالتفات فى قوله تعالى : { **جعلنا** } ووجود صيغة التكلم فى الأسلوب أفادت التأكيد على نصرة صاحب الحق (لأن ذلك المقتول منصور بواسطة إثبات هذه السلطنه لوليه)[٣] من ورثة إن كانوا موجودين ، أو ممن له سلطان إن لم يكونوا موجودين . والسلطان المتسلط على القاتل إن شاء قتل وإن شاء عفا وإن شاء أخذ الدية[٤] ونهاه سبحانه من الإسراف فى القتل ، ووعده بأنه منصور[٥] ولذا جاءت نون العظمة توثق هذا الوعد وتؤكده .

---

(١) انظر تفسير روح المعانى ج٥ : ٢٥/١٥ .

فى الآية (١٢) التفات أخر فى قوله تعالى : { فضلاً من ربك } بصيغة الغيبة بعد صيغة التكلم فى قوله تعالى { وجعلنا } درس فى فصله ص (٣٠٨) .

(٢) سورة الاسراء الآية (٣٣) .

(٣) انظر تفسير الكبير للرازى ج٢٠/٢٠٢ .

(٤) انظر روح المعانى ج٥ : ١٥ /٦٩ .

وكذا تفسير أبى السعود ج٣/٢٢٥ وكذا محاسن التأويل للقاسمي ج١٠ /٢٢٦.

(٥) انظر اضواء البيان ج٣ /٥٥٥ وكذا تفسير ابن جرير الطبرى ج٨ : ٥٨/١٥ .

(٥) ومنه قول الله تعالى :

{ أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً * ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفوراً }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **ولقد صرفنا** } باسلوب التلكم بعد صيغة الغيبة الواردة فى أول الآية المباركة فى قوله تعالى : { **أفأصفاكم ربكم** } (يقول تعالى ذكره ولقد صرفنا لهؤلاء المشركين المفترين على الله فى هذا القران العبر والآيات والحجج وضربنا لهم فيه الأمثال وحذرناهم فيه وأنذرناهم ليذكروا ... تلك الحجج عليهم فيعقلوا خطأ ما هم عليه مقيمون ويعتبروا بالعبر فيتعظوا بها وينيبوا من جهالتهم)[٢] كل تلك المعانى العظام وجهت إليها نون العظمة فى : { **صرفنا** }ليدبروا ما فيه من آيات ويتعظوا ويطمئنواله فإن التكرار يقتضى الإذعان واطمئنان النفس ولكن أولئك الخاطبون {ما يزيدهم } ذلك التصريف {إلا نفورا}[٣] .

(٦) ومنه قول الله تعالى :

{ ربكم أعلم بكم ان يشاء يرحمكم أو إن يشاء يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلاً }[٤] .

---

(١) سورة الاسراء الآيتين (٤٠ ، ٤١) .

(٢) انظر تفسير ابن جرير الطبرى ج٨ : ٦٤/١٥.

(٣) انظر تفسير روح المعانى ج٥ : ٨١/١٥ ، ٨٢ .

وكذا البحر المحيط ج٦٤/٨ وانظر اضواء البيان للشنقيطي ج٣ /٧٣٨ وما بعدها .

وفى الآيتين موضع آخر للالتفات من الخطاب فى قوله تعالى : { أصفاكم } إلى الغيبة فى : { ليذكروا} درس فى فصله ص(١٩٦)

(٤) سورة الاسراء الآية (٥٤) .

فى هذه الآية نوعان[١] من الالتفات الأول فى قوله تعالى :

{ **وما ارسلناك** } بصيغة التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة فى قول الله تعالى : { **ربكم** } . وكان مقتضى السياق - وما ارسلك - بدل : { **ارسلناك** } ولكنه سبحانه أورد صيغة التكلم فى { **أرسلناك** } تحنناً وتقرباً من الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وحجة دامغة فى صدق رسالته التى جحدها هؤلاء المشركون من قريش فأخبرهم ربهم بقوله : (إن يشاء يرحمكم فيتوب عليكم برحمته وتنيبوا إليه وإن يشاء يعذبكم بأن يخذلكم عن الإيمان فتموتوا على الشرك فيعذبكم عليه يوم القيامة)[٢] .

بدأ المولى بالخطاب الحسن ليصير ذلك سبباً لجذب قلوبهم وميل طباعهم إلى الدين الحق ...... ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم { **وما أرسلناك عليهم وكيلاً** } أى لا تشدد الأمر عليهم ولا تغلظ لهم فى القول ، والمقصود .... إظهار اللين والرفق لهم عند الدعوة فإن ذلك هو الذى يؤثر فى القلب ويفيد حصول المقصود[٣] فمن أطاعك دخل الجنة ، ومن عصاك دخل النار[٤] .

(٧) ومنه قوله تعالى :

{ **وربك أعلم بمن فى السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وءاتينا داود زبوراً** }[٥] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **ولقد فضلنا** } بصيغة التلكم وذلك بعد صيغة الغيبة فى قوله تعالى : { **وربك أعلم** } وذلك يدل

---

(١) الالتفات الآخر من الخطاب إلى الغيبة درس فى فصله ص (١٩٧) .

(٢) انظر تفسير ابن جرير الطبرى ج٨ : ٧١/١٥ وكذا محاسن التأويل ج٢٣٩/١٠.

(٣) انظر التفسير الكبير للرازى ج٢٢٩/٢٠.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ج٣ /٤٧ .

(٥) سورة الاسراء الآية (٥٥) .

على أن هـذا التفضيل هبة منه سبحانه قال ابن كثير (لا خلاف ان الرسل أفضل من بقيه الأنبياء وأن أولى العزم منهم أفضلهم)[١] وهذا التفضيل عن علم منه بمن هو أعلى رتبه وبمن دونه . وبمن يستحق مزيداً من الخصوصيه بتكثير فضائله وفواضله[٢] بالفضائل النفسانيه والمزايا القدسيه وإنزال الكتب السماوية لا بكثرة الاموال والاتباع[٣] وقد تبع هذه النون التى تدل على العظمة فى قوله تعالى : { **فضلنا** } قوله تعالى { **وءاتينا داود زبوراً** } إشارة إلى عظيم منته على نبيه داود وشرف الكتاب الذى آتاه إياه العزيز الحكيم .

(٨) ومنه قول الله تعالى :

{ **وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً** }[٤] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **وما جعلنا** } بصيغة التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة فى قوله تعالى : { **إن ربك** } وكان مقتضى السياق - وما جعل ربك ولكنه سبحانه آثر صيغة التكلم عوداً على ذى بدء وظهور هذا الضمير زاد فى تعظيم تلك الرؤية التى رأى فيها النبى صلى الله عليه وسلم مصرع أعداء الله من القرشيين فى يوم بدر الكبرى[٥] وقيل هى ما رأه النبى صلى الله عليه وسلم رؤيا العين فى السماء ليلة أسرى به[٦] واياما تكون فإن نون العظمة اتت هنا تنبيهاً على تحققها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجىء بعض

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ح٣ /٤٧ .

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني ح٣ /٢٣٥.

(٣) انظر روح المعانى للالوسى ح٥ : ٩٥/١٥.

(٤) الاسراء : ٦٠

(٥) انظر الكشاف ح٢ /٤٥٥ .

(٦) انظر تفسير ابن كثير ح٣ /٤٩ وكذا فى تفسير روح المعانى ح٥ : ١٠٥/١٥.

الآيات لاشتراك الكل فى كونها أموراً خارقة للعادات منزلة من جانب رب العزة جل مجده لتصديق رسوله عليه الصلاة والسلام[١].

(٩) ومنه قول الله تعالى :

{ أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً }[٢] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **علينا** } بضمير التكلم بعد الغيبة فى قوله تعالى : { **يعيدكم** } وكان مقتضى السياق { **ثم لا تجدوا لكم** } - عليه - بدل { علينا } تمشياً مع ما قبله ولكنه سبحانه آثر صيغة التكلم لما لها من قوة مواجهة وتذكرهم بحضوره سبحانه وسلطانه الغالب عليهم فى كل مكان أينما اتجهوا فى البحر أو فى البر ولا يجدون من يطالب الله بثأرهم[٣] لانه خالقهم وباريهم والمتصرف بهم حسب مشيئته سبحانه ولو استطاعوا ذلك لاستطاعوا ان يفروا من أقطار السموات والأرض وهيهات هيهات ذلك والله سبحانه يعاملهم بعدله وإحسانه ولكنهم قوم عمون فآتى ضمير التكلم هنا ليهز نفوسهم الغليظة ويشعرهم برهبه الله وإجلاله لعله يكون رادعاً لهم وظهوره فى هذا المقام هو الانسب لما ذكرنا والله أعلم .

---

(١) انظر روح المعانى الصفحة نفسها .

(٢) سورة الاسراء الآية (٦٩) .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج٣ /٥٢ وكذا تفسير البحر المحيط ج٦/٦٠ ، ٦١ .
وكذا تفسير أبى السعود ج٣/٢٤٢ وكذا روح المعانى ج٥ : ١١٧/١٥ .
وكذا تفسير ابن عطية ج٣/٤٧٢ وكذا فتح القدير للشوكاني ج٣/٢٤٤.

(١٠) ومنه قول الله تعالى :

{ **ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً** }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **ونحشرهم** } بصيغة التكلم وذلك بعد قوله تعالى : { **ومن يهد الله** } بصيغة الغائب فى لفظ الجلالة .

قال ابن كثير : (يقول تعالى مخبراً عن تصرفه فى خلقه ونفود حكمه وأنه لا معقب له بأنه من يهده فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه يهدونهم)[٢] ثم تأتى اللحظة الحازمة لحظة الحشر العظيم فيتغير الاسلوب لينبه على أمور كثيرة منها تلك الهزة النفسيه التى تجبر العقل على وقفه التأمل والتفكر فى هذا الفعل الذى يتصدى المولى بنفسه الشريفة مع سعة قدرته وعلو شأنه إنه الحشر ذلك الموقف المهول الذى تعجز عن وصفه الأقلام (قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ قال (الذى أمشاهم على ارجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم) أخرجاه فى الصحيحين وقال الإمام أحمد أيضاً عن حذيفة بن أسد قال : قام أبو ذر فقال يا بنى غفار قولوا ولا تحلفوا فإن الصادق المصدوق حدثنى أن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج ، فوج راكبين طاعمين كاسين ، وفوج يمشون ويسعون ، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم إلى النار)[٣] إذاً ما كان الالتفات فى السابق من الغيبة إلى التكلم إلا للإيذان بكمال الاعتناء بأمر الحشر[٤] .

---

(١) سورة الاسراء الآية (٩٧) . (٢) انظر تفسير ابن كثير ج٣ /٦٦.

(٣) المرجع السابق والصفحه نفسها وكذا التفسير الكبير للرازى ج٢١ /٦٠. وكذا فتح القدير للشوكاني ج٣ /٢٦٠ ، ٢٦١ ، وكذا تفسيرابن عطية ج٣ / ٤٨٦ . (٤) انظر ارشاد العقل السليم ج٣/٣٥٤ وكذا روح المعانى ج٥ : ١٧٥/١٥. وقال الطبرى : نحشرهم يوم القيامة على وجوههم يقول ونجمعهم لموقف القيامة من بعد تفرقهم فى القبور عند قيام الساعة على وجوههم عمياً وبكماً ج٨ : ١١٢/١٥.

** سورة الكهف **

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(١) ومما جاء من هذا اللون من الالتفات من الغيبة إلى التكلم فى سورة الكهف الكريمة قول الله تعالى :

(الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً · قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذى يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً · ماكثين فيه أبداً · وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً · مالهم به من علم ولا لأبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً · فعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا · إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً }[1]

الالتفات من صيغة الغيبة في ذكره سبحانه في أول السورة بقوله عز من قائل : (**الحمد لله**) إلى التكلم في قوله تعالى (**إنا جعلنا**)

لما بدأت السورة بالحمد والثناء على الله سبحانه وتعالى زيادة في تبكيت الكفار والنقمة عليهم [2] ليزدادو تغيظاً وحسرةً على كفرهم .

ربط هذا سبحانه بما أنعمه على عباده بقوله تعالى { **إنا جعلنا ما على الأرض زينةً لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً**} (بسطاً في التسلية اي لا تهتم للدنيا وأهلها فأمرها وأمرهم أقل بفنائه وذهابه، فإنا إنما جعلنا ماعلى الأرض زينة و امتحاناً وخبرة) [3] واسلوب التسلية يحتاج إلى القرب واي قرب أقرب من أسلوب التكلم الذي يدل على الاعتناء بأمر المخاطب وعظم شأنه وكذا عظم شأن ما جعله الله بنفسه الشريفة الذي دل عليه ضمير العظمة .

---

(١) الكهف الآيات من ١ إلى ٧

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ح ٣ / ٤٩٤
وكذا البحر المحيط لابي حيان ح ٦ / ٤٩٤

(٣) انظر المحرر الوجيز ح ٣ / ٤٩٦

(٢) و قوله تعالى : (**وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً • وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليه لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً**) [١]

الالتفات في قوله تعالى : (**نقلبهم**) بصيغة التكلم بعد ذكره سبحانه بصيغة الغيبة في قوله تعالى:(**ذلك من آيات الله من يهد الله**) فما سر تحول الأسلوب من الغيبة إلى التكلم. قال ابن عطية: (وقرأ الجمهور « **ونقلبهم** » بنون العظمة) [٢]. ونون العظمة هنا هى الأنسب لهذه المعجزة لان القوم ناموا أمداً بعيداً ولو ظلوا على حال واحدة لأكلت الأرض أجسادهم وإشارة إلى هذه المعجزة الربانية اتت نون العظمة لتدل على عظم شأن هذا الأمر وان صاحبه هو مدبر الكون الحكيم المتعال.

(٣) ومنه قول الله تعالى : (**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً**) [٣]

الالتفات في قوله تعالى:(**أغفلنا**) بصيغة التكلم بعد قوله تعالى(**يدعون ربهم**) بصيغة الغيبة.

ونكتته البلاغية تكمن في معنى الأغفال . قال الزمخشري فيه : (**من أغفلنا قلبه**) من جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر بالخذلان أو وجدناه غافلاً عنه [٤] .

و الغفلة أعاذنا الله منها مرض القلوب العضال الذي يردى في المهلكات فشأنها عظيم و هي عقاب من الله لمن تمادى في غيه وشط عن الصواب ولهذه المعاني والله أعلم أشار المولى ولهذا اسند هذا الفعل إلى نون العظمة .

---

(١) الكهف الآيتين ١٧ ، ١٨

(٢) المحرر الوجيز ج ٣ / ٥٠٣

(٣) الكهف الايه ٢٨

(٤) انظر الكشاف ج ٢ / ٤٨٢ ، وكذا البحر المحيط ج ٦ / ١١٩

(٤) ومنه قول الله تعالى { **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً** }[١] .

الالتفات فى قول الحق عز وجل : { **إنا أعتدنا** } بصيغة التكلم وذلك بعد قوله تعالى : { **الحق من ربكم** } وكان مقتضى الظاهر - اعتد ربكم - بدل { **اعتدنا** } ولكن ظهور هذا الضمير مناسب لمقام الانتقام الشديد هذا ما ذكرناه فى كثير من المواضع المشابهه لأن انتقام العظيم عظيم مثله وأى منتقم عندما يباشر هذا العمل بنفسه يدل على مدى اصراره عليه ولله المثل الأعلى قال بعض المفسرين : (اعتدنا) أى أرصدنا[٢] وهو من العدة للظالمين الذين كفروا بربهم[٣] وظلموا أنفسهم ووضعوا العبادة فى غير موضعها والانفة فى غير محلها .... فلهم نار الجحيم[٤] وقد زاد هذا الضمير الموقف خشية ورهبة فى قلوب المؤمنين وزاد القلوب المريضة إصراراً وعناداً وكانت البداءة بما أعد لهم أهم وأكد[٥] بهذا الضمير الذى حمل الوعيد الشديد والتأكيد للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عن الكفر .أو لما يفهم من ظاهر التخيير[٦] .

---

(١) سورة الكهف الآية (٢٩) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج٣ /٨٢
وكذا تفسير الشوكاني فتح القدير ج٣/٢٨٢.

(٣) انظر تفسير الطبرى ج٨ : ١٥٧/١٥ .
وكذا تفسير ابن عطية ج٣ /٥١٣.

(٤) انظر التفسير الكبير ج٢١/١٢٠.

(٥) انظر تفسير البحر المحيط ج٦ /١٢٠.

(٦) انظر محاسن التأويل للقاسمي ج٣٩/١١ وكذا تفسير الثعالبى جواهر الحسان ج٢ /٣٧٩ .

(٥) ومنه قوله تعالى : (**المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملا · ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزةً وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً**) [١]

الالتفات في قوله تعالى : (**ويوم نسير الجبال**) بصيغة التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى : (**عند ربك**) .

لقد ذكر الحق تبارك وتعالى هذه المعجزة التي تبهر عقول البشر وتقتضي منهم التسليم التام لما فيها من انفكاك نظام هذا العالم الدنيوي وإتيان العالم الآخروي [٢] لهذا أتت النون التي يسميها النحاة نون العظمة [٣] لتؤكد صدق هذه المعجزة فالمتصدى لهذا العمل هو (**ربك**) الذي لا يعجزه شيء مهما عظم شأنه ولهذا أيضاً أردف سبحانه قوله تعالى : (**وحشرناهم فلم نغادر**) تأكيد لمعنى العظمة والأقتدار ليتناسب ودرجة جحور المنكرين .

(٦) ومنه قول الله تعالى : (**وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعداً**) [٤]

الالتفات كما لا يخفى في قوله تعالى : (**لقد جئتمونا كما خلقناكم**) بصيغة التكلم بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى (**على ربك**) . ومناسبة الصيغة الأولى ظهور كاف الخطاب واسناد كلمة (**رب**) إليها تلطفاً مع النبى صلى الله عليه وسلم . أما أمر الرجوع إليه سبحانه مظهور نون العظمة هو الأولى لأن المقطع ما هو إلا (مقاولة للكفار المنكرين للبعث ، ومضمونها التقريع والتوبيخ ، والمؤمنون المعتقدون في الدنيا أنهم يبعثون يوم القيامة ، لا تكون لهم هذه المخاطبة بوجه)[٥] .

---

(١) الكهف ٤٦ ، ٤٧

(٢) انظرالبحر المحيط ح ٦ / ١٣٤

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ح ٣ / ٥٢٠

(٤) الكهف ٤٨

(٥) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ح ٣ / ٥٢١

(٧) وقول الله تعالى : **(ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ٠ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً)** [١] .

الالتفات في قوله تعالى : **(وإذ قلنا)** بصيغة التكلم وذلك بعد الغيبة في قوله تعالى : **(ولا يظلم ربك)** .

قال فيه أبوحيان (والذي يظهر في ارتباط هذه الآية بالآية التي قبلها هو انه لما ذكر يوم القيامة والحشر وذكر خوف المشركين مما سطر في ذلك الكتاب وكان إبليس هو الذي حمل المجرمين على معاصيهم واتخاذ شركاء ناسب ذكر ابليس والنهي عن اتخاذ ذريته أولياء من دون الله تبعيداً عن المعاصي وعن امتثال ما يوسوس به) [٢]

وتأكيداً على مضمون الآية اتت نون العظمة في قوله تعالى **(وإذ قلنا)** ليضمنها تقريع الكفره وتوقيفهم على خطاياهم في ولايتهم العدو دون الذي أنعم بكل نعمه على العموم . وتقدير الكلام : واذكر اذ قلنا وتكررت هذه العبارة حيث تكررت هذه القصه ، إذ هي توطئه النازلة التي هي مقدمة للتوبيخ [٣] ، ولهذا ناسب تحول الأسلوب من الغائب في **(ربك)** إلى التكلم في **(قلنا)** .

---

(١) الكهف الآيتين ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) انظر البحر المحيط ح ٦ / ١٣٥

(٣) انظر المحرر الوجيز ح ٣ / ٥٢١

(٨) ومنه قول الله تعالى :

{ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً }[١] .

موضع الالتفات فى قوله تعالى : { **من دونى** } بصيغة التكلم وذلك بعد قوله تعالى : { **عن أمر ربه** } وكان مقتضى الظاهر : - من دونه - تمشياً مع سابقه ولكنه سبحانه آثر صيغة التكلم لأن هناك غرضاً بلاغياً لا يتحقق إلا بهذا الضمير ، اسمع الطبرى ماذا يقول فى هذا الموقف : (يقول تعالى ذكره أفتوالون يابنى آدم من استكبر على أبيكم وحسده وكفر نعمتى عليه وغره حتى أخرجه من الجنة ونعيم عيشه فيها إلى الأرض وضيق العيش فيها وتطيعونه وذريته من دون الله مع عداوته لكم قديماً وحديثاً وتتركون طاعة ربكم الذى أنعم عليكم وأكرمكم بأن أسجد لوالدكم ملائكته واسكنه جنانه وآتاكم من فواضل نعمه ما لا يحصى عدده)[٢] لقد ظهر ضمير التكلم ليحول السياق إلى صفة المحاورة والإقناع العقلى تقرباً من عباده وتلطفاً بهم وهم عياله وتحقيقاً لمبدأ الدعوة التى أمر بها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين قال جل وعز { **وجادلهم بالتى هى أحسن** } فالمتأمل لكلمة (من دونى) يجد فيها نبرة عتاب رقيق مع شدة غريبة فسبحان الله فى هذا الأسلوب الذى يجمع بين المتناقضين وكأنهما من جنس واحد فيحقق بكلمة ما يطول شرحه عند فطاحلة المفسرين .

---

(١) سورة الكهف الآية (٥٠) .

(٢) انظر تفسير الطبرى ج٨ : ١٥ /١٧١، انظر تفسير الآية فى البحر المحيط ح٦ /١٣٦، وكذا روح المعانى ح٥ : ٢٩٥/١٥، وكذا تفسير أبى السعود ح٣ /٢٨٦ ، وكذا تفسير ابن كثير ج٣ /٩٠ وكذا فتح القدير للشوكاني ح٣/٢٩٣وكذا تفسير الدر المنثور للسيوطي ح٥/٤٠٤ وكذا تفسير الثعالبي ح٢/٣٨٦.

* فى الآية التفاتان أخران انظر ص (١٩٩) وص(٣١٧).

(٩) ومنه قول الله عز وجل :

{ **ويوم يقول نادوا شركاءي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقاً** }[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **وجعلنا** } بصيغة التكلم وذلك بعد قوله تعالى : { **ويوم يقول** } بصيغة الغيبة وظهور نون العظمة هنا فى { **جعلنا** } ليدل على عظم ذلك الجعل فهو معجزة لا يقدر عليها إلا فاطر الكون ومبدعه روى ابن جرير عن ابن عباس قوله { **وجعلنا بينهم موبقاً** } قال مهلكا[٢].

وقال عبد الله بن عمر وأنس بن مالك ومجاهد (موبقا) هو واد فى جهنم يجرى بدم وصديد قال أنس يحجز بين أهل النار وبين المؤمنين[٣] واخرج الالوسي عن عكرمه أنه نهر فى النار يسيل ناراً على حافتيه حيات أمثال البغال الدهم فإذا ثارت إليهم لتأخذهم استغاثوا بالاقتحام فى النار منها[٤] فهو إذن خلق عظيم يناسب نون العظمة التى نبهت الذهن للوقوف عنده والتساؤل عن كنهه .

(١٠) ومنه قول الله تعالى :

{ **ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى ءاذانهم وقراً وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً** }[٥] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **إنا جعلنا** } بصيغة التكلم وذلك بعد ذكره عز وجل بصيغة الغيبة فى قوله تعالى : { **بآيات ربه** } وكان مقتضى الظاهر - إنه جعل على قلوبهم - ولكن حاجة المعنى لتأكيد

---

(١) سورة الكهف الآية (٥٢) .

(٢) جـ٨ : ١٧٢/١٥ وكذا البحر المحيط جـ٦ /١٣٧ وكذا ابن كثير جـ٣ /٩١.

(٣) انظر تفسير الثعالبى جـ٢ /٢٨٦ وكذا الدر المنثور للسيوطي جـ٥ /٤٠٥ .

(٤) انظر روح المعانى جـ٥ : ١٩٨/١٥ وكذا اضواء البيان جـ٤ /١٣٨. موبقاً : إسم مكان من وبق وبوقا أى هلك : هلاكا المعجم الوسيط مادة (وبق)

(٥) سورة الكهف آية (٥٧) .

انتقام الله جل وعلا من المعرض عن التذكرة[١] لذا جعل على قلوبهم حجباً واغطية كثيرة ، كراهة أن يفقهوا ويقفوا على كنه ما خلقت النعم من أجله[٢] وذلك تعليل لإعراضهم ونسيانهم[٣] فأتت نون العظمة لتدل على غضب الله عليهم والتشفى فيهم بهذا الجعل الذى هم أحقاء به وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

(١١) ومنه قول الله تعالى :

{ وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً * وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً }[٤] .

الالتفات فى قوله تعالى : { **أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا** } بصيغة التكلم فى { أهلكنا } و { جعلنا } وذلك بعد صيغة الغيبة التى بدأت بها الآية المباركة فى قوله تعالى : { **وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم** } بدأت الآية الكريمة بصيغة الغيبة لعدة اغراض بلاغية منها أنه سبحانه أسند كلمة (رب) لضميرأحب خلقه إليه محمد صلى الله عليه وسلم ثم جعل هذه الصيغة فى مباشرة الخطاب بهذه الكاف ليشمل هذا الخطاب كل فرد من امته صلى الله عليه وسلم ثم ذكره سبحانه بصيغة الغيبة فى (ربك) مسوغ ورود تلك الاوصاف التى لا غنى للمقام عنها وهى الغفور ذو الرحمة - ثم لم يشأ الحق سبحانه مشافهتهم بخطاب مباشر لهم أو صيغة تكلم عنه سبحانه بهذا العذاب الذى توعدهم به لعدة أمور منها أن الغائب دائماً يكون أشد رهبة فى النفس وابلغ فى الرجاء لتوبتهم وعدولهم إلى الحق .

---

(١) انظر اضواء البيان للشنقيطى ج٤/١٥٦.

(٢) انظر محاسن التأويل للقاسمي ج١١/٥٨ . ، و كذا تفسير ابن جرير الطبرى ج٨ : ١٥/١٧٤.

(٣) انظر فتح القدير للشوكاني ج٣/٢٩٦.

(٤) سورة الكهف الآيتين (٥٨ ، ٥٩) .

أما عند الحديث عن الاقوام الذين حقت عليهم لعنته جل جلاله وباءوا بغضبه ظهر ضمير العظمة مع إهلاكهم تشفياً وتوكيداً لذلك العمل المهيل بغرض إدخال الروع فى قلوب المعاندين من أهل مكة ومن تبعهم فقد أورد سبحانه هذه الحكاية ليتعظ بها معاصرو نزول القرآن ومن بعدهم . قال الأخفش : ({ **وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا** } يعنى أهلها .... وقال (أهلكناهم) ولم يقل { أهلكناها } حمله على القوم)[1] .

وقال سبحانه : { **وجعلنا** } بنفس النون تأكيداً علي فاعله وهو الله سبحانه وتعالى وفى هذا تلميح لكفار قريش إن لكم موعداً مثلهم[2] وهو إما يوم بدر أو يوم القيامة أو كلاهما قال ذلك بعض المفسرين[3] وقال السيوطي* فى الدر المنثور : (أخرج ابن أبى حاتم عن العباس بن عزوان أسنده فى قوله { **وتلك القرى** } الآية قال : قضى الله العقوبة حين عصي ، ثم أخرها حتى جاء أجلها ثم أرسلها)[4] . وهكذا لا يتغير الأسلوب من صيغة إلى صيغة إلا لأغراض بلاغية تخدم المعنى وتزيده عمقاً وتأصيلاً

---

(١) معانى القرآن للاخفش ج٢ /٦١٩.

(٢) انظر محاسن التأويل للقاسمي ج١١/٦٠ وكذا فى ابن كثير ج٣ /٩٢ وكذا تفسير أبى السعود ج٣ /٣٩٠.

(٣) انظر الكشاف ج٢/٤٨٩ وكذا التفسير الكبير للرازى ج٢١/١٤٢ ، وكذا تفسير روح المعانى ج٥ : ١٥ /٤٠٥ .

(٤) ج٥/٤٠٧.

* هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطي الشافعى ولد فى رجب سنة (٨٤٩هـ) وتوفى والده وله من العمر خمس سنوات وسبعة أشهر وختم القرآن وله من العمر ثمان سنين وحفظ كثير من المتون وأخذ عن شيوخ كثيرين وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه ، ولما بلغ للأربعين سنة تجرد للعبادة وانقطع إلى الله تعالى وتوفى فى سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة (٩١١) هـ إحدى عشرة وتسعمائة فى منزله بروضة المقياس / انظر التفسير والمفسرون د / محمد حسين الذهبى ج١/٢٥١ وما بعدها .

(١٣) ومنه قول الله تعالى : (**أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً**)[١]

الالتفات في قوله تعال : (**فلا نقيم**) بصيغة التكلم وذلك بعد ذكره سبحانه على سبيل الغيبة في قوله تعالى:(**بآيات ربهم ولقائه**) . والحكمة في هذا التحول إلى نون العظمة زيادة تحقيرهم اي (أنا نزدري بهم وليس لهم عندنا وزن ومقدار)[٢] فمدار الوزن والمقدار الأعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة[٣] وقد حول الأسلوب ليجذب الانتباه إلى هذا الغرض البلاغي فيتعظ العباد ويجهدوا أنفسهم لكسب العمل الصالح .

---

(١) الكهف الآية ١٠٥

(٢) انظر التفسير الكبير للرازي ح ٢١ / ١٧٤

(٣) انظر ارشاد العقل السليم لابي السعود ح ٣ / ٤١٠

الفصل الرابع

الالتفات من الغيبة إلى التكلم

** سورة البقرة **

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) أول مواضع الالتفات من التكلم إلى الخطاب فى القرآن الكريم قول الله تعالى : { **وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشر عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين** }[١].

الالتفات فى قول الله تعالى : { **كلوا واشربوا** } بصيغة الخطاب المباشر لبنى إسرائيل ولكل واقف على الآية وذلك بعد صيغة التكلم فى قول الله عز وجل : (**فقلنا**) وكان مقتضى السياق إعادة هذا القول مرة ثانية قبل قوله تعالى : {**كلوا واشربوا**} لتصبح - فقلنا[٢] لهم كلوا واشربوا - ولكنه سبحانه أتى بصيغة الخطاب المباشر ليسجل عليهم منة عظمى تستحق الشكر والثناء والحمد الدائم . قال الثعالبى رحمة الله : (روينا من طريق أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها) رواه مسلم والترميذى والنساءى)[٣] .

وقال الطبرى : (وذالك أن تأويل الكلام فقلنا اضرب بعصاك الحجر)[٤].

وقال ابو حيان : (وهو إضمار قول أى وقلنا لهم وهذا الأمر أمر إباحه)[٥] وهكذا يأتى هذا الالتفات لينبه على وجوب الحمد والشكرلنعم الله على الخلق اجمعين.

---

(١) سورة البقرة الآية : (٦٠).

(٢) انظر ارشاد العقل السليم ح١/١٢٩.

(٣) انظر تفسير الثعالبى ح١/٧٠.

(٤) انظر جامع البيان ح١/٢٤٤.

(٥) انظر البحر المحيط ح١/٢٣٠.

(٢) ومنه قول الله تعالى :

{ **وإن أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا مافيه لعلكم تتقون** }[١] .

الالتفات فى قول الله تعالى : (خذوا) بصيغة الخطاب المباشر وذلك بعد صيغة التكلم في قوله تعالى : (وإذ أخذنا) وكان مقتضى السياق - وقلنا خذوا ما اتيناكم - قال فيه بن جرير : (قال أبو جعفر اختلف أهل العربية فى تأويل ذلك فقال بعض نحوى أهل البصرة هو مما استغنى بدلاله الظاهر المذكور عما ترك ذكره له وذلك أن معنى الكلام ورفعنا فوقكم الطور وقلنا لكم خذوا ما أتيناكم بقوة وإلا قذفناه عليكم)[٢] . ولما كان الخطاب المباشر له تأثير قوى على المخاطب والسامع آثره سبحانه على أسلوب الحكاية وحذف فعل القول. قال المفسرون : (خذوا) على إرادة القول[٣] أى خذوه بجد وعزيمة كاملة وعدول عن التغافل والتكاسل[٤] ولا يعنى هذا المقام حقه من القوة المطلوبه ووجوب الالتزام بالأمر إلا أسلوب الخطاب المباشر ولهذا عدل بالأسلوب من التكلم إلى الخطاب.

(٣) ومنه قول الله تعالى :

{ **وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربي واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً واقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون** }[٥] .

الالتفات فى قول الله تعالى : { **لا تعبدون إلا الله** } بصيغة الخطاب المتمثل فى أسلوب النهى.

قال فيه الرازى (الذى يؤكد كونه نهياً أمور أحدها : قوله (**اقيموا**) وثانيها أنه ينصره قراءة عبد الله وأبى (لا تعبدوا) وثالثها : أن

---

(١) سورة البقرة الآية : (٦٣).

(٢) انظر جامع البيان ح١/٢٥٨.

(٣) انظر الكشاف ح١/٢٨٦ ، وكذا ارشاد العقل السليم ح١/١٣٢ ، وكذا روح المعانى ح١/٢٨١.

(٤) انظر التفسير الكبير ح٣/١٠٨.

(٥) سورة البقرة الآية : (٨٣).

الإخبار فى معنى الأمر والنهى أكد وأبلغ من صريح الأمر والنهى كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه)[١].وقال أبو السعود : (على إرادة القول أى وقلنا أو قائلين لا تعبدون الخ وهو أخبار فى معنى النهى ..... وهو أبلغ من صريح النهى لما فيه من إيهام أن المنهى حقه أن يسارع إلى الأنتهاء عما نهى عنه فكأنه انتهى عنه فيخبر به الناهى ويؤيده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه. وقيل تقديره أن لا تعبدوا الخ فحذف الناصب ورفع الفعل[٢]. فالجملة تحمل معنى المخاطبة وبها يكون الأسلوب قد تحول من التكلم إليها لما فى الخطاب من اغراض بلاغية اتفق عليها كثير من المفسرين فقد حمل هذا المقطع ما يفيده النهى ويؤكده الاخبار معاً وهذا من عجائب أسلوب القرآن الكريم ولو ظهر فعل القول لاختفى من المعنى كثير من أسراره البلاغية آنفة الذكر.

(٤) ومن هذا القبيل جاء قول الله تعالى :

{ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالو سمعنا وعصينا واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين }[٣].

الالتفات فى قول الله تعالى : { **خذوا**} بصيغة الخطاب المتمثل في فعل الأمر وذلك بعد صيغة التكلم فى قول الله تعالى : (**وإذ أخذنا**) وكان مقتضى هذا التكلم - وإذ أخذنا... وقلنا خذوا... ولكن دون ريب أن أسلوب الخطاب هو الأبلغ لأغراض سبق ذكرها عند دراسة الآية الثالثة والستين من نفس السورة المباركة ولا أجد حاجة لإعادتها هنا.

(٥) ومنه فى نفس السورة قول الله تعالى :

{وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً و اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود}[٤] .

---

(١) انظر تفسير الفخر الرازى ج٣/١٦٤.

(٢) انظر ارشاد العقل السليم ج١/١٤٨ وكذا روح المعانى ج١/٣٠٧ ، وكذا جامع البيان ج١/٣٠٨.

(٣) سورة البقرة الآية : (٩٣).

(٤) سورة البقرة الآية : (١٢٥).

الالتفات فى قول الله تعالى : (**واتخذوا**) بصيغة الخطاب المباشر وذلك بعد صيغة التكلم التى بدأت بها الآية المباركة فى قوله تعالى : (**وإذ جعلنا**) وكان مقتضى الظاهر - وقلنا لهم اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى - ولكن حذف القول وأتى بالخطاب المباشر ليحقق أغراضاً بلاغية منها التنبيه على استحباب هذه الصلاة وعلو شأنها عنده سبحانه تكريماً لذلك العمل العظيم الذى قام به خليله عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم ألا وهو بناء بيته المطهر فى أشرف وأكرم بقاع الأرض عليه سبحانه وتعالى.

وقد أورد الزمخشرى خبراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى خلف هذا المقام وقرأ هذه الآية قال : (عن جابر بن عبدالله «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلاثة أشواط ومشى أربعة ، حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ)[1] { **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**}.

وقال الرازى : (أمر من الله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وهو كلام اعتراض فى خلال ذكر قصة إبراهيم عليه السلام ، وكأن وجهه (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا) أنتم من مقام إبراهيم مصلى والتقدير.

وأنا لما شرفناه ووصفناه بكونه مثابة للناس وأمناً فتخذوه أنتم قبلة لأنفسكم[2].

ولذا كان الخطاب أولى لما فيه من هز للمشاعر وتيقظ للمأمورين وتنويه بأهمية هذا الأمر واستحباب الأتيان به على وجه التأكد.

---

(١) انظر الكشاف ح١/٣١٠.
وكذا تفسير ابن كثير ح١/١٧١.

(٢) انظر التفسير الكبير للرازى ح٤/٤٨.

** سورة الأنعام**

بسم الله الرحمن الرحيم

ومنه فى سورة الأنعام المباركة قول الله تعالى :
{ قل أغير الله أبغى رباً وهو رب كل شئ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولاتزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون }[١].

الالتفات فى قول الله : {**ثم إلى ربكم مرجعكم**} بصيغة الخطاب وذلك بعد قوله تعالى : (**أغير الله أبغى رباً**) بصيغة التكلم وكان مقتضى هذا التكلم قوله - ثم إلى ربى مرجعكم - بدل قوله تعالى : (**إلى ربكم**) أراد المولى العلى القدير أن يفاجئهم بحقيقة قد تعيدهم إلى رشدهم وتوقظ بعض قلوبهم التى لم تصل إلى درجة الموت لتنقذها من براثن الشيطان وأعوانه ولذا جعل أمر الرجوع مسبوق بكلمة (**ربكم**) المسنده إلى ضميرهم أى ثم إلى ربكم أيها الناس مرجعكم ومصيركم ومنقلبكم[٢]. فطلبا لإيقاظ القلوب أتى هذا المقطع مغاير لما قبله وكذا (تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكل لتأكيد الوعد وتشديد الوعيد أى إلى مالك أموركم رجوعكم يوم القيامه)[٣]. فكان الالتفات إلى الخطاب هو أنسب لما ذكرناه.

---

(١) سورة الأنعام الآية : (١٦٤).

(٢) انظر جامع البيان ج٥ : ٨٤/٨.

(٣) انظر ارشاد العقل السليم ج٢/٢٣٠.

** سورة الأعراف **

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) جاء فى سورة الأعراف المباركة مواضع عدة من هذا اللون من الألتفات منها قول الله تعالى :

{ **وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلاً لكل شئ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفاسقين** }[(١)].

الالتفات فى قول الله تعالي : (**فخذها**) بصيغة الخطاب المباشر وذلك بعد أن كان الأسلوب للمتكلم فى قوله تعالى : (**وكتبنا**) وكان مقتضى الظاهر - فقلنا له خذها - ولكنه سبحانه نقلنا إلى جو الأمر مباشرة دون تقديم ليمثل لنا مشهد هو غاية فى الإجلال والمهابة ويؤكد علي وجوب الالتزام بكل ما من شأنه أنه آتى من قبله سبحانه جل جلاله فيوقظ فينا الاسماع ويشدنا إلى عالم الحزم والجد حيث لا مجال لغيره في هذا المقام.

قال فيه أحد المفسرين : (على إضمار قول معطوف على كتبنا أى فقلنا خذها (**بقوة**) بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله تعالى (**فخذ ما آتيتك**) والضمير للالواح أو لكل شئ لأنه بمعنى الأشياء أو للرسالة أو للتوراة)[(٢)].

وقال أخر : (يقول تعالى ذكره وقلنا لموسى اذ كتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شئ خذ الألواح بقوة)[(٣)]. ولهذه القوة التى يطلبها المقام جاء الالتفات إلى الخطاب وعدل عن ضمير المتكلم في قلنا.

---

(١) سورة الأعراف الآية : (١٤٥).

(٢) انظر تفسير أبى السعود ج١/٢٩٥.

(٣) انظر جامع البيان للطبرى ج٦ : ٤٠/٩.

وقال ابن كثير : وقوله (فخذوها بقوة) أى بعزم على الطاعة انظر ج٢/٢٤٦ ،

وكذا فتح القدير للشوكانى ج٢/٢٤٤.

في الآية التفات أخر من الغيبة إلى الخطاب درس ص(١١٥).

(٢) ومنه قوله تعالى:{وقطعناهم إثنتى عشرة أسباطاً أمما وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه إثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون }[١].

الالتفات فى قول الله تعالى : { كلوا من طيبات مارزقناكم } بصيغة الخطاب المباشر وذلك بعد صيغة التكلم فى : (وقطعناهم) وقد مرت فى سورة البقرة آية مشابهة لهذا قدر فيها المفسرون فعل القول بصيغة التكلم قبل الخطاب لحاجة المعنى لذلك[٢].

(٣) ومنه قول الله تعالي :

{ وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما اتبع ما يوحى إلى من ربى هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون }[٣].

الالتفات فى قول الله تعالي : {هذا بصائر من ربكم} بصيغة الخطاب وذلك بعد قوله تعالى : {إنما أتبع ما يوحى إلى من ربى} ولكن ليرشدهم إلى أن هذا القرآن هو أعظم المعجزات وأبين الدلالات واصدق الحجج والبينات[٤] فأسند سبحانه كلمة (رب) إلى ضمير مخاطبتهم ليقيمها سبحانه حجة عليهم[٥] تستوجب التدبر والأهتداء بها إلى الحق ربى وربكم أجمعين. فالتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد وجوب الإيمان بها[٦] وإيقاظ ضمائرهم التى تغط فى ثبات عميق. وكما ترى أنه ناسب ضمير المتكلم في ذلك الشأن الذى يخصه وحده عليه الصلاة والسلام وهو قوله تعالى : {قل أتبع ما يوحى إلى من ربى} ومع إقامة الحجة بالآيات الظاهرة ظهر ضمير المخاطب لأنه استهدف غرضاً بلاغياً غير سابقه على نحو ما بيناه.

---

(١) سورة الأعراف الآية : (١٦٠).

(٢) انظر تفسير جامع البيان ج٦ : ٦١/٩ ، وكذا تفسير ابن كثير ج٢/٢٥٧، وكذا ارشاد العقل السليم ج٢/٣٠٨ ، وكذا فتح القدير ج٢/٢٥٦. و في الآية نوعان آخران من الالتفات درسا ص(١١٩) و ص(١٧٦).

(٣) سورة الأعراف الآية : (٢٠٣).

(٤) انظر تفسير ابن كثير ج٢/٢٨١.

(٥) انظر جامع البيان ج٦ : ١٠٩/٩ ، وكذا فتح القدير ج٢/٢٨٠ ، وكذا الدر المنثور ج٣/٦٣٤.

(٦) انظر ارشاد العقل السليم ج٢/٣٣٧.

** سورة يونس **

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن هذا اللون من الالتفات جاء قول الله تعالى :

{قل يأيها الناس إن كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين}(١).

الالتفات فى قوله تعالى:(**يتوفاكم**) بصيغة الخطاب وذلك بعد صيغة التكلم فى قوله تعالى : (**ولكن أعبد**) وكان مقتضى هذا التكلم استمراره ليكون المقطع - ولكن أعبد الله الذى يتوفانى - بدل قوله تعالى : (**يتوفاكم**) فلماذا أثرت صيغة الخطاب فى هذا المقام قال فى ذلك الرازى : (فإن قيل : ما الحكمة فى ذكر المعبود الحق فى هذا المقام بهذه الصفة وهى قوله: (الذى يتوفاكم) قلنا : فيه وجوه : الأول : يحتمل أن يكون المراد أنى أعبد الله الذى خلقكم أولا ثم يتوفاكم ثانياً ثم يعيدكم ثالثاً ، وهذه المراتب الثلاثة قد قررناها فى القرآن مراراً وأطواراً فههنا أكتفى بذكر التوفى منها لكونه منبها على البواقى. الثانى : أن الموت أشد الأشياء مهابة ، فخص هذا الوصف بالذكر فى هذا المقام ، ليكون أقوى فى الزجر والردع ، الثالث : أنهم لما استعجلوا نزول العذاب قال تعالى:{فهل ينتظرون إلامثل أيام الذين خلوامن قبلهم قل فانتظروا إنى من المنتظرين ثم ننجى رسلنا والذين أمنوا}* فهذه الآية تدل على أنه تعالى يهلك أولئك الكفار ويبقى المؤمنين ويقوى دولتهم فلما كان قريب العهد بذكر هذا الكلام لاجرم قال ههنا {ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم } وهو إشارة إلى ما قرره وبينه فى تلك الآية فانه يقول : أعبد ذلك الذى وعدنى باهلاكهم وبقائى(٢) وعبادة من كان كذلك لا يستنكرها ذو فطرة صحيحة(٣) وفى تخصيص التوفى بالذكر متعلقا بهم ما لا يخفى من التهديد(٤) والوعيد لهم وهذا ما حدا بالاسلوب أن يغير مجراه من التكلم فى (أعبد) إلى الخطاب فى (يتوفاكم) .

---

(١) سورة يونس : (١٠٤).
(٢) انظر التفسير الكبير ج١٧/١٧٢.
(٣) انظر جامع البيان ج١١/١٢١.
(٤) انظر ارشاد العقل السليم ج٢/٥٣١.
* الآية ١٠٢ من سورة يونس ، وفى الآية المباركة التفات آخر من الخطاب إلى التكلم درس بفصله ص(٤٣٧) .

الفصل السادس

الالتفات من الخطاب إلى التكلم

** سورة الأنعام **

بسم الله الرحمن الرحيم

أول مواضع الالتفات فى القرآن الكريم من الخطاب إلى التكلم جاء فى هذه السورة المباركة فى قول الله تعالى :

{ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين }[١].

الالتفات فى قوله تعالى : **{ لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين }** بصيغة التكلم وذلك بعد مخاطبتهم بقوله تعالى : **{ من ينجيكم }** إلى قوله تعالى : **(تدعونه)** وكان مقتضى هذا الخطاب ظهور فعل القول أى : قائلين لئن أنجيتنا[٢] لقد بدأت الآية المباركة بخطاب للنبى صلى الله تعالي عليه وسلم كعادة القرآن عند الاعراض عن مخاطبة الملحدين مباشرة وجعله بواسطته عليه أفضل الصلاة والتسليم حسياً ومعنوياً أى : (قل يا محمد لهؤلاء العدلين بربهم الداعين لك إلى عبادة أوثانهم ، من الذى ينجيكم من ظلمات البر والبحر إذا ضللتم فيه فتحيرتم فأظلم عليكم الهدى والمحجة ومن ظلمات البحر وإذا ركبتموه فأخطأتم فيه المحجة فأظلم عليكم فيه السبيل فلا تهتدون له غير الله الذى مفزعكم حينئذ بالدعاء تضرعاً منكم إليه وإستكانة جهراً وخفية)[٣] تظهرون ماتختلج به قلوبكم وتعودون إلى فطرتكم السوية اعترافاً منكم أنه لا مستحق للألوهية سواه جل جلاله ، فهو الملاذ الأوحد عند الكرب والشدائد ولذا قال الرازى فيه : (ولفظ الآية يدل على أنه عند حصول هذه الشدائد يأتى الإنسان بأمور : أحدها : الدعاء. وثانيها : التضرع. وثالثها : الإخلاص بالقلب ، وهو المراد من قوله: (خفية) ورابعها : التزام الأشتغال

---

(١) سورة الأنعام الآية : (٦٣).

(٢) انظر ارشاد العقل السليم ج٢/١٦٢.

(٣) انظر جامع البيان ج٥ : ٧ / ١٤٠ - ١٤١.

بالشكر، وهو المراد من قوله)[١] **{لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين }** الآية

ونحن نقول وبالله التوفيق أن هذه الأمور متعلقة بأعمال القلوب وما تخفى الصدور ولهذا فصيغة التكلم هى الأنسب في هذا المقام لينبههم سبحانه بأنه عالم السر وأخفى ولهذا أظهر سبحانه ما أعلنوه وما أخفوه بالصيغة التى صدرت عنهم فى الحالتين ليكون قولهم هذا حجة دامغة عليهم تقتضى التسليم والإذعان وهذا ما يرمى إليه أسلوب القرآن الكريم مع هذه الفئة الضالة أعاذنا الله من هذا المصير ومع كافة من يوسوس لهم الشيطان بالضلال والبعد عن الهداية.

---

(١) انظر التفسير الكبير ح١٣/٢١.

** سورة يونس **

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن هذا اللون من الالتفات جاء قول الله تعالى :

{قل يأيها الناس إن كنتم فى شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين}[١].

الالتفات المقصود فى هذا الفصل في قوله تعالى : { **وأمرت أن أكون**} بصيغة التكلم وذلك بعد صيغة الخطاب فى : (**يتوفاكم**) ولكن لأن الأمر بالإيمان خاص به صلى الله عليه وسلم التفت الأسلوب إلى صيغة التكلم فى (**أمرت**) وذلك يدل على أن دين الله من الوضوح والبيان ما يجعله غنى عن الأكراه فيدخل فيه من يدخل دون جبر ولا قسر ولكن يتسابق إليه العقلاء بعد اقتناعهم به الأقتناع التام بأنه الحق الذى لا بديل له ومن أصر علي كفره فهو كالأنعام بل أضل سبيلا لو سار السياق كسابقه لجاء المقطع - وأمرتم أو أمرنا أنا وانتم أن نكون من المؤمنين ولكن هذا بخلاف المقصود حيث قال الله تعالى : {لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها والله سميع عليم}[٢].

قال الشوكانى : {**وأمرت أن أكون من المؤمنين**} أى بأن أكون من جنس من آمن بالله وأخلص له الدين[٣] بالأعمال الصالحة ليحصل في القلب نور الإيمان والمعرفة[٤] وهذا الخير العظيم لا يدخل فيه المخاطبون بقوله تعالى : (**يتوفاكم**) لذلك عاد الأسلوب مرة أخرى إلى صيغة التكلم[٥] وكان هذا الالتفات البليغ.

---

(١) سورة يونس الآية : (١٠٤).

(٢) سورة البقرة الآية : (٢٥٦).

(٣) انظر فتح القدير ح٢/٤٧٧ ، وكذا ابن كثير ح٢/٤٢٥.

(٤) انظر التفسير الكبير ح١٧/١٧٣.

(٥) بالآية المباركة إلتفات آخر من التكلم فى (أعبد) إلى الخطاب فى (يتوفاكم) درس بفصله ص(٤٣٣).

** سورة هود **

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ومنه فى هذه السورة المباركة قول الله تعالى : {**إنى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابه إلا هوأخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم**}(١).

الالتفات فى قول الله تعالى : { **إن ربى على صراط مستقيم**} فى صيغة التكلم في قوله : (**ربى**) وذلك بعد صيغة التكلم والخطاب في قوله تعالى : (**ربى وربكم**) وكان مقتضى هذا قوله - وإن ربكم أو إن ربى وربكم - (على صراط مستقيم) ولكن احتراساً من اللبس وصرف تلك الصفات التى بها الآية لغير الله أسند سبحانه كلمة (رب) هنا إلى ضمير التكلم العائد على نبي الله دونهم ليغلق أمام الوسواس الخناس مسلكاً خطيراً ولهذا حول الضمير إلى التكلم وكذا ليميز سبحانه وهو الحق عن بقية الآله الباطلة بصفات تخصه وحده سبحانه دون سواه و قد جاء في فضل هذه الآية ما أورده المفسرون منهم السيوطى قال : عن ابن أبى حاتم عن يحيى بن سعيد قال : (ما من أحد يخاف لصا عادياً ، أو سبعاً ضارياً أو شيطاناً مارداً ، فيتلو هذه الآية إلا صرفه الله عنه(٢). وقال بن كثير : يأخذ الله بنواصى عباده فيلقن المؤمن حتى يكون له أشفق من الوالد لولده(٣). ومن أجل هذه الحماية التى تفيض رحمة وتحننا يأتى ضمير المتكلم ليسند كلمة (رب) إلى نبى الله هود وإلى كل مسلم ترنم بهذه الآية المباركة لتشعره بقربه من مولاه ربه يتلمس بها رحمته التى تغمر قلب المؤمن وتفيض فيما حوله ويشعر بها برداً وسلاماً. ولهذا ولمثله يأتى الالتفات ليعمق الصلة الروحية بين المؤمن وربه ويرشد النفس الواعية المتأملة إلى ذلك العالم العلوى ويزيد الجاحدين طغياناً وكفراً.

---

(١) سورة هود الآية : (٥٦).

(٢) انظر تفسير الدر المنثور ج٤/٤٤٣.

(٣) انظر ج٢/٤٥١.

(٢) ومنه فى نفس السورة المباركة قول الله تعالى :
{واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربى رحيم ودود}[١] .

الالتفات فى قوله تعالى : (**إن ربى**) بصيغة التكلم وذلك بعد مخاطبتهم بقوله تعالى : (**واستغفروا ربكم ثم توبوا**) وكان حق الظاهر - إن ربكم رحيم ودود - تمشياً مع ما سبقه. فلماذا جاء الالتفات إلى التكلم بعد ذلك الخطاب وما مناسبة كل صيغة لمقامها؟!
أضاف سبحانه كلمة رب إليهم فى قوله: (**واستغفروا ربكم**) لأن أمر الاستغفار من تلك الآثام التي اقترفوها يخصهم وحدهم لينبههم سبحانه إلى أنه قريب من عباده المستغفرين التائبين فاسناد هذه الكلمة -المحببة إلى شعيب - إلى ضمير خطابهم لما عساه يزيل تلك الجفوة التي فاضت بها نفوسهم المريضة لعلهم ينتهون وينتبهون إلى ربوبته سبحانه عليهم ويستشعروافضائله التى تغمرهم فقال : {استغفروا ربكم أيها القوم من ذنوبكم بينكم وبين ربكم التى أنتم عليها مقيمون من عبادة الآله والأصنام وبخس الناس حقوقهم في المكاييل والموازين ثم توبوا إليه}[٢] مبيناً لهم أن سبق الكفر والمعصية منهم لا ينبغى أن يمنعهم من الإيمان والطاعة لأنه تعالى ربى الذى أعرفه بأنه رحيم ودود يقبل الإيمان والتوبة من الكافر والفاسق لأن رحمته لعباده وحبه لهم [٣] شئ ثابت أعهده فى ربى الرحيم الودود. وهذا هو القرآن يعد لكل مقام مقالاً فعند الاستغفار والتوبة التى تخصهم وحدهم أضاف كلمة (رب) إلى ضمير خطابهم ليهز نفوسهم ويقربهم من الله زلفى وعندما أراد أن يخبرهم بما يعهده في ربه أسند هذه الكلمة إلى نفسه لتكون دليلاً على ثبات

---

(١) سورة هود الآية (٩٠).
(٢) انظر جامع البيان ح٧ : ١٢ /٦٣ - ٦٤.
(٣) انظر التفسير الكبير ح١٨/٤٩. وكذا انظر روح المعانى ح٤ : ١٢٢/١٢.

اليقين بها في نفسه المؤمنة. وشاهداً على صدق كلامه. وهذا شعيب نبى الله الذى سمي خطيب الأنبياء لحسن مراجعته لقومه[١] يستنجد بالالتفات ليوضح مكنون نفسه ويفصح عما بها . وهكذا اتضح أن الالتفات إلى التكلم حقق أغراضاً بلاغية لا غنى للمقام عنها.

---

(١) انظر فتح القدير ح٢/٥١٨
وكذا انظر المعانى فى ضوء أساليب القرآن د/عبد الفتاح لاشين/٢٦١.
حيث أورد هذه الآية مثالاً على هذا اللون من الالتفات.

الفصل السابع

امثلة من القرآن الكريم لما خرج عن رأي الجمهور

أولاً - الالتفات من الفعل الماضى إلى المضارع:

ومن أمثلته قول الله تعالى :

{ ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيس ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون }[١] .

فى هذه الآية المباركة لون جميل جداً من الالتفات وهو التعبير عن الحدث الماضى بصيغة المضارع. لقد قال الحق تبارك وتعالى فى آخر مقطع في الآية : **{ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون}** فعبر عن القتل بصيغة المضارع .وهو موضوع الالتفات المقصود فنسب القتل إليهم مع أن القتلة آباؤهم الأوائل ولكنه سبحانه أسنده للمخاطبين فى زمن الرسول وما بعدهم ليحضر ذلك المشهد المروع أمام أعينهم فهاهم أولاء ينظرون إلى آبائهم وأيديهم غرقى فى دماء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فوصفهم الله بهذا الجرم في الماضى والمستقبل[٢] لعلمه سبحانه برضاهم بجرم آبائهم ولحوق مذمته بهم فعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية استحضاراً لصورتها واستعظاماً لها[٣] وكذا للايحاء إلى أنهم بعد على تلك النية حيث هموا بما لم ينالوه من جهته عليه السلام وسحروه وسموا له الشاه حتى قال صلى الله عليه وسلم «مازالت أكلة خيبر تعاودنى فهذا أوان قطعت أبهرى»[٤] وهكذا نجد أن التعبير بالمضارع عن الماضى قد أضاف علي المعنى أبعاداًجديدة ليس للمقام غنا عنها.

---

(١) سورة البقرة الآية : (٨٧).

(٢) انظر تفسير ابن كثير ح١/١٢٤.

(٣) انظر روح المعانى ح١/٣١٨.

(٤) انظر ارشاد العقل السليم ح١/١٥٣ ، وكذا الكشاف ح١/٢٩٥.

ثانياً - الالتفات من الفعل الماضى إلى الأمر:

ومن أمثلته قول الله تعالى :

{**قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين**}[١] .

الالتفات فى قول الله تعالى : (**وأقيموا**) بصيغة الأمر وذلك بعد قوله تعالى : (**أمر**) بالفعل الماضى .

قال فيه أحد البلاغيين : وكان تقدير الكلام : أمر ربى بالقسط وبإقامة وجوهكم عند كل مسجد ، فعدل عن ذلك إلى فعل الأمر ، للعناية بتوكيده فى نفوسهم ، فإن الصلاة من أؤكد فرائض الله على عباده ، ثم اتبعها بالإخلاص الذى هو عمل القلب ، إذ عمل الجوارح لا يصح إلا بإخلاص النية ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم : «الأعمال بالنيات»[٢] وثم ملحظ آخر هدانى ربى إليه سبحانه وتعالى. لقد عبر المولى عز وجل بصيغة الماضى عن أمره سبحانه بالقسط تنبيهاً على قدم عهد هذا الأمر فأمره فى هذا الشأن كائن منذ الازل أما فى إقامة الصلاة فهي أمر دائم متجدد بحسب تجدد الأيام والدهور فهو يخص الحاضر والمستقبل على الدوام أكثر منه في الماضى ، ولهذا ناسب التعبير بالماضى مع الأول وبالأمر مع الثانى والله أعلم وأحكم .

---

(١) سورة الأعراف الآية : (٢٩).

(٢) انظر بن الأثير في المثل السائر ح٢/١٨٠
وكذا اساليب بلاغية د/احمد مطلوب/٢٨٣.

ثالثاً - الالتفات من الفعل المضارع إلى الفعل الماضي:

(١) ومن أمثلته قول الله تعالى :

{هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور}[(١)].

موضع الالتفات فى هذه الآية المباركة في قوله تعالى : (وقضى الأمر) حيث عبر سبحانه عن المستقبل بصيغة الماضى فقال سبحانه : (وقضى الأمر) أى أتم أمر العباد وحسابهم فأثيب الطائع وعوقب العاصى[(٢)] وأتم أمر هلاكهم وفرغ منه....ووضع الماضى موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه[(٣)] لأن تلك الصيغة أبلغ وأوكد فى تحقيق الفعل وإيجاده فالفعل الماضى يعطى من المعنى أنه قد كان ووجد، وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التى يستعظم وجودها[(٤)] وهل أعظم من ذلك اليوم الموعود؟ : (هل ينظرون) إلا بين عشية وضحاها يأتى ذلك الموعود ويقف العباد بين يدى الله هذا الموقف العظيم يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة محتشدون ، وفى لحظة الله أعلم بسرعتها ينتهى كل شئ وكأن الدنيا لم تكن ولم تمر تلك القرون الطوال : (وقضى الأمر) وكأنه ماض وهو مايزال منتظراً وهذا من عجيب ألوان الالتفات. وقد وقف كثير من البلاغيين[(٥)] والمفسرين[(٦)] عند مواضعه ووضحو نكاته البلاغية على نحو ما مر.

---

(١) سورة البقرة : (٢١٠).

(٢) انظر ارشاد العقل السليم ح١/٢٥٠.

(٣) انظر روح المعانى ح٢/٩٩.

(٤) انظر المثل السائر ح٢/١٨٥.

(٥) انظر الفوائد المشوق إلى علوم القرآن لابن القيم/١٥٠-١٥١
وكذا المثل السائر لابن الأثير ح٢/١٨٥ ، وكذا الطراز للعلوى ح٢/١٤٠.

(٦) انظر المراجع السابقة فى التفسير.

(٢) ومن أمثلته قول الله تعالى :

{ **ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً** }[١].

الالتفات فى قول الله تعالى : (**وحشرناهم**) فى الزمن الماضى وذلك لحدث هو لا يزال ينتظر في المستقبل بدليل قوله تعالى : (**ويوم نسير الجبال وترى**) بصيغةالمضارع الدال على المستقبل وكان مقتضى هذه الملابسات قوله - ونحشرهم - بدل (**وحشرناهم**) ولكن ليدل سبحانه وتعالى على أن الحشر أمر ثابت وقريب حدوثه وأنه كائن قبل التسيير والبروز ، ليعاينوا تلك الأهوال بأم أعينهم حتى تزيغ منهم الأبصار كأنه قال : وحشرناهم قبل ذلك[٢] فدلت الصيغة علي سبق الحشروإن جاءمتأخراً في السياق.
كما دلت على تأكيد وقوعه وذلك لأن من الناس من ينكره كبعض الفلاسفة وغيرهم ومن أجل ذلك ذكر بلفظ الماضى[٣].

---

(١) سورة الكهف الآية : (٤٧).

(٢) انظر الفوائد المشوق إلى علوم القرآن لابن القيم/١٥١.

(٣) انظر المثل السائر لابن الأثير ج٢/١٨٦.
وكذا كتاب الطراز للعلوى ج٢/١٤٠،
وكذا اساليب بلاغية د/احمد مطلوب/٢٨٤.

رابعاً - الالتفات من الفعل المضارع إلى الأمر:

ومن أمثلته قول الله تعالى :

{قالوا ياهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين*إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برئ مما تشركون}[١] .

الالتفات فى قول الله تعالى : **(واشهدوا)** بصيغة الأمر وذلك بعد قوله تعالى : **(أشهد الله)** بصيغة المضارع (لم يقل سبحانه : وأشهدكم ليكون موازناً له وبمعناه ، لأن إشهاده الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت ، وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بهم ، ودلالة على قلة المبالاة بأمرهم ولذلك عدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما ، وجئ به على لفظ الأمر ، كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه : -أشهد على أنى أحبك- تهكما به ، واستهانة بحاله)[٢] فأجابهم نبى الله هود عليه وعلي نبينا السلام بما يدل على عدم مبالاته بهم وعلى وثوقه بربه وتوكله عليه ، وأنهم لا يقدرون علي شئ مما يريده الكفار به ، بل الله سبحانه هو الضار النافع[٣] وكفى به شهيداً.

---

(١) سورة هود الآية : (٥٣ ، ٥٤).

(٢) انظر المثل السائر ح٢/١٧٩ - ١٨٠ وكذا الفوائد المشوق لابن القيم/١٤٨ وكذا اساليب بلاغية د/احمد مطلوب/٢٨٣.

(٣) انظر فتح القدير للشوكانى ح٢/٥٠٥. وكذا تفسير أبى السعود ح٣/٤٣.

خامساً - الالتفات من ضمير الجمع إلى ضمير المفرد:

(١) ومن روائع هذا اللون من الالتفات قول الله تعالى :

{ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هدى فلاخوف عليهم ولا هم يحزنون }[١].

الالتفات المقصود هنا في قوله تعالى : (**منى**) بضمير المفرد وذلك بعد ضمير الجمع فى قوله تعالى : (**قلنا**).

قال فيه احد المفسرين : (وهذا شبيه بالالتفات لأنه انتقل من الضمير الموضوع للجمع أو المعظم نفسه في - قلنا - إلى الضمير الخاص بالتكلم المفرد وحكمة هذا الانتقال هنا أن الهدي لا يكون إلا منه وحده تعالى فناسب الضمير الخاص كونه لا هادى إلا هو تعالى فأعطى الخاص الذى لا يشاركه فيه غيره الضمير الخاص الذي لا يحتمل غيره تعالى وفي (منى) إشارة إلى أن الخير كله منه)[٢] وهذه اللفظة الصغيرة (منى) التى يكمن فيها الالتفات فيها ما فيها من الرحمة بهذا العبد الخارج من الجنة دار النعيم الدائم إلى دار البلية الموحشة دار المكابدة والتعادى والحزن فكانت (**منى**) هى الصلة بين الرب الرحيم والعبد التائب الحزين. لقد هبط ابونا أدم إلى الدنيا وهو متمسك بحبل من النجاة يزيل عنه الخوف ويصله بالأمل الذى يعيده إلى دار الخلد فكان هذا الهدى الذى هو من عنده سبحانه مشعلاً يضئ طريق العودة ويرشد إليه. ثم إن هذه اللفظة على صغر حجمها حجة دامغة لد حض المكابرين المعاندين الذين ينكرون الكتب السماوية أو بعضها ، فما هذا الهدي إلا هؤلاء الرسل وما أنزل عليهم من كتب ومن أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه القرآن الكريم[٣].

---

(١) سورة البقرة الآية : (٣٨). ، (٢) انظر البحر المحيط ح١/١٦٨ وكذا صفوة التفاسير ح١/٣٧.

(٣) انظر تفسير النسفى ح١/٤٣ ، ٤٤.

(٢) ومنه فى هذه السورة المباركة قول الله تعالى :

{والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون*يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون}[١].

الالتفات في قوله تعالي : (**نعمتى التى أنعمت**) بصيغة التكلم المفرد وذلك بعد ضمير الجمع في قوله تعالى : (**آياتنا**) لقد طلب سبحانه وتعالى من بنى إسرائيل التفكير في النعم والقيام بشكرها وفيه إشعار بأنهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لا أنهم أهملوا شكرها فقط[٢] فنبههم سبحانه بهذا الالتفات إلى عظم قدرها ووجوب شكرها قال أبو حيان فيه (وفى قوله تعالى نعمتى نوع من الالتفات لأنه خروج من ضمير المتكلم المعظم نفسه في قوله تعالى (آياتنا) السابقة إلى ضمير التكلم الذى لا يشعر بذلك[٣] إلا أن في إضافة النعمة إليه سبحانه إشارة بليغة إلى عظم قدرها وسعة برها وحسن موقعها وشرفها وإيجاب تخصيص شكرها. ولهذا جاء الالتفات إلى ضمير التكلم حجة عليهم لوجوب طاعة المنعم بها[٤].

---

(١) الأيتين ٣٩ ، ٤٠ من سورة البقرة.

(٢) انظر ارشاد العقل السليم ح١/١١٦.

(٣) انظر البحر المحيط ح١/١٧٤.

(٤) انظر تفسير النسفى ح١/٤٤.

سادساً - الالتفات من ضمير المفرد إلى ضمير الجمع:

(١) ومن أمثلته قول الله تعالى :
{ والذين كفروا وكذبوا بآيتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون }[١].

وذلك بعد قوله تعالى : {فإما يأتينكم منى هدى}[٢].

فالالتفات فى ضمير قوله تعالى : (بآياتنا) بضمير الجمع بعد ضمير المفرد فى قوله تعالى (منى) وكان مقتضى الظاهر - بآياتى - بدل بآياتنا. قال العلامه أبو السعود :(وإيراد (نا) العظمة لتربية المهابة وإدخال الروعة وإضافة الآيات إليها لإظهار كمال قبح التكذيب بها)[٣] والآيات هنا الكتب المنزلة على جميع الأمم أو معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو القرآن الكريم أو دلائل الله في مصنوعاته هى أقوال[٤] ولهذا أضافها المولى العلي القدير إليه بضمير العظمة ليدل علي أن جميع تلك الآيات التى أقامها الله سبحانه وتعالى هي نعمة عظمى على العباد تستوجب دوام الشكر عليها والتفكر فيها والوصول بها الصراط المستقيم ولهذا ظهرت نون العظمة فى (آياتنا) وكان الالتفات هو الأبلغ.

---

(١) سورة البقرة الآية : (٤٠).

(٢) سورة البقرة جزء من الآية : (٣٩).

(٣) انظر ارشاد العقل السليم ،
وكذا روح المعانى ج١/ ٢٤٠.

(٤) انظر البحر المحيط ج١/ ١٧٠
وكذا انوار التنزيل للبيضاوى ص (٦).

(٢) ومنه قول الله تعالي :

{ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير}[١] .

الالتفات في هذه الآية المباركة فى تحول الخطاب من المفرد في قوله تعالى (**تعلم**) إلى خطاب الجمع فى قوله تعالى (**مالكم**). وسر هذا التحول والله أعلم هو كون الخطاب في (**تعلم**) خطاب عام لكل فرد ولهذا عطف عليه قوله تعالى : (**ومالكم**) بصيغة الجمع أيضاً قال فيه أبو حيان : (انتقل من ضمير الإفراد في الخطاب إلى ضمير الجماعة وناسب الجمع هنا لان المنفى بدخول من عليه صار نصا فى العموم فناسب كون المنفى عنه يكون عاماً أيضاً)[٢] حتى لو كان الخطاب خاصاً بالنبى صلى الله عليه وسلم كما أورد ابن كثير[٣] إلا أنه يتعداه بالتبليغ إلى كل فرد في الأمة وفيه قدر كبير من الإلزام بنشر العلم والمعرفة خاصة ما يتعلق بأمور العقيدة وهذا ما حدا بالأسلوب إلى صيغة الجمع مع ثبات العقيدة فى الولاية والنصرة فهى راسخة في نفس المخاطب الأول (بتعلم) وليست كذلك في نفوس بعض أفراد الأمة ولهذا ناسب الالتفات إلى الجمع مع ذلك الأمر الخطير.

---

(١) سورة البقرة الآية : (١٠٧).

(٢) انظر البحر المحيط ح١/٣٤٥.

(٣) انظر تفسير ح١/١٥٢.

سابعاً - الالتفات من خطاب التثنية إلى خطاب الجمع:

ومن أمثلته في القرآن الكريم قول الله تعالى :
{وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيتوكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين}[1].

الالتفات في قوله تعالى : **{واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة}** بصيغة خطاب الجمع وذلك بعد خطاب التثنية في قوله تعالى : **(إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما)**. فإنه توسع فى هذا الخطاب فثنى ، ثم جمع ثم وحد فخاطب موسى وهارون في ذلك عليهما السلام بالتبوء والاختيار فى ذلك ، ثم ساق الخطاب لهما ولقومهما بإتخاذ المساجد وإقامة الصلاة ، لأن ذلك واجب علي الجمهور ، ثم خص موسى صلى الله عليه وسلم بالبشارة التى هى الغرض تعظيماً له وتفخيماً لأمره ، لأنه الرسول على الحقيقة[2]. وقال ابن عطية الخطاب في قوله تعالى : **(وأقيموا الصلاة)** لبنى إسرائيل[3] وواقع الآية هو تعميم الخطاب لكافة المؤمنين فى كل زمان ومكان وذلك بدليل قوله تعالى : **(وبشر المؤمنين)**.

هذه بعض ألوان الالتفات الخارجة عن رأى الجمهور قدمنا أمثلة لبعضها على سبيل الذكر لا الحصر لإحساسنا بما فيها من روائع بلاغية عسى الله أن يقيض لها بعض الدارسين لاستجلاء ذلك والله ولى ذلك وصاحبه وهو القادر عليه والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة يونس الآية : (٨٧).
(٢) انظر الفوائد لابن القيم/١٤٨ ، ١٤٩ بتصرف.
(٣) انظر المحرر الوجيز ح٣/١٣٩.

الخاتمه

الخاتمه

الحمد لله رب العالمين صاحب المن جزيل العطاء الوهاب ذى القوة المتين أحمده سبحانه وأشكر فضله على أن هدانى بهداه إلى اختيار موضوع بحثي وأعانني بكرمه وإحسانه على المضى فيه ووفقني بفضله إلى أن أصل إلى خاتمته داعية ربى بأن يحسن خاتمتنا فى الأمور كلها والصلاة والسلام على سيد الآنام وحبيبنا وشفيعنا وإمامنا إلى الصراط المستقيم.

أجدنى وأنا أكتب خاتمة رسالتى مزيجاً من المشاعر لا أعرف نفسى من بينها فرحاً لا يقدر مقداره بوصولى إلى هذه اللحظة التى كم تاقت نفسى إلى الوصول إليها وخوفاً من التقصير في حق القرآن وما فرضه ربى على وحزنا لعدم تمكنى من إنجاز كل ما تاقت نفسى إلى إنجازه فى هذه الدراسة ورغبة فى توصيات شتى أتقدم بها إلى جند الله في الأرض الواهبين حياتهم إلى تحقيق الحق وإعلاء كلمة الرب وبيان إعجاز كلامه سبحانه وتعالى وأرى أن كل ما قدم فى هذا الشأن هو غيض من فيض تحتاجه الدراسات القرآنية وعلاقة الأدب والبلاغة بها.

إننا فى كلية اللغة العربية بجميع أقسامها ملزمون وملزمات ببيان ذلك لأننا أقرب الناس إلى معرفة إعجاز كلام الله وما فيه من روائع بلاغية تحدى بأسلوبها أبلغ البلغاء وأفحمهم.

هذه الدراسة أولى بأن تبذل فيها الجهود وتنصرم فيها السنون وبالله العون وعليه التكلان.

ملخص البحث ونتائجه : لقد استوي بحثى وظهر بعون من الله فى بابين يتقدمهما تمهيد وتقفوهما خاتمة.

وقد كان التمهيد مدخلاً إلى دراسة الالتفات تحدثت فيه عن الالتفات قبل عصر تدوين البلاغة العربية في كتب مستقلة بها وقد لفت هذا الاسلوب الرائع أنظار الناس خصوصاً المتذوقين منذ عهد بعيد ثم كان الباب الأول الذى شمل أربعة فصول حوى الأول مبحثين لتحقيق الالتفات لغة واصطلاحاً وتحديد مفهومه عند العلماء.

وقد خرجت منه برأى خاص مفاده : أن الالتفات لون من ألوان الصياغة يقتضى مخالفة الأصل مخالفة لفظية أو معنوية سواء كانت هذه المخالفة بعد ذكر الأصل ثم الانتقال منه أو تجاوز الأصل مباشرة إلى غيره.

أما الفصل الثانى فقد أبان تلك الأسرار الفنية التى من أجلها يكون الالتفات وقد كشف عن أسرار عجيبة لا يحكمها إلا سياق النص فقد يظهر اللون من الالتفات وضده فى نفس الوقت وعلى سبيل المثال قد يأتى الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لتعظيم شأن المخاطب وإجلاله كما هو فى سورة الفاتحه فى قوله تعالى **(إياك نعبد وإياك نستعين)** بعد الغيبة فى **(الحمد لله رب العالمين)** ويكون نفسه في موضع آخر للتحقير والتبكيت وإلزام الخصم بالحجة كما هو جارى مع مخاطبة أعداء الله من مثل قول الله تعالى **(ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم. سيطوقون ما بخلوا يوم القيامه ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير)**.

وقد بلغت مواضع الالتفات فى النصف الأول من القرآن الكريم إلي سورة الكهف (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسون موضعاً ، وكان أكثرها عداً الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

وأما الجديد في بحثى فهو استقصاء مواضع الالتفات فى النصف الأول من القرآن الكريم وما سبقنى إليه أحد. فجميع من كتب في الالتفات أورد مثالاً لكل لون . وقد صاحب هذا دراسة تحليلة استنبطت فيها تلك النكات البلاغية في جميع الآيات موضوع البحث وقد عانيت كثيراً فى هذا وماذلك إلا لأن الكلام فى كتاب الله يجب أن تصاحبه الحيطة والحذر ومراقبة الله فيه وهذا ما حدا بالكثير من علماء البلاغة والتفسير أن يعزو بعضهم إلى بعض فقد يجد الباحث الكلام نفسه يتردد في العديد من الكتب ومن هنا كان استنباط الجديد من الأغراض البلاغية لبعض المواضع من الصعوبة بمكان لاعتمادى في مثل ذلك على إحساسى ورأى الشخصى مع الحذر من إطلاق العنان فى ذلك للمحاذير السابقة.

أما توصياتى ومقترحاتى فهى كثيرة ولكنى أقدم بعضها للأهمية وقد كنت أنوى استكمال مواضع الالتفات على رأى الجمهور فى القرآن بكامله ولكن لكثرة تلك المواضع وضيق الوقت والمقام اقتصرت على نصف القرآن حتى نهاية سورة الكهف ولهذا أوصى الباحثين بأن يتموا ما بدأت ثم أننى كنت أتوق إلى مناقشة القائلين من البلاغيين والمفسرين بأن الالتفات خاصة من خصائص اللغة العربية دون سواها، وأوضح أن حكمهم هذا ينقصه الدليل الذى يحتاج إلى دراسة مقارنه بين لغة أو أكثر من اللغات الحيه وبين لغتنا الحبيبة وهذا مما لا تتسع له هذه الدراسة ولكن لعل الله يقيض له باحثاًمخلصاً يحققه ويشفى غليلى به.

كما أن أنواع الالتفات التى قمت بدراستها على رأى الجمهور ما هى إلا واحدة من تلك الأنواع الكثيرة للالتفات بعامه وهى محتاجة إلى وقفه مخلصة من باحث مخلص لاستخراجها وتبيين روائعها البلاغية هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الفهارس

فهرس الفهارس

فهرس الآيات اللاتي ورد فيهن الالتفات
فهرس الاحاديث النبويه الشريفة
فهرس الشعر
فهرس الاعلام
فهرس المراجع
فهرس الموضوعات

فهرس الآيات اللاتي وجد فيهن الالتفات من " الغيبة إلى الخطاب "

ت	موضع الالتفات ونوعه	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١	من الغيبة في (الحمدلله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) إلى الخطاب في (إياك نعبد وإياك نستعين)	الفاتحة	١، ٢، ٣، ٤	٨٤
٢	من الغيبة في (ومن الناس من يقولآمنا بالله) إلى الخطاب في (يأيها الناس)	البقرة	٢١	٨٨
٣	من الغيبة في (الذين ينقضون) إلى الخطاب في (كيف تكفرون)	البقرة	٢٧، ٢٨	٨٩
٤	من الغيبة في(وإذ أخذنا ميثاق بني إسرآئيل) إلى المخطب (لاتعبدون)	البقرة	٨٣	٩١
٥	من الغيبة في (ويكون الرسول) إلى الخطاب في (كنت)	البقرة	١٤٣	٩٢
٦	من الغيبة في (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج) إلى الخطاب في (إذا رجعتم)	البقرة	١٩٦	٩٣
٧	من الغيبة في (كان الناس) إلى الخطاب في (أم حسبتم)	البقرة	٢١٤	٩٤
٨	من الغيبة في (ليس عليكم هداهم) ألى الخطاب في (وما تنفقوا من خير)	البقرة	٢٧٢	٩٥
٩	من الغيبة في(لايتخذالمؤمنون الكافرين أوليآء) إلى الخطاب إلا أن تتقو منهم تقاه ويحذركم)	آل عمران	٢٨	٩٧
١٠	من الغيبة في (آمنّا بالله) إلى الخطاب في (ربنا)	آل عمران	٥٢، ٥٣	٩٨
١١	من الغيبة في (من الذين كفروا) ألى الخطاب في (ثم إليّ مرجعكم)	آل عمران	٥٥	٩٩
١٢	من الغيبة في (ودتْ طائفة من أهل الكتاب) ألى الخطاب في (يت أهل الكتاب)	آل عمران	٦٩، ٧٠	١٠١
١٣	من الغيبة في (ليذر المؤمنين) ألى الخطاب في (على ما أنتم عليه)	آل عمران	١٧٩	١٠١
١٤	من الغيبة في (لا يحسبن الذين) إلى الخطاب في بما تعملون)	آل عمران	١٨٠	١٠٢
١٥	من الغيبة في (فاستجاب لهم ربهم) ألى الخطاب في (عمل عاملٍ منكم)	آل عمران	١٩٥	١٠٣
١٦	من الغيبة في (واستغفر لهم الرسول) ألى الخطاب في (فلا وربك)	النساء	٦٤، ٦٥	١٠٥
١٧	من الغيبة في (من يقتل) إلى الخطاب في (وما لكم لا تقاتلون)	النساء	٧٤، ٧٥	١٠٦
١٨	من الغيبة في (ومن يطع الرسول) إلى الخطاب في (فما أرسلناك)	النساء	٨٠	١٠٧

تابع فهرس الآيات اللاتي وجد فيهن الالتفات من " الغيبة إلى الخطاب "

ت	موضع الالتفات ونوعه	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة ١٠٨
١٩	من الغيبة في (وإذا جاءهم أمر) إلى الخطاب في(ولولا فضل الله عليكم ورحمته)	النساء	٨٣	١١٠
٢٠	من الغيبة في (ولقد أخذ الله ميثاق ..) و (فبما نقضيهم ميثاقهم) و(ومن الذين قالوا إنا نصارى) إلى الخطاب في (يا أهل الكتاب)	المائدة	١٢ ،١٣، ١٤، ١٥	١١١
٢١	من الغيبة في (وقالت اليهود) إلى الخطاب في (ياأهل الكتاب)	المائدة	١٨-١٩	١١٢
٢٢	من الغيبة في (ثم الذين كفروا) إلى الخطاب في (خلقكم من طين)	الأنعام	١ ، ٢	١١٣
٢٣	من الغيبة في (ألم يروا) إلى الخطاب (ما لم نمكن لكم)	الأنعام	٦	١١٤
٢٤	من الغيبة في (وللدار الآخرة) إلى الخطاب في (أفلا تعقلون)	الأنعام	٣٢	١١٥
٢٥	من الغيبة في (وكتبنا له) إلى الخطاب في (فخذها بقوة وأمر قومك)	الأعراف	١٤٥	١١٦
٢٦	من الغيبة في (وقطعناهم إثنتي عشر) إلى الخطاب في (كلوا من طيبات ما رزقناكم)	الأعراف	١٦٠	١١٧
٢٧	من الغيبة في (فنخلق من بعدهم) إلى الخطاب في (أفلا تعقلون)	الأعراف	١٦٩	١١٨
٢٨	من الغيبة في (أيشركون ما لا يخلق) إلى الخطاب في (وإن تدعوهم إلى الهدى)	الأعراف	١٩١، ١٩٢، ١٩٣	١١٩
٢٩	من الغيبة في (ذلك بأنهم شاقوا) إلى الخطاب في (ذلكم)	الأنفال	١٣ ، ١٤	١١٩
٣٠	من الغيبة في (وما كان صلاتهم) إلى الخطاب في (فذوقوا العذاب)	الأنفال	٣٥	١٢٠
٣١	من الغيبة في (حرض المؤمنين) إلى الخطاب في (إنيكن منكم)	الأنفال	٦٥	١٢١
٣٢	من الغيبة في (برآءة من الله . .) إلى الخطاب في (فسيحوا في الأرض)	التوبة	١، ٢	١٢٢
٣٣	من الغائب في (وأذان من الله ورسوله إلى الناس) إلى الخطاب في (فإن تبتم فهو خير لكم)	التوبة	٣	١٢٣
٣٤	من الغيبة في (يؤذون النبي) إلى الخطاب في (قل)	التوبة	٦١	١٢٤
٣٥	من الغيبة في (وعد الله المنافقين) إلى الخطاب في (كالذين من قبلكم)	التوبة	٦٨ ، ٦٩	

تابع فهرس الآيات اللاتي وجد فيهن الالتفات من " الغيبة إلى الخطاب "

ت	موضع الالتفات ونوعه	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٦	من الغيبة في (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم) إلى الخطاب في (فاستبشروا ببيعكم)	التوبة	١١١	١٢٤
٣٧	من الغيبة في (لهم) إلى الخطاب في (مما تفكرون)	يونس	٢١	١٢٦
٣٨	من الغيبة في (فلما أنجاهم) إلى الخطاب في (يأيها الناس إنما بغيكم)	يونس	٢٣	١٢٦
٣٩	من الغيبة في (ولكن أكثرهم لا يعلمون) إلى الخطاب في(ترجعون)	يونس	٥٥ ، ٥٦	١٢٧
٤٠	من الغيبة في (أكثرهم لا يعلمون) إلى الخطاب في (يا أيها الناس)	يونس	٥٦ , ٥٧	١٢٧
٤١	من الغيبة في (قالوا اتخذ الله ولداً) إلى الخطاب في (إن عندكم من سلطان)	يونس	٦٨	١٢٨
٤٢	من الغيبة في (فإن تولوا) إلى الخطاب في (إبلغتكم)	هود	٥٧	١٢٩
٤٣	من الغيبة في (أفلم يسيروا في الأرض) إلى الخطاب في (أفلا تعقلون)	يوسف	١٠٩	١٣٠
٤٤	من الغيبة في (الحمد لله الذي وهب) إلى الخطاب في (رب اجعلني)	إبراهيم	٣٩-٤٠	١٣١
٤٥	من الغيبة في (إن المتقين في جنات وعيون) إلى الخطاب في (ادخلوها)	الحجر	٤٥ ، ٤٦	١٣٢
٤٦	من الغيبة في (الذين تتوفاهم) إلى الخطاب في (بما كنتم تعملون)	النحل	٢٨	١٣٣
٤٧	من الغيبة في (أو يأخذهم) إلى الخطاب في (فإن ربكم)	النحل	٤٧	١٣٣
٤٨	من الغيبة في (ليكفرو بما آتاهم) إلى الخطاب في (فتمتعوا فسوف تعلمون)	النحل	٥٥	١٣٤
٤٩	من الغيبة في (ويجعلون لما لا يعلمون) إلى الخطاب في (لتسئلن عما كنتم تفترون)	النحل	٥٦	١٣٤
٥٠	من الغيبة في (على عبده) إلى الخطاب في (فلعلك باخع نفسك)	الكهف	١-٦	١٣٥

فهرس الآيات اللاتي وجد فيهن الالتفات من " الخطاب إلى الغيبة "

ت	موضع الالتفات ونوعه	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٥١	من الخطاب في (صراط الذين أنعمت) إلى الغيبة في (غير المغضوب)	الفاتحة	٧	١٣٧
٥٢	من الخطاب في (وظللناعليكم الغمام) إلى الغيبة في (وما ظلمونا ولكن كانوا)	البقرة	٥٧	١٣٩
٥٣	من الخطاب في (وإذ قلتم يا موسى) إلى الخطاب في (وضربت عليهم الذلة . . .)	البقرة	٦١	١٤٠
٥٤	من الخطاب في (ثم أنتم) إلى الغيبة في (ويوم القيامة يردون)	البقرة	٨٥	١٤١
٥٥	من الخطاب في (تعملون) إلى الغيبة في(أولئك الذين اشتروا الحياة)	البقرة	٨٥ ، ٨٦	١٤٢ ، ١٤٣
٥٦	من الخطاب في (ولقد آتينا موسى الكتاب) إلى الغيبة في (وقالوا)	البقرة	٨٧ ،٨٨	١٤٤
٥٧	من الخطاب في (أم تريدون أن تسألوا) ألى الغيبة في (ومن يتبدل الكفر)	البقرة	١٠٨	١٤٥
٥٨	من الخطاب في (رب) إلى الغيبة في (من أمن منهم بالله)	البقرة	١٢٦	١٤٦
٥٩	من الخطاب في (القبلة التي كنت) إلى الغيبة في (من يتبع الرسول)	البقرة	١٤٣	١٤٨
٦٠	من الخطاب في(ولئن آتيت الذين أوتو) ٨٨ إلى الغيبة في (يعرفونه)	البقرة	١٤٥ ، ١٤٦	١٤٩
٦١	من الخطاب في (يا أيها الناس كلوا) إلى الغيبة في (وإذا قيل لهم)	البقرة	١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠	١٥١
٦٢	من الخطاب في (فإذا قضيتم مناسككم . . .) إلى الغيبة في (فمن الناس من يقول)	البقرة	٢٠٠	١٥٢
٦٣	من الخطاب في (وما أنفقتم من نفقة أونذرتم) إلى الغيبة في (وما للظالمين . . .)	البقرة	٢٧٠	١٥٣
٦٤	من الخطاب في (ربنا إنك جامع الناس) إلى الغيبة في (إن الله لا يخلف الميعاد)	آل عمران	٩	١٥٥
٦٥	من الخطاب في (أطيعو الله) إلى الغيبة في (والرسول)	آل عمران	٣٢	١٥٦
٦٦	من الخطاب في (رب) إلى الغيبة في (والله أعلم بما وضعت)	آل عمران	٣٦	١٥٧
٦٧	من الخطاب في (رب) إلى الغيبة في (قال كذلك الله يخلق ما يشآء)	آل عمران	٤٧	١٥٨
٦٨	من الخطاب في (ولئن قتلتم) إلى الغيبة في (يجمعون)	آل عمران	١٥٧	١٥٩
٦٩	من الخطاب في (وجئنا بك) إلى الغيبة في (عصوا الرسول)	النسآء	٤١ ، ٤٢	١٦٠

تابع فهرس الآيات اللاتي وجد فيهن الالتفات من " الخطاب إلى الغيبة "

ت	موضع الالتفات ونوعه	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٧٠	من الخطاب في (يا أيها الذين أوتوا الكتاب) إلى الغيبة في(أو نلعنهم)	النساء	٤٧	١٦١
٧١	ن الخطاب في (جاءوك) إلى الغيبة في (استغفر لهم الرسول)	النسآء	٦٤	١٦٢
٧٢	من الخطاب في (أينما تكونوا) إلى الغيبة في (وإن تصبهم حسنة يقولوا)	النسآء	٧٨	١٦٣
٧٣	من الخطاب في (من عندك) إلى الغيبة في (إلى الرسول)	النسآء	٨٣,٨٢,٨١	١٦٤
٧٤	من الخطاب في (يا أيها الذين آمنوا) إلى الغيبة في (فليتوكل المؤمنون)	المائدة	١١	١٦٥
٧٥	من الخطاب في (قل) إلى الغيبة في (يعرفون)	الأنعام	١٩ ، ٢٠	١٦٦
٧٦	من الخطاب في (إليك) إلى الغيبة في (ينهون عنه وينأون عنه)	الأنعام	٢٥ ، ٢٦	١٦٧
٧٧	من الخطاب في (حتى إذا جآء أحدكم) إلى الغيبة في (ثم ردوا إلى الله)	الأنعام	٦١-٦٢	١٦٨
٧٨	من الخطاب في (أو تقولوا) إلى الغيبة في(فمن أظلم ممن كذب بآيات الله)	الأنعام	١٥٧	١٦٩
٧٩	من الخطاب في (ياآ بني آدم قد أنزلنا . . .) إلى الغيبة في (لعلهم يذكرون)	الأعراف	٢٦	١٧٠
٨٠	من الخطاب في (كلو مما رزقناكم) إلى الغيبة في (وما ظلمونا ولكن كانو انفسهم)	الأعراف	١٦٠	١٧١
٨١	من الخطاب في (يسألونك عن الأنفال قل) إلى الغيبة في (والرسول)	الأنفال	١	١٧٢
٨٢	من الخطاب في (ذلكم فذوقوه) ألى الغيبة في (وإن للكافرين)	الأنفال	١٣ ، ١٤	١٧٣
٨٣	من الخطاب في (فسيحوا في الأرض) ألى الغيبة في (وإن الله مخز الكافرين)	التوبة	٢	١٧٤
٨٤	من الخطاب في (فإن تبتم فهو خير لكم) إلى الغيبة في(وبشرالذين كفروابعذاب أليم)	التوبة	٣	١٧٥
٨٥	من الخطاب في (يلمزك في الصدقات) إلى الغيبة في (ولوأنهم رضواماآتاهم الله ورسوله)	التوبة	٥٨ . ٥٩	١٧٥
٨٦	من الخطاب في (قل) إلى الغيبة في (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا)	التوبة	٦١	١٧٦
٨٧	من الخطاب في (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم) إلى الغيبة في (ألم يأ تهم)	التوبة	٦٩, ٧٠	١٧٧
٨٨	من الخطاب في(استغفرلهم أولا تستغفرلهم) إلى الغيبة في (بأنهم كفروابالله ورسوله)	التوبة	٨٠	١٧٨

تابع فهرس الآيات اللاتي وجد فيهن الالتفات من " الخطاب إلى الغيبة "

ت	موضع الالتفات ونوعه	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٨٩	من الخطاب في (ولا تصل) إلى الغيبة في(ورسوله)	التوبة	٨٤	١٧٩
٩٠	من الخطاب في (استئذنك) إلى الغيبة في(لكن الرسول والذين آمنومعه)	التوبة	٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨	١٨٠
٩١	من الخطاب في (يعتذرون إليكم) ألى الغيبة في (وسيرى الله عملكم ورسوله)	التوبة	٩٤	١٨١
٩٢	من الخطاب في (وقل) إلى الغيبة في(ورسوله)	التوبة	١٠٥	١٨١
٩٣	من الخطاب في(ثم جعلناكم خلائف) إلى الغيبة في (وإذا تتلى عليهم آياتنا)	يونس	١٤ ، ١٥	١٨٢
٩٤	من الخطاب في (يسيركم في البر والبحر) إلى الغيبة في (وجرين بهم)	يونس	٢٢	١٨٣
٩٥	من الخطاب في (فذلكم الله ربكم) إلى الغيبة في (الذين فسقوا أنهم لايؤمنون)	يونس	٣٢ ، ٣٣	١٨٥
٩٦	من الخطاب في (أرءيتم إن أتاكم) إلى الغيبة في (ماذا يستعجل منه المجرمون)	يونس	٥٠	١٨٦
٩٧	من الخطاب في (وأن استغفروا ربكم) إلى الغيبة في (وإن تولوا)	هود	٣	١٨٧
٩٨	من الخطاب في (إلى الله مرجعكم) إلى الغيبة في (ألا إنهم يثنون صدورهم)	هود	٤ ، ٥	١٨٨
٩٩	من الخطاب في (هو الذي يريكم) إلى الغيبة في (وهم يجادلون في الله)	الرعد	١٢ ، ١٣	١٨٩
١٠٠	من الخطاب في (ربنا إنك) إلى الغيبة في (وما يخفى على الله من شيء)	إبراهيم	٣٨	١٩٠
١٠١	من الخطاب في (ادخلوها) إلى الغيبة في (ونزعنا ما في صدرهم)	الحجر	٤٦ ، ٤٧	١٩١
١٠٢	من الخطاب في (فلا تستعجلوه) إلى الغيبة في (عما يشركون)	النحل	١	١٩٢
١٠٣	من الخطاب في (لعلكم تهتدون) إلى الغيبة في (وبالنجم هم يهتدون)	النحل	١٥، ١٦	١٩٣
١٠٤	من الخطاب في (والله جعل لكم من أنفسكم) إلى الغيبة في (أفبالباطل يؤمنون)	النحل	٧٢	١٩٤
١٠٥	من الخطاب في (لكم) إلى الغيبة في (فإن تولوا)	النحل	٨١، ٨٢	١٩٥
١٠٦	من الخطاب في (أفأصفاكم ربكم بالبنين) إلى الغيبة في (ليذكروا وما يزيدهم)	الإسراء	٤٠ ، ٤١	١٩٦
١٠٧	من الخطاب في (ربكم أعلم بكم) إلى الغيبة في (عليهم)	الإسراء	٥٤	١٩٧

تابع فهرس الآيات اللاتي وجد فيهن الالتفات من " الخطاب إلى الغيبة "

ت	موضع الالتفات ونوعه	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠٨	من الخطاب في (واستفزز من استطعت) إلى الغيبة في (وما يعدهم الشيطان)	الإسراء	٦٤	١٩٨
١٠٩	من الخطاب في (وإذا مسكم الضر في البحر) إلى الغيبة في (وكان الإنسان كفوراً)	الإسراء	٦٧	١٩٨
١١٠	من الخطاب في (أفتتخذونه) إلى الغيبة في (بئس للظالمين بدلاً)	الكهف	٥٠	١٩٩
	فهرس الآيات اللاتي وجد فيهن الالتفات من " التكلم إلى الغيبة "			
١١١	من التكلم في (رزقناهم) إلى الغيبة في (من ربهم)	البقرة	٥،٤،٣	٢٠١
١١٢	من التكلم في (مما نزلنا) إلى الغيبة في (من دون الله)	البقرة	٢٣	٢٠٢
١١٣	من التكلم في (وقلنا) ألى الغيبة في (من ربه)	البقرة	٣٦ ، ٣٧	٢٠٤
١١٤	من التكلم في (فقلنا) إلى الغيبة في (من رزق الله)	البقرة	٦٠	٢٠٥
١١٥	من التكلم في (أخذنا) إلى الغيبة في (إلا الله)	البقرة	٨٣	٢٠٧
١١٦	من التكلم في (ماننسخ) إلى الغيبة في (أن الله)	البقرة	١٠٦	٢٠٨
١١٧	من التكلم في (ولقد اصطفيناه) إلى الغيبة في (إذ قال له ربه)	البقرة	١٣٠ . ١٣١	٢٠٩
١١٨	من التكلم في (وجعلنا) إلى الغيبة في (هدى الله)	البقرة	١٤٣	٢١١
١١٩	من التكلم في (قد نرى) إلى الغيبة في (من ربهم وماالله بغافل)	البقرة	١٤٤	٢١٢
١٢٠	من التكلم في (ما أنزلنا) إلى الغيبة في (الله)	البقرة	١٥٩	٢١٣
١٢١	من التكلم في (ءاتينا هم) إلى الغيبة في (نعمة الله)	البقرة	٢١١	٢١٤
١٢٢	من التكلم في (فضلنا) إلى الغيبة في (منهم من كلم الله)	البقرة	٢٥٣	٢١٥
١٢٣	من التكلم في (كذبوا بآياتنا) إلى الغيبة في (والله شديد العقاب)	آل عمرآن	١١	٢١٧
١٢٤	من التكلم في (فأعذبهم) إلى الغيبة في (فيوفيهم)	آل عمرآن	٥٦ ، ٥٧	٢١٨
١٢٥	من التكلم في (ذلك نتلوه) إلى الغيبة في (إن مثل عيسى عند الله)	آل عمرآن	٥٨ . ٥٩	٢١٩

فهرس الآيات التي وجد فيها الالتفات من " التكلم إلى الغيبة "

ت	موضع الالتفات ونوعه	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢٦	من التكلم في (نتلوها) إلى الغيبة في (وما الله يريد ظلماً للعالمين)	آل عمران	١٠٨	٢٢٠
١٢٧	من التكلم في (سنلقي) إلى الغيبة في (بما أشركوا بالله ما لم ينزل)	آل عمران	١٥١	٢٢١
١٢٨	من التكلم في (أنما نملي) إلى الغيبة في (ما كان الله ليذر)	آل عمران	١٧٨ ، ١٧٩	٢٢٢
١٢٩	من التكلم في (ولكل جعلنا) إلى الغيبة في(إن الله كان على كل شيء شهيداً	النسآء	٣٣	٢٢٣
١٣٠	من التكلم في (فكيف إذا جئنا) إلى الغيبة في (ولا يكتمون الله حديثاً)	النسآء	٤١، ٤٢	٢٢٤
١٣١	من التكلم في (بآياتنا) إلى الغيبة في (إن الله كان عزيزاً حكيما)	النسآء	٥٦	٢٢٥
١٣٢	من التكلم في (وما أرسلناك) إلى الغيبة في (بإذن الله)	النسآء	٦٤	٢٢٦
١٣٣	من التكلم في (وأرسلناك) إلى الغيبة في (وكفى بالله شهيداً)	النسآء	٧٩	٢٢٧
١٣٤	من التكلم في (إنا أنزلنا) إلى الغيبة في (بما أراك الله)	النسآء	١٠٥	٢٢٨
١٣٥	من التكلم في (ولقد وصينا) إلى الغيبه في (أن اتق الله)	النسآء	١٣١	٢٢٩
١٣٦	من التكلم في (حرمنا) إلى الغيبه في (سبيل الله)	النسآء	١٦٠	٢٢٩
١٣٧	من التكلم في (قد قصصناهم) إلى الغيبة في (وكلم الله موسى تكليماً)	النسآء	١٦٤	١٣٠
١٣٨	من التكلم في (واخشون) إلى الغيبة في (فإن الله غفور رحيم)	المائدة	٣	١٣١
١٣٩	من التكلم في (وبعثنا) إلى الغيبة في (وقال الله)	المائدة	١٢	٢٣١
١٤٠	من التكلم في (لعناهم وجعلنا) إلى الغيبة في(إن الله يحب)	المائدة	١٣	٢٣٢
١٤١	من التكلم في (أخذنا فأغرينا) إلى الغيبة في (وسوف ينبئهم الله)	المائدة	١٤	٢٣٣
١٤٢	من التكلم في (رسولنا) إلى الغيبة في (من الله)	المائدة	١٥	٢٣٤
١٤٣	من التكلم في (رسولنا) إلى الغيبة في (والله على كل شيء قدير)	المائدة	١٩	٢٣٥

تابع فهرس الآيات التي وجد فيها الالتفات من " التكلم إلى الغيبة "

ت	موضع الالتفات ونوعه	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١٤٤	من التكلم في (أنزلنا) إلى الغيبة في (من كتاب الله)	المائدة	٤٤	٢٣٦
١٤٥	من التكلم في (واخشونِ) إلى الغيبة في (بما أنزلَ الله)	المائدة	٤٤	٢٣٦
١٤٦	من التكلم في (وكتبنا) إلى الغيبة في (بما أنزل الله)	المائدة	٤٥	٢٣٧
١٤٧	من التكلم في (وقضينا) إلى الغيبة في (بما أنزل الله)	المائدة	٤٦ ، ٤٧	٢٣٧
١٤٨	من التكلم في (وأنزلنا) إلى الغيبة في (بما أنزل الله)	المائدة	٤٨	٢٣٨
١٤٩	من التكلم في (وألقينا) إلى الغيبة في (أطفأها الله)	المائدة	٦٤	٢٣٩
١٥٠	من التكلم في (لكفّرنا) إلى الغيبة في (من ربهم)	المائدة	٦٥ ، ٦٦	٢٤٠
١٥١	من التكلم في (قد نعلم) إلى الغيبة في (بآيات الله)	الأنعام	٣٣	٢٤٢
١٥٢	من التكلم في (نصرنا) إلى الغيبة في (لكلمات الله)	الأنعام	٣٤	٢٤٣
١٥٣	من التكلم في (ما فرطنا) إلى الغيبة في (ثم إلى ربهم)	الأنعام	٣٨	٢٤٤
١٥٤	من التكلم في (فتحنا) إلى الغيبة في (والحمد لله رب العالمين)	الأنعام	٣٩	٢٤٥
١٥٥	من التكلم في (فتحنا) إلى الغيبة في (فَقُطِعَ)	الأنعام	٤٤ ، ٤٥	٢٤٦
١٥٦	من التكلم في (رسلنا) إلى الغيبة في (إلى الله)	الأنعام	٦١ ، ٦٢	٢٤٧
١٥٧	من التكلم في (حجتنا) إلى الغيبة في (إن ربك حكيم عليم)	الأنعام	٨٣	٢٤٨
١٥٨	من التكلم في (اتينا هم) ألى الغيبة في (هدى الله)	الأنعام	٨٩ ، ٩٠	٢٤٩
١٥٩	من التكلم في (كذلك زيّنا) إلى الغيبة في (ثم إلى ربهم)	الأنعام	١٠٨	٢٥٠
١٦٠	من التكلم في (ولو أننا نزلنا) إلى الغيبة في (ألا أن يشآء الله)	الأنعام	١١١	٢٥٠
١٦١	من التكلم في (وكذلك جعلنا) ألى الغيبة في (ولو شآء ربك)	الأنعام	١١٢	٢٥١
١٦٢	من التكلم في (آتيناهم) إلى الغيبة في (من ربك)	الأنعام	١١٤	٢٥٢

تابع فهرس الآيات التي وجد فيها الالتفات من " التكلم إلى الغيبة "

ت	موضع الالتفات ونوعه	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٣	من التكلم في (قد فصلنا) إلى الغيبة في (عند ربهم)	الأنعام	١٢٦ ، ١٢٧	٢٥٣
١٦٤	من التكلم في (بآياتنا) إلى الغيبة في (بربهم)	الأنعام	١٥٠	٢٥٤
١٦٥	من التكلم في (لا نكلف) إلى الغيبة في (وبعهد الله)	الأنعام	١٥٢	٢٥٥
١٦٦	من التكلم في (خلقناكم) إلى الغيبة في (قال)	الأعراف	١١ ، ١٢	٢٥٦
١٦٧	من التكلم في (قد أنزلنا) إلى الغيبة في (آيات الله)	الأعراف	٢٦	٢٥٧
١٦٨	من التكلم في (نقص) إلى الغيبة في (كذلك يطبع الله)	الأعراف	١٠١	٢٥٧
١٦٩	من التكلم في (ولقد أخذنا) إلى الغيبة (عند الله)	الأعراف	١٣٠ ، ١٣١	٢٥٨
١٧٠	من التكلم في (وأورثنا) إلى الغيبة في (وتمت كلمت ربك الحسنى)	الأعراف	١٣٧	٢٦١
١٧١	من التكلم في (وإذ أنجيناكم) إلى الغيبة في (من ربك)	الأعراف	١٤١	٢٦٢
١٧٢	من التكلم في (وواعدنا) إلى الغيبة في (ميقات ربه)	الأعراف	١٤٢	٢٦٢
١٧٣	من التكلم في (لميقاتنا) إلى الغيبة في (وكلمة ربه)	الأعراف	١٤٣	٢٦٢
١٧٤	من التكلم في (إني رسول) إلى الغيبة في (ورسوله)	الأعراف	١٥٨	٢٦٤
١٧٥	من التكلم في (وإذ نتقنا) إلى الغيبة في (وإذ أخذ ربك)	الأعراف	١٧١ ، ١٧٢	٢٦٦
١٧٦	من التكلم في (بآياتنا) إلى الغيبة في (من يهدي الله)	الأعراف	١٧٧ ، ١٧٨	٢٦٧
١٧٧	من التكلم في (نعد) إلى الغيبة في (وأن الله)	الأنفال	١٩	٢٦٩
١٧٨	من التكلم في (وماأنزلنا على عبدنا) إلى الغيبة في (والله عاى كل شيء قدير)	الأنفال	٤١	٢٧٠
١٧٩	من التكلم في (نحن نعلمهم سنعذبهم) إلى الغيبة في (عسى الله أن يتوب)	التوبة	١٠١ ، ١٠٢	٢٧١
١٨٠	من التكلم في (أن أوحينا) إلى الغيبة في (عند ربهم)	يونس	٢	٢٧٣
١٨١	من التكلم في (لقآءنا) إلى الغيبة في (ربهم)	يونس	٧، ٨، ٩	٢٧٤

تابع فهرس الآيات التي وجد فيها الالتفات من " التكلم إلى الغيبة "

ت	موضع الالتفات ونوعه	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٢	من التكلم في (أنزلناه) وكذا (أمرنا) إلى الغيبة في (والله يدعوا إلى دار السلام)	يونس	٢٤ ، ٢٥	٢٧٥
١٨٣	من التكلم في (وإما نرينك) إلى الغيبة في (الله شيد)	يونس	٤٦	٢٧٦
١٨٤	من التكلم في (إلا كنا عليكم شهوداً) إلى الغيبة في (عن ربك)	يونس	٦١	٢٧٧
١٨٥	من التكلم في (ولقد بوأنا بني) إلى الغيبة في (إن ربك يقضي)	يونس	٩٣	٢٧٨
١٨٦	من التكلم في (مما أنزلنا) إلى الغيبة في (لقد جاءك الحق من ربك)	يونس	٩٤	٢٧٩
١٨٧	من التكلم في (كشفنا) إلى الغيبة في(ولو شآء ربك)	يونس	٩٨ ، ٩٩	٢٨٠
١٨٨	من التكلم في (امرنا) إلى الغيبة في(إن ربك)	هود	٦٦	٢٨١
١٨٩	من التكلم في (أمرنا ، جعلنا ، أمطرنا) إلى الغيبة في (عند ربك)	هود	٨٢ ، ٨٣	٢٨١
١٩٠	من التكلم في (وما ظلمناهم) إلى الغيبة في(من دون الله)	هود	١٠١	٢٨٢
١٩١	من التكلم في (وما نؤخره) إلى الغيبة في (لا تكلم نفس إلا بإذنه)	هود	١٠٤، ١٠٥	٢٨٣
١٩٢	من التكلم في (ولقد أتينا) إلى الغيبة في (من ربك)	هود	١١٠	٢٨٤
١٩٣	من التكلم في (ممن أنجينا) إلى الغيبة في (وما كان ربك ليهلك)	هـــود	١١٦ ، ١١٧	٢٨٥
١٩٤	من التكلم في(وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) إلى الغيبة في (والله غالب على أمره)	يوسف	٢١	٢٨٦
١٩٥	من التكلم في (كذلك كدنا) إلى الغيبة في (إلا أن يشآء الله)	يوسف	٧٦	٢٨٧
١٩٦	من التكلم في (كذلك أرسلناك) إلى الغيبة في (وهم يكفرون بالرحمن)	الرعـــد	٣٠	٢٨٨
١٩٧	من التكلم في (فأمليت) إلى الغيبة في(أفمن هو قائم على كل نفس)	الرعـــد	٣٢ ، ٣٣	٢٨٩
١٩٨	من التكلم في (أنزلناه) إلى الغيبة في (مالك من الله من ولي ولاواق)	الرعـــد	٣٧	٢٩٠
١٩٩	من التكلم في (ولقد أرسلنا) إلى الغيبة في (إلا بإذن الله)	الرعـــد	٣٨	

تابع فهرس الآيات التي وجد فيها الالتفات من " التكلم إلى الغيبة "

ت	موضع الالتفات ونوعه	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠٠	من التكلم في (أنا نأتي الارض) إلى الغيبة في (والله يحكم لامعقب لحكمه)	الرعد	٤١	٢٩٢
٢٠١	من التكلم في (كتاب أنزلناه) إلى الغيبة في (بإذن ربهم)	إبراهيم	١	٢٩٣
٢٠٢	من التكلم في (و ما أرسلنا) إلى الغيبة في (فيضل الله)	إبراهيم	٤	٢٩٤
٢٠٣	من التكلم في (ولقد أرسلنا) ألى الغيبة في (بأيام الله)	إبراهيم	٥	٢٩٥
٢٠٤	من التكلم في (كيف فعلنا) إلى الغيبة في (وعند الله)	إبراهيم	٤٥ ، ٤٦	٢٩٦
٢٠٥	من التكلم في (ولقد كلمنا) إلى الغيبة في (وإن ربك هو يحشرهم إنه)	الحجر	٢٤ ، ٢٥	٢٩٧
٢٠٦	من التكلم في (وما خلقنا) إلى الغيبة في (إن ربك هو الخلاق العليم)	الحجر	٨٥ ، ٨٦	٢٩٨
٢٠٧	من التكلم في (كفيناك) إلى الغيبة في (مع الله)	الحجر	٩٥ ، ٩٦	٢٩٩
٢٠٨	من التكلم في (ولقد نعلم) إلى الغيبة في (بحمد ربك)	الحجر	٩٧ ، ٩٨	٣٠٠
٢٠٩	من التكلم في (بعثنا) إلى الغيبة في (الله)	النحل	٣٦	٣٠١
٢١٠	من التكلم في (فإياي) إلى الغيبة في(وله ما في السموات و الارض)	النحل	٥١ ،٥٢	٣٠٢
٢١١	من التكلم في (مما رزقناهم) إلى الغيبة في (تالله)	النحل	٥٦	٣٠٣
٢١٢	من التكلم في (وما أنزلنا) إلى الغيبة في (والله أنزل)	النحل	٦٤ ، ٦٥	٣٠٣
٢١٣	من التكلم في (ويوم نبعث) إلى الغيبة في (إن الله يأمر)	النحل	٨٩ ، ٩٠	٣٠٤
٢١٤	من التكلم في (وإذا بدلنا) إلى الغيبة في (و الله اعلم بما ينزل)	النحل	١٠١	٣٠٥
٢١٥	من التكلم في (باركنا حوله لنريه من آياتنا) إلى الغيبة في (إنه هو السميع البصير)	الإسراء	١	٣٠٧
٢١٦	من التكلم في (وجعلنا) إلى الغيبة في (من ربكم)	الإسراء	١٢	٣٠٨
٢١٧	من التكلم في (وكم أهلكنا) إلى الغيبة في (وكفى بربك بذنوب عباده)	الإسراء	١٧	٣٠٩
٢١٨	من التكلم في (نمد) إلى الغيبة في (من عطاء ربك)	الإسراء	٢٠	٣١٠

تابع فهرس الآيات التي وجد فيها الالتفات من " التكلم إلى الغيبة "

ت	موضع الالتفات ونوعه	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٢١٩	من التكلم في (وإذ قلنا) إلى الغيبة في (إن ربك أحاط بالناس)	الإسراء	٦٠	٣١١
٢٢٠	من التكلم في (إن عبادي) إلى الغيبة في (وكفى بربك)	الإسراء	٦٥	٣١٢
٢٢١	من التكلم في (ولئن شئنا لنذهبن) إلى الغيبة في (إلا رحمة من ربك إن فضله)	الإسراء	٨٦ ، ٨٧	٣١٣
٢٢٢	من التكلم في (أعثرنا) ألى الغيبة في (أن وعد الله حق)	الكهف	٢١	٣١٤
٢٢٣	من التكلم في (كمآء أنزلناه من السماء) إلى الغيبة في (وكان الله على كل شيءمقتدرا)	الكهف	٤٥	٣١٥
٢٢٤	من التكلم في (ويوم نسير الجبال) إلى الغيبة في (على ربك)	الكهف	٤٧ ، ٤٨	٣١٦
٢٢٥	من التكلم في (وإذ قلنا) إلى الغيبة في (ففسق عن أمر ربه)	الكهف	٥٠	٣١٧
	فهرس الآيات التي وجد فيها الالتفات من " الغيبة إلى التكلم "			
٢٢٦	من الغيبة في (اعبدوا ربكم) إلى التكلم في (مما نزلنا على عبدنا)	البقرة	٢١ ،٢٢، ٢٣	٣١٩
٢٢٧	من االغيبة في (وإذ قال ربك) إلى التكلم في (وإذ قلنا للملآئكة اسجدوا)	البقرة	٣١ – ٣٤	٣٢٠
٢٢٨	من الغيبة في (فتلقى أدم من ربه) إلى لتكلم في (قلنا)	البقرة	٣٧ ، ٣٨	٣٢١
٢٢٩	من الغيبة في (ما لك من الله من ولي) إلى التكلم في (آتيناهم)	البقرة	١٢٠ ، ١٢١	٣٢٢
٢٣٠	من الغيبة في (يلعنهم الله) إلى التكلم في (أتوب عليهم وأنا التواب)	البقرة	١٥٩ ، ١٦٠	٣٢٣
٢٣١	من الغيبة في (يعلمه الله) إلى التكلم في (واتقون)	البقرة	١٩٧	٣٢٤
٢٣٢	من الغيبة في (تلك آيات الله) إلى التكلم في (نتلوها)	البقرة	٢٥١ ، ٢٥٢	٣٢٦
٢٣٣	من الغيبة في (من كلم الله) إلى التكلم في (وآتينا عيسى ابن مريم)	البقرة	٢٥٣	٣٢٧
٢٣٤	من الغيبة في (من الله شيئاً) إلى التكلم في (بآياتنا)	آل عمرآن	١٠ ، ١١	٣٢٨
٢٣٥	من الغيبة في (ويعلمه الكتاب والحكمة) إلى التكلم في (أني قد جئتكم بآية)	آل عمرآن	٤٨ ، ٤٩	٣٢٩
٢٣٦	من الغيبة في (وأما الذين آمنوا) إلى التكلم في (ذلك نتلوه)	آل عمرآن	٥٧ ، ٥٨	٣٣٠

تابع فهرس الآيات التي وجد فيها الالتفات من " ا لغيبة إلى التكلم "

ت	موضع الالتفات ونوعه	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٣٧	من الغيبة في (تلك آيات الله) إلى التكلم في (نتلوها)	آل عمرآن	١٠٨	٣٣١
٢٣٨	من الغيبة في (وما كان لنفس أن تموت) إلى التكلم في (نؤته)	آل عمرآن	١٤٥	٣٣٢
٢٣٩	من الغيبة في (بل الله مولاكم) إلى التكلم في (سنلقي)	آل عمرآن	١٥٠ ، ١٥١	٣٣٣
٢٤٠	من الغيبة في (بنعمة من الله) إلى التكلم في (وخافون)	آل عمرآن	١٧٣ – ١٧٥	٣٣٤
٢٤١	من الغيبة في (لن يضروا الله شيئاً) إلى التكلم في (إنما نملي)	آل عمرآن	١٧٧ ، ١٧٨	٣٣٥
٢٤٢	من الغيبة في (لقد سمع الله) إلى التكلم في (سنكتب)	آل عمرآن	١٨١	٣٣٥
٢٤٣	من الغيبة في (فاستجاب لهم ربهم) إلى التكلم في (أني لا أضيع)	آل عمرآن	١٩٥	٣٣٧
٢٤٤	من الغيبةفي (ما ءاتاهم الله) إلى التكلم في (و أعتدنا)	النسآء	٣٧	٣٣٨
٢٤٥	من االغيبة في (ما آتاهم الله) إلى التكلم في (ءاتينا)	النسآء	٥٤	٣٣٩
٢٤٦	من الغيبة في (ومن يقاتل في سبيل الله) إلى لتكلم في (نؤته)	النسآء	٧٤	٣٤٠
٢٤٧	من الغيبة في(وما أصابك من حسنة فمن الله) إلى التكلم في (وأرسلناك)	النسآء	٧٩	٣٤٠
٢٤٨	من الغيبة في (فقد أطاع الله) إلى التكلم في (فما أرسلناك)	النسآء	٨٠	٣٤٢
٢٤٩	من الغيبة في (مرضات الله) إلى التكلم في (نؤتيه)	النسآء	١١٤	٣٤٣
٢٥٠	من الغيبة في (ولله ما في السماوات) إلى التكلم في (ولقد وصينا)	النسآء	١٣١	٣٤٣
٢٥١	من الغيبة ف ي (إن الذين يكفرون بالله) إلى التكلم في (وأعتدنا)	النسآء	١٥٠ ، ١٥١	٢٤٥
٢٥٢	من الغيبة في (وبصدهم عن سبيل الله) إلى التكلم في (وأعتدنا)	النسآء	١٦٠ ، ١٦١	٣٤٥
٢٥٣	من الغيبة في (والمؤمنون بالله) إلى التكلم في (سنؤتيهم)	النسآء	١٦٢	٣٤٧
٢٥٤	من الغيبة في (من ربكم) إلى التكلم في (وأنزلنا)	النسآء	١٧٤	٣٤٧
٢٥٥	من الغيبة في (وما أهل لغير الله به) إلى التكلم في (فلا تخشوهم واخشونِ)	المآئدة	٣	٣٤٩

تابع فهرس الآيات التي وجد فيها الالتفات من " الغيبة إلى التكلم "

ت	موضع الالتفات ونوعه	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٥٦	من الغيبة في (وعد الله) إلى التكلم في (بآياتنا)	المائدة	٩ ، ١٠	٣٥٠
٢٥٧	من الغيبة في (ولقد أخذ الله) إلى التكلم في (وبعثنا)	المائدة	١٢	٣٥١
٢٥٨	من الغيبة في (من كتاب الله) إلى التكلم في (اخشون)	المائدة	٤٤	٣٥٢
٢٥٩	من الغيبة في (من ربك) إلى التكلم في (وألقينا)	المائدة	٦٤	٣٥٣
٢٦٠	من الغيبة في (فأثابهم الله) إلى التكلم في (بآياتنا)	المائدة	٨٥ ، ٨٦	٣٥٤
٢٦١	من الغيبة في (وأطيعوا الله) إلى التكلم في (إنما على رسولنا)	المائدة	٩٢	٣٥٤
٢٦٢	من الغيبة في (ومن أظلم ممن افترى على الله) إلى التكلم في (ويوم نحشرهم)	الأنعام	٢١ ، ٢٢	٣٥٦
٢٦٣	من الغيبةفي (وهو القاهر فوق عباده ويرسل) إلى التكلم في (رسلنا)	الأنعام	٦١	٣٥٧
٢٦٤	من االغيبة في (وهو الذي جعل) إلى التكلم في (قد فصلنا الآيات)	الأنعام	٩٧ ، ٩٨	٣٥٨
٢٦٥	من الغيبة في (وهوالذي أنزل من السمآءمآء) إلى لتكلم في (فأخرجنا)	الأنعام	٩٩	٣٥٨
٢٦٦	من الغيبة في (ولو شآء الله) إلى التكلم في (وما جعلناك)	الأنعام	١٠٧	٣٥٩
٢٦٧	من الغيبة في (ولا تسبوا الذين يدعون .) إلى التكلم في (كذلك زينا)	الأنعام	١٠٨	٣٦٠
٢٦٨	من الغيبة في (وهذا صراط ربك) إلى التكلم في (قد فصلنا)	الأنعام	١٢٦	٣٦٠
٢٦٩	من الغيبة في(إلاما شآءالله إن ربك حكيم عليم) إلى التكلم في (وكذلك نولي)	الأنعام	١٢٨، ١٢٩	٣٦١
٢٧٠	من الغيبة في (الذين يشهدون أن الله حرم هذا) إلى التكلم في (الذين كذبوا بآياتنا)	الأنعام	١٥٠	٣٦٢
٢٧١	من الغيبة في (ما حرم ربكم) إلى التكلم في (نحن نرزقكم)	الأنعام	١٥١	٣٦٣
٢٧٢	من الغيبة في (ذلكم وصاكم به) إلى التكلم في (ثم ءتينا)	الأنعام	١٥٢ – ١٥٤	٣٦٤
٢٧٣	من الغيبة في (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله)	الأنعام	١٥٧	٣٦٥
٢٧٤	إلى التكلم في (سنجزي)			

تابع فهرس الآيات التي وجد فيها الالتفات من " الغيبة إلى التكلم "

ت	موضع الالتفات ونوعه	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٧٤	من الغيبة في (فمن أظلم ممن افترى على الله) إلى التكلم في (رسلنا)	الأعراف	٣٧	٣٦٦
٢٧٥	من الغيبة في (وهوالذي يرسل الرياح) إلى التكلم في (سقناه لبلد ميت)	الأعراَف	٥٧	٣٦٧
٢٧٦	من الغيبة في (بإذنه) إلى التكلم في (نصرف الآيات)	الأعراَف	٥٨	٣٦٨
٢٧٧	من الغيبة في (كذلك يطبع) إلى التكلم في (وما وجدنا)	الأعراَف	١٠١ ، ١٠٢	٣٦٩
٢٧٨	من الغيبة في (وتمت كلمت ربك الحسنى) إلى التكلم في (ودمرنا)	الأعراَف	١٣٧	٣٧٠
٢٧٩	من الغيبة في (غضب من ربهم) إلى التكلم في (نجزي)	الأعراَف	١٥٢	٣٧١
٢٨٠	من الغيبة في (و إذ تأذن ربك ليبعثن) إلى التكلم في (وقطعناهم)	الأعراَف	١٦٧ ، ١٦٨	٣٧٢
٢٨١	من الغيبةفي (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) إلى التكلمفي (خلقنا)	الأعراَف	١٨٠ ، ١٨١	٣٧٣
٢٨٢	من االغيبة في (إن كنتم ءامنتم بالله) إلى التكلم في (وما أنزلنا على عبدنا)	الأنفال	٤١	٣٧٤
٢٨٣	من الغيبة في (بآيات ربهم) إلى لتكلم في (فأهلكناهم)	الأنفال	٥٤	٣٧٥
٢٨٤	من الغيبة في (وما خلق الله) إلى التكلم في (لقآءنا)	يونس	٦ ، ٧ ، ٨	٣٧٦
٢٨٥	من الغيبة في (ولو يعجل الله للناس الشر) إلى التكلم في (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا)	يونس	١١	٣٧٧
٢٨٦	من الغيبة في (قل الله أسرع مكراً) إلى التكلم في (إن رسلنا)	يونس	٢١	٣٧٨
٢٨٧	من الغيبة في (فلما أنجاهم) إلى التكلم في (ثم إلينا مرجعكم فننبئكم)	يونس	٢٣	٣٧٩
٢٨٨	من الغيبة في (ما لهم من الله من عاصم) إلى التكلم في (ويوم نحشرهم)	يونس	٢٧ ، ٢٨	٣٨٠
٢٨٩	من الغيبة في (يفترون على الله الكذب) إلى التكلم في (ثم إلينا مرجعهم)	يونس	٦٩ ، ٧٠	٣٨١
٢٩٠	من الغيبة في (قال قد أجيبت دعوتكما) إلى التكلم في (وجاوزنا)	يونس	٨٩ ، ٩٠	٣٨٢
٢٩١	من الغيبة في (ويستخلف ربي) إلى التكلم في (ولما جاء أمرنا نجينا)	هود	٥٧ ، ٥٨	٣٨٣
٢٩٢	من الغيبة في (ناقة الله) إلى التكلم في (فلماجاء أمرنا نجينا)	هود	٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦	٣٨٣

تابع فهرس الآيات التي وجد فيها الالتفات من " الغيبة إلى التكلم "

ت	موضع الالتفات ونوعه	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٩٣	من الغيبة في (قد جاء أمر ربك) إلى التكلم في (رسلنا)	هود	٧٦ ، ٧٧	٣٨٤
٢٩٤	من الغيبة في (لو شاء ربك لجعل) إلى التكلم في (وكلاً نقص)	هود	١١٨ - ١٢٠	٣٨٥
٢٩٥	من الغيبة في (الله غالب على أمره) إلى التكلم في (أتينه)	يوسف	٢١ ، ٢٢	٣٨٦
٢٩٦	من الغيبة في (ماكان يغني عنهم من الله) إلى التكلم في (لما علمناه)	يوسف	٦٨	٣٨٧
٢٩٧	من الغيبة في (وهوالذي مد الأرض وجعل) إلى التكلم في (ونفضل بعضها . . .)	الرعد	٣ ، ٤	٣٨٨
٢٩٨	من الغيبةفي (ربهم) إلى التكلم في (مما رزقناهم)	الرعد	٢٢	٣٨٩
٢٩٩	من االغيبة في (يمحوا الله) إلى التكلم في (وإن ما نرينك)	الرعد	٣٩ ، ٤٠	٣٩٠
٣٠٠	من الغيبة في (وجعلوا لله أنداداً) إلى لتكلم في (قل لعبادي)	إبراهيم	٣٠ ، ٣١	٣٩١
٣٠١	من الغيبة في (أرسلنا) إلى التكلم في (قدرنا)	الحجر	٥٨، ٥٩، ٦٠	٣٩٢
٣٠٢	من الغيبة في (حيث تؤمرون) إلى التكلم في (وقضينا إليه)	الحجر	٦٥ ، ٦٦	٣٩٣
٣٠٣	من الغيبة في (إن ربكً) إلى التكلم في (ءاتيناك)	الحجر	٨٦ ، ٨٧	٣٩٤
٣٠٤	من الغيبة في (ينزل) إلى التكلم في (أنه لآ إله إلآ أنا)	النحل	٢	٣٩٥
٣٠٥	من الغيبة في (الذين تتوفاهم) إلى التكلم في (ما كنا نعمل)	النحل	٢٨	٣٩٦
٣٠٦	من الغيبة في (والذين هاجروا في الله) إلى التكلم في (لنبوئنهم)	النحل	٤١	٣٩٦
٣٠٧	من الغيبة في (فإياي) إلى التكلم في (وقال الله)	النحل	٥١	٣٩٧
٣٠٨	من الغيبة في (بربهم) إلى التكلم في (بما ءاتيناهم)	النحل	٥٤ ، ٥٥	٣٩٨
٣٠٩	من الغيبة في (تالله) إلى التكلم في (لقد أرسلنا)	النحل	٦٣	٣٩٩
٣١٠	من الغيبة في (والله أنزل) إلى التكلم في (نسقيكم)	النحل	٦٥، ٦٦	٤٠٠
٣١١	من الغيبة في (ضرب الله مثلاً) إلى التكلم في (رزقناه منا)	النحل	٧٥	٤٠١

تابع فهرس الآيات التي وجد فيها الالتفات من " الغيبة إلى التكلم "

ت	موضع الالتفات ونوعه	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٣١٢	من الغيبة في (نعمة الله) إلى التكلم في (يوم نبعث من كل أمة)	النحل	٨٣ ، ٨٤	٤٠٢
٣١٣	من الغيبة في (سبيل الله) إلى التكلم في (زدناهم)	النحل	٨٨	٤٠٢
٣١٤	من الغيبة في (وما عند الله) إلى التكلم في (ولنجزين)	النحل	٩٦	٤٠٣
٣١٥	من الغيبة في (لله) إلى التكلم في (وءاتيناه)	النحل	١٢٠ – ١٢٢	٤٠٤
٣١٦	من الغيبة في (سبحان الذي أسرى بعبده) إلى التكلم في (باركنا حوله لنريه من آياتنا)	الإسرآء	١	٤٠٥
٣١٧	من الغيبةفي (عسى ربكم) إلى التكلم في (وإن عدتم عدنا)	الإسرآء	٨	٤٠٧
٣١٨	من االغيبة في (ربكم) إلى التكلم في (فصلناه)	الإسرآء	١٢	٤٠٨
٣١٩	من الغيبة في (حرّم الله) إلى لتكلم في (جعلنا)	الإسرآء	٣٣	٤٠٩
٣٢٠	من الغيبة في (أفا أصفاكم ربكم) إلى التكلم في (ولقد صرفنا)	الإسرآء	٤٠ ، ٤١	٤١٠
٣٢١	من الغيبة في (ربكم) إلى التكلم في (وما أرسلناك)	الإسرآء	٥٤	٤١٠
٣٢٢	من الغيبة في (وربك أعلم) إلى التكلم في (ولقد فضلنا)	الإسرآء	٥٥	٤١١
٣٢٣	من الغيبة في (إن ربك) إلى التكلم في (وما جعلنا)	الإسرآء	٦٠	٤١٢
٣٢٤	من الغيبة في (يعيدكم) إلى التكلم في (علينا)	الإسرآء	٦٩	٤١٣
٣٢٥	من الغيبة في (ومن يهد الله) إلى التكلم في (ونحشرهم)	الإسرآء	٩٧	٤١٤
٣٢٦	من الغيبة في (الحمد لله) إلى التكلم في (إنا جعلنا)	الكهف	١–٧	٤١٥
٣٢٧	من الغيبة في (من آيات الله) إلى التكلم في (نقلّبهم)	الكهف	١٧–١٨	٤١٦
٣٢٨	من الغيبة في (ربهم) إلى التكلم في (أغفلنا)	الكهف	٢٨	٤١٦
٣٢٩	من الغيبة في (الحق من ربكم) إلى التكلم في (إنا أعتدنا)	الكهف	٢٩	٤١٧
٣٣٠	من الغيبة في (عند ربك) إلى التكلم في (يوم نسيّر)	الكهف	٤٦ . ٤٧	٤١٨

تابع فهرس الآيات التي وجد فيها الالتفات من " الغيبة إلى التكلم "

ت	موضع الالتفات ونوعه	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٣١	من الغيبة في (ولا يظلم ربك) إلى التكلم في (وإذ قلنا)	الكهف	٤٩ .. ٥٠	٤١٩
٣٣٢	منالغيبة في (عن أمر ربه) إلى التكلم في (من دوني)	الكهف	٥٠	٤٢٠
٣٣٣	من الغيبة في (ويوم يقول) إلى التكلم في (وجعلنا)	الكهف	٥٢	٤٢١
٣٣٤	من الغيبة في (بآيات ربه) إلى التكلم في (إنا جعلنا)	الكهف	٥٧	٤٢١
٣٣٥	من الغيبة في (وربك الغفور) إلى التكلم في (أهلكنا)	الكهف	٥٨ ، ٥٩	٤٢٢
٣٣٦	من الغيبة في (بآيات ربهم) إلى التكلم في (فلا نقيم)	الكهف	١٠٥	٤٢٤
	فهرس الآيات التي وجد فيها الالتفات	" من التكلم	إلى الخطاب "	
٣٣٧	من التكلم في (فقلنا) إلى الخطاب في (كلوا واشربوا)	البقرة	٦٠	٤٢٦
٣٣٨	من التكلم في (أخذنا) إلى الخطاب في (خذوا)	البقرة	٦٣	٤٢٧
٣٣٩	من التكلم في (أخذنا) إلى الخطاب في (لاتعبدون)	البقرة	٨٣	٤٢٧
٣٤٠	من التكلم في (أخذنا) إلى الخطاب في (خذوا)	البقرة	٩٣	٤٢٨
٣٤١	من التكلم في (جعلنا) إلى الخطاب في (واتخذوا)	البقرة	١٢٥	٤٢٨
٣٤٢	من التكلم في (أبغي رباً) إلى الخطاب في (إلى ربكم)	الانعام	١٦٤	٤٣٠
٣٤٣	من التكلم في (وكتبنا) إلى الخطاب في (فخذها)	الاعراف	١٤٥	٤٣١
٣٤٤	من التكلم في (وقطّعناهم) إلى الخطاب في (كلوا)	الاعراف	١٦٠	٤٣٢
٣٤٥	من التكلم في (ربي) إلى الخطاب في (ربكم)	الاعراف	٢٠٣	٤٣٢
٣٤٦	من التكلم في (أعبد) إلى الخطاب في (يتوفاكم)	يونس	١٠٤	٤٣٣

فهرس الآيات التي وجد فيهن الالتفات " من الخطاب إلى التكلم "

ت	موضع الالتفات ونوعه	إسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٤٧	من الخطاب في (من ينجيكم) إلى التكلم في (لئن انجانا)	الانعام	٦٣	٤٣٥
٣٤٨	من الخطاب في (يتوفاكم) إلى التكلم في (أمرت)	يونس	١٠٤	٤٣٧
٣٤٩	من الخطاب في (ربكم) إلى التكلم في (إن ربي)	هـود	٥٦	٤٣٨
٣٥٠	من الخطاب في (واستغفروا ربكم) إلى التكلم في (إن ربي)	هـود	٩٠	٤٣٩
	فهرس الآيات التي وجد فيهن الالتفات "الخارج عن رأي الجمهور "			
٣٥١	الالتفات من الفعل الماضي إلى المضارع	البقرة	٨٧	٤٤٢
٣٥٢	الالتفات من الفعل الماضي إلى الأمر	الاعراف	٢٩	٤٤٣
٣٥٣	الالتفات من الفعل المضارع إلى الماضي	البقرة	٢١٠	٤٤٤
٣٥٤	الالتفات من الفعل المضارع إلى الماضي	الكهف	٤٧	٤٤٥
٣٥٥	الالتفات من الفعل المضارع إلى الأمر	هـود	٥٤،٥٣	٤٤٦
٣٥٦	الالتفات من ضمير الجمع إلى ضمير المفرد	البقرة	٣٨	٤٤٧
٣٥٧	الالتفات من ضمير الجمع إلى ضمير المفرد	البقرة	٣٩ ، ٤٠	٤٤٨
٣٥٨	الالتفات من ضمير المفرد إلى ضمير الجمع	البقرة	٤٠	٤٤٩
٣٥٩	الالتفات من ضمير المفرد إلى ضمير الجمع	البقرة	١٠٧	٤٥٠
	الالتفات من خطاب التثنية إلى الجمع	يونس	٨٧	٤٥١

فهرس الاحاديث

ت	نص الحديث	رقم الصفحة
١	وجدتم في انفسكم يا معشر الانصار	٧٦
٢	أنا أفصح العرب	٧٦
٣	أكثر من ذكر هادم اللذات	٨٠
٤	يقول تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي	٨٦
٥	اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة	١٥٨
٦	أنا سيد ولد آدم	٢٢٠
٧	لايصيب رجل خدش	٢٣٢
٨	إن نفراً من الانصار غزوا مع النبي	٣٢٣
٩	إن الله جل ثناؤه لما كلم موسى	٢٣٥
١٠	لا أشك ولا أسأل	٢٥٨
١١	لاتخيروني من بين الانبياء	٢٦٨
١٢	إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه	٢٧١
١٣	ما من قلب إلا وهو معلق بين اصبعين	٢٧٢
١٤	يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك	٢٧٢
١٥	أتاني الليلة آتيان	٢٧٦
١٦	إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي	٢٨٠، ٢٨١
١٧	عرضت علي أمتي البارحة	٢٨٢
١٨	إذا انعم الله على عبده نعمة	٣٤٣
١٩	إن الناس إذا ماتوا في النفخة الأولى	٣٧٢

فهرست الشعر

ت	مطلع البيت	قافيه البيت	قائل القصيده	رقم الصفحه
١	أتنسى إذ	سقى البشام	جرير بن عطيه الخطفي	٦ ، ١٧ ، ٢١
٢	شطت مزار	ابنة مخرم	عنترة بن أبى شداد العبسى	٧ ، ٩
٣	يالهق نفسى	للتراب الأعفر	أبى كبيرا لهذلي	٧ ، ١١
٤	فإن تك خيلي	تيممت مالكاً	خفاق بن عمير بن الحارث الشريد بن رباح	٨
٥	أقول له	أنا ذلكا		٨
٦	وامتعنى	ياهوذحامدا	سعد ضبيمه بن قيس ويكنى أبابصير	٩
٧	وترى العواذل	هو ا ك عصينا	جرير بن عطيه الخطفي	١٠
٨	فدى لك	منه أتانى	أحد الشعراء	١٠
٩	يادار مية	سالف الأبد	زياد بن معا و ية للنا بغه الذبيانى	١١، ٦٣
١٠	يدق صلبات	سواء اللفت	العجّاج عبدالله بن رؤية بن أسد بن صخر بن كثيف	١٤
١١	تلفت نحو	ليتاً وأخدعا	للصمة بن عبدالله بن طفيل بن الحارث	١٥
١٢	متى كان الخيام	أبتها الخيام	جرير بن عطيه الخطفي	١٧، ٢١
١٣	أتنسى يوم	سقي البشام	جرير بن عطيه الخطفي	١٧، ٢١
١٤	طرب الحمام	وأيك نا ضر	جرير بن عطية الخطفي	١٨، ٢١
١٥	تبين صلاة	والمسالم بادن	المعطل أحد بني رهم من هذيل	١٩، ٢٢
١٦	فلا صرمه	لنا فنكارمه	الرماح بن ميادة بن أبرد بن ثوبان الذبيانى	٢٢
١٧	لو ان الباخلين	منك المطالا	كثير بن عبد الرحمن بن أبى جمعه	٢٤
١٨	ألازعمت	السن فانى	النابغه الذبيانى	٢٥
١٩	مالم الاق	محمودا	أحد الشعراء	٢٧
٢٠	ولقد سمعت	ولا جودا	لأحد الشعراء	٢٧
٢١	تطاول ليلك	ولم ترقد	لامرىء القيس	٢٧، ٦٦
٢٢	فإنك لم	التراب بعيد	لأحد الشعراء	٢٩
٢٣	ألاياصبا	على وجد	ابن الدمينه هو عبيدالله وهو من خثعم	٤٩
٢٤	وركب يساقون	قاطب	حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائى ابو تمام	٥١
٢٥	أخيال علوة	الزائر	الوليد به عبيد الله بن يحيى بن عبيد ابو عبادة البحترى	٥٥
٢٦	تهدمت الحياض	إزاء	ربيعه بن مقروم بن قيس بن جابر الضبى	٥٩
٢٧	باتت تذكرنى	سبلا	عبدالله بن قيس بن جعدة بو كعب بن ربيعه ويكنى أباليل	٦٠
٢٨	هى قالت	وإزورارا	أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخى المعروف بالمعرى	٦١
٢٩	ولقد نزلت	المكرم	هو ابو المغلس عنتره بن شداد العبسى	٦٢
٣٠	قذى بعينيك	الدار	تما ضربنت عمرو بن الشريد	٦٤
٣١	اسيئ بنا	ان تقلت	لكثير بن عبدالرحمن الخزاعى "كثير عزه"	٦٥
٣٢	يصرف مسراها	مغارب	حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائى ابوتمام	٦٥
٣٣	قامت تشكى	بعد سبعينا	لبيد	٦٧
٣٤	طحا بك	حان مشيب	علقمه بن عبدة بن عبد المنعم النعمانى	٦٧
٣٥	وقوفك بالدياد	المستعار	ابو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان	٦٨

ت	مطلع البيت	قافيه البيت	قائل القصيده	رقم الصفحه
٣٦	إذا أنا	كواكبه	ابو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل بن سعود	٦٩
٣٧	ونجين من	مؤلما	الحصين بن الحمام من بني مرة	٧٠
٣٨	تذكرت والذكرى	تقضبا	أحد الشعراء	٧١
	بكت عينى	أسبلتا معا	قيس بن الملوح بن مزاحم وقيل : قيس بن معاذ من بنى عامر بن صعصعه المعروف بمجنون ليلى	٧١
٣٩	وتصد عنك	العظم	طرفه بن العبد بن سفيان بن سعد وإسعه عمرو	٧٢
٤٠	يامن يعز	بعدكم عدم	ابو الطيب احمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجعنى	٧٣
٤١	بانت سعاد	المواعيدا	ربيعه بن مقروم بن قيس بن جابر الضبى	٧٤
٤٢	بأنى قد	صحصحان	ثابت بن عمسل (بتابط شراً)	٧٤

فهرس الاعلام

(الآباء)

اسماء الأعلام	ارقام الصفحات
ابو عبيدة معمر بن المثنى التميمي	٧ ، ١٤
ابو كبير الهذلي - عامر بن التحليس	٧
أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري	٢٠
أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني	٢٣
أبو يعقوب السكاكي	٢٦
أبوتمام حبيب بن أوس بن الحارثي بن قيس الطائي	٥١ ، ٦٥
أبو عبادة الوليد بن عبيدالله البحتري	٥٥
أبو العلاء أحمد بن عبدالله	٦١
أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان	٦٨
أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي	٧٣
أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي	٨٩ ، ١٢٩ ، ٢٠٧
أبو حيان أثير الدين أبوعبدالله التوحيدي	١٠٦ ، ١٣١
(الآبناء)	
ابن قتيبة أبو محمد عبدالله بن مسلم	١٠
ابن ميادة الرماح بن ميادة	٢٢
ابن الأثير أبو الفتح نصرالدين	٢٨ ، ٥٢
ابن أبي الإصبع المصري عبدالعظيم بن عبدالواحد	٢٩
ابن الدمينة	٤٩
ابن مقروم ربيعة بن قيس بن جابر	٥٩ ، ٧٤
ابن كثير الإمام عمادالدين أبوالفداء	٨٦
ابن جرير أبوجعفر محمد الطبري	١١١
ابن عباس عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب	١٥٣
ابن عطية أبوبكر البزّار	١٦٠
(حرف الألف)	
الأصمعي أبو سعيد عبدالملك بن قريب بن عبدالملك بن علي بن أصمع	٦
إسحاق بن إبراهيم الموصلي كنيته أبو محمد	٦
الأعشىء سعد ضبيعة بن قيس	٩
امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمر بن حجر بن كندة	٢٧ ، ٦٦
الألوسي شهاب الدين محمود أفندي	٩٢

(حرف التاء)

أسماء الأعلام	ارقام الصفحات
تأبط شراً	٧٤
(حرف الثاء)	
الثعالبي أبوزيد عبدالرحمن	٢٥٨ ، ٣٩٢
(حرف الجيم)	
جرير بن عطية الخطفي	٦ ، ١٧
(حرف الحاء)	
حازم القرطاجنّي	٣٧
الحجاج بن يوسف الثقفي	٦٩ ، ٧٩
الحصين بن الحمام	٧٠
الحسن البصري	٢٦٣
(حرف الخاء)	
خفاف بن ندبة السلمي	٨
الخطيب القزويني	٣٠
الخنساء تماضر بنت عمر بن الشريد	٦٤
(حرف الراء)	
رؤبة بن العجاج	١٤
(حرف الزاي)	
الزمخشري أبوالقاسم محمود	٢٦ ، ٨٥
الزركشي بدر الدين محمد بن عبدالله	٣٨
(حرف السين)	
السيوطي الحافظ جلال الدين أبوالفضل	٢٦٣
السدي أبوإسماعيل بن عبدالرحمن	٣٧٣
(حرف الشين)	
الشوكاني محمد بن علي بن عبدالله	٩٢
(حرف الصاد)	
صلاح الدين الصفدي	٣٣ ، ٤١
الصادق جعفر بن علي	٩٢

(حرف الطاء)

أسماء الأعلام	ارقام الصفحات
طرفة بن العبد	٧٢
(حرف العين)	
عبدالله بن المعتز	١٦
عنترة بن شداد	٦٢
علقمة بن عبدة	٦٧
(حرف الفاء)	
الفخر الرازي أبوعبدالله محمد بن عمر	٢٢٦ ، ٢٥٩
(حرف القاف)	
قدامة بن جعفر الكاتب	١٩
قيس بن الملوح	٧١
قتادة بن نعمان بن زيد بن عامر	١٤٨
(حرف الكاف)	
كثير بن عبدالرحمن بن أبي جمعة	٢٤
(حرف الميم)	
المبرد أبوالعباس محمد بن يزيد	٨ ، ١٠
مجاهد بن جبر شيخ القراء والمفسرين	٣٧٥
(حرف النون)	
النابغة عبدالله بن قيس الجعدي	٦٠
النابغة زياد بن معاوية الذبياني	٦٣
(حرف الياء)	
يحي بن محمد العلوي	٣١ ، ٤٠

فهرست المراجع

" (أ) "

- **الإتقان فى علوم القرآن**

لشيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى الشافعى المتوفى سنة٩١١هـ

- **الإ يضاح فى علوم البلاغه: المعانى والبيان والبديع - مختصر تلخيص المفتاح**

للخطيب القزوينى و هو: جلال الدين أبو عبدالله محمد ابن قاضى القضاه سعد الدين أبي محمد عبدالرحمن القزوينى .دار الجيل - بيروت - لبنان

- **أساس البلاغه للز مخشرى**

كتاب الشعب (معجم)

- أسرار البلاغه فى علم البيان

للإمام عبد الله القاهر الجرجانى صححها على نسخه الاستا ذ الإمام الشيخ محمد عبده التى قرأها درساً فى الجامع الأزهر، واودع فيها جل تعليقاته على حواشيها ووضع بجانبها مرز (ش) المقتطع من كلمه شيخنا، وعلق حواشيه: السيد محمد رشيد رضا منشىء المنار الناشر: دار المعرفه للطباعه والنشر، بيروت - لبنان - (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)

- **إعجاز القرآن والبلاغه النبوية**

لمصطفى صادق الرافعى . الناشر - دارالكتاب العربى - بيروت - لبنان

- **إعجاز القرآن**

للباقلانى أبى بكر محمد ابن الطيب - تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب و الوثائق القوميه تحت رقم ٤٣٤٥ / ١٩٧١ مطابع دار المعارف بمصر ٧٨ / ٧٣ / ١

- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمّى تفسير البيضاوي**

للإمام ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي. دارالفكر للطباعه والنشر والنوزيع.

- **الإتجاة الأخلاقى فى النقد العربى حتى نهايه القرن السابع الهجرى**

للدكتور محمد بن مريني الحارثي (١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م) مطبوعات نادي مكه الثقافى الأدبى (الكتاب ٦٤) - دارالمدنى للطباعه والنشر والتوزيع - جده شارع الصحافه

- **اساليب بلاغيه - الفصاحه - البلاغه - المعانى**

للدكتور أحمد مطلوب - ساعدت جامعه بغداد على نشره - رقم التعضيد ١٦ السنه ١٩٧٩ - ١٩٨٠م. الناشر : وكاله المطبوعات - الكويت.

- **أنوار الربيع في انواع البديع**

لابن معصوم السيدعلي صدرالدين بن معصوم المدني -تحقيق شاكرهادي الطبعه الأولى -النجف -مطبعة نعمان

- **اسباب النزول**

لابي الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري - عالم الكتب - بيروت

- **اخبار النحويين البغداديين**

للسيرافي - تحقيق طه محمد الزيني و محمد عبد المنعم خفاجي القاهرة مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٤ هـ - ١٩٥٥ م

- **الاقناع في القراءات السبع**
الإمام أبي جعفر احمد بن علي بن خلف الانصاري -ت ٥٤٠هـ-
تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش - دار الفكر - دمشق - الطبعة الاولى سنة ١٤٠٤هـ
- **الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني**
علي بن الحسين - المتوفي سنة ٣٥٦ هـ - بيروت - دار الفكر

" (ب) "

- **البيان والتبيين**
أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ بتحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون مكتبه الجاحظ: أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠ - ٣٥٥) الطبعه الرابعه : طبعه مزيّده ومنقحه /حقوق الطبع محفوظه للسيد: محمد فاتح الدايه رئيس المجمع العلمي العربي الإسلامى فى بيروت بإذن خاص من المؤلف
- **البرهان فى علوم القرآن**
الإمام بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشى تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم - الطبعه الثانية - مركز تأمين الكتاب الجامعى
بديع القرآن: لابن أبي الأصبع المصري.
- **البلاغه تطور وتاريخ**
الدكتور شوقى ضيف . دارالمعارف - بيروت / الطبعه الثامنه.
- **البلاغه**
السكاكى ص ١٣٦ - ١٣٨ وصفحه ٢٣٥، احمد مطلوب.
- **البديع**
لعبد الله بن المعتز . قد اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس عليه: اغناطيوس كراتشقوفسكي عضو اكاد يمية العلوم في لينينغراد
- **بلاغه النظم العربى**
الدكتور عبد العزيز عبدالمعطى عرفه
- **تلخيص البيان فى مجازات القرآن:**
تصنيف: الشريق الرّضي: حققه وقدم له وصنع فهارسه:- محمد عبد الغنى حسن: دار إحياء الكتب العربية : عيسى البابى الحلبى وشركاؤه . القاهرة - ١٩٥٥م : الطبعه الأولى (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م).
- **تحرير التحبير فى صناعه الشعر والنشر وبيان إعجاز القرآن**
إبن أبى الأصبع المصري : تقديم تحقيق : الدكتور حفني محمد شرف لا يشرف على إصدارها:- محمد توفيق عويضه الجمهوريه العربيه المتحده المجلس الأعلى للشئون الإسلاميه / لجنه إحياء التراث الإسلامى القاهره ١٣٨٣هـ
- **تلخيص المفتاح**
من مختصر العلامه سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للإمام الخطيب القزوينى ومواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح للمحقق ابن يعقوب المغربى رحمهم الله ونفع بهم أجمعين آمين. (وقد وضعنا شرح السعد بأعلي الصحيفه وبعده شرح ابن يعقوب مفصولاً بينهما بجدول) على نفة محل تجارة السيد عمر حسين الخشاب وولده سنه ١٣٤٠هـ الطبعه الأولى بالمطبعه الخيريه ادارة السيد" محمد عمر الخشاب "تأسست المطبعه المذكورة باذن نمره ١ سنه ١٣٠٢هـ
- **تفسير البحر المحيط**
محمد بن يوسف الشهيربأبى حيان الأندلسى الغرناطى (٦٥٤ - ٧٥٤هـ) وبهامشه: ١- تفسير النهرالماد من البحرلأبى حيان نفسه ٢ - كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط للإمام تاج الدين الحنفى النحوي تلميذ أبي حيان ٦٨٢ - ٧٤٩هـ . الطبعه الثانيه (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) - دارالفكرللطباعه والنشر والتوزيع
- **تفسير ابن كثير**
الإمام أبي العداء اسماعيل ابن كثير القرشى الدمشقى المتوفى ٧٧٤هـ دار الفكرللطباعه النشر والتوزيع -

- تفسير النسفى
الإمام الجليل العلاّمه أبى البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفى الناشر: دار الكتاب العربى: بيروت - لبنان.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم
تفسير العلاّمه أبى السعود . دار الفكر
- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار
السيد محمد رشيد رضا منشىء المنار - الطبعه الثالثه - أصدرتها دار المنار بمصر ١٣٧٤هـ
- تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان
العلامه الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعّدى (١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ)رحمه الله تعالى) تقديم : - محمد زهري النّجاد - طبع ونشر وتوزيع:- دار المدنى بجدة (طبعه ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- تتمه أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن
محمد الأمين بن محمد المختار الجْكسنى الشنقيطى. دار النشر: مطبعه المدني.
- التفسير الكبير
الإمام الفخر الرازى - الطبعه الثالثه. دار إحياء التراث العربى - بيروت ، دار الباز - عباس أحمد الباز.
- التبصره والتذكره
أبي محمد عبد الله بن على بن إسحاق الصيمري من نحاة القرن الرابع - تحقيق الدكتور : فتحي أحمد مصطفى على الدين - الطبعه الأولى (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) - دار الفكر بدمشق
- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان
للعلامه نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابورى قدسّت أسراره. بهامش جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى - توزيع: عباس أحمد الباز - مكه المكرمه دار المعرفه للطباعه و النشر - بيروت - لبنان - (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- تأويل مشكل القرآن
مكتبه ابن قتيبه أبى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبه (٢١٣ - ٢٧٦هـ) - شرحه ونشره : السيد أحمد صقر الطبعه الثانيه (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) - دار التراث - القاهرة.
- التعبير الفني فى القرآن
الدكتور بكري شيخ أمين دار الشروق.
- تفسير القاسمي المسمى: محاسن التأويل
علاّمه الشام : محمد جمال الدين القاسمى (١٢٨٣هـ - ١٣٣٢هـ / ١٨٦٦ - ١٩١٤م) - الجزء الخامس . وقف على طبعه وتصحيحه، ورقّمه وخرّج آياته وأحاديثه ، وكلّف عليه: (خادم الكتاب والسنه) محمد فؤاد عبد الباقى - الطبعه الثانيه ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- تهذيب سير أعلام النبلاء
تصنيف الامام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبى . المتوفى سنه ٧٤٨هـ - ١٣٧٤م.أشرف على تحقيق الكتاب : شعيب الأرنؤوط. هذّبه أحمد فايز الحُمْصي الطبعه الثانيه . مؤسسه الرساله للطباعه والنشر والتوزيع . بيروت
- التفسيروالمفسرون
الدكتور محمد حسين الذهبي الطبعه الثانيه (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) يطلب من دار الكتب الحديثه لصاحبها توفيق عفيفى - مصر
- تاريخ الادب العربى الجاهلى
دكتور شوقى ضيف - دار المعارف - الطبعة الثانية .

" (ج) "

- **جامع البيان فى تفسير القرآن**
الإمام الكبير و المحدّث الشهير من أطبقت الأمه على تقدّمه فى التفسير : أبى جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنه ٣١٠هـ دار المعرفه للطباعه والنشر (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) بيروت - لبنان / توزيع: عباس أحمد الباز - مكه .
- **الجامع لاحكام القرآن**
لأبى عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبى الطبعه الثانيه مطبعه دار الكتب المصرية.
- **جامع الترمذى**
لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة ٢٠٩ - ٢٩٧ تحقيق كمال يوسف ، الطبعة الجديده الوحيدة توزيع دار الباز.
- **جواهر الحسان في تفسير القرآن**
الثعالبي : عبدالرحمن بن مخلوف الثعالبي - مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت -لبنان.

" (ح) "

- **حاشية الدسوقي**
شمس الدين الشيخ محمد عرفة الدسوقي - على الشرح الكبير لأبي البركات - بيروت دار الفكر -

" (خ) "

- **الخصائص**
لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق: محمد على النجار.
- **خصائص التراكيب**
الدكتور محمد أبو موسى : استاذ مساعد بكلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر - الطبعة الثالثة - الناشر مكتبة وهبة.
- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**
عبدالقادر بن عمر البغدادي - تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون
- الطبعة الثالثة - القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م

" (د) "

- **ديوان أبى فراس**
رواية: أبي عبدالله الحسين بن خالويه . دار بيروت للطباعه والنشر - بيروت (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م الطبعه) مكتبه المعارف جامعه ام القري بنين.
- **ديوان مجنون ليلى**
شرح: - الدكتور يوسف فرحات . الناشر: دار الكتاب العربى - بيروت - الطبعه الأولى (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- **دلائل الإعجازفى علم المعاني**
الإمام عبد القاهر الجرجاني . صحح أصله علاّمنا المعقول و المنقول: الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية والأستاذ اللغوي المحدث : الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي.ووفق على تصحيح طبعه وعلّق حوّاشيه ناشره: السيد محمد رشيد رضا منشىء المنار الطبعه السادسه ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م. ي طلب من ، مكتبه ومطبعه محمد على صبيح وأولادة بميدان الأزهر

" (د) "

- ديوان الخنساء:دار بيروت للطباعة والنشر
- الدر المنشور فى التفسير المأثور
الإمام عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطى (ت ٩١١هـ) - ضبط النص والتصحيح وإسناد الآيات ووضع الحواشي والفهارس بإشراف دار الفكر - الطبعه الأولى - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م دار الفكر للطباعه والنشر والتوزيع - لبنان - بيروت.
- دراسة فى مصادر الأدب
دكتور الطاهر أحمد مكى أستاذ ورئيس قسم الدراسات الأدبيه بكليه دار العلوم - جامعه القاهرة / الطبعه الخامسه مزيده ومنقحه (١٩٨٠م) - دار المعارف - مصر - القاهرة .
- دراسات فى البلاغة
الدكتور محمد بركات حمدي أبوعلى - الجامعه الأردنيه كلية الأداب / مكتبة الدراسات البلاغيه (٣) / دارالفكر للنشر والنوزيع - عمّان ١٩٨٤م
- ديوان البحتري
هو أبوعبادة الوليد ابن عبيد: ٢٠٥ / ٢٨٤هـ ٨٢٠ / ٨٩٧م. دارصادر للطباعه والنشر: بيروت.
- ديوان النابغة الذبياني
شرح وتقديم: عباس عبدالساتر - دارالكتب العلمية - بيروت -لبنان الطبعة الثانية .
- ديوان كثير عزة

(ر)

روح المعاني: تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي دار الفكر بيروت/١٣٩٨هـ-١٩٧٨م

" (س) "

- سر الفصاحه
الأمير أبى محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان. الخفاجى الحلبى المتوفى سنه ٤٦٦م. شرح وتصحيح : عبدالمتعال الصعيدي مدرس بكلية اللغة العربية. الطبعه ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م - بطلب من - مكتبه ومطبعه محمد على صبيح وأولادة بميدان الأزهر .

" (ش) "

- شرح الصولى لديوان أبى تمام - دراسه وتحقيق
الدكتور خلق رشيد نعمان - دار الطليعه للطباعه والنشر - بيروت - الجزء الثاني.
- شرح المعلقات السبع
أبى عبد الله الحسين بن أحمد الزوزيني. دارالقلم - بيروت - لبنان.
- شرح ديوان المتنبي
وضعه عبدالرحمن البرقوقي - (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) الناشر: دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان.
- الشعر والشعراء
أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبه. قدم له: الشيخ حسن تميم راجعة واعد فهارسه: الشيخ محمد عبد المنعم العريان دار إحياء العلوم -بيروت. الطبعه الرابعه (١٤١٢هـ - ١٩٩١م).
- شعرالدعوه الإسلاميه فى عهد النبوّه والخلفاء الراشدين
جمعه وحققه : عبد الله الحامد الحامد : دارالأصاله للثقافه والنشر والإعلام الرياضى . الطبعه الثانيه (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)

- **شروح تلخيص المفتاح**
دار السرور - بيروت - لبنان.
- **شرح ديوان جرير**
قدمه وشرحه تاج الدين شلق - الناشر -دار الكتاب العربي.
- **شرح ديوان عنترة**
الخطيب التبريزي . قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد - الناشر دار الكتاب العربي

" (ص) "

- صحيح البخاري: مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة /دار الباز.
الصاحبى
أبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (... - ٣٩٥هـ) تحقيق : السيدأحمد صقر - طبع بمطبعه عيسى البابي الحلبى وشركاه - القاهره.
- **صحيح الجامع الصغير وزياداته**
محمد ناصرالدين الالباني - الطبعة الثانية - المكتب الاسلامي.
- **صحيح مسلم**
للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشير النيسابورى (٢٠٦ - ٢٦١هـ).
- **صناعة الاعراب لابن جني**
تحقيق الدكتور : حسن هنداوي.

" (ط) "

- **طبقات الشعراء**
محمد بن سلام الجمحي (توفى سنه٢٣١هـ) مع مقدمه تحليلية للكتاب ودراسة نقدية منذ الجاهليه إلى عصر ابن سلام إعداد :- اللجنة الجامعيه لنشر التراث العربى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.

" (ع) "

- **العمده فى صناعة الشعر ونقده**
أبى على الحسن بن رشيق القيرواني . المتوفى سنه ٤٦٣هـ - تحقيق وشرح: الدكتور مفيدة محمد قميحه أستاذ محاضر فى الجامعه اللبنانيه - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعه الاولى (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- **العمدة فى غريب القرآن**
لأبى محمد القيسى

" (غ) "

- **غريب الحديث**
لابن الأثير.
- **الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني**
علي بن الحسين المتوفى سنة ٣٥٦هـ بيروت دار الفكر.

" (ف) "

- **فاتحة المراجع : الغيث المسجم فى شرح لاميه العجم**
الشيخ صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدى المتوفى سنه ٧٦٤ هجرية دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- **الفن ومذاهبه فى النثر العربى**
لدكتور شوقى ضيف. مكتبه الدراسات الأدبيه - الطبعه الخامسه - دار المعارف بمصر.
- **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان**
الإمام العالم شمس الدين أبى عبدالله محمد بن أبى بكر ابن أيوب الزرعى المعروف بابن القيم إمام الجوزيه المتوفى سنه٧٥١هـ حققت أصوله - وضبطه جماعه من العلماء بإشراف الناشر- دار الكتب العلميه - بيروت - لبنان - الطبعه الاولى (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).
- **الفلسفه القرآنيه**
عباس محمود العقاد . دار الإسلام - القاهره.
- **فتح القدير الجامع بين فني الروايه والدرايه من علم التفسير**
محمد بن على بن محمد الشوكاني (وفاته بصنعاء ١٢٥٠هـ). الناشر: دار المعرفه للطباعه والنشر - بيروت - لبنان.
- **فن البلاغه**
الدكتور عبد القادر حسين. مطبعه الأمانه - مصر.
- **فى ظلال القرآن**
سيد قطب - الطبعه السابعه (١٣٩١هـ - ١٩٧١م) مزيدة ومنقحه - دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان.

" (ق) "

- **قراءة جديده لتراثنا النقدي**
أبحاث ومناقشات الندوة التى أقيمت فى نادى جده الأدبى الثقافي فى الفتره من: ٩ إلى ١٥ / ٤ / ١٤٠٩ هـ الموافق ١٩: إلى ٢٤/ ١١ / ١٩٨٨م. المملكة العربيه السعودية - الرئاسه العامه لرعايه الشباب - النادي الأدبى الثقافى - بجدة المجلد الأخير (٢٠ / ١٢ / ١٤١٠هـ الموافق ١٢ / ٧ / ١٩٩٠م).

" (ك) "

- **كتاب الطراز المتضمن لأسرارالبلاغه وعلوم حقائق الأعجاز**
السيد الإمام إمام الأئمه الكرام أمير المؤمنين - يحي بن حمزه بن على بن إبراهيم العلوى اليمنى . أشرفت على مراجعته وضبطه وتوفيقه جماعة من العلماء بإشراف الناشر : الطبعه (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) دارالكتب العلمية بيروت - لبنان.
- **كشف الغموض عن قواعد البلاغه والعروض**
الدكتور ياسين الأيوبي والدكتور محي الدين ديب - دار الشمال للطباعه والنشر والتوزيع طرابلس - لبنان - الطبعه الأولى ١٩٩٠م.
- **كتاب الصناعتين الكتابه والشعر تصنيف**
أبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى تحقيق : على محمد البجاوى . محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعه الثانيه - الناشر: عيسى البابى الحلبى وشركاه.
- **كتاب عيار الشعر**
أبى الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوى . تحقيق: الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع - كلية الآداب جامعه الملك سعود . دارالعلوم للطباعه والنشر (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) الرياض المملكة العربية السعودية

" (ك) "

- **الكامل فى اللغه والأدب**
للعلامه أبى العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي المتوفى سنه ٢٨٥هـ -تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي القاهرة طبعة بدون

- **كتاب البديع**
عبدالله بن المعتز . اعتني بنشره وتعليق المقدمه والفهارس عليه اغناطيوس كراتشقوفسكى عضو اكاديميه العلوم فى لينيغراد.

- **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**
أبى محمد مكى بن ابى طالب القيسي (٣٥٥ - ٤٣٧هـ) تحقيق : الدكتور محى الدين رمضان مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).

- **كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال**
للعلامة علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندى.

- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل**
أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ - ٥٣٨) ومعه : كتاب " الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الإعتزال تاليف الامام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكى (وقد وضع بأعلى الصحائق القرآن الكريم برسم وضبط الدوري عن أبي عمرو البصري) وبآخر الكتاب : - "تنزيل الآيات على الشواهد عن الأبيات " للعالم الموفق محب الدين أفندي / شركه مكتبه ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر - عباس ومحمد محمود الحلبي وشر كاهم . الطبعه الأخيره (١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م).

- **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنه الناس**
اسماعيل محمد العجلوني

- **الكوكب الدري في شرح طيبة ابن الجزري . مختصر شرح طيبة النويري**
محمد الصادق قمحاوي - مكتبة الكليات الأزهرية - مصر

" (ل) "

- **لسان العرب**
الإمام العلامه أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور الأفريقي المصري / دار صادر - بيروت

" (م) "

- **المحررالوجيز فى تفسير الكتاب العزيز**
القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطيه الأندلسى المتوفى ٥٤٦هـ تحقيق : عبدالسلام عبد الشافى محمد: طبعه محققه عن نسخه أيا صوفيا - إستانبول رقم (١١٩) - المحفوظه صورتها فى مكتبه مرتحشي بخفني - الطبعه الأولى دار الكتب العلميه : بيروت - لبنان - توزيع مكتبه دار الباز : عباس أحمد الباز - مكه المكرمه

- **المعاني فى ضوء أساليب القرآن**
الدكتور عبد الفتاح لاشين. كلية البنات الإسلاميه - جامعة الأزهر / الطبعه الرابعه ١٩٨٣م . توزيع المكتبه الأمويّه طباعه - نشر - توزيع.

"(م)"

- معانى القرآن

أبي زكريا يحيي بن زياد الفرّاء المتوفى ٢٠٧هـ تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى (الجزء الثالث). مراجعة: الأستاذ على النجدى ناصف / الهيئه المصريه العامة للكتاب (١٩٧٢) الجزء الثانى : من معانى القرآن تأليف : أبي زكريا يحيي بن زياد الفرّاء المتوفى ٢٠٧هـ تحقق ومراجعه : الاستاذ محمد على النجار . الدار المصريه للتأليف والترجمة –

منهاج البلغاء وسراج الأدباء

صنعه ابى الحسن حازم القرطاجنى. المتوفى بتونس فى ٢٤ رمضان ٦٨٤/ ٢٣نوفمبر ١٢٨٥م. تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجه توفى (١٩٦٦م) دارالكتب الشرقيه.

- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر

ضياء الدين بن الأثير . قدم له وحققه وعلق عليه : الدكتور أحمد الحوفى، والدكتور بدوي طبانه دارنهضه مصر للطبع والنشر – الطبعه الثانيه.

- معجم البلاغه العربية

الدكتور بدوي طبانه . الطبعه الثالثه مزيده ومنقحه ١٤٠٨هـ دارالمنار للنشر والتوزيع – جده – ودار الرفاعي للنشر والطباعه – الرياض.

- من بديع لغة التنزيل

الدكتور إبراهيم السامرائي . الطبعه الأولى (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤ م) دار الفرقان للنشر والتوزيع ، مؤسسه الرساله – بيروت.

- مفتاح العلوم

أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي . يحتوى عل: الصرف : النحو – المعانى – البيان – البديع – الاستدلال – القروض – القافيه.

منشورات : المكتبه العلميه الجديده – بيروت – لبنان.

- من بلاغة النظم العربي – دراسه تحليليه لمسائل علم المعاني.

الدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفه – عالم الكتب – بيروت.

- الموازنه بين أبى تمام حبيب بن أوس الطائي المتوفى عام٢٣١هـ وابي عبادة الوليد بن عبيد البحترى الطائى المتوفي عام ٢٨٤هـ

تصنيف :- الإمام النقّاده أبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيي الآمدى ، البصري المتوفي فى عام ٣٧٠ من الهجرة . حقق أصوله . وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد / المكتبه العلميه بيروت – لبنان.

- مجلة الزهراء

رئيس التحرير والنائب : (١) محمد رشدى اسماعيل (٢)والدكتور عبد السلام محمد عبده . جامعة الأزهر كلية الدراسات الاسلاميه والعربيه فرع البنات إشراف على اخراج المجله دكتوره رقيه ابراهيم أحمد . العدد السادس شعبان ١٤٠٨هـ مارس ١٩٨٨ م .

- مجلة الرساله الاسلاميه

تصدر عن وزارة الاوقاف والشئون الدينيه فى الجمهورية العراقية رئيس التحرير عبد الله فاضل عباس ومدير التحرير الدكتور محمد شريق احمد . ادارة المجلة : الصرافيه جامع عادله خاتون ، العددان ٢٠٧ – ٢٠٨ / صفر ربيع الأول ١٤٠٨هـ – ايلول – تشرين الأول ١٩٨٧م .

(م)

- **مجاز القرآن**
صنعه: أبي عبيده معمر بن المثنى التيمي المتوفى سنه ٢١٠هـ عارضه بأصوله وعلق عليه: الدكتور محمد فؤاد سزكين الناشر: مكتبه الخانجي بالقاهرة .
- **المعجزة الخالدة**
د كتورحسن ضياء الدين عتر. يطلب الكتاب من دار ابن حزم - بيروت ، الطبعه الثالثه (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) .
- **معاني القرآن**
للأخفش سعيد بن مرمده البلخي المجاشعي . دراسه وتحقيق : الدكتور عبد الأمير محمد أمين الدرد - الطبعه الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٠م) عالم الكتب - بيروت .
- **معجم الأدباء في عشرين جزءاً**
ياقوت الحموي . الطبعه الثالثه : منقحه ومصححه وفيها زيادات ١٤٠٠هـ
- ١٩٨٠م دارالفكر للطباعه والنشر والتوزيع. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشهورة على الألسنة تأليف الإمام الشيخ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي المتوفى سنه ٩٠٢ هـ دار الكتب العلميه -بيروت - لبنان.
- **من أسرار البلاغة في القرآن**
الدكتور محمود السيد شيخون أستاذ البلاغه والنقد المساعد في كليه الدراسات الإسلاميه والعربيه بجامعه الأزهر بالقاهره والأستاذ المشارك في قسم الدراسات العليا بالجامعه الإسلاميه بالمدينه المنورة - الطبعه الأولى (١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م) . الناشر مكتبه الكليات الأزهريه حسين محمد إمبابي وأخوه محمد
- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**
وضعه - محمد فؤاد عبد الباقي . مؤسسه جمال للنشر - بيروت - لبنان.
- **معجم مقاييس اللغة**
أبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (... - ٣٩٥) بتحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون : رئيس قسم الدراسات النحويه بكليه دار العلوم سابقاً وعضو المجمع اللغوي - دارالفكر للطباعه والنشر والتوزيع طبع بإذن خاص من رئيس المجمع العلمى العربى الإسلامى : محمد الدّايه وحقوق الطبع محفوظه له (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- **المعجم الوسيط**
قام بإخراج هذه الطبعه : (١) الدكتور إبراهيم أنيس (٢) الدكتور عبد الحليم منتصر (٣) عطيه الصّوالحى (٤) محمد خلف الله أحمد ، وأشرف على الطبع: (١) حسن على عطيه (٢) محمد شوقي أمين. الطبعه الثانيه - مطابع دار المعارف بمصر (١٣٩٣هـ - ١٩٧٢م).
- **مسند الإمام**
احمد بن حنبل : توزيع دارالباز للنشر والتوزيع الطبعه الأولى دار الكتب العلميه .
- **موطأ الإمام مالك**
للإمام مالك بن أنس الاصبحى طبعة دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٠هـ ،
- **مصنف ابن ابى شيبه فى الاحاديث والاثار**
: للإمام الحافظ أبى بكر عبد الله بن محمد بن أبى شيبه الكوفى العبسى المتوفى سنه ٢٣٥هـ .
- **مجمع الزوائد وصنيع الفوائد ٧**
لنور الدين الهيثمي المتوفى ٨٠٧هـ الطبعة الثالثه ١٤٠٢هـ

" (ن) "

- **النشر في القراءات العشر**

الحافظ أبي الخير محمد ابن الجزري المتوفي سنة ٨٣٣ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت بدون تأريخ.

- **نهج البلاغة**

وهو ما أختاره أبو الحسن محمد بن الحسين المعروف بالشريق الرضى من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه شرح الإمام: الشيخ محمد عبده - تحقيق وتعليق محمد أحمد عا شور - محمد ابراهيم البنّا دار ومطابع الشعب - كتاب الشعب.

- **نهاية الإيجاز فى درايه الإعجاز**

الإمام فخر الدين الرازي . تحقيق ودراسه : الدكتور بكرى شيخ أمين - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - الطبعه الأولى ١٩٨٥م.

- - **النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث فى الأدب واللغة مترجم عن الأستاذين لاتسون ومابيه**

الدكتور محمد مندور - دارالنهضه مصر للطباعه والنشر الفجاله - القاهرة

- **نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجانى عن كتابه أسرار البلاغه ودلائل الإعجاز**

بحث مقدم عن : محمد حنيف فقيهي لنيل درجه الماجستير فى الآداب "قسم اللغه العربيه" (١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م) - الطبعه الثانيه (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) المكتبه المصريه للطباعه والنشر والتوزيع مؤسسها عبد الرحمن الأنصارى - صيدا - بيروت.

- **نقد الشعر**

لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق : كمال مصطفى ، الطبعه الثالثه .الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

- **نظرية المعنى فى النقد العربى**

الدكتور مصطفى ناصف

النهاية في غريب الحديث

الامام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الاثير - المكتبة العلمية - بيروت .

- النشر في القراءات العشر

للحافظ أبي الخير محمد بن الجزري المتوفي سنة ٨٣٣هـ - دار الكتب العلمية بيروت - بدون تاريخ

" (و) "

- **وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان**

أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١هـ) حققه الدكتور إحسان عباس دار الفكر دارصادر - بيروت

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحه من - إلى
الباب الأول	١٣ - ٨٠
دراسة نظرية تطبيقية في الالتفات	
الفصل الأول	
التعريف بالالتفات لغة واصطلاحاً	١٣ - ٣٤
الفصل الثانى	
أسرار الالتفات الفنية كما يراها علماء البلاغة	٣٥ - ٤٢
الفصل الثالث	
بلاغة الالتفات من الوجهة النفسية ودوره في حيوية الأدب	٤٣ - ٥٧
الفصل الرابع	
أساليب الالتفات فى الأدب العربى شعراً ونثراً	٥٨ - ٨٠
الباب الثاني	٨١ - ٤٥١
دراسة استقصائية تحليلية لمواضع الالتفات في القرآن الكريم من سورة الفاتحة إلى سورة الكهف	
الفصل الأول	
الالتفات من الغيبة إلى المخاطب	٨٢ - ١٣٥
الفصل الثانى	
الالتفات من الخطاب إلى الغيبة	١٣٦-١٩٩

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحه من - إلى
الفصل الثالث	
الالتفات من التكلم إلى الغيبة	٢٠٠-٣١٧
الفصل الرابع	
الالتفات من الغيبة إلى التكلم	٣١٨-٤٢٤
الفصل الخامس	
الالتفات من التكلم إلى الخطاب	٤٢٥ - ٤٣٣
الفصل السادس	
الالتفات من الخطاب إلى التكلم	٤٣٤ - ٤٤٠
الفصل السابع	
أمثلة من القرآن الكريم لما خرج عن رأى الجمهور من الوان الالتفات	٤٤١- ٤٥١
الخاتمه	٤٥٢-٤٥٥
فهرس الفهارس	٤٥٧
فهرس الآيات	٤٥٨- ٤٧٧
فهرس الاحاديث النبوية الشريفة	٤٧٨
فهرس الشعر	٤٧٩-٤٨٠
فهرس الاعلام	٤٨١-٤٨٣
فهرس المراجع	٤٨٤-٤٩٤

الحمد لله رب العالمين